



مركز دراسات الوحدة العربية

وقفية عبد المحسن القطان للقضية الفلسطينية

# المشروع الصهيوني وبدايات الوعي العربي لمخاطره 1879 - 1917

الدكتورة سهيلا سليمان الشلبي



مكتبة فريق\_متميزون.

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



## كلمة مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي. وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق متميزون-

انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

المشروع الصهيوني  
وبدايات الوعي العربي لمخاطره  
١٨٧٩-١٩١٧

الدكتورة سهيلا سليمان الشلبي

## عن الكتاب..

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بدايات الوعي العربي للخطر الصهيوني والدلائل والمؤشرات عليه، وإبراز أهميته وتأثيره والتطور الذي طرأ عليه، وكيفية مواجهة العرب هذا الخطر. وهي تهدف كذلك إلى معرفة إلى أي درجة ارتقى العرب في هذه المواجهة وكانوا بمستوى الحدث، ومعرفة مكامن الخلل في معركتهم هذه والمقومات والظروف التي نجح من خلالها الصهاينة حيث فشل العرب. تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تدرس وترصد الوعي العربي من جهة، ومتى بدأ هذا الوعي وكيف تطور مع تطور المشروع الصهيوني، والظروف التي رافقت هذا التطور، والآلية والوسائل المستخدمة في التعبير عن هذا الوعي؛ كما تكمن في الحقبة التي تغطيها الدراسة من جهة أخرى، منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام 1897، إلى الإعلان عن وعد بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1917، الذي تأتي أهميته بمنحه الشرعية والمظلة الدولية لمقررات ذلك المؤتمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## مقدمة

يجد الباحث نفسه في تناوله موضوع الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني أمام سلسلة من التساؤلات، تثير لديه الحنق والاستفزاز والغضب، بحيث يصارع موضوعية البحث العلمي، ويتفاعل بكليته سلباً وإيجاباً مع الموضوع والقضايا المبحوثة، ومكمن ذلك كله رؤيته لدأب الصهاينة وإخلاصهم في سبيل تحقيق فكرتهم وهم على باطل، وتراخي العرب في الدفاع عن قضيتهم وهم أصحاب حق. إن أصعب الأعداء هو الذي ينتزع منك الإعجاب به، لإيمانه بقضيته رغم بطلانها، وأصعب القضايا تلك التي يكون خصمك فيها أكثر إيماناً بموقفه منك، إيماناً يولد إصراراً على بلوغ الهدف، وعملاً مضمناً من أجله.

لقد انطلقت هذه الدراسة الموسومة بـ الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني خلال الفترة من 1897-1917، في ما بحثته من مقولة نجيب عازوري: "إن ماضي الشعب هو الصورة الأكثر أمانة لحاضره ومستقبله". إن الاعتبار بما سلف، ودراسته، وتمحيصه، له أهمية قصوى في تحديد مسار الأمة العربية في الحاضر والمستقبل، وفي كيفية تعاملها مع المخاطر التي تهدد وجودها واستمراريتها، وفي مقدمها الخطر الصهيوني.

تكمن أهمية هذه الدراسة في جانبين: الأول، دراسة الوعي العربي ورصده؛ متى بدأ، وكيف تطور مع تطور المشروع الصهيوني، والظروف التي رافقت هذا التطور، والآلية والوسائل المستخدمة في التعبير عن هذا الوعي. والثاني، يتمثل بالفترة الزمنية للدراسة؛ فحدها الأول، هو المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال في آب/أغسطس 1897، والذي صيغ فيه المشروع الصهيوني في إطار مؤسسي، وتحول بذلك من أفكار ورؤية إلى شيء عملي، شرع في تطبيقه من خلال وضع آليات عمل صيغت في المؤتمر ذاته، وتطورت لاحقاً وفقاً لما يقتضيه الأمر، من خلال المؤتمرات الصهيونية المتتالية. وحدها الزمني الثاني- الذي تنتهي عنده الدراسة- الإعلان عن وعد بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1917، والذي تأتي أهميته من خلال منحه الشرعية والمظلة الدولية لهذه المقررات، التي كانت في تجدد مستمر، من حيث بنودها وآليات تنفيذها وتطويرها، فكان محصلة طبيعة لمجموعة من الظروف المختلفة، والتي تمثلت بالأداء الصهيوني والعربي قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، وظروف هذه الحرب، وموقف العرب والصهيونية منها وخلالها، حيث توقفت الدراسة عنده من دون التطرق إلى تفاصيله وتداعياته، وذلك لحاجته إلى دراسة مستقلة وموسعة، تمنحه ما يستحقه في البحث.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بدايات الوعي العربي للخطر الصهيوني والدلائل والمؤشرات عليه، وإبراز أهميته وتأثيره، والتطور الذي طرأ عليه، وكيفية تعامل العرب مع هذا الخطر منذ أن كان في المهد فكرةً، إلى أن أصبح حقيقة ماثلة للعيان، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل تزامن الوعي العربي مع بدايات الدعوة الصهيونية، والعمل على تحقيقها؟
  - هل ارتقى العمل أو الرد العربي إلى درجة الوعي؟
  - هل كان حجم الوعي العربي متناسباً مع حجم الخطر الصهيوني؟ وإذا لم يكن كذلك، فلماذا قصر الوعي والفعل العربي عن مجارات الخطر الصهيوني؟
  - أين كان العرب من تحركات زعماء الحركة الصهيونية، ومحاولاتهم كسب الدول والقوى الدولية كافة، لمصلحة مشروعهم؟
  - ما أثر الظروف التي عاشها العرب أواخر الدولة العثمانية- خصوصاً خلال الفترة الاتحادية - في درجة الوعي، وردة الفعل العربية على المشروع الصهيوني؟
- اعتمدت الدراسة في محاولتها الإجابة عن هذه التساؤلات على مجموعة من المصادر، إضافة إلى عدد من المراجع العربية والأجنبية الحديثة التي كان لا بد من الرجوع إليها لسد النقص الناجم عن صعوبة الوصول إلى بعض المصادر.
- ومن أبرز المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة الصحف المعاصرة فترة الدراسة، التي شكلت رافداً أساسياً، وذلك لتنوع معلوماتها ومصادرها، فقد كانت المقياس الذي رصدت الدراسة من خلاله الوعي العربي للخطر الصهيوني، على اختلاف أشكاله ومصادره، وما رافق هذا الوعي من ردود فعل. كما عكست وجهات نظر ومواقف الساسة العثمانيين من الموضوع، وهو أمر له أهميته وتأثيره سلباً وإيجاباً في موضوع الدراسة؛ كصحيفة المقتبس، التي أصدرها محمد كرد علي في دمشق عام 1909، وصحيفة الكرمل التي كانت صدى لأراء صاحبها نجيب نصار ومواقفه، الذي يعتبر رائداً في وعيه وتنبهه للخطر الصهيوني، حيث شكلت مواقفه وأفعاله وأقواله دستوراً لو اتبع لأحدث فرقاً في مواجهة هذا الخطر؛ إذ لخص نصار الصراع العربي مع الصهيونية بقوله: "فبالأرض نبقى وننتصر، والأرض هي الفيصل لبقاء أو سقوط أو هزيمة أو نجاح الصهيونية، بيعوا لليهود كل شيء إلا الأرض، ولا تشتروا من اليهود شيئاً إلا الأرض".

ولتعدر الحصول على أعداد هذه الصحيفة الصادرة خلال فترة الدراسة، فقد تمت الاستفادة من الأعداد الصادرة لاحقاً، في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث خصصت صفحة تحمل عنوان "ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة"، نشرت فيها جميع القضايا المهمة المتعلقة بالصهيونية التي نشرتها الصحيفة في تلك المرحلة، وقد اعتمدت الباحثة في توثيقها المعلومات المقتبسة عن هذه الصحيفة، بذكر التفاصيل كاملة عنها في كل مرة كان يتم الاقتباس منها.

هناك مجلة المنار التي عكست غالباً وجهة نظر صاحبها محمد رشيد رضا ومواقفه، وهي من أوائل المجلات التي تناولت الموضوع؛ إذ عاصرت انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897.

هناك أيضاً صحيفة فلسطين، الصادرة عام 1911 في فلسطين، وذلك على الرغم من قصر المدة الزمنية التي صدرت فيها الصحيفة بالنسبة إلى مدة الدراسة، وكذلك

صحيفة المنادي الصادرة عام 1912، التي امتازت بنقلها لما كان يجري في فلسطين، خصوصاً في ما يتعلق بصفقات بيع الأراضي.

كذلك المذكرات الشخصية، وإن كان موضوع الخطر الصهيوني جاء ذكره عرضاً فيها، فلم يكن مسألة جوهرية - وذلك على النقيض من مذكرات زعماء الصهيونية، التي شكل المشروع الصهيوني والسعي إلى تنفيذه محور مذكراتهم- إلا أن ذلك لم يحل دون تلمس بعض المعلومات فيها لتدعيم الدراسة وإغنائها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مذكرات عزة دروزة عن الحركة العربية، التي تحمل عنوان نشأة الحركة العربية. أضف إلى ذلك، مذكرات أسعد داغر عن القضية العربية، ويوسف الحكيم، وسامي البارودي، وسليمان فيضي، وخليل السكاكيني وغيرهم.

وهناك أيضاً، مذكرات زعماء الحركة الصهيونية ويومياتهم، التي ألفت الضوء على تطور المشروع الصهيوني، وآلية تطبيقه، إضافة إلى ما احتوته من معلومات حول العلاقة مع العرب وردود فعلهم، كيوميات تيودر هرتزل، وكتابه الدولة اليهودية، ومذكرات حايم وايزمن، وبن غوريون، وغيرهما.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، كتاب روجي الخالدي السيونزم أو المسألة الصهيونية، وكتاب نجيب عازوري يقظة الأمة العربية. كما على عدد من المراجع العربية والأجنبية الحديثة، التي استدركت النقص في بعض المصادر التي تعذر على الباحثة الوصول إليها، ك بعض الصحف، وخصوصاً المصرية، والوثائق البريطانية وغيرها. في مقدمة هذه المراجع، كتب الدكتورة خيرية قاسمية ودراساتها، التي لا غنى لأي باحث في التاريخ العربي الحديث عنها، وفي مقدمها كتابها الموسوم بـ النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه، 1908-1918، وكذلك أبحاثها المنشورة في عدد من الدوريات العربية.

وهناك مؤلفات الدكتورة سهام نصار، ككتابتها الموسوم بـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة 1897-1917، وكتابتها الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر، وتكمن أهميتهما في تغطيتهما الصحف المصرية الصادرة خلال مرحلة الدراسة. وكتاب الدكتور محمود الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، 1876-1914، الذي امتاز بتنوع مصادره، ولا سيما العبرية والتركية منها. وكتاب أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى. هذا، إضافة إلى عدد من الأبحاث المنشورة في مجموعة من الدوريات العربية التي ضمت دراسات ذات علاقة بموضوع الدراسة.

لا بد من الإشارة إلى أن الباحثة اعتمدت في دراستها على إيراد الكثير من الاقتباسات عن كتابات أو آراء لأشخاص عاصروا مرحلة الدراسة، والهدف من ذلك التعريف بروح العصر ونوعية الكتابة المستخدمة.

جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، تتناول الأول منها "الوعي العربي للصهيونية كفكرة"، في حين تحدث الثاني عن "الوعي العربي لخطورة الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني"، ثم جاء الثالث ليلقي الضوء على "الوعي العربي لخطر استيلاء الصهيونية على الأراضي". أما الرابع، فتناول "الوعي العربي لهدف



الصهيونية إقامة دولة مستقلة في فلسطين"، وبحث الفصل الخامس في "الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني".

ومن الصعوبات التي واجهتها الباحثة في عملها هذا، وإن كان لا يمكن أن يطلق عليها صعوبات بقدر ما هي غصة أو ألم لا بد من التنويه إليها، ألا وهي إحجام بعضهم عن تزويد الباحثة ببعض المعلومات أو المصادر التي احتاجتها، والتي اعتمد عليها هؤلاء في دراسات سابقة لهم، وهو أمر لا تكمن أهميته في الحالة التي واجهتها الباحثة تحديداً، بل في حالتنا كأمة؛ فموضوع الدراسة -ولا أقصد هذه الدراسة بحد ذاتها لإضفاء طابع الأهمية عليها- قضية كل عربي طالما أن الصهيونية قائمة على مشروعها، ساعية إلى إنفاذه وتطبيقه بكل حذافيره، وهو ما يحتاج إلى تضافر كل الجهود على اختلاف أشكالها وأهميتها- والتي أتمنى أن تكون هذه الدراسة من ضمنها- للوقوف في وجهه وإفشاله.

وفي الختام، أتمنى أن يرقى جهدي هذا إلى مستوى موضوع الدراسة وأهميته، وإن لم يكن كذلك... فصدق النية في المحاولة والعمل، على أمل أن يكون ذلك مساهمة متواضعة جداً في معركة أمتنا المصيرية، والله من وراء القصد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الأول

### بدايات الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية،

1897 - 1917

إن الحركة الصهيونية حركة عنصرية استعمارية استيطانية، من مخلفات الفكر الأوروبي القومي التوسعي في نهاية القرن التاسع عشر، وهي مشتقة من كلمة "صهيون" وهو اسم جبل في القدس، ومعناها الأرض الموعودة، أو الأرض المقدسة<sup>1</sup>، وغايتها الهجرة إلى فلسطين لدوافع دينية أو دنيوية أو كليهما، بهدف استيطانها أملاً في إعادة تأسيس الدولة اليهودية فيها<sup>2</sup>، وقد نادى بحل لما أسمته بالمشكلة اليهودية، وعارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم إلى الهجرة إلى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية، وقد أسبغت الحركة الصهيونية على اليهودية صفة القومية، وزعمت أن الشعب اليهودي يشكل عرقاً نقياً<sup>3</sup>. وتختلف الصهيونية بهذا المفهوم اختلافاً كلياً عن انتقال مجموعات من اليهود إلى فلسطين عبر العصور لغايات دينية صرفة، من زيارة وعبادة ومجاورة، والتي في نظرها- ووفقاً للتوراة- أن "دعوة الشعب اليهودي الجماعية إلى فلسطين إنما هي مرهونة بالإرادة الإلهية وظهور المسيح، وإن أي محاولة لاستباق هذه الإرادة بالمبادئ السياسية البشرية ما هي إلا بدعة تنبذها تعاليم الدين"<sup>4</sup>.

أما الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية، فقد ظهر من خلال سلسلة من ردود الفعل المتعاقبة التي توالى مع تطور المشروع الصهيوني وخطوات تنفيذه، وذلك منذ كان هذا المشروع في ستينيات القرن التاسع عشر مجرد أمل يقوم على تصورات وأهداف مشتتة، وإلى أن تحول إلى خطة عمل صاغها المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام 1897، ثم تنفيذه على أرض الواقع، متجاوزة في سبيل تحقيقه العقبات كلها والأشكال المعارضة له، وقد تفاوتت ردود الفعل العربية تبعاً لمدى إدراكها خطورة كل خطوة خطاها المشروع الصهيوني، وكذلك تبعاً لمدى تنامي الوجود اليهودي الصهيوني في فلسطين، وبروز أطماعه، وهو أمر لم يكن مستتراً أو خافياً، بل دليل ما ذكره الزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل (Theodore Herzl) في يومياته في 20 نيسان/أبريل 1897، "بأن فلسطين كلها تتحدث عن مخططنا القومي، فنحن في واقع الأمر الأسياد الوارثون للأراضي، واليهود الآن يشكلون أغلبية سكان القدس، كل شيء يمكن فعله في تلك البلاد"<sup>5</sup>. ومع التحفظ على بعض ما جاء في هذا القول من مبالغة، إلا أنه لا يخلو في الوقت ذاته من بعض الحقيقة حول العلم بالفكرة الصهيونية<sup>6</sup>.

ويمكن تقسيم الوعي العربي للفكرة الصهيونية إلى مراحل زمنية، شهدت سلسلة من التغيرات والحوادث التي أثرت في هذا الوعي سلباً وإيجاباً، وتمثلت بما يلي:

أولاً: الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية من 1897-1904

عقب انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في آب/أغسطس 1897، بدأت تظهر بعض المؤشرات على علم العرب بوجود الصهيونية، من دون إدراك حقيقة خطرهما كما ينبغي. ومع مرور الوقت، أخذ الوعي العربي للفكرة الصهيونية يتبلور بصورة أوضح؛ فالمفكر المسلم محمد عبده قال: "أنا أيضاً أكره السلطان.. وإذا سقط نبقى نحن المسلمين ليس كاليهود، بل أقل من اليهود، فإن اليهود عندهم شيء يخافون عليه ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم وهو المال... ونحن لم يبق عندنا شيء فقدنا كل شيء"7.

في قول محمد عبده هذا، فهم عميق لآلية العمل التي ينتهجها الصهاينة، ويسعون من خلالها إلى تحقيق مصالحهم وأهدافهم من خلال جمعيتهم. وكذلك دلالة على الشعور بوجود حركة جماعية لدى اليهود، وإن لم يوضح كنهها.

انفردت صحيفة المقطم في نشرها أنباء مؤتمر بال بعد انعقاده بشهرين، وذلك في رسالة بعث بها مراسلها الأمير أمين أرسلان في 23 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897، ذكر فيها أن بعض أثرياء الإسرائيليين، خلال الستة الأشهر السابقة لانعقاد مؤتمر بال، عقدوا عدداً من المؤتمرات المختلفة في عواصم أوروبا وأشهر مدنها. ثم تحدث عن مؤتمر بال ومقرراته، وإمكان تحقيقها، والعقبات التي قد تحول دون ذلك8. وأوردت صحيفة المقتطف في نيسان/أبريل عام 1898 سؤالا لأحد القراء العرب المقيمين في ألمانيا، ويدل على حالة وعي مبكرة جداً لخطر الصهيونية، ويتحدث فيها عن قيام حركة بين يهود النمسا وألمانيا وإنكلترا وأمريكا قبل ستة أشهر، والمعروفة بالحركة الصهيونية، وتظهر أن غاية الصهاينة - وفقاً لما يظهر في الصحف الأوروبية- إنشاء مساكن في فلسطين لليهود المضطهدين في روسيا وبلغاريا ورومانيا وبلاد الفرس والمغرب. ويتساءل في ختام رسالته حول ما إذا أولت الصحف العربية هذه المسألة الاهتمام، وخصوصاً في مصر وسوريا، حيث أنكرت الصحيفة وجود مثل هذا الاهتمام، وبأن الأمر اقتصر على نبذ من الأخبار، وردت في بعض الصحف9.

يلاحظ أن رد الصحيفة على مثل هذا التساؤل جاء مقتضباً، لا يوازي حجم ما يحمله من أبعاد خطيرة في قضية حساسة، ولم تولِ الصحيفة مثل هذا الموضوع الاهتمام الذي يستحقه، بأن توسع دائرة بحثها ليس في الرد على السؤال فقط، بل برصد القارئ بمعلومات مفصلة عن الصهيونية وأفكارها، وما يقوم به اليهود والصهاينة على أرض فلسطين وغيرها، لترجمة هذه الأفكار إلى واقع، وذلك على الرغم من أنها أشارت إلى نشاط اليهود الاقتصادي في فلسطين، ودعم أغنياء اليهود لهم، إلا أنها قللت من شأن مثل هذا المخطط، واستبعدت حدوثه لممانعة الدولة العثمانية له.

ولكن هذا التقصير تداركه صاحب مجلة المنار محمد رشيد رضا، وذلك عند تعليقه على ما جاء في المقتطف، حيث وجه تحت عنوان "خبر واعتبار - جمعية اليهود الصهيونية"، تحذيراً للعرب من الصهيونية ينم عن وعيه بأبعادها وفهمه، قال: "إن غاية هذه الجمعية هي احتلال بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء... لعل أهل بلادنا تجيش في نفوسهم مراحل الغيرة، فتندفع إلى طلب ما تتوقف عليه سعادة أوطانهم من علم وعمل، ولا شك في أنهم لا يعدمون عند الطلب

رشاداً... فيا أيها القانعون بالخمول أفتحوا رؤوسكم (ارفعوها)، وحدثوا أبصاركم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والأمم، أصغوا لما تتحدث به العوالم عنكم، أترضون أن يسجل في جرائد جميع الدول أن فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادهم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه، بحيث يقدر على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء؟ تفكروا في هذه المسألة واجعلوها موضوع محاورتكم، فإذا تبين لكم أنكم مقصرون في حقوق أوطانكم وخدمة أمتكم وملتكم، فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتناظروا في مثل هذا الأمر”10.

كانت مجلة المنار قد حذرت منذ أعضادها الأولى من خطر الصهيونية، وكشف صاحبها من خلال الحملة التي بدأها منذ عام 1898، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، عن فهم وإدراك عميقين لحقيقة الصهيونية وأعضادها ومطامعها”11.

تتابعت ردود الفعل العربية التي تتم عن بدايات وعي خطر الفكرة الصهيونية، ففي رسالة وجهها يوسف ضياء الدين الخالدي في الأول من آذار/مارس عام 1899 إلى رئيس الحاخامين في فرنسا- وسلمها الأخير بدوره إلى الزعيم الصهيوني هرتزل- أورد في مقدمتها تعريفاً بالصهيونية من الناحية الفكرية، فقال: “الصهيونية نظرياً فكرة طبيعية وعادلة تماماً كحل للمشكلة اليهودية، لكن لا يمكن التنازلي عن حقائق الواقع التي يجب أخذها بالحسبان، فلسطين جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، وهي مأهولة اليوم بغير اليهود... فبأي حق يطالب بها اليهود لأنفسهم؟ إن الأموال اليهودية لن تستطيع شراء فلسطين، ولذا فإن احتلالها لن يكون إلا بقوة المدافع والسفن الحربية، لذا حتى لو حصل هرتزل على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني على المخطط الصهيوني، فعليه ألا يفكر بأنه سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الصهيونيون أسياي هذه البلاد...”، وخلص إلى القول إن الحركة تشكل خطراً كبيراً على اليهود في الدولة العثمانية، وبخاصة في فلسطين”12.

وفي رسالته هذه، أضاف الخالدي فهماً وبعداً جديدين لخطر الصهيونية، ألا وهو البعد الجغرافي، فقال: “إن مصلحة اليهود في تركيا بأن لا تظهر المفاهيم الجغرافية للحركة الصهيونية في المنطقة، ولهم أن يبحثوا عن أي مكان آخر للشعب اليهودي البائس،... ومع ذلك فإن اليهود يعيشون أحراراً في فلسطين، ولكن بشرط أن يكونوا مثلنا رعايا عثمانيين مخلصين”13.

ويبدو أن الخالدي كان مطلعاً على المفاوضات التي كان يجريها هرتزل مع الساسة العثمانيين لإقناعهم- بوساطة الإغراء المادي والرشوة- للتوسط لدى السلطان للسماح له بمقابلاته أولاً، وللحصول على موافقته منحه فلسطين لتحقيق مشروعه ثانياً”14.

كان من أبرز من اتصل بهم هرتزل من أجل هذه الغاية، عزت باشا العابد وهو عربي، وكان مستشاراً للسلطان عبد الحميد الثاني، تمتع بحظوة كبيرة لديه، إلا أنه على الرغم من عروبوته، وباعتبار أن مسألة الصهيونية هي ذات مساس وخطر مباشر على العرب، وباعتبار أن فلسطين هي مسألة عربية بقدر ما هي إسلامية،

إلا أننا نلاحظ من خلال ما جرى من اتصالات بين هرتزل والعايد، لم تأخذ المسألة لديه هذا البعد، آخذين بالاعتبار محاولات هرتزل إظهاره بمظهر الشخصية الانتهازية التي تسعى وراء المال، وتقبل الرشوة، وتقدم مصالحها الشخصية على العامة<sup>15</sup>، حيث تعامل عزت باشا العايد مع المسألة كأبي مسألة سياسية دبلوماسية تواجهها الدولة، وليس كقضية مصيرية لأبناء جنسه.

ويتضح ما لعزت باشا من تأثير في السلطان عبد الحميد الثاني- وما كان يمكن أن يقوم به لمواجهة الفكرة الصهيونية- من خلال ما كتبه هرتزل في 27 حزيران/ يونيو عام 1896، فقال: "عزت الذي هو لسان حال السلطان، أو السلطان الذي هو لسان حال عزت، مستعد أن يسمح بـ فلسطين شرط أن توجد الصيغة المناسبة لإنجاز ذلك، والسبب أن الأمور تزداد سوءاً معهم، لذلك يجب أن لا يبيعوا أي قطعة من البلاد"<sup>16</sup>. ما يؤكد صحة قول هرتزل هذا، أن عزت باشا كان قد نصحه بأن يشتري اليهود أي مقاطعة أخرى، ويقدمونها لتركية كبديل من فلسطين مع مزيد من المال، ويضيف هرتزل معلقاً: "إن فكرة عزت جيدة، وتبين أن الرجل يفكر بنا ومن أجلنا".

ويلاحظ أن هذا الاقتراح كان محور المقابلة التي جرت بين السلطان ونيولنسكي (Nevlenski)- أحد أصدقاء هرتزل الذي كلفه بالتوسط لدى السلطان-، وعلق هرتزل في يومياته على ذلك بقوله: "إن السلطان قال إنه سمع من أصدقاء لهرتزل أن هناك مجالاً للمبادلة، ويظهر أن فكرة المبادلة هذه التي اقترحتها عزت باشا وصلت إلى السلطان كأنها اقتراح مني، وقد كان عزت اليوم المترجم عند اجتماع نيولنسكي مع السلطان"<sup>17</sup>.

كان عزت باشا أحد القنوات الرئيسية التي من خلالها، كان هرتزل يفاوض السلطان عبد الحميد الثاني من أجل مشروعه، فعندما اقترح هرتزل على السلطان في 3 أيار/ مايو عام 1902 إقامة جامعة يهودية في القدس، للحيلولة دون دراسة الطلاب العثمانيين بالخارج، وعدم تأثرهم بالأفكار الغربية، رحّب عزت باشا شفويّاً وخطياً بهذا الاقتراح<sup>18</sup>.

أظهرت صحيفة الأهرام وعياً مبكراً لخطر الفكرة الصهيونية، وتجلّى ذلك من خلال متابعتها التطور الذي يطرأ على ترجمة الفكرة الصهيونية إلى واقع؛ فكانت ترصد كل ما تقوم به الحركة الصهيونية من اجتماعات وأنشطة وتقوم بتغطيتها، وتتابع ما ينشر في الصحف بخصوصها. في 19 كانون الأول/ديسمبر عام 1900 عرفت الصهيونية بقولها: "هي جمعية كبيرة تألفت منذ خمس سنوات، وانتظم في سلكها كثير من الإسرائيليين في معظم البلدان"<sup>19</sup>.

وفي 25 تموز/يوليو عام 1901 نشرت رسالة لمراسلها في لندن، حول المؤتمر الذي عقده الصهاينة هناك، ونقل خطبة الزعيم الصهيوني يعقوب دي هاس (J. de Haas)، التي تحدث فيها عن أن غاية الجمعية الصهيونية بناء صهيون، وجمع كلمة الأمة الإسرائيلية، وإنهاضها من الانحطاط الطبيعي والأدبي الذي استولى عليها<sup>20</sup>.

وفي خطوة تعكس وعي خطر الهجمة التي كانت تتعرض لها فلسطين، قام مدير المعارف في القدس إسماعيل بك عام 1901 بتجميع ما اكتشفه علماء الآثار الأجانب في فلسطين، وأفرد لها ست حجرات في المدرسة السلطانية مقابل الباب المعروف بباب هيردودوس، وكانت الغاية من هذه الخطوة - إضافة إلى الحفاظ على هذه اللقى من السرقة والضياع- أن يتمكن العلماء في القدس من دراسة تاريخ فلسطين منذ زمن الكنعانيين 21.

عادت صحيفة الأهرام في كانون الثاني/يناير عام 1902، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الخامس، لتؤكد- وتحت عنوان "الجمعية الصهيونية" - أن هذه الجمعية وضعت نصب عينيها لمّ شتات اليهود في العالم، وتوحيد كلمتهم، وجعلهم أمة متطورة بين الأمم 22.

أما صحيفة البشير فقد قدمت في 20 كانون الثاني/يناير عام 1902 تعريفاً للجمعية الصهيونية "بأنها جمعية مؤلفة من كبراء اليهود، غايتها نصره بني أمتهم وجعلهم شعباً محترماً ومكرماً بين شعوب العالم" 23. وفي تعريفها هذا، قدمت وصفاً عاماً محايداً، لم تشر فيه، من قريب أو بعيد، إلى الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الصهيونية، وهي عودة اليهود إلى أرض فلسطين، وإقامة وطن أو دولة لهم هناك، بل إن الصحيفة من خلال تعريفها هذا، حاولت إثارة تعاطف القارئ - بغض النظر عن هويته- مع الجمعية وفكرتها النبيلة.

قدّم محمد رشيد رضا في 29 كانون الثاني/يناير 1902، وتحت عنوان "حياة أمة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، تعريفاً شاملاً لحقيقة الجمعية الصهيونية ونشاطها، وذلك بعد أن أشار إلى وجود جمعيات ملّية كثيرة لليهود، قال: "لم نسمع بالجمعية الصهيونية إلا من نحو خمس سنين، وهي جمعية سياسية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة" 24.

إن المهم في ما كتبه رضا، ليس في ما قدمه من تعريف بالصهيونية كفكرة وسعي القائمين عليها إلى تنفيذها، بل في محاولة توعية اهتمام الوعي العربي واستثارتها، للتعرف إلى حقيقة عدوه، والافتداء به إذا لم يرغب في التفوق عليه، أخذاً عليه تقاعسه وخموله وجهله، وفي الوقت ذاته، كشف أسرار قوة الصهيونية وتقدمها، قال: "لو كنا نسمع أخبار الأمم سماع تدبر، أو نعقل الحوادث بحكمة وتبصر، لما كنا نضرب المثل إلى اليوم بذل اليهود وضعفهم، ونخشى أن نكون في يوم من الأيام مثلهم، ونحن لا نعرف أنفسنا ولا نعرفهم... ثم يا ليتنا كنا نبصر الطريق الذي يسير اليهود فيه الآن لنعلم هل هو طريق سلفهم الذين كانوا مغرورين بالنسب الشريف (سلالة الأنبياء)، واللقب الضخم (شعب الله- أبناء الله وأحبأؤه)... أم هو طريق آخر اعتبروا فيه بسنن الله في خلقه، فحافظوا على لغتهم وجامعتهم المليية مع تشنتهم في جميع أقطار الأرض، وتقرب بعضهم من بعض بالتعاقد والتعاون، وأخذوا بجميع علوم العصر وفنونه النافعة، وبرعوا في جمع المال الذي هو أساس القوة والعزة في هذا العصر، أليس هذا هو الطريق الذي استقام عليه الإسرائيليون في هذا العصر، فنبنت شوكتهم المخضودة، وعادت عزتهم المفقودة، ولا ينقصهم أن يكونوا أعظم أمة على سطح الأرض إلا الملك، وهم يسعون إليه من طريقه الطبيعي" 25.

نقلت صحيفة الأهرام في 28 أيار/مايو عام 1903 ما كتبه صحيفة المانشستر غارديان، (Manchester Guardian) بأن الحركة الصهيونية هي الحركة الوحيدة الفاعلة التي يتمكن بها اليهود من استرجاع وطنهم<sup>26</sup>.

أما صحيفة المقطم، فقد وصفت الجمعية الصهيونية في 9 أيلول/سبتمبر عام 1903 بأنها "جمعية خاصة بفئة من الإسرائيليين، يرأسها مجموعة من الشخصيات الإسرائيلية البارزة، في مقدمتهم هرتزل الصحفي النمساوي، وأربعة من وجهاء لندن، واثنان من فرنسا، وواحد من أمريكا وآخر من روسيا"<sup>27</sup>.

ثانياً: الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية من 1904-1908

شهدت هذه الفترة سلسلة من التغيرات المرتبطة بالجانبين الصهيوني والعربي؛ ففي عام 1904 طرأ تحول على البرنامج الصهيوني نتيجة وفاة هرتزل، ترافق مع تدفق المهاجرين اليهود خلال الأعوام 1905-1907 إلى فلسطين، وهو ما أطلق عليه الهجرة اليهودية الثانية، التي تعود أهميتها لطبيعة أعضائها (وكان معظمهم من المؤمنين بالصهيونية)، وبرنامج العمل المتطرف الذي اتبعوه، والتنظيم عالي الدقة الذي كان عليه هؤلاء، إضافة إلى إيمانهم المطلق بصهيونيتهم<sup>28</sup>. كذلك انعقاد مؤتمر صهيوني في قرية زمارين الفلسطينية، الذي كان بمثابة مؤتمر مصغر عن مؤتمر بال، وأسفر عن مجموعة من القرارات المتمثلة بتأسيس جمعيات إدارية للهيمنة على المستعمرات ومراقبة شؤونها<sup>29</sup>. ولا تأتي خطورة مثل هذا المؤتمر في قراراته أو أشخاصه، بل في مكان انعقاده، وما يترتب على ذلك من نتائج ودلالات، والتي تتمثل بما يلي: أولاً في أن الصهيونية أفصحت بشكل صريح عن هدفها الأساسي المتمثل في فلسطين. وثانياً أنه أصبح متاحاً للعرب على اختلاف مستوياتهم التعرف إلى هذا الأمر وفهمه، والإطلاع عليه عن كثب؛ فالمؤتمر عقد على أراضي فلسطين وبين أهلها، وتداولت الصحف أخباره، وأعلنت عنه.

أما في ما يتعلق بالجانب العربي، فقد امتازت هذه المرحلة بإطلاع المثقفين العرب- في فلسطين تحديداً- على الكتابات الصهيونية في الصحف العبرية الصادرة في فلسطين<sup>30</sup>، وظهور طروحات فكرية جديدة من بعض المثقفين العرب، التي أظهرت تطوراً في الوعي لخطر الفكرة الصهيونية، وسبل مواجهتها.

كما امتازت هذه الفترة بتنامي اهتمام الصحف العربية بموضوع الصهيونية وفكرتها، وهو ما يعكس وعيها، فصحيفة المؤيد في 13 كانون الأول/ديسمبر عام 1904 قدمت تعريفاً لغاية الجمعية الصهيونية، بقولها: "إن مهمة هذه الجمعية هي جمع الأموال الطائلة لمشتري تلك الأراضي التي تدر اللبن والعسل، وإسكان فقراء اليهود الذين يتواردون عليها من أكثر الممالك التي تضطهدهم وتطردهم كدولة روسيا وغيرها من الدول المتمدنة"<sup>31</sup>.

ويلاحظ أن الصحيفة في تعريفها للصهيونية لم تشر من قريب أو بعيد إلى الغايات السياسية للصهيونية، والحديث هنا عن عام 1904، وهو عام التحول في الفكر والعمل الصهيونيين على الأصعدة كافة. كما أسدل التعريف عليها لباس الإنسانية وسمو غايتها، من دون أن يشير إلى خطورة هذه المساعي، وما يترتب عليها من

نتائج، ولا سيما أنها لم تكن في ذلك الوقت في علم الغيب، بل هي حقيقة واقعة اكتوى بنارها أهالي فلسطين، وتحديدًا الفلاحين وأصحاب الأراضي.

وممن كان له إسهام متميز في ما يتعلق بالوعي لخطورة الفكرة الصهيونية نجيب عازوري، اللبناني الذي أسس في باريس عام 1904 رابطة "عصبة الوطن العربي" 32، ونشر باسمها عدداً من النداءات الهادفة إلى إيقاظ الوعي القومي العربي ضد الصهيونية 33.

لم تأت تسمية الرابطة بهذا الاسم من فراغ، بل كان لها دلالاتها؛ فهناك من ربط بينها وبين العصبة التي نشأت في فرنسا إثر محاكمات الضابط الفرنسي دريفوس الشهيرة 34، والتي عرفت باسم "عصبة الوطن الفرنسي"، وكانت شديدة العداء للنفوذ اليهودي في فرنسا 35، ولعل عازوري أراد أن يسقط الظروف الفرنسية آنذاك، على الأمة العربية، خصوصاً مع ما كانت تعانيه، وما كان يتهدهدها من خطر صهيوني في المرحلة التي نشأت فيها الرابطة.

يبدو أن هرتزل اطلع أواخر أيامه على ما كتبه عازوري وما طالب به- وغيره من العرب-، فكتب في يومياته في 24 شباط/فبراير عام 1904، معلقاً: "هناك حركة عربية تهدف إلى جعل أحد أحفاد محمد خليفة، سرق الخلافة السلطان سليم، ويجب أن ترجع الآن، وكنوع من البابوية تكون مكة بمثابة روما" 36.

لم يكتف عازوري بالعصبة التي أسسها، بل أتبعها بمؤلف أصدره عام 1905، بعنوان يقظة الأمة العربية، مؤكداً خلاله استحالة تعايش الكيانين العربي والصهيوني معاً، وحتمية الصراع المستقبلي بين العروبة والصهيونية 37.

وفي تعريفه كتابه، أشار عازوري إلى أنه سيكون جزءاً معدداً لإكمال مؤلف ضخم يحمل عنوان الخطر اليهودي العالمي: تصريحات ودراسات سياسية 38. كما علل حديثه عن اليهود في كتاب سياسي يبحث في الشطر الآسيوي من القضية الشرقية. يقول: "إن حركتنا تظهر في وقت توشك فيه إسرائيل على النجاح في خططها الهادفة إلى السيطرة على العالم، لتقضي على تلك الخطط، ومن أجل تبسيط فهم "الخطر اليهودي"، لذا ينبغي تنوير سائر الناس بشأن قضية تحظى باهتمام كبير، وقبل أن تصور اليهود كما نعرفهم وكما هم عليه اليوم، أردنا أن يعرفوا أولاً بما كانوا عليه وفق الكتاب المقدس، وبما فآخروا به حسب كتبهم المقدسة وتقاليدهم الأكثر قدماً، لأن ماضي الشعب هو الصورة الأكثر أمانة لحاضره ومستقبله" 39.

ومن الأمور التي طالب بها عازوري في كتابه، فصل الأجزاء العربية من الإمبراطورية العثمانية لإقامة دولة عربية مستقلة، وقدم لذلك مبررات وهي استحالة صد الخطر الصهيوني في إطار دولة مكبلة بقيود "الامتيازات الأجنبية التي كان اليهود يستغلونها خير استغلال" 40.

ومن النقاط التي أثارها عازوري في كتابه أيضاً، وتشكل مأخذاً عليه- إذ تتناقض مع حجم الوعي الذي احتواه كتابه في ما يتعلق بخطر الصهيونية على الأمة العربية، وكذلك مواقفه وأعماله-، تبريره مواقف القناصل الأجانب في موقفهم



الداعم للصهيونية بقوله: " نادراً ما يبقى ممثلو الأجانب أكثر من سنتين أو ثلاث في مناصبهم، ويتجول القليل منهم في دائرة اختصاصه، ولا أعرف بينهم من زار فلسطين، إذ ينشغل هؤلاء بنقلاتهم وترقياتهم، ويلوذون بمكاتبهم معظم الوقت لتصريف الأعمال اليومية... وعلى هذا النحو لا يعرف أي قنصل البلاد، ولا يدرك الخطر الصهيوني، وإنني متأكد بأن القناصل العاميين لم يرفعوا إلى حكوماتهم تقارير يلفتون أنظارها إلى خطط اليهود وتنظيمهم وغزوهم فلسطين... يوجد في بيروت والقدس قناصل عامون، يدافعون عن مصالح الصهيونيين ويساعدونهم على التقدم، لأنهم انخدعوا باليهود، ولم يحسبوا حساباً للخطر الدايم، مع أن واجبهم الملح يكمن في مقاومة حركة إسرائيل في فلسطين، وإضمار العداء لما يرمي إليه اليهود" 41.

والسؤال هنا: هل كان دفاع عازوري هذا عن القناصل الأجانب، أم دفاعاً عما طرحه في كتابه من الاستعانة بالدول الأجنبية وتحديداً فرنسا لمساعدة الأمة العربية على التحرر والاستقلال عن الدولة العثمانية؟

تتضح أهمية كتاب عازوري من حجم الاهتمام الذي أثاره في الأوساط الصهيونية، فوصفه بن غوريون في مذكراته بأنه عمل فردي. وعاد عام 1908، فقال: "إن الدعاية المضادة لليهود في فلسطين، ونحن نشاهد اليوم مجموعة من الصحف التي تصدر في "البلاد" (أرض إسرائيل) وسوريا ومصر، كلها تحاربنا، وإن تلاميذ نجيب عازوري يوجهون الآن دعايتهم مخاطبين الشعوب العربية والحكومة التركية" 42.

والمفارقة هنا، أنه على الرغم من أن كتاب عازوري أثار الاهتمام الصهيوني، إلا أنه لم يثر لدى الطرف المعني به أي اهتمام؛ فباستثناء ما ذكر حول إلقاء السلطات التركية القبض على مجموعة من الشخصيات البارزة 43 في يافا وغزة والرملة، وذلك بعد تسرب الكتاب إلى فلسطين مطلع صيف عام 1905، واقتناؤه من قبل هؤلاء 44، بقي أثر أفكار عازوري ونشاطه في أوساط المثقفين العرب نفسها صوتاً بلا صدى، بل أثار استياءً لدى بعضهم، عبّر عنه محمد جميل بيبهم، بقوله: "وبقي صوت العروبة يتصاعد حيناً بعد حين ومداره على الأكثر الخلافة، وإنها للعرب دون آل عثمان، ومن المؤسف أن هذا الصوت لم يكن يصدر في أوروبا عن قوميين مخلصين استندوا إلى منظمات كما فعل الأرمن، بل كان مصدره إما موتورين وإمّا وصوليين استغلوا هذه الحركة في سبيل بلوغ منافعهم الخاصة، وإمّا ماجورين من الأجانب كانوا يرفعون عقيرتهم وفقاً لوعي يوحى إليهم... وقد حاول الأستاذ نجيب عازوري اللبناني إثارة القضية العربية في باريس في مطلع القرن العشرين، ويسوغنا بأن الظنون كانت تحوم أيضاً حول نشاط المشار إليه، ذلك أنه هبط باريس غاضباً من جراء عزله من الوظيفة التي كان يشغلها في فلسطين، فأخذ بمنشوراته يتوعد الترك بالعرب" 45.

علق مصطفى الشهابي على كتاب عازوري ونشاطه، بقوله: "ومن الطبيعي القول إن نشاطاً قومياً كهذا كان مقره باريس ولغته فرنسية، لا يمكن أن يبلغ صداد البلاد العربية في يسر، ولا أن يكون له تأثير يذكر في نفوس العاملين في الحركة القومية

العربية، وأنا على يقين أن كتاب عازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية، ولا أحد ممن ألفوا عقب إعلان الدستور العثماني الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة، وفي سنة 1911 وجدته يباع في إحدى مكتبات باريس، فاشتريته ودللت بعض الرفاق من الطلاب العرب عليه، فلم يهتموا به، لأنهم كانوا قد شبوا عن الطوق، وعرفوا من شؤون القومية العربية وواجباتهم فيها ما لم يعرفه غيرهم”46.

استمر عازوري في مواجهته الصهيونية، فرفع شعار “بلاد العرب للعرب”، وأعرب عن معارضته الشديدة لمطامع اليهود في البلدان العربية، وذلك من خلال مجلته الشهرية الاستقلال العربي، التي كان يصدرها في باريس عام 1907، وصدر منها ثمانية عشر عدداً47.

ورد في صحيفة الأهرام في 6 حزيران/يونيو 1906 مقال أشير فيه إلى “أنه كثر التحدث في هذه الأيام بمسألة اليهود، حتى كدنا لا نرى جريدة إلا وفيها لمحة عن هذه الحركة، فبعضهم يبدي التخوف والحذر منها، ويجاهر بوجوب التيقظ والانتباه، وبعضهم يقول بتثبيطها ويدعو لمساعدتها”48.

مجلة المقتبس، في مقال لها في 19 أيلول/سبتمبر 1906، وتحت عنوان “الإسرائيليون، معربة عن كتاب الحضارة”، تحدث فيه كاتبه عن التوراة والebraانيين والإسرائيليين، وعرف الأرض الموعودة بأنها هي الأرض التي عرفت بأرض كنعان أو فلسطين، ودعاها اليهود بلاد إسرائيل49.

لم يكن موقف العرب بخافٍ على الطرف الآخر وهم الصهاينة، بل كانوا على اطلاع بتفاصيل الموقف العربي ورجاله، وكان ذلك يتم عبر قنوات مختلفة منها على سبيل المثال أن مدراء الفروع المحلية للمصرف الأنجلو- فلسطيني كانوا يوافون الحركة الصهيونية في الخارج بكل ما يمت بصلة إلى اليقظة العربية، والحركة الوطنية في الإمبراطورية50.

### ثالثاً: الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية من 1908-1913

شكل عام 1908 نقطة تحوّل بالنسبة إلى العرب؛ إضافةً إلى اطلاعهم على الثقافة الغربية، وعلى تجارب الأمم الأخرى في ما يتعلق بنضالها القومي، كان هناك الانقلاب الدستوري، الذي مثل حالة من إطلاق الحريات من خلال البرلمان والصحافة وقنوات التعبير الأخرى، ويعكس ما كتبه خليل السكاكيني في 25 تموز/ يوليو عام 1908 من نيويورك، حجم الأثر الذي تركه على المتقنين العرب، فقال: “قرأت في الجرائد العربية أن جلالة السلطان منح البلاد الدستور مما سررت له كثيراً، واستبشرت خيراً، الآن رجوعي إلى بلادي يكون في محله، الآن أستطيع أن أخدم بلادي، الآن أستطيع أن أنشئ مدرسة وجريدة وجمعيات للشبان.. أتمنى لو أطيّر إلى القدس طيراً”51.

وكذلك ما كتبه سليمان فيضي في مذكراته، قوله: “على إثر إعلان الدستور وإطلاق الحريات قويت الرغبة في العمل في خدمة الأمة العربية عن طريق الصحافة

والتعليم وإثارة الوعي القومي بين الناس”52.

ويصف سليمان البستاني الأوضاع نتيجة إعلان الدستور، والعلاقات التي سادت بين العثمانيين، فيقول: “لم تكد تمر أيام على إعلان الدستور حتى انقلب وجه هذه المملكة انقلاباً معنوياً تاماً، فزال الشقاق وساد الوفاق، وانطلقت الأفكار والألسنة والأقلام، وإذا راعك ما رأيت في ما سلف من بوادر التعصب الذميمة، فحسبك أن تلتفت إلى نشوة التأخي التي هزت جميع العثمانيين على اختلاف مللهم ونحلهم”53.

ثمّة تطور آخر شهدته هذه المرحلة، تمثل في مجيء الاتحاديين إلى الحكم، والتقارب الذي حصل بينهم وبين الصهاينة، وأثر ذلك على الوعي العربي للفكرة الصهيونية، الذي كان من الكم بحيث أنه يمكن تقسيم تطور الوعي العربي تجاه الفكرة الصهيونية إلى مرحلتين: الأولى قبل الانقلاب الدستوري عام 1908، وكان الخلاف بين الطرفين يحدد أو يعرف كمواجهة طبيعية بين السكان الأصليين والمستوطنين الجدد، وبين ثقافتين مختلفتين، وبين عقائد وديانات معادية كل منها للآخر منذ أكثر من ألف سنة. والثانية، تلك التي بدأ خلالها الوعي والنزاع يتخذ شكلاً تصاعدياً أيديولوجياً54، لذا اتخذت الكتابة حول مفهوم الصهيونية شكلاً منتظماً ومتواصلًا، وكانت قبل ذلك الكتابة حولها تتسم بعدم الاستمرارية والموسمية55.

كانت الصحافة العربية الأشد إماماً بهذه التطورات، بل تكاد تكون الجهة الأكثر مساساً ووعياً في ما يتعلق بخطر الفكرة الصهيونية، ونقل هذا الوعي للأوساط العربية على اختلاف أشكالها، وتوحيد الصفوف من أجل مواجهتها، فسعت الصحف في دمشق وبيروت والقاهرة إلى التعريف بأهداف الحركة الصهيونية56، واتبعت الصحافة في القدس وحيفا ويفا النهج ذاته، فاتهمت الصهيونية بأنها حركة دخيلة مستقلة57، وكانت الحملة المناهضة التي قادتها الصحافة في حيفا الأكثر حدة من المدن الفلسطينية الأخرى، وذلك نتيجة للأثر المباشر الناجم عن شراء الأراضي، وتركز الهجرة الصهيونية في شمال فلسطين58.

ومن الصحف الأكثر تميزاً في وعيها خطر الصهيونية كفكر وممارسة صحيفة الكرمل، إذ استفاد صاحبها نجيب نصار من الحريات الدستورية، فشددت في دعوته إلى ضرورة اليقظة العربية لمواجهة الصهيونية59. وقد حازت هذه الصحيفة لقب (الصحيفة السوداء) لشدة هجمتها على الصهيونية60، وقد وصفت صحيفة المقتبس نجيب نصار بأنه “أول من طرق باب الدفاع عن فلسطين، وأجرأ من سعى إلى كشف مكائدهم، رغم ما يكابده من دسائسهم”61.

أمّا صحيفة جراب الكردي في عددها الصادر في كانون الثاني/يناير 1909، فكان لها موقف مغاير؛ إذ لم تجد في الفكرة الصهيونية خطراً، بل وجدت فيها فرصة يجب اغتنامها، وقد ورد فيها: “خير لنا أن يأتي أصحاب الأموال من أي بلاد كانت وأي جنس كان ليستخرجوا كنوز أرضنا، وهو خير لنا من أن تبقى هذه الجواهر

ضائعة، ونحن نتبجح بكلمة الوطن والوطنية، وجيوبنا أفلس من طنبورة أو رباب”62.

لكنّ صحيفة المؤيد حاولت في 31 تموز/يوليو 1909 إلقاء الضوء على نقاط القوة لدى الصهاينة وأسباب نجاحهم، وذلك من خلال حديثها عن تعظيم زعمائهم، وربط ذلك بإنجازات عملية وعلمية قاموا بها، فتحدثت عن احتفال الصهاينة بذكرى مولر ماكس نوردو (Max Nordau)، وقرارهم - بهذه المناسبة - إنشاء معهد في فلسطين لدراسة مرض الملاريا وأمراض معدية أخرى في حيفا63.

تحدثت صحيفة الاتحاد العثماني في تموز/يوليو 1909 عن اليهود في صفد، وعرضت تاريخ الطوائف اليهودية، وتشكيل طائفة السكناج جمعية باسم “الاتحاد الإسرائيلي العثماني”، لتخلص من حديثها هذا إلى التشكيك بنشاط الجمعيات الصهيونية، وأهدافها المعلنة، مدللة على صحة شكوكها بالطقوس التي تمارسها64.

كما استنار نشاط الجمعيات الصهيونية الخيرية اهتمام صحيفة النعمة، فحذرت في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1909 مما وراء هذه الجمعيات من غايات مستترة، كجمعية “أحباء صهيون”، التي أطلقت عليها الصحيفة اسم “الجمعية اليهودية العمومية”، لانتشارها في أنحاء شتى65.

حاول صاحب صحيفة النبراس خليل بيدس، من خلال ما نشره عن رحلته في فلسطين، في تشرين الأول/أكتوبر 1909، أن ينقل صورة حقيقة لما يجري فيها، وأن يدق ناقوس الخطر من خلال رصده إشارات التدهور ومظاهره لدى سكانها، مقابل الازدهار والإقبال الذي تشهده من قبل الأجانب عموماً، واليهود خصوصاً، الذين يصل عددهم إلى ثلث عدد السكان، تلتهم من اليهود السكناج66.

أما صحيفة المقطم القاهرية، التي كانت تمولها الصهيونية، ففتحت صفحاتها للترويج للفكرة الصهيونية منذ العام 1909، وكان لها مراسل يهودي في فلسطين يدعى سليم ملول67. ومن بين الصحف التي أيدت الصهيونية، ولم تجد فيها ضيراً، صحيفة النفير في حيفا، وكانت منافسة لصحيفة الكرمل، حيث جندت عناصر من طبقة ملاك الأراضي والأعيان لأجل هذه الغاية68.

جاء الأداء النيابي العربي في مجلس المبعوثان عقب الدستور ضعيفاً باهتاً في ما يتعلق بوعي خطر الفكرة الصهيونية؛ فباستثناء تساؤل نائب يافا حافظ بك السعيد في الجلسة التي عقدت في حزيران/يونيو عام 1909 عن مقاصد الحركة الصهيونية، وما إذا كانت تتسجم مع مصلحة الدولة العثمانية69، وما صرح به نائب القدس روجي الخالدي في لقاء صحفي أواخر عام 1909 بأن العرب سوف يفعلون كل شيء لمنع الأفكار الصهيونية، وأنهم غير ملزمين بشيء لليهود، “لقد حررنا البلاد ليس منكم بل من البيزنطيين”70، فإننا لا نجد أية إشارة إلى طرح نيابي عربي فعلي بهذا الشأن.

وينطبق الوصف ذاته على الأحزاب والجمعيات السياسية العربية، أو التي كان فيها أعضاء عرب، والمشكلة في تلك المرحلة، وحتى عام 1911، كجمعية “الإخاء

العربي " التي تأسست عام 1908 في الأستانة، وسعت إلى تشكيل فروع لها في بقية البلدان العربية. و"المنتدى الأدبي" عام 1909، حيث خلت برامجه ودراساتها من الإشارة إلى موضوع الصهيونية، وإن ذكر فيكون ذلك ثانوياً، ولا يوازي في حجمه الخطر الذي تشكله الصهيونية كفكرة وتطبيق على القومية العربية، وهو ما يعكس قصوراً في الوعي لدى القائمين على هذه الأحزاب والجمعيات، ولا سيما أن هؤلاء كانوا يمثلون النخبة الثقافية والسياسية للأمة، وكانوا على اطلاع وتماس مع ما يجري على الساحة السياسية، إذ كان أغلبيتهم شبه مقيم في عاصمة الدولة، حيث مركز القرار والنشاط السياسي. أضف إلى ذلك، أن هؤلاء كانوا على درجة عالية من العلم والثقافة والمعرفة، ولا سيما في اللغات الأجنبية، وهو ما كان يمكنهم من معرفة ما تقوم به الصهيونية لترويج فكرتها وتنفيذها.

قد يلتمس بعضهم عذراً لهذا القصور في ما يتعلق بوعي خطر الفكرة الصهيونية، باعتبار أن الأولوية لدى القائمين على الجمعيات والأحزاب كانت للمسألة العربية، ومواجهة الحركة الطورانية، إلا أن هذا -على أهميته- لا يعفيهم من مسؤولية الاستهانة بخطر يوازيه إن لم يفوقه، وهو التهديد الصهيوني لكيان الأمة العربية وقوميتها.

مهما يكن من أمر، فإن ضعف أداء النخبة السياسية العربية- خصوصاً النيابية والحزبية- لا ينفي وجود وعي عربي اتخذ شكلاً جديداً مزدوجاً بعد ثورة الاتحاديين، وتمثل بكشف مخاطر الصهيونية من جهة، وكشف التعاون ما بينها وبين الاتحاديين من جهة أخرى، وخصوصاً مع الدور البارز الذي أداه الصهاينة - وتحديداً يهود الدونمة- في إدارة شؤون الدولة، وهو ما لفت نظر عدد من الكتاب العرب، كرفيق العظم الذي حاول في ما كتبه في 13 آب/أغسطس عام 1909 إبراز الدور الذي أداه اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وتنبه بأنه سيكون لهم شأن كبير في عهد الدستور، غير الشأن الذي كان لهم في العهد السابق. وقد جاءت كتابة العظم هذه متأثرة بما شاهده أثناء إقامته في الأستانة في صيف عام 1909، من تنامي دور الخطر الصهيوني وتأثيره، عقب الانقلاب الاتحادي<sup>72</sup>.

في السياق ذاته، انتقد صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 توسع النفوذ الصهيوني في المملكة العثمانية، وذلك من خلال مقال بعنوان "الصهيونيون والخطر العظيم"، قال فيه: "واحسرتاه على هذه المملكة التي لم نعد نعرف أي عثمانية أم صهيونية! إن الممالك الحرة لا تقبل أن يستعمرها مستعمر، فهي ملك لأبنائها فقط. هل المملكة العثمانية مستقلة وحررة؟ أم أراض لا رب لها وشعب يستوطنها؟ إن الصهيونيين أشد الأعداء خطراً على الأمة والوطن، بل المملكة بأسرها بعروشها وفروشها"<sup>73</sup>.

لكن هذا الوعي كان متفاوتاً في نسبته، فيبدو مما جرى من حوادث، ونشر من كتابات أن بعضها كان بعيداً كل البعد من الوعي أو التفاعل مع ما يجري، ففي فلسطين اكتفى بعض وجهائها بدور الوساطة بين الحاكم والمحكوم، ولم يتصدوا لمقاومة الصهيونية وجهاً لوجه، بل اكتفوا بنقل وجهة النظر الشعبوية<sup>74</sup>. كما انشغل بعضهم الآخر في خلافات شخصية وعائلية، إذ يقدم يوسف الحكيم في مذكراته عام

1910، صورة لهذا الخلاف بين العائلات الفلسطينية في يافا- وهي من أكثر المدن التي شهدت هجمة صهيونية-، ويورد حادثة أدت إلى تأليب أحد الحزبين لأهالي يافا ضد الآخر، ما أدى إلى حشد مظاهرة شعبية احتجاجية، ضد صاحب إحدى الصحف اليهودية التي كانت تصدر في المدينة، وكان الحزب الآخر يستعين بها ضد خصومه<sup>75</sup>.

قدم نجيب نصار صورة لهؤلاء في 11 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، وذلك تعليقاً على ما بعثه إسعاف النشاشيبي لصحيفة الكرمل حول احتقال الصهاينة ببوبيل يهودا، فقال: "أغنياؤنا صار كثير منهم سمسرة للاستعمار الأجنبي، والآخرين- ما عدا القليل منهم- ظلما يقتلون حرية الشعب ويمتنصون دم الفلاح والفقير ليخدموا المستعمرين ويساعدوهم على إضعافه، وشباننا الذين ترجى منهم النهضة صار أكثرهم أبطال مقاهي وحانات وخمارات ومعاشر غوانٍ وراقصات. الجهل خيم علينا جميعاً وأعمى أبصارنا وأذهل عقولنا عن الاهتمام بشؤوننا، أيقف من كان هذا حالهم في ميدان تنازع البقاء؟ أثبت من كان هذا شأنهم أمام من يعملون على جمع كلمتهم وإحياء جامعتهم وتعليم ناشئتهم؟ وبكلمة أخرى: أنصد بجهلنا وضعفنا وتفرق كلمتنا وذهولنا وتحاسدنا وتباغضنا، غارات فرقة غنية متعلمة مجدة مجتهدة عالمة تعمل، عن بلادنا؟"<sup>76</sup>.

لعل مثل هذه الصور هي التي دفعت بإسعاف النشاشيبي ليكتب في 7 شباط/فبراير عام 1911، قائلاً: "بلد شقي بأهله ولم يسعد، بلد ظلّمه أهله ولم يرحموه، بلد أذله أهله ولم يكرموه، بلد يستغيث فلا يُعَاث، ويستتجد فلا يُنجد، ويستصرخ فلا يصرخ، بلد جار عليه زمانه، وخذلته أعوانه، وأعنقت عليه المصائب من كل جانب، لم تحفظ له حرمة، بلد أصبح لغير أهله"<sup>77</sup>.

استمرت صحيفة المقتبس الدمشقية على ما كانت قد سارت عليه منذ صدورها، من تحليل وتحذير وتوعية لخطر الفكرة الصهيونية؛ ففي 15 آذار/مارس عام 1910، وتحت عنوان "كتاب مفتوح"، أثارت قضية مهمة وحساسة، وهي أن الصراع مع الصهيونية ليس حدثاً هامشياً، بل هو صراع من أجل البقاء. وقدمت وصفاً تفصيلياً لما هي الحال عليه آنذاك، وما هو متوقع أن يكون عليه مستقبلاً، في حال لم ينتبه العرب لحقيقة عدوهم، فقالت: "وقد لا يمضي على فلسطين عشرات السنين إلا ويعمل فيها ناموس تنازع البقاء، وتتجلى أمامنا قاعدة الأنسب، وتصبح البلاد ملكاً للأجنبي... لكننا نخشى أن ينبذ الدخيل الأصيل، ونخرج من بلادنا أفواجا، ثم نميل بوجوهنا إلى بقعتنا النضرة، فنبيكها ونرثيها ويصيبنا ما أصاب الأندلسيين"<sup>78</sup>.

في 15 أيار/مايو 1910 عادت المقتبس لتؤكد الفكرة ذاتها، أن الصهيونية تشكل "ضربة شديدة على حياة الأمة العثمانية في سورية"، واضعة اللوم على الأمة التي تمهد لها السبيل للوصول إلى مقاصدها<sup>79</sup>. ووصفت ما تقوم به الحركة الصهيونية بـ"العاصفة"، التي لا تستطيع الأمة أن تقف وحدها أمامها، "فنحن نتكلم لكننا عاجزون عن التنفيذ"<sup>80</sup>.

شكل الاهتمام بانعقاد المؤتمرات الصهيونية، وما دار فيها من أجل تحقيق الفكرة الصهيونية، مظهراً آخر من مظاهر الوعي العربي؛ فصحيفة الهدى نشرت في تموز/يوليو عام 1910 تفاصيل ما جرى في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر المنعقد في مدينة بتسبرغ في بنسلفانيا، وأشارت إلى أن الخطب كافة، التي تليت كانت تدور حول محور واحد، هو أن الرجاء بجعل فلسطين ملجأ وطنياً لليهود المضطهدين في أوروبا، سيتحقق عن قريب.، وإلى تصريح رئيس الجمعية بأن "الحركة الصهيونية منذ الآن وصاعداً ستكون أعظم من قبل بفضل مساعي الناشئة اليهودية الجديدة" 81.

علقت صحيفة الكرمل على هذه الأخبار، بقولها: "هذا المؤتمر الثالث عشر لهذه الجمعية العظيمة التي تألفت بين يهود أوروبا وأميركا لامتلاك سوريا وفلسطين واسترداد الجامعة الإسرائيلية إليها بعد أن تشتت ألفي سنة، والتي انتشرت انتشاراً عمومياً بين قوم موسى في كل أنحاء البلدان، وألفت قلوبهم ووحدت كلمتهم" 82.

كما اغتتمت الصحيفة الفرصة لتوجه الخطاب إلى الأمة المعنية بالدرجة الأولى بمثل هذا الحدث، لتطرح عدداً من التساؤلات منها: أنتم أيها المواطنون أي جمعية ألفتكم؟ وأي شركة أنشأتم؟ وكم مؤتمراً عقدتم؟ بل أي مدرسة وطنية افتتحتم لتربوا ناشئتم على المبادئ الوطنية وتجهزوها بالمعارف لتثبتوا أمام الناشئة الإسرائيلية التي تهذبها وتدريبها جمعية الإليانس الإسرائيلي في مدارسها المنتشرة في كل الأنحاء؟ وأي احتجاج رفعتموه ولم تروغوه ولم تشف من تحته غاياتكم؟ اعذروني يا قومي على لهجتي الشديدة، ودعوني أرحكم بمبضع الحنان والإخلاص لنلا يطعنكم غيري بحراب سامة تسمم دماءكم وتقضي على بقية حياتكم. حركة قومية بين يهود أوروبا موجهة لامتلاك فلسطين، عقول وقلوب بكليتها منصرفة لنيل هذه الأمنية، قناطر مقلطة من الذهب تجمع لهذه الغاية، صحافة كبيرة تخدم هذا المبدأ، الدين يستعان به لتسخير القلوب، وأنتم ماذا عملتم؟ ماذا عملت صحافتكم وكتبتمكم الذين يدعون خدمتكم والمدافعة عن حقوقكم؟ ماذا عمل مبعوثوكم؟ راحوا يؤلفون الأحزاب العنصرية بدلاً من الأحزاب السياسية، ويستخدمونها لينالوا على أكتافنا المناصب والنفوذ فأضروا أكثر مما نفعوا" 83.

تمثلت حال من الوعي في ما كتبه نجيب نصار- في معرض نقده الحكومة لتغافلها عن الصهيونية- في 16 أيلول/سبتمبر عام 1910 من خلال التأكيد أن هناك "شعوراً إسرائيلياً تنبه في كل العالم الموسوي الأوروبي لامتلاك فلسطين، وجمع شتات بني إسرائيل وإعادة مجدهم القديم، وإتمام مقررات التاريخ لهم فيها، وعقدوا لذلك مؤتمراتهم وألفوا جمعياتهم وشركاتهم وشادوا مدارسهم وأسسوا مصارفهم، ويستدل على الشعور الوطني في صدورهم وحب القومية تجسّم في قلوبهم وشعروا من أنفسهم القوة ومنعوا الذهول والإلتها عن غاياتهم، فقاموا يجدون في تقرير أمانيتهم مغتتمين فرصة خمول الشعب وانشغال الحكومة" 84.

تساءل نصار عن عذر الحكومة في الإغضاء عن هذه الحركة، وتركها تنمو وتقوى في البلاد العثمانية، في حين أنها لا تغفل عن غيرها، فإن "قلنا إن الحكومة والصحافة التركية لا تعلم أهمية الحركة والغاية منها لقلّة ما يتصل بها من أخبار لا

يقبل، لأن الصحافة الأوروبية دائماً ملأى بأخبار و غايات الصهيونيين، وولاية الأمر في سورية لا يحتاجون لتعب كثير حتى يتوقفوا للوقوف على حقائق عديدة”85.

كما استبعد نصار أن يكون ذلك بسبب اتهام بعض المستأين من الحكومة الحاضرة بكرهها العنصر العربي، وتجاهلها مقاصد الصهيونيين، وتغاضيها عن استعمارهم، ليضعفوا العرب ويستولوا على أراضيهم وأملكهم وموارد رزقهم، فلا تعود تقوم لهم قائمة، معتبراً أن مثل هذا القول نوع من السياسة الخرقاء التي لا يمكن للحكومة الدستورية أن تتبعها، لأن حدوث ذلك يعني ذهاب البلاد غنيمة باردة للإسرائيليين86. وقد كرر نصار المعنى ذاته في 29 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، عندما استبعد صحة ما يوجه إلى الحكومة من اتهامات “بأنها تخاف حركة عربية لذلك تريد إضعاف العرب بإدخال الأجانب عليهم”87.

شكل شكري العسلي حالة من نضوج الوعي في ما يتعلق بخطر الفكرة الصهيونية، وذلك في حديثه في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 عن الصهيونية كفكرة، وبأن الجمعيات الصهيونية على اختلاف تسمياتها سواء “الجمعية الصهيونية اليهودية ورفيقاتها، جمعيات ايكا وفاعوليم واليانس وغيرها”، جميعها تسعى إلى هدف واحد، وهو استرجاع فلسطين، وإن اختلفت في ما بينها على الأسلوب88.

كما كتب رفيق العظم في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 مقالاً بعنوان “اليهود في فلسطين والجمعية الصهيونية”، عرّف فيه الصهيونية وأهدافها، والعوامل التي تحول دون تحقيق هذه الأهداف، حيث أثار هذا المقال موجة كبيرة من النقد، مما اضطره للدفاع عن وجهة نظره، من خلال إنكاره تحامله على اليهود، وبأن خطرهما ينحصر من الوجهة الطبيعية، وليس من الوجهة السياسية، ومواجهة مثل هذا الأمر يمكن أن يكون من خلال مجازاة الأهالي لليهود في اتخاذ وسائل الترقى الطبيعي89.

قد يكون العظم أصاب في سبل مواجهة المد الصهيوني، لكنه أخطأ وقصر وعيه في مسألة نوعية هذا الخطر، إذ إن الأساس في الفكرة الصهيونية هو الوجهة السياسية التي تعتمد في تنفيذها على الوجهة الطبيعية.

استمر الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية، منذ العام 1911 وحتى الحرب العالمية الأولى، يتخذ أبعاداً أوسع، وأكثر تحديداً من حيث الأدوات المستخدمة، وآلية التعامل معها، فكان الحدث الأبرز في هذا العام الكتيب الذي أصدره نجيب نصار بعنوان الصهيونية: تاريخها، غرضها، أهميتها، وهو ترجمة ملخصة عن “الإنسيكلوبيديا اليهودية”. وفي نهاية الترجمة، لخص نصار حصيلة انطباعه وفهمه حقيقة الصهيونية والسيناريو الذي يجري تنفيذه على يديها، فكتب قائلاً: “أنا ارتجف من استعمال لفظي وهم وخيال، لأن الذين يستطيعون الاستيلاء على نصف أموال العالم بمزاحمة الشعوب النشيطة، وهم في حالة الضعف والتشتت، ويكون لهم تأثير عظيم على سياسة ممالك العالم بأسرها، أيعجزون عن تحقيق أمانهم...؟ أيعجزون عن ذلك، لا سيما بعد أن يكونوا جمعوا كلمتهم ولموا شعنتهم؟”90.



علل نصار الدافع وراء نشره الكراس ما صرح به الصدر الأعظم حقي باشا في مجلس الأمة، بأن الصهيونية ليست "سوى رواية، وما القائمون فيها إلا أفراد متهوسون، فعمدنا إلى مصادر يهودية، وفيها من الحقائق ما لا يترك مجالاً للاشتباه في حقيقة الصهيونية وأهميتها، ويقنع الصدر الأعظم بأنها أكثر من رواية" 91.

على الرغم من أهمية الموضوع، إلا أن الكراس لم يلقَ الاهتمام الذي يستحقه، وذلك أيضاً على الرغم من حساسية المرحلة الزمنية التي نشر فيها؛ فعلى سبيل المثال، اكتفت صحيفة الحضارة في 23 حزيران/يونيو عام 1911 بإيراد خبر نشر الكراس بشكل عابر مكتفية بذكر اسمه، وبأنه يتحدث عن تاريخ الصهيونية وغايتها وامتدادها عام 1905، وبأن نصار ذكر آراءً له فيها 92، ولم تقدم الصحيفة أي تفصيل أو شرح لأي من مواضيع الكراس على أهميتها وحساسيتها.

نجد الأمر ذاته يتكرر لدى صحيفة النفائس في 18 آب/أغسطس عام 1911 93. وكذلك في صحيفة الكلية التي عرّفت بالكراس باختصار، لتختتم خبرها بشكر نصار، ولفت أنظار الأدباء والساسة إليه 94.

نجد صورة مناقضة تماماً في ما يتعلق بالكتاب الذي نشره الصهيوني اليهودي المصري نسيم ملول، وهو بعنوان أسرار اليهود، إذ يشير إلى أصداء كتابه، فيقول: "لم يخطر لنا ببال ولم يدِرْ في خلدنا قط عند مباشرتنا تأليف هذا الكتاب، بأن يلاقي استحساناً عظيماً من العقلاء، ولا سيما من اشتهر منهم في عالم الأدب والصحافة العربية، وما كنا نتوقع بأن حضرة العالم والأستاذ الفاضل الشيخ أبو نظارة شاعر الملك وصاحب جريدتي العالم الإسلامي وأبو نظارة في باريس، في طليعة المؤيدين لنا في هذا المشروع الخطير، بما أظهره لنا من دلائل الإعجاب والاستحسان والترغيب بما تكرم علينا" 95. ويتضح من نص الرسالة التي بعث بها أبو نظارة إلى ملول- ويورد فيها تفصيلات حول ما ورد في الكتاب- القراءة المتأنية من قبله، بحيث تغني عن قراءة الكتاب لشدة دقتها وإيجازها.

خلال عام 1911، طرحت المسألة الصهيونية في مجلس المبعوثان من قبل النواب العرب، وعلى نحو مغاير نوعاً ما لما كان في السابق؛ إذ شكلت جلساته مسرحاً أظهر فيه النواب العرب تنامي وعيهم وإدراكهم خطر الفكرة الصهيونية، فاغتموها فرصة لإيصال فكرتهم هذه إلى الحكومة المتهممة بتسهيل تنفيذ المشروع الصهيوني، وإلى قادة رأي الأمة والشعب لزيادة وعيهم، وتجنيدهم من أجل المعركة المقبلة مع الصهيونية. ومن الجوانب التي حاول النواب التركيز عليها في مناقشتهم موضوع الصهيونية هو تمييز اليهود داخل الدولة العثمانية من خارجها؛ ففي الجلسة التي عقدت في الأول من آذار/مارس، قال نائب بيروت رياض الصلح: "بالنسبة إلى الموسويين العثمانيين فلا تدخل لهم، أما يهود الخارج، فإنهم يريدون تشكيل دولة في فلسطين" 96.

كان نائب القدس روجي الخالدي أكثر تحديداً في طرحه من خلال التأكيد أنه لا يتحدث عن مصالح المسلمين فقط، بل عن مصالح المسيحيين واليهود أيضاً، وأوضح أنه لا يقصد بحديثه اليهود من سكان فلسطين، إنما يقصد الصهيونية 97.

استمر روجي الخالدي في تصديه للمحاولات الصهيونية أثناء جلسات المجلس للتقليل من حجم الخطر الصهيوني؛ ففي جلسة لاحقة لجلسة الأول من آذار/مارس، أكد أن "مسألة الصهيونية مسألة مهمة ومهمة جداً في دولتنا، وإن أهميتها فوق العادة" 98.

وفي جلسة 3 أيار/مايو عام 1911 عرض الخالدي التطور الذي طرأ على الفكرة الصهيونية، وبدايات ظهورها منذ عام 1802 في فلسطين، وبأن واضعو هذه الفكرة هم اليهود الذين جنوا في بلاد الروس وطردوا منها، وأنه في عام 1896 نشر المدعو فيدرهل هديزه (ثيودور هرتزل) رسالته تحت عنوان "الدولة اليهودية"، والتي حرض فيها اليهود على عقد المؤتمرات، ولا يزال يُسعى وراء هذه الفكرة 99.

تابع الخالدي في الجلسة التي عقدت في 16 أيار/مايو عام 1911 ما كان قد أثاره في جلسات سابقة، فعرض تاريخ الحركة الصهيونية، واتصالاتها بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، ونشاطها داخل فلسطين، فأوضح أن الحركة الصهيونية شكلت جمعية صهيونية قسمت فلسطين عدة مناطق هي: القدس والخليل والرملة ويافا وطبرية وزمارين وحيفا وصفد وجبل الخليل، على أن تكون قسبة زمارين مركزاً للجمعية 100.

تعليقاً على نفوذ اليهود في الحكومة الاتحادية، ومهاجمة النواب العرب الصهيونية، دعا محمد رشيد رضا الناس إلى التأمل والاعتبار في حقيقة الصهيونية وخطرها على المملكة العثمانية وتغلغلها فيها، وتهديدها فلسطين 101.

لم يكتف مندوب القدس روجي الخالدي بإثارة موضوع الصهيونية في مجلس المبعوثان، بل وضع كتاباً بعنوان السيونزم أو المسألة الصهيونية- يرجح أنه بدأه في عام 1911، وتوفى قبل أن ينهيه - وأشار فيه إلى أن "نظرية هرتزل وافقت أصحاب العقول الساذجة التي لم تتسَ خاطرتها الدينية التي مضى عليها ألفا عام، وبأن الصهيونية حل نهائي في نظر الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة"، ثم عرض الخلاف بين اليهود والصهاينة الذين يرون فيها خطراً من الجهة السياسية 102.

كما حاول الخالدي في كتابه، الكشف عن بعض أساليب الصهيونية للترويج لأفكارها، ومنها إصدار عدد من الصحف في مواقع مختلفة من العالم، وشراء بعض الصحف المشهورة، وفي مقدمها صحيفة إقدام، وإيعازهم إلى صاحبها أحمد جودت بإصدار صحيفة أوريان التي تولى تحريرها الصهيوني ألبير فوا (Alber Foix)، الذي كان ينشر المقالات المناسبة للصهيونيين. وكذلك صحيفة جون ترك وصاحبها جلال نوري الذي كان يستخدم كتاباً من غير اليهود لكي لا يسيء الناس الظن بالصحيفة عند دفاعها عن مصالح الصهاينة، وقد "اتخذت الصحيفة مكتباً لها في محلة التقسيم يستقبلون فيه النظار ورجال السياسة ويقدمون لهم المشروبات ويذكرونهم بأمور السياسة. واستخدم الأسلوب ذاته مع الصحف السورية مثل

النفير والنصير؛ فإذا نشرت جريدة النصير خبراً في الدفاع عن الصهيونية، نقلتها جون ترك في الحال، وأوصت أن الدفاع ورد من الجرائد السورية المعتبرة”103.

إن ما يؤكد صحة ما ذكره الخالدي هو الرسالة التي بعث بها إسعاف النشاشيبي إلى الكرمل، ويتحدث فيها عن دور جلال نوري، والمقالة التي كتبها الأخير في صحيفته، ويهاجم فيها روجي الخالدي وشكري العسلي، لبحثهما في موضوع الصهيونية في مجلس المبعوثان، ويصف رأيهم “بالحيد عن سبيل الحرية والحق، فلم أعجب ولم أذهل، ولم أقل لم ضل هذا الكاتب، ولم لم يتبع الصراط السوي، لأنني جد عليم أن دنائير الصهيونية قد أسرت فؤاده، وخالط حبها لحمه والدم، وأن فلسطين ليست بلاده ولا بلاد آبائه، ولكنها بلاد من أريقت فيها دماء أجداده الغالية غير الرخيصة كروجي الخالدي الصامد في دار الندوة، فقل يا جلال ما شئت، واكتب ما أردت، وأما أنت يا ابن خالد فقد أرسلناك إلى دار الندوة، فاذاً بلادك، لا تنسها، اذكر “فلسطين” فإنها على شفا خطر مهول”104.

أدرك نجيب نصار خطورة الصحافة في المعركة مع الصهيونية، فكتب في 24 حزيران/يونيو عام 1911 معلقاً على ردود الفعل على اقتراحه بعقد مؤتمر صحفي يكشف أخطار الصهيونية، فقال: “فحبذه بعض الرصفاء الغيورين ونشروه في جرائدهم وعلقوا عليه الحواشي، وبعضهم تفضل بكتابة مقالات معدداً الفوائد التي تتجم عنه، نشكرهم ونأمل أن لا يقفوا عند هذا الحد، فالصحافة يجب أن تشترك مع فريق الزعماء المنتورين ويدرسوا أحوال البلاد الاجتماعية ليقفوا على الخلل وأسباب الضعف.. لا ينبغي أن ننتظر حتى تتألف القوة من نفسها ويفيق الشعب من خموله، لأن هذا لا يتأتى بدون عوامل مؤثرة، وهذه العوامل مهما كانت قوتها ضعيفة في البداية لا بد أن تتقوى وتتجح إذا كانت سليمة، فيكفي في البداية اجتماع كلمة نفر قليل من الصحفيين والمنتورين، وسيرهم على خطة رشيدة، فكل الجمعيات والأحزاب التي نراها تخدم الأوطان وتدير الأحكام بدأت صغيرة، لنا في هر تسلسل والجمعية الصهيونية خير مثال، فإذا نسجنا على منوالهم، فأنا الكفيل بجمع الكلمة، وإيقاظ الشعور الوطني في القلوب، ودرء المخاطر، فليسع إذاً الصحافيون الغيورون لعقد هذا المؤتمر، ولا يقعدهم عن العمل قلة عديدهم، فالعدد القليل المتضامن خير من العدد الكبير المتفرق الكلمة والغايات”105.

أما صحيفة المقتبس وفي تعليق لها على مقال بعنوان “الصهيونية في الدولة العثمانية”، في الأول من شباط/فبراير 1911 بعث به أحد أصدقاء الصحيفة من الذين يعملون بكل قواهم على مقاومة الاستعمار الصهيوني- وفقاً لتعريف الصحيفة به-، فقالت: إن “المقصود به مبادئ الصهيونيين وآمالهم في فلسطين”106.

خلال العام 1911، استمر تأكيد العلاقة بين الاتحاديين والصهاينة، فكتب محمد رشيد رضا عن العلاقة بين الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي واليهود، قائلاً: “إن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون، ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة، وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين”107.

حاول محمد رشيد رضا في الأول من آذار/مارس عام 1911، وتحت عنوان "اليهود في المملكة العثمانية" أن يسלט الضوء على العلاقة بين اليهود والاتحاديين، فقال: "خبرنا الأستانة بإقامتنا فيها سنة كاملة، فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم، وأن ناظر المالية إسرائيلي النسب، وأنه جعل كاتب سره وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود، فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن في هذه المملكة، وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة، وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه، فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً نبهوا فيها إلى خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية"108.

نقلت مجلة المشرق ما كتبه مجلة الكلمة تحت عنوان "اليهود والدستور في المملكة العثمانية"، وذلك في عددها الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، فقالت: "إن الدستور العثماني ككل دستور آخر خطته يد الماسونية قد منح اليهود حق المساواة، فلم يلبث اليهود في تركيا أن أخذوا يظهرن لدى الملأ ماذا يعنون بهذه المساواة... إن إعلان الدستور قد ملأ قلوب بني إسرائيل أجمعين فرحاً عظيماً بهذا المقدر، حتى أصبحوا كالسكارى، على أن تظاهرهم الوقح بنياتهم اليهودية لم يلبث أن أهاج سكان فلسطين، ولا سيما الأعراب المسلمين ضد الدولة العثمانية الدستورية، وخصوصاً ضد جمعية تركيا الفتاة، التي أمست من جرّاء استسلامها للنفوذ اليهودي مكروهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية، وهذا ما جعل جريدة التايمز الإنكليزية تبادر إلى تحذير اليهود في كل مكان- ولا سيما في تركيا- من وخامة عواقب استعجالهم في التظاهر بأمانهم اليهودية، ولكن قد فات هذه الجريدة وسائر الجرائد التي على شاكلتها أن تلك الأمانى اليهودية مهما سعى اليهود واحتالوا بوساطة أعوانهم على تحقيقها، هيهات أن تتحقق ما دامت الأمة اليهودية موصومة بوصمة اللعنة الإلهية"109.

إلى النقطة ذاتها، أشار الأمير شكيب أرسلان، بقوله: "إن جمعية الاتحاد والترقي كانت خاضعة لتأثير الجمعيات الماسونية، وكان نفوذ اليهود غالباً وظاهراً وسط محيط تلك الجمعية، فاليهود أمدوا الحركة وأعانوها بمختلف الوسائل"110.

وكان لحزب "الأحرار المعتدلين"- الذي تأسس في خريف عام 1911 عقب الاستعمار الإيطالي لطرابلس- الموقف ذاته، إذ ربط بين الصهيونية والماسونية والاتحاديين111، وهاجمت صحافته الاتحاديين، وأطلقت عليهم صفة الماسونيين والموالين للصهاينة112.

من مظاهر الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية، هو إدراك سر القوة الكامنة فيها، وفي آلية تطبيقها، الذي يتمثل في التعليم والتنشئة السليمة. وكان هذا الوعي ذا شقين: الأول يتعلق بالوعي لأثره لدى الصهاينة ودرجة الاهتمام به؛ والثاني يتمثل بمحاولة اقتباس هذه الميزة، وتشجيع العرب على اتباعها ليتمكنوا من مواجهة خصمهم والدفاع عن أوطانهم. وفي هذا السياق، دعا راغب الخالدي أهالي فلسطين إلى إنشاء كلية إسلامية في القدس113.

علق نجيب نصار على مطالبة الخالدي هذه، بقوله: "لا تقف عند هذه الصرخة أيها المواطن العزيز، ولا تصموا آذانكم عن سماعها يا أبناء فلسطين، انظروا إلى معاهد العلم التي شادها الذين ينازعونكم البقاء لأولادهم، وقابلوا أيها المقلد بين رأس المال الذي يزودون به أولادهم، وما تزودون به أبناءكم، واحكموا لمن تكون الأرجحية إذا بقيتم على حالكم من الجهل والإهمال، هم بمعارفهم واجتهادهم وتضامنهم استولوا على قسم كبير من بلادكم ومن موارد رزقكم، فلا أقل من أن تتعلموا منهم التعاضد والتعاون وكيفية تربية الجيل المقبل ليثبت في ميدان التنارع"114.

أوردت المقتبس في 26 آب/أغسطس عام 1911 خبراً عن تأليف لجنة من موسوي يهود أوروبا ووجهائهم لابتياح مكتبة البارون دي جنسبرغ (D. Ginsberg)) الذي توفي عام 1909، وكان من زعماء النهضة العلمية الإسرائيلية، "وإن هدف اللجنة من شراء المكتبة إهداؤها بما فيها من الكتب اليهودية إلى مكتبة الشعب الإسرائيلية في القدس، ولم تكتفِ اللجنة بشراء المكتبة فقط، بل عملوا على تشييد بناية جديدة يدعونها المكتبة الإسرائيلية العامة، وقالت الأخبار إنهم يعلقون في أمريكا شأناً كبيراً على هذه الحركة (الصهيونية)، لأنها من أدلة نهضة اليهود لإحياء الجنسية الإسرائيلية، وجعل فلسطين مركزاً لها كما كانت في العصور المنصرمة... ولتختم الصحيفة قولها: "فليستيقظ النائمون"115.

وأشارت صحيفة المقتبس في 19 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 إلى نقطة مهمة، حيث عقدت مقارنة بين الحركة الصهيونية والاستعمار الإيطالي لطرابلس عام 1911، فحاولت تنبيه الاتحاديين والشعب إلى "أن مبدأ الحركة الإيطالية في طرابلس ليس بأشد من مبدأ الحركة الصهيونية في فلسطين، ولا مقاصدها ونهايتها في المستعمرة الأفريقية بأعظم من مرامي هذه وأمانيتها في البلاد الفلسطينية، ولو شئنا أن نوازي مصالح المستعمرين في البلاد لوجدنا المصالح الصهيونية في مستعمراتها تريح كثيراً على المصالح الطليانية في مستعمراتها، وهنا أيضاً من الرجال الصهيونيين وكبار الثوريين المشردين من روسيا وغيرها من يفوقون الطليان شجاعة وإقداماً، ولديهم من المال ما فيه الكفاية لأي عمل من الأعمال... فالحق أقول يا صاح إن جماعة الصهيونيين لو كانوا مثل الطليان أغراراً في السياسة لآذنونا بحرب وأعلنونا عداءهم منذ سنين"116.

أثارت صحيفة الهدى مسألة مهمة، تتم عن وعي حقيقة الفكرة الصهيونية، وبأنها فكر مؤسسي لا فكر أشخاص يذهب بذهابهم، وجاء ذلك في معرض حديثها عما أشيع بأن المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب/أغسطس 1911 قد دفن مبادئ صهيونية هرتزل، وبأن إحدى صحف الغرب التي عرفت بمعارضتها للصهيونية منذ نشأتها، وعدت الصهيونية بمناصرتها لعلمها بأن مبادئ هرتزل ماتت، ولنتهي الصحيفة حديثها بالتعليق التالي: "إن ما جاء في هذا الشأن هو نهاية وغاية الضلال، فصهيونية هرتزل هي نفس الصهيونية الحاضرة، ومتى ماتت الأولى ماتت الثانية، نعم إن الصهيونية الحاضرة اضطرت أن تتخذ شكلاً يخالف شكلها السابق بعض المخالفة، وقد كان هرتزل أول من استحسّن هذا التغيير، وعليه

إنه لم يمت من مبادئ الصهيونية الأساسية غير مبدأ واحد هو السعي للحصول على حقوقنا في فلسطين بفرمان سلطاني، ولكن هذا المبدأ الذي مات هو واحد من المبادئ الكثيرة التي ندرك بها غايتنا، وليس هرتزل ولا زعيم آخر غيره اعتبر أن ذلك المبدأ هو كل مبادئ الصهيونية”117.

انحصر اهتمام صحيفة البيان الصادرة في نيويورك، بالإسرائيليين عموماً في الدولة العثمانية والدول الغربية118، ومما خصت به الصحيفة الصهيونية بالذكر، ما نشرته في 24 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، وقالت فيه: “أفاضت الصحف مؤخراً في ذكر الجمعية الصهيونية ومقاصدها السياسية في البلاد العثمانية، وخصوصاً في فلسطين التي كانت ملك الإسرائيليين الأقدمين، قبل أن زالت دولتهم وتفرق شملهم، وقد صورتها الصحف العثمانية في صورة تبطن خطراً على البلاد العثمانية وخصوصاً على فلسطين”119. ويترك قول الصحيفة انطباعاً بأن هناك مبالغة وتضخيماً في حجم الضرر الذي تسببه الصهيونية، وقد تسببه مستقبلاً على البلاد العثمانية وفلسطين.

أما صحيفة الوطن الصادرة في نيويورك، فقد نشرت قصيدة لأمين الريحاني بعنوان “نيويورك”، في 16 شباط/فبراير عام 1911، التي صور فيها تغلغل النفوذ اليهودي وسيطرته على المدينة، فقال:

أطليقة الهنود بالأمس، ومحظية اليهود اليوم.

وحاملة بنود الثورة غداً؟...

أمن خدر الهنود... إلى جنباء اليهود، إلى قبضة القروء؟

“نوير كلیم” حسدتها اليوم أورشلیم...

“نوير كلیم” وفيها العبرانيون يمرحون لا ينتجون ويل ل”نوير كلیم”...

أفي صحافتك كما في تجارتك؟... أمن على منابرك ومسارك يعلو صوت روح إسرائيل أصوات أبنائك الحقيقيين؟...

أبنت اليهود والقروء، أين منك اليوم فضائل الحدود؟120.

مهما يكن من أمر، فإن تأكيدات خطر الصهيونية هذه، ووعي مقاصدها لدى بعضهم، قابله موقف مناقض تماماً؛ فصحيفة لسان الحال لم تجد ضيراً في نشر مقال في آذار/مارس عام 1911 لمحامي “جمعية الإيكا” في فلسطين سليمان يلين، نفى فيه وجود أية أهداف سياسية للحركة الصهيونية، وبأن القصد منها “إيجاد مزارع في فلسطين والبلاد المجاورة لها لأجل إيواء بعض اليهود والمساكين المظلومين...”121.

امتاز عام 1911 أيضاً، بظهور بعض الأحزاب والجمعيات التي جعلت من الصهيونية والوعي لخطرها أساساً لبرنامجها، وأبرز مثال على ذلك “الحزب الوطني العثماني”، الذي أسسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي في صيف عام 1911 122، وقد عرّف الحزب في كراسه الصهيونية بأنها “الخطر الذي يحرق

بوطننا، والموجة الرهيبة التي تضرب شواطئ بلادنا، إنها مصدر الأعمال الخداعة الغادرة التي تجتاحنا، والتي ينبغي أن تكون أشد إخافة لنا من السير على انفراد في ظلمة الليل الحالكة، وبأنها نذير بنفينا عن وطننا وطردها من بيوتنا وممتلكاتنا”123.

كان الفاروقي قد حدد في مقال نشره في صحيفة المفيد البيروتية في آب/أغسطس 1911، البرنامج الذي سيعمل الحزب وفقه، ويتمثل بـ “توجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للحركة الصهيونية، ومحاربتها بسلاح الحق، إضافة إلى إثارة وعي الأمة العواقب الوخيمة للصهيونية”124. قدم الحزب في طرحه هذا وعياً لبعد جديد من أبعاد مواجهة الصهيونية، والمتمثلة بالتركيز على الجانب القانوني، وتكريس الوعي العربي في هذا الإطار، لما له من أهمية بالغة.

إن الاهتمام ووعي الفكرة الصهيونية، كانا لدى “الحزب الوطني العثماني”، وكذلك حزب “الأحرار المعتدلين”، ولم نلاحظه في البيان الذي عرف بـ “نداء أو صرخة أبناء قحطان”، والذي أطلق في آب/أغسطس عام 1912، ومضمونه من حيث الجوهر أشبه ببيان لحزب اللامركزيين العرب125، إذ خلا النداء- على الرغم من شموليته المطالب العربية- من أية إشارة إلى الخطر الصهيوني، كما أن النداء دعا في آلية العمل التي ينبغي إتباعها، إلى تعاون الضباط والجنود العرب مع ممثلي شعوب الإمبراطورية الأخرى في النضال من أجل إقامة نظام دستوري، وخاطب يهود البلدان العربية كعرب، ومما جاء فيه: “بلاغ إلى العرب بني قحطان... اتفقوا في الولايات السورية والعراقية مع أبناء جنسكم ووطنكم، ليكون المسلمون والنصارى واليهود منكم يداً واحدة في العمل لمصلحة الأمة والبلاد، إنكم تقطنون أرضاً واحدة، وتتكلمون لغة واحدة ومصلحة واحدة، فكونوا أيضاً أمة واحدة ويداً واحدة... فاتحدوا وتعاضدوا ولا تقولوا أيها المسلمون: هذا نصراني وهذا موسوي، فلكم عيال الله، والدين لله وحده... أنتم أيها العرب من النصارى والموسويين، ضعوا يديكم في يد إخوانكم المسلمين العرب، ولا تتبعوا خطوات من يقول لكم، منكم أو من غيركم: إن العرب المسلمين متعصبون تعصباً دينياً أعمى، فهذا قول هراء، فإن العرب المسلمين إخوانكم في الوطنية”126.

السؤال هنا: هل كان واضعوا هذا النداء أو الصرخة على معرفة ودراية بما كان يحدث آنذاك من المطالبة بالقومية اليهودية أو تجميع الشعب اليهودي في فلسطين، الذي كانت تسعى الصهيونية إلى تحقيقه؟ أم كانت الغاية من هذا الطرح تجنب إثارة قضايا فرعية- بنظرهم- غير جوهرية في معركة اعتبروها مفصلية، وهي الصراع مع القوميين الأتراك؟ إذا ما ربطنا هذا القول مع تاريخ إصدار النداء، ونشاط الحركة الصهيونية، وما كان ينشر في الصحافة العربية، فهل من الممكن اعتبار الأمر كذلك؟ وهل كانت المسألة الصهيونية مسألة ثانوية؟

شهد العام 1912 تطوراً جديداً تمثل بظهور صحيفة جديدة جعلت من الصهيونية وكشف مقاصدها قضيتها الأولى والأساسية، وهي صحيفة المنادي الصادرة في القدس في 8 شباط/فبراير عام 1912، التي وصفت الصهيونية في عددها الصادر في 20 نيسان/أبريل عام 1912 “بالضيف الثقيل الذي جاز حده في خيانة

مضيفيه، وزينت له نفسه أمراً سيئاً، فهو يحاول أن يطردنا من أراضينا ويسرق أموالنا، ثم يخبرنا بعد أن يتناهى إليه الحكم بحقين عظيمين شديدين، وهما: إما أن نظل في حكمه وتحت جوره، أو نترك له البلاد والأموال، ونبحث عن سواها، ونفتش عن حكام غيره، وكلا الأمرين عظيم أليم”127.

وحاولت الصحيفة في 8 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1912 التنبيه إلى الوسائل التي يستخدمها اليهود - ووصفتهم بالمستعمرين- من أجل الوصول إلى غايتهم، ومنها تلك التي قام بها اليهود الذين يسكنون مدينة القدس وأطرافها، حيث تظاهروا بنبذ حماياتهم الأجنبية، وتنسبوا بالعثمانية ليستعينوا بها على تحقيق أمانهم128.

خلال عام 1912، استمر الوعي لشكل آخر من أشكال خطر الفكرة الصهيونية- وقد حرصت الصحف العربية على التذكير به ولفت الأنظار إليه- ألا وهو الحرص الصهيوني على تعليم ناشئته وتثقيفها، فنقلت صحيفة المقتبس في 28 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 خبر تبرع ثري يهودي من أصل هندي بثمانين ألف ليرة لإنشاء كلية إسرائيلية في القدس، وبأن هذا المبلغ هو القسم الأول من رأس المال الحقيقي لتأسيس هذه الكلية التي يرغب فيها عامة الموسويين في أنحاء العالم، حيث علقت الصحيفة على هذا الخبر بقولها: “هل يوجد في الأمة العثمانية من يتبرع بربع هذا المبلغ لإنشاء مدرسة في القدس إعدادية أهلية تضم بين جدرانها الوطنيين، وتدريبهم على المبادئ الصحيحة قبل أن يبتلع البقية الباقية التتين الصهيوني؟”129.

ثمّة تطور آخر شهده عام 1912- وكان له أثر في المشروع الصهيوني، والوعي العربي له- ألا وهو الحرب البلقانية130، وسقوط الوزارة الائتلافية؛ إذ استغلت الصهيونية ظروف الحرب لدفع المشاريع الصهيونية خطوات واسعة إلى الأمام، وكانت هذه الجهود معظمها سرية لم تشر إليها الصحافة العثمانية أو العربية، إلا أن النفوذ المتزايد للصهيونيين لم يخفَ على الصحفيين العرب في الأستانة ومنهم سليم النجار، الذي يبدو أنه تقاجاً بانقلاب الاتحاديين على الائتلافيين في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، فبعث برسالة إلى حقي العظم في 25 كانون الثاني/يناير عام 1913 يقول فيها: “الوزارة الحاضرة عصابة لصوص، يؤيدها اليهود الصهيونيون”، وبعد أن عرض دور المال الصهيوني في تسيير السياسة الاتحادية، أضاف “وأعتقد جيداً أنهم لم يعاضدوا الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم في أوروبا وصحفهم التي لهم فيها إلا وقد تبادلوا المنفعة معهم وحددوا منافعهم في فلسطين... أنا لا ألوم الصهيونيين، فهم أرادوا منفعة يطلبونها... غير إنني أراهم يزرعون خطراً على الصهيونية العثمانية في البلاد السورية”131.

رابعاً: الوعي العربي لخطر الفكرة الصهيونية من 1913-1917

امتازت هذه الفترة بظهور الدعوة إلى عقد تفاهم عربي- صهيوني، والتي أدت إلى التحول في النظرة العربية تجاه خطر الفكرة الصهيونية، وعقد المؤتمر العربي الأول في باريس في حزيران/يونيو عام 1913، وكذلك تنامي دور الصحافة في التوعية لخطر الفكرة الصهيونية، وتشكيل الجمعيات ذات الأهداف السياسية والاقتصادية من أجل مواجهة الصهيونية. أضف إلى ذلك، تداعيات الحرب العالمية



الأولى وتحالفاتها ومجرياتها، والتي ختمت بإصدار وعد بلفور في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1917، وأثر ذلك كله في الوعي العربي.

بالنسبة إلى الصحافة، كان لصحف الاغتراب إسهاماتها في ما يتعلق بالوعي والتنبيه إلى خطر الصهيونية؛ فصحيفة مرآة الغرب، الصادرة في نيويورك من قبل مغترب سوري، كانت تنتشر في مصر والقسطنطينية، وتؤكد هذا الأمر 132، وما يدل على مواكبة الصحيفة لما كان ينشر ضد الصهيونية في البلاد العربية- ومساندة منها للحملة التي كانت تقودها صحيفة الكرمل- كتبت في 15 كانون الثاني/يناير عام 1913، تقول: "لقد بُح صوت صاحب الكرمل وهو ينبه القوم إلى هذا الغريب الذي لا يلبث أن يصير صاحب البلاد، وليس من يسمع" 133.

على الجانب الآخر من المشهد العربي، وبعيداً من النخبة السياسية والثقافية العربية، قدم لنا روجي الخالدي صورة لما كان يجري في فلسطين، والأساليب التي كان يتبعها الصهاينة لشغل العامة عن مخططاتهم، فيذكر أنه زار في آذار/مارس عام 1913 جماعة من بئر السبع، فوجد "طاحونة غاصة بالعربان جاؤوا لطحن قمحهم، وبجانبها دكاكين يؤجرها اليهود لتجار غزة"، وحيث "إن الأمم المتخلفة تقتبس من المدينة الرذائل قبل الفضائل، لذا عربان السبع مقبلون على المسكرات والغانيات من اليهود، وقد أتاهم جوقة من ثلاث ممثلات جميلات وثلاثة ممثلين، واستمروا شهراً كاملاً يمثلون أمام العربان في بيوت الشعر عند حمود عدوس عضو الإدارة في بئر السبع" 134.

وقد أورد الخالدي قصيدة لأحد شعراء عرب السواركة وهو عودة بن موسى، يصور هذه الأوضاع، ويقول فيها 135:

تأتي هذه الأساليب التي ذكرها الخالدي كتطبيق للقرار السري الخاص بفلسطين، الذي اتخذ في المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب/أغسطس 1911، وينص على أن "ليس من بأس بأن نضحى بالفتيات في سبيل الوطن القومي، وأن لا تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة لأنها في الوقت ذاته كفيلة بأن توصل لأحسن النتائج، وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينفاد لهن" 136. وإن كان هذا لا يعني أن تطبيق هذه الأساليب اقتصر على فترة ما بعد اتخاذ القرار، ولعل في ما أورده جوهرياً في مذكراته لخير دليل على ذلك 137.

هذه الصور السلبية للوعي العربي للفكرة الصهيونية لم يمنع من تناميها وتطوره خلال عام 1913، إذ أصبح القلق يسيطر على الكثيرين سواء بين الأوساط السياسية والثقافية أم الشعبية، ولا سيما وأنه كان يرى أن التغيرات والتسارع في الأحداث التي تحيط به، تطاله بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إضافة إلى تآزم العلاقة مع الاتحاديين- خصوصاً مع تطرف هؤلاء في تطبيق سياسة التتريك، وطمس الهوية العربية- كانت هناك الصهيونية التي هي رديف لسياسة التتريك، من حيث الخطر على القومية العربية، فانتشرت في فلسطين ظاهرة على جانب كبير من الأهمية بدأت في ربيع عام 1913، وهي الإعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية

في أنحاء متفرقة من الدولة العثمانية، ويمكن القول إن الإحساس بالخطر الصهيوني المشترك الذي استهدف العرب، والإحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومته، كان وراء تشكيل هذه الجمعيات التي عملت على إبراز الشخصية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى، ومنها "جمعية فلسطين" في بيروت، التي ألفها الطلاب الفلسطينيون في الجامعة الأميركية في بيروت، تحت شعار "ضم الكلمة وجمع الشتات"، حيث وصل عدد أعضائها في صيف عام 1913 إلى أربعين عضواً<sup>138</sup>.

كما تأسست في آب/أغسطس عام 1913 "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، التي هاجمت في بيانها الحكومة التركية وجمعية الاتحاد والترقي وتجاوزاتهما، واتهمتهما بأنهما "باعوا وطنهم، فهم الذين باعوا الاستقلال لبلغاريا والبوسنة والهرسك، وهم أنفسهم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقترحوا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك" <sup>139</sup>.

ترافق ذلك كله مع ظهور الدعوة إلى التقاهم العربي- الصهيوني، التي أدت إلى تحول في النظرة لدى بعض قادة الحركة العربية للفكرة الصهيونية ومقاصدها، وكيفية التعامل معها واحتوائها، جاء هذا التحول نتيجة تنامي التعاون الاتحادي- الصهيوني ضد العرب. ولمواجهة ذلك، طرحت فكرة الاستجابة للدعوة الصهيونية للتقاهم مع العرب من أجل التوصل إلى تسوية بين الطرفين، وللاستعانة بالصهيونية للوقوف في وجه سياسة التتريك الاتحادية.

كان لهذه الخطوة دلالاتها المهمة التي تشير إلى اعتراف صريح من قبل أغلبية قادة الحركة العربية آنذاك، بأن الحركة الصهيونية أصبحت قوة إقليمية فاعلة في المنطقة، وعلى الرغم من أنها موجهة بصورة مباشرة ضد العرب ووجودهم، إلا أنه يمكن التعاون معها، وهذا مؤشر على قصور وعي وفهم لدى هؤلاء من جهة، وبأنها شكلت أول خطوة عربية في الانحراف عن المسار الصحيح في معركتها مع الصهيونية من جهة أخرى، وذلك باستبدال الحلول العملية المقاومة للصهيونية، بحلول تقاوضية لا يمكن أن تجدي معها أو تثمر، لأنها تتعارض مع أساسياتها التي لا يمكن أن تتنازل عنها، لأنها بالنسبة إليها قضية وجودية.

تزعّم حزب اللامركزية العربي في القاهرة، والجمعية الإصلاحية في بيروت، الدعوة العربية إلى التقاهم مع الصهيونية، والمنتبع مواقف قادة هذين الحزبين في تلك المرحلة وأراءهما، يلحظ التغيير الذي طرأ عليهما؛ فحقي العظم قدم في شباط/فبراير عام 1913 طرحاً جديداً في وعيه الصهيونية، وتمثل بقوله: "إنها بحد ذاتها لا تشكل خطراً على العرب، وبأن التحفظ الوحيد على نشاطها هو تمسك اليهود النازحين من الظلم إلى أراضي فلسطين بتابعيتهم الأجنبية وميلهم للاتحاديين، وإيثار الأخيرين الإسرائيليين على العرب في المناصب، وباستثناء ذلك، فالعرب - خاصة السوريين والفلسطينيين- لا يبغضون الإسرائيليين، وهم على استعداد للتقاهم معهم، ولكي يتم ذلك لا بد من شروط منها: القبول بالرعية المحلية ليتم التساوي مع القانون، والتحذير من أي مساس أو تأثير سياسي أو إداري في ما يتعلق بالبلاد والجنسية واللغة العربية"<sup>140</sup>.

مما لا شك فيه، أن طرح حقي العظم هذا، جاء متأثراً بطبيعة المرحلة التي كانت تشهدها العلاقات العربية- الصهيونية من جهة، والعربية- التركية من جهة أخرى، وعلى الرغم من الطبقة التي غلف بها العظم كلامه ليجعله مستساغاً ومقبولاً، إلا أننا نلاحظ في ما قاله مخاوف حاول تسكينها، وذلك عندما أشار إلى رفض اليهود للتابعة العثمانية، وما يترتب على ذلك، والتعاون مع الاتحاديين، وما نجم عن ذلك من سيطرة صهيونية ساعدتهم إلى حد بعيد، على إنجاز وتنفيذ مشروعاتهم وفكرتهم - وهو أمر لم يكن خافياً على كثير من قادة الحركة العربية ومن بينهم العظم- وأخيراً التحذير الذي أطلق، والمتعلق بالمساس ببلاد العرب وجنسياتهم ولغتهم، لأن الرد سيكون قاسياً إذا ما حدث ذلك.

أما رفيق العظم، فقد احتاج إلى شهرين فقط ليغير نظرتة إلى الصهيونية، ففي حين اعتبرها في شباط/فبراير عام 1913 خطراً يهدد فلسطين، رأى في نيسان/أبريل عام 1913 إمكانية الاستفادة من هذا الخطر والتفاهم معه، وبأنه يمكن أن يكون للهجرة اليهودية مكاسب ثمينة يستفاد منها من خلال أموال المهاجرين اليهود وقدراتهم وذكائهم<sup>141</sup>. وقد جاء هذا التحول على الرغم من وعيه المبكر خطر الصهيونية على العرب.

أما بشأن عبد الحميد الزهرأوي، أحد قادة حزب اللامركزية، فإن المتتبع لسلسلة المقالات التي أصدرها في صحيفته الحضارة، فيلاحظ نأيه عن تناول موضوع الصهيونية من قريب أو بعيد، وإذا كان فعل ذلك، فتكاد تكون محاولات يتيمة لا يركن إليها، ولا تعكس تصوراً وموقفاً محدداً له تجاهها؛ فتحت عنوان "حروبنا الداخلية"، عرض الزهرأوي في 11 تموز/يوليو عام 1912 الحوادث الداخلية التي تشهدها الإمبراطورية العثمانية من حرب الروملي إلى حروب اليمن الثلاث، ومثلها حروب في عسير، وحوران والكرك، والأرناؤوط، ولم يشر إلى الصهيونية وتهديدها القومية العربية وفلسطين وغيرها من البلدان العربية<sup>142</sup>.

بالعودة إلى موضوع محاولات التفاهم العربي- الصهيوني، جاء التطور الآخر بخصوصه في الزيارة التي قام بها الصهيوني سامي هوخبرغ (S. Hochburg)- رئيس تحرير صحيفة جون ترك في الأستانة- إلى القاهرة في نهاية نيسان/أبريل عام 1913، والتقارير الذي رفعه إلى قاداته بخصوصها، وتحدث فيه عن الوعي للصهيونية وكيفية التعامل معها من قبل العرب، فذكر بأن الجمعيات العربية لم تحدد موقفها بعد، وأن حماسة بعضهم للصهيونية، وافقه بعضهم الآخر بتحفظ، في حين أن هناك آخرين يكونون العداء للصهيونية، بينما الأكثر حماسة لها هم المسيحيون السوريون، وختم تقريره بتأكيد أنه من بين عشرين شخصاً، هناك اثنان معارضان بسبب الهدف السري للصهيونية، وحجتها الأقوى دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين هذه الكتل العربية المتراسة التي تستمد قوتها من وحدة اللغة والعادات<sup>143</sup>.

لا يمكن التسليم بصحة ما جاء في هذا التقرير، فهو يجانب الحقيقة في كثير من تفاصيله:

1- لا يمكن الأخذ بموضوعية كاتب التقرير، ولا سيما أنه كان يروج لفكرة محددة لدى رؤسائه، ألا وهي إمكانية التفاهم مع زعماء الحركة العربية، والتوصل معهم إلى اتفاق بهذا الخصوص.

2- إن النسبة التي وردت في التقرير لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون صحيحة، وهي أن إثنين من أصل عشرين يعارضون الصهيونية لهدفها السري: فهل البقية من زعماء الحركة العربية الذين اتصل بهم هو خبرغ كانوا جاهلين حقيقة الصهيونية؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فكيف يمكن تفسير مواقف هؤلاء السابقة، والتي تتم عن فهم واضح لحقيقة الصهيونية، وخير مثال على ذلك كتابات محمد رشيد رضا ورفيق العظم وشكري العسلي وغيرهم كثر؟

3- لم يشر التقرير من قريب أو بعيد إلى الظروف التي قادت من اتصل بهم من قادة الحركة العربية إلى القبول بفكرة التفاهم مع الصهيونية، والتغاضي عن حقيقتها.

4- على الرغم من محاولة التقليل من أهمية النسبة المعارضة للصهيونية ودوافعهم، من بين من التفاهم، إلا أن السبب الذي قدمه لهذه المعارضة - إضافة إلى الهدف السري للصهيونية وتجريدهم الفلاحين أراضيهم - هو شعورهم بأن الصهيونية حركة فكرية استيطانية تشكل خطراً وتتافراً مع القومية العربية، ولعل هذا أعلى درجات الوعي لفهم الصهيونية وأفكارها.

5- في حديثه عن حماسة المسيحيين السوريين الشديد للصهيونية، فما نسبة هؤلاء إذا ما أخذنا بعين الاعتبار - ما أشار إليه التقرير ذاته - من أن بعضهم يتحفظ تجاه المهاجرة وشراء الأراضي؟ إذاً، هم يعارضون ويتحفظون على ما يمكن اعتباره العمود الفقري للمشروع الصهيوني في فلسطين، والمتمثل بركنيين أساسيين هما الهجرة وشراء الأراضي.

ماذا يمكن أن يقال عن موقف بعضهم، الذي شكل جداراً من الرفض، والسعي إلى كشف حقيقة الصهيونية من أمثال نجيب نصار ونجيب عازوري وصاحب صحيفة فلسطين عيسى العيسى، وخليل السكاكيني الذي خاطب وفد مسيحي يافا- الذين جاءوا في 14 آذار/مارس عام 1914 إلى القدس من أجل دعوة المسيحيين لتأييد حزب سياسي للمحافظة على حقوقهم باعتبارهم أقلية في البلاد- بقوله: "إذا كان غرضكم سياسياً، فأنا لا استحسنه لأنني عربي قبل كل شيء، وعندني أن الأفضل أن نؤلف حزباً وطنياً لجمع كلمة أبناء الوطن على اختلاف المذاهب والنحل لتتبيه الشعور الوطني وبث روح جديدة في النفوس، وحينئذ إذا كان المنتخبون لمجلس المبعوثين مسلمين أو مسيحيين فإنهم يشتغلون لما فيه خير الوطن" 144.

كان نجيب نصار ممن عارضوا بشدة الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، فكتب في 13 أيار/مايو عام 1913 رداً على هذه الدعوة، معرفاً الحركة الصهيونية بأنها "حركة سياسية قومية اقتصادية واضحة الأهداف". ويفهم من قوله هذا، أنه يستحيل التقاؤها والقومية العربية. ثم عاد ووجّه رسالة عتب إلى طلاب الإصلاح الساعين للتفاهم مع الصهيونية في 15 تموز/يوليو 1913 قال فيها: "يا طلاب الإصلاح في بيروت ومصر كيف تطلبون للبيت سقفاً، وتغفلون عن وضع أساسه... تطلبون

الإصلاح لبلاد يسعى إلى تملكها اليهود ويتغلغلون فيها، ويقضون على بقاء إخوانكم وأنتم تشاهدون هذا ولا تعارضون، كأنكم لا تعلمون أن ضياع فلسطين يقضي على أمالكم، فكيف توفقون بين حياتكم الإصلاحية، وسكوتكم عما يهدد كيان إخوانكم أو بالحري ملككم؟“ 145.

حاول نصار أن يعلل أسباب رفضه التفاهم، بإثارة التساؤلات التالية: “إلى الذين يقولون إن الصهيونيين قرروا أن يتفقوا مع العرب ليعيشوا معهم باتفاق، وكأخوة تحت راية الهلال، كيف يوفقون بين هذه الأقوال وأقوال كتبهم، مثل هرتزل ونوردو وزانغويل وأورباخ؟ بل كيف يوفقون بين أقوالهم التمييزية وأعمالهم؟“ 146.

كما وجه نصار رسالة في 4 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 إلى رئيس “المنتدى الأدبي” عبد الكريم الخليل، حذره فيها من التعامل مع الصهاينة، وهي تتم عن وعي حقيقتهم وأساليبهم وإدراكها، فقال: “حاذر أن تسقط من شأق، إننا نعتقد بأنه لا يوجد يهودي (اسخريوطي) 147 بينكم يبيع سيده وبلاده، ولكننا لا نريد أن تحوم حولكم الظنون، ويلقى أعداؤكم فيها أسباباً لإسقاطكم” 148.

حذر عيسى العيسى من التناقض بين ما يصرح به الصهاينة، وبين ما يراه من أفعالهم، والتي لا يمكن أن يدركها إلا من تتبّع أعمالهم، وعاش ولو مدة قصيرة في فلسطين، أما “الفائدة التي يمكن أن يحققها المؤتمر لو عقد تعود على الصهيونيين أكثر منها على الوطنيين، فهم لن يخرجوا قبل أن ينالوا اعترافاً صحيحاً بحقيقة مراكزهم في فلسطين، وأنهم شركاء للوطنيين بمالهم من المصالح، فيكتسبون حقاً شرعياً مع بقائهم على مبادئهم الصهيونية... إنه من العبث أن نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلبونه بمجرد أنهم أرقى منا علمياً واقتصادياً... إن حياة الأمم فوق كل نفع مادي... يغررنا الصهيونيون... فحرية الأهلين مقدّمة عندنا على حرث الأرض وزرعها” 149.

أما محمد المحمصاني، فكانت له وجهة نظر في الاتفاق، إذ رأى “أنه من العبث أن نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلبونه بمجرد أنهم أرقى منا علمياً واقتصادياً” 150. ويلاحظ أن تركيز العيسى والمحصاني على هذه المسألة جاء رداً على أولئك الذين برروا سعيهم إلى التفاهم مع الصهيونية للاستفادة من تقدمهم العلمي والتقني والمادي.

انعقد المؤتمر العربي في باريس 151 من 18-23 حزيران/يونيو عام 1913، واشتمل على أربعة محاور هي: الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال، حقوق العرب في السلطنة العثمانية، الإصلاح على قاعدة اللامركزية، المهاجرة من وإلى سورية. أما أهم قراراته، فنتمثلت بالمطالبة بإصلاحات حقيقية، ومنح العرب حقوقهم السياسية، من المشاركة في الإدارة المركزية للمملكة، وضرورة إنشاء إدارة لا مركزية في كل ولاية، واعتماد اللغة العربية في مجلس النواب العثماني، وأن تكون لغة رسمية في الولايات العربية 152.

انعكست وجهات النظر بخصوص الصهيونية سلباً على مناقشة موضوعها والوعي لخطرهما، خلال انعقاد المؤتمر العربي، إذ أضعفت رغبة قادة الحركة العربية الداعين إلى فكرة التفاهم مع الصهيونية، الفرصة العربية الأولى التي كان من الممكن من خلالها اتخاذ خطوات تكاد تكون مفصلية في تاريخ العلاقات العربية - الصهيونية المستقبلية، فهلامية طرح الموضوع، وموقف هؤلاء، منح الصهاينة فرصة الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من طبيعة الظروف المحلية والدولية التي كانت تعيشها المنطقة، وتجبر ذلك لصالح مشروعهم.

من أبرز النتائج التي ترتبت على المؤتمر العربي هو أنه شكّل نقطة تحول في العلاقات العربية- الفلسطينية، وشكّل خيبة أمل لدى الفلسطينيين بزعماء الحركة العربية من إصلاحيين ولا مركزيين، وذلك لفشلهم في مناقشة قضيتهم المصيرية؛ إذ لم تجد مناشدات الفلسطينيين آذاناً صاغية لانشغال القائمين بأمر الحركة آنذاك بهمومهم مع السلطات التركية، ورهانهم على جمعية الاتحاد والترقي لإنصافهم، في وقت كانت فيه هذه الجمعية على علاقة لا تخفى على أحد بالحركة الصهيونية، وما كان الفلسطينيون بقادرين على تجاهل الخطر المحدق بهم، فدعت صحيفة الكرمل إلى ضرورة العمل من دون انتظار العون الخارجي، فقالت بهذا الصدد: "فلا يمكن أن نستشعر العرب بحقيقة الخطر الصهيوني ما داموا لا يعانون ويلاتنه، وما دامت أعينهم متجهة نحو تحقيق إصلاحات سياسية واجتماعية في إطار الحكم العثماني، بينما فلسطين تباع عروبتها شبراً شبراً، ويشرد فلاحوها، فعلياً أن نطلب الحياة من طريقها الصحيح، لا أن نقول للغير أرحمونا وادفعوا عنا البلاء، ولا للطامعين فينا أشفقوا علينا، فهذه أقوال ليس لها وجود في قاموس تنازع البقاء" 153.

من نتائج المؤتمر العربي أيضاً ترسخ القناعة لدى الفلسطينيين بضرورة العمل منفردين، للدفاع عن بلادهم، لذا حاول مناهضون للصهيونية من حيفا ويافا عقد مؤتمر في نابلس بهدف تنظيم النضال ضد الصهيونية 154، ولبي زعماء نابلس الدعوة، وانعقد المؤتمر في آب/أغسطس عام 1913، وقد أشاد نجيب نصار بالمؤتمريين وأثنى على وطنيتهم، وأعرب عن استغرابه من زعماء القدس الذين لم يشاركوا في المؤتمر المذكور، وعن شعوره بخيبة أمل كبيرة بعد خمس سنوات من حملات التوعية التي قام بها، فقال: "ونحن ننبههم إلى خطر الصهيونية العظيم، وهم لا يسمعون ولا يعون. هل هم لاهون في إشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحيط بهم من الأخطار؟ دعوناهم إلى تأليف مؤتمر لاصهيوني، ما سمعنا بدعوتنا إلا أصداء قومية ضعيفة، وأشبهه بأنات العليل" 156.

تجددت الدعوة إلى عقد مؤتمر فلسطيني رداً على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر المنعقد في فينا في أيلول/سبتمبر 1913، وكتب نجيب نصار، "ما لنا وللبيروتيين، نحن الفلسطينيون على شفا جرف، فالخطر السياسي الاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب، والأمة التي تنازعنا البقاء في وطننا، برهنت على كونها أمة قوية تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها" 157.

وكانت صحيفة البيان قد تناولت في 9 أيلول/سبتمبر عام 1913 تفاصيل المؤتمر الصهيوني وعدد الحضور، وهوياتهم وأبرز الموضوعات التي ناقشها، ومن بينها

نفي التهمة عن الجمعية التي وجهتها إليها صحيفة التايمز اللندنية، بأنها تعمل على تعزيز الوجود الألماني في فلسطين، حيث رد أحد المنوبين هذه التهمة " بأنه ليس للجمعية غاية غير تنشيط المصالح الإسرائيلية في فلسطين"158.

بعد انعقاد المؤتمر العربي، استمرت محاولات عقد مؤتمر عربي - صهيوني، فقدم عبد الحميد الزهراوي تصوراً جديداً في 26 تموز/يوليو عام 1913 لهذا الأمر، بقوله: "نحن جميعاً مسلمون ومسيحيون ومعمون بالعواطف الطيبة تجاه الإسرائيليين، نعتبرهم جميعاً سوريين اضطروا في سابق العصر إلى مغادرة بلادهم، ولكن قلبهم يدق في إيقاع واحد مع قلبنا، ونحن على ثقة أيضاً من أن أخوتنا الإسرائيليين في العالم أجمع سوف يمدون لنا يد المساعدة لنصرة قضيتنا، بنفس القدر الذي يساعدوننا به لرفي بلدنا المشترك مادياً ومعنوياً"159.

إن الاستيطان الصهيوني والهجرة وشراء الأراضي وطرد الفلاحين، من وجهة نظر الزهراوي، هو مساعدة للرفي بالبلاد، والأصل في المساعدة أن يكون هناك طرفان يقومان بالعمل ذاته، وما كان يحدث في حقيقة الأمر، هو أن من يعمل وينجز ويرقى هم الصهاينة، في حين كان الجانب الآخر (العربي) ينتظر المساعدة من الآخرين.

عن هذه المحاولات، يتحدث أسعد داغر في مذكراته، تحت عنوان "كيف عرفت الصهيونية"، حيث يورد تفاصيل الاتصال الصهيوني بالقوميين العرب بعد انعقاد المؤتمر العربي، فيقول: "في ذات يوم دخل مدير جريدة جون ترك- وهو يهودي- مكنتي على غير انتظار وحياني تحية أثارت دهشتي، وأخذ في الثناء علي والتحدث عن كفايتي ومواهي، وقال: "أحمل إليك تحية صديق كبير من مواطنيك يريد الاجتماع بك، وعند السؤال عنه، أجاب بأنه أحد كبار السياسة والمال واسمه د. جاكبسون، وعندما قلت إنني لم أسمع بهذا الاسم قبل الآن، أجاب إنه رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية، ومدير بنك أنجلو- بالستين (البنك الأنجلو-فلسطيني)، وقد عرفه بك زميلنا القديم المسيو سافير160، وذهبت إلى عزيز علي ونجيب شقير وأخبرتتهما بما حدث وسألتهما رأيهما فيه، فأشارا عليّ بمقابلة هذا الرجل (هما لا يعرفانه أيضاً)، واجتمعت به في اليوم التالي فأخذ يسألني عما أعرفه عن رجال العرب، ثم تطور الحديث إلى قضية فلسطين وما يمكن عمله للتوفيق بين العرب واليهود، وهما أبناء عمومة، ثم أخذ يعدد الفوائد التي يمكن أن يجنيها كل فريق من الآخر، وانتهى الدكتور جاكبسون من كلامه، وأنا صامت، واستأنفه بعد دقيقة فقال: إنه يريد التعرف إلى رجال العرب من طريقي، ثم خص عزيز علي بالذكر. وتكلمت مع عزيز في الموضوع، وتلقيت تعليماته، وأرسلت إلى رفيق العظم رئيس الجمعية اللامركزية بمصر أطلعه على خبر الدكتور جاكبسون، فأرسل إلي رسالة بين فيها وجهة نظره وملاحظاته على ما دونته في رسالتي إليه. وكان الدكتور جاكبسون قد عرض عدة اقتراحات منها:

أ- إن العرب واليهود جنس واحد، ولكل منهما مزايا متممة للآخر؛ فعند اليهود علم ومال ونفوذ، وعند العرب بلاد واسعة وقوى هائلة وكنوز أدبية ومادية لا تتضب، فالتوفيق بينهما يكون لخيرهما وخير الشرق كله.

ب- يستقبل العرب اليهود في البلاد العربية كإخوان لهم على أن يتجنس اليهود بالجنسية العثمانية، وأن لا تكون فلسطين خاصة بهم.

ج- في مقابل ذلك، يتعهد اليهود بوضع قواهم الأدبية والمادية في خدمة القضية العربية، ويؤازرون الأحزاب العربية، ويضعون تحت تصرفها ثلاثة ملايين من الجنيهات.

د- يعقد مؤتمر عربي- يهودي في مصر أثناء عودة نواب سورية والعراق من اسطنبول إلى بلادهم 161.

طلب الدكتور أن أقدمه إلى بعض نواب فلسطين، فقلت له: ليس ثمة نواب فلسطينيون، بل هناك نواب عرب فقط، فابتسم.. واستعرضت في ذهني أسماء النواب العرب لاختيار أحدهم، لأعرفه بالدكتور، وتذكرت أن لي زميلاً في الدراسة كان يحدثني كثيراً عن علم أخيه بالنائب وكفاءته فذهبت معه إليه، وقلت له: إنني أريد أن أعرفه بسياسي أجنبي كبير، ففكر ملياً ثم قال: إنه سيذهب إلى البوسفور للاستراحة هذا الأسبوع، وإنه في الأسبوع القادم منهمك بأمور خطيرة، أما الأسبوع الثالث فكله مواعيد لأصحاب أعمال، ثم قال: فإذا مررت عليّ في الأسبوع الرابع فقد أستطيع أن أحدد موعداً لهذا الاجتماع، ولم يكن لي أن أناقشه، فقامت مستأذناً بالخروج، وسألني حينئذ عن اسم هذا السياسي الأجنبي الكبير، فقلت له اسمه الدكتور جاكبسون، وما إن سمع هذا الاسم حتى انتفض قائلاً: أليس هو مدير بنك "الأنجلو- بالسيتين"، فأجبتُه بأنني لا أعلم، ولم يمهلني النائب ريثما اتفق مع الدكتور جاكبسون على موعد يأتي هو فيه لزيارته، بل صمم على الذهاب فوراً، حاولت أن أثنيه عن عزمه، ولكنه أكد أن الدكتور صديقه وليس بينهما مواعيد، ثم تناول طربوشه وهرول ورائي لمقابلة الزعيم الصهيوني، ولم يكن الدكتور ينتظرنا ولكن سر بقدمنا، وقد بدأ صديقي الحديث معه بقوله: إن مسألة فلسطين بسيطة لا تحتاج إلا إلى مبلغ ستة آلاف جنيه، توزع على بعض أفراد من العرب، ثم أعقب ذلك بأنه يكفل حل المسألة بهذه الطريقة السهلة، وسمعت هذا الكلام فطار صوابي، ولجأت إلى شجاعتني للخروج من هذا المأزق، فالتفتت إلى الدكتور جاكبسون، وقلت: "معذرة يا حضرة الدكتور لأنني لم أعرف صديقي بك معرفة كافية، فظن أنك من صنائع الاتحاديين، ولم يشأ أن يكون صريحاً معك مخافة أن يبلغهم حديثه فينتقموا منه، ثم انطلقت في الكلام فلم أترك لصديقي النائب أي مجال لإتمام المساومة التي بدأها أمامي، وكان علي أن أمحو من ذهن الدكتور ما علق به من كلام النائب، فسعيت إلى عقد اجتماع دعي إليه الدكتور ونواب العرب وبعض رجال الجمعية الإصلاحية ببيروت، وكانوا عاندين حينئذ من باريس، فقر قرارهم على أن يعقد مؤتمر في القاهرة يحضره نواب سورية وفلسطين والعراق والحجاز مع بعض زعماء اليهود للنظر في الاقتراحات المتقدم ذكرها، وذلك في أثناء عودة النواب العرب إلى بلادهم" 162.

وفي حديث داغر السابق، عدد من النقاط لا بد من الوقوف عليها، وتقنيدها: فقد حدد أولاً معرفته بالصهيونية بعام 1914، وهو في قوله هذا، على الرغم من أنه حاول أن يجنب نفسه أي لوم مستقبلي بالنسبة إلى هذا الموضوع، أدان نفسه من خلال



إظهار جهله بالصهيونية، في الوقت الذي كانت فيه تصول وتجول، وأثارها على أرض فلسطين، ومدار بحث في الصحف العربية الصادرة آنذاك، وقبل ذلك التوقيت بوقت طويل. وثانياً: ذكر أن وسيط جاكبسون هو اليهودي سافير، وكان داغر قد عرف به قبل ذلك بقوله: "وكان بين زملائي في جريدة جون ترك شاب يهودي اسمه سافير، ولد في فلسطين، وقد سبق لي أن رأيته مراراً في المنتدى الأدبي، وفي كلية الحقوق، فتعارفنا وتصادقنا". وهنا التساؤل الذي يطوف بالبال: هل من الممكن أن سافير هذا طوال معرفته بداغر لم يحدثه عن الصهيونية، وهما يعملان في صحيفة تدار وتصدر بأموال صهيونية؟ إذا لم يحدث ذلك، فكيف كان سافير الوسيط للدكتور جاكبسون، أحد أشهر زعماء الصهيونية في تلك المرحلة؟

لم يكتفِ داغر بإنكار معرفته بالصهيونية، بل أنكر معرفة كل من عزيز علي المصري ونجيب شقير بها، فإن كان ما ذكره صحيحاً فهو مصيبة، بأن يكون أقطاب الحركة العربية جاهلين بالصهيونية والخطر الذي تشكله على القومية العربية، وإن كان أراد في قوله هذا التضليل والمراوغة، فالمصيبة أعظم، لأنه بذلك يستغفل القارئ لهذه المذكرات، ويفقده الثقة والمصداقية في كل ما كتبه في مذكراته.

ممن استمر في تأييده فكرة التفاهم مع الصهيونية محمد رشيد رضا، مناقضاً بذلك نفسه ومواقفه السابقة، ويتضح ذلك من خلال كتاباته في تلك المرحلة؛ ففي مقال بعنوان "المسألتان الشرقية والصهيونية" في آذار/مارس عام 1914 أبدى إعجابه باليهود، وأكد على أن الغاية من مقدمته هي "تذكير الذين أكثروا القول في مسألة الصهيونية من كتاب العرب، ما فتنوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها. لذا يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين: إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن - وهو ممكن قريب إذا دخلوا عليه من بابه، وطلبوه بأسبابه -، وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة، وأولها تأليف الجمعيات والشركات، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما تحدث به بعضهم على أن يكون أول ما يعمل، وإنما هو الكي- والكي آخر العلاج كما يقال" 163.

أظهر رشيد رضا في مقاله هذه وعياً وتحليلاً لحقيقة الظروف الدولية والتنافس بين الدول الكبرى، ووعي الصهيونية لمثل هذه الظروف، واستثمار ذلك لصالح مخططاتها وبرامجها، لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن موقف العرب، وليغتنم الفرصة ليروج لفكرة التفاهم مع الصهيونية، وقد أشار إلى ذلك صراحة، بل وزينه بحيث جعله هو الحل المتاح أكثر من غيره، في حين عارض بدبلوماسية، أو بطريقة غير مباشرة اللجوء إلى الأساليب الأخرى التي يدعو إليها بعضهم، والتي هي عملياً مطابقة لتلك الأساليب التي اتبعتها الصهيونية ونجحت فيها، والمتمثلة بتأليف الجمعيات والشركات والرد المسلح من خلال تأليف العصابات المسلحة، وهي بالنسبة إلى رضا في صعوبتها، كالم الكي الذي هو آخر مراحل العلاج.

نشرت صحيفة المقطم في أيار/مايو عام 1914 مقالاً لشبلي الشميل تحت عنوان "عمرو واستعمروا، فالأرض ميراث المجتهدين" عرض فيه تصوره للصهيونية،

فهم "ليسوا دخلاء غرباء يعملون على سلب الأرض، بل هي ميراث المجتهد الذي يتمكن من استغلالها خير استغلال" 164.

انتهت محاولات التفاهم وعقد مؤتمر مشترك بين الطرفين باء بالفشل، وقد اختلفت الأسباب الكامنة وراء هذا الفشل، أهمها أن الصهاينة لم تكن لديهم النية الصادقة في الاستمرار في هذا الاتجاه، وأن هذه الدعوة بالنسبة إليهم تكتيكية، كان الهدف منها إعاقة أي محاولة تقاهم وتقارب بين الحركة العربية والاتحاديين، وكذلك كسب الوقت لإعداد العدة للمرحلة المقبلة، وأخيراً التعرف عن كثب إلى ما لدى قادة الحركة العربية، ومعرفة مستوى المطالب لديهم، وجدية عدائهم للصهيونية، وقد اعتبر الصهاينة عدم طرح المؤتمر العربي أو تعرضه لأهداف حركتهم وأفكارها، نصراً كبيراً لهم.

أكد أسعد داغر على أن قرار إنهاء المفاوضات جاء من جانب الصهاينة، فيقول: "بعد أن اشتدت الحالة الأوروبية على إثر مقتل ولي عهد النمسا، اجتمع بي الدكتور (جاكسون) للمرة الأخيرة، وقال لي: "لم يبقَ فائدة من مباحثاتنا لأن الحرب- وقد أصبح لا مفر منها- ستقلب كل شيء رأساً على عقب، ولنعتبر كل ما جرى بيننا الآن كأنه لم يكن" 165.

أدى فشل الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، إلى شطط الأخيرة في تطبيق مشروعها في فلسطين، وفي الترويج له، وكسب المؤيدين كالاتحاديين والدول الغربية، في حين أن الأوساط العربية والجمعيات والأحزاب كانت حتى ذلك الوقت قاصرة عن ترجمة وعيها وفهمها الصهيونية بصورة عملية تؤثر في سير المشروع الصهيوني وتسارعه باتجاه الهدف المنشود.

من النتائج التي أسفر عنها فشل محاولات التفاهم مع الصهيونية أيضاً، هو عودة أصحاب هذه الدعوة من قادة الحركة العربية إلى مواقفهم السابقة منها، فرفيق العظم بقي حتى نيسان/أبريل عام 1914 يشكك في المخاطر السياسية للفكرة الصهيونية، مستكراً رفضها المطالب العربية المتمثلة باندماج اليهود في الوطنية السورية، والتجنس بالعثمانية، وفتح مدارسهم لأبناء العرب، وتدریس اللغة العربية إلى جانب العبرية، ومراعاة أحوال أهل البلاد الاقتصادية 166.

إن الأمر الذي يثير الاستغراب هنا والتساؤل - وعلى ضوء فهم العظم هذا للصهيونية، والأخذ بعين الاعتبار أنه من النخبة الثقافية والسياسية العربية آنذاك - هل كان هو وأمثاله من قادة الحركة العربية منفصلين عن واقعهم، وعمّا يحدث في فلسطين؟ أم كانوا في تلك المرحلة تحديداً مدفوعين ومدفعين وراء فكرة واحدة هي التفاهم مع الصهيونية لتشكيل جبهة موحدة معها ضد الاتحاديين وسياستهم المعادية للعرب؟

يلاحظ أنه لم يكن لدى رفيق العظم في طروحاته في ما يتعلق بالصهيونية - خصوصاً عند تشكيل حزب اللامركزية- أي تحفظ في انضمام الإسرائيليين إليه، وقد أكد ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها في 25 آب/أغسطس عام 1913 إلى رئيس أحد الفروع في سورية يطالبه بالسعي إلى إدخال من يأمنون جانبه ويتقنون

بصفاء ضميره من المسيحيين والدروز والإسرائيليين أعضاء في الحزب، والسعي إلى التآليف بين قلوب هؤلاء والطوائف الإسلامية<sup>167</sup>.

إلا أن فشل محاولات التفاهم جددت فناعة العظم بأن القومية العربية والصهيونية خطان مستقيمان لا يمكن أن يلتقيا، وعاد إلى رؤيته السابقة بخصوصها، ففي مقال له في 29 أيار/مايو عام 1914، وتحت عنوان "المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها"، طالب أبناء سورية وفلسطين المسارعة إلى تدبير أمورهم مع الصهيونيين، بعد هجوم ذلك التيار المخيف على بلادهم، إذ إن نوم ساعة عما يحيط بالبلاد يقضي إلى موت العرب من سكان سورية موتاً أبدياً، وإن الإهمال وعدم الأخذ بوسائل عملية لمواجهة هذا الخطر، "فلا أقل من أن يكونوا بعد جيل أو أقل من جيل عبيداً للصهيونيين أو يشرودوا عن موطنهم جميعاً"<sup>168</sup>.

ثم عاد في 30 تموز/يوليو عام 1914 إلى طرح المسألة الصهيونية من زاوية جديدة، وذلك من خلال تصنيفه خطورتها بمستويين: الأول محلي ويتعلق بفلسطين، واهتمام خاص بأهاليها. والثاني عربي، ويرتبط بحل المسألة العربية بعامة<sup>169</sup>.

بعيداً من تداعيات الدعوة إلى التفاهم مع الصهاينة، استمرت حال وعي خطر الفكرة الصهيونية تظهر هنا وهناك، فصحيفة الدليل قدمت في 19 حزيران/يونيو عام 1913 تعليقاً على ما أوردته إحدى الصحف من أن كولومبس مكتشف أمريكا يهودي، أجملت فيه رؤيتها ووعيتها الصهيونية ومقاصدها، جاء فيه: "إذا صح هذا، وجب على إخواننا اليهود أن يلتهموا ما شاعوا من أملاك العالم الجديد، على اعتقاد أنها أرض ميعادهم، ويتركوا لنا أملاك فلسطين التي قد بدأوا باحتلالها والتسلط على الأرض التي ضمت رفات أجدادهم قديماً، وما دامت الأرض التي تقيض عسلاً بكثرة هي في عرف الكثيرين منهم أرض الميعاد، فأمريكا أوفق لهم من كل البلاد"<sup>170</sup>.

يلاحظ من خلال هذا التعليق الذي اتخذ طابع التهكم والسخرية، أن الصحيفة حاولت إلقاء الضوء على ماهية الصهيونية، وأشارت إلى نقطة مهمة جداً، وهي إن الصهاينة وإن كان هدفهم بالدرجة الأولى العودة إلى فلسطين وامتلاكها، إلا أنهم إذا ما وجدوا البديل الأنسب - خصوصاً من الناحية المادية - يمكن أن يحولوا في اتجاه أفكارهم وأهدافهم، ويستبدلوها بالأنسب والأجدي، فوفقاً للصحيفة فإن الأرض التي تقيض عسلاً بكثرة هي أرض ميعادهم بغض النظر عن موقعها وتسميتها.

قدم صاحب مجلة الهلال جرجي زيدان، في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 فهماً جديداً للصهيونية، من خلال تركيزه على الجانب الاجتماعي لها، وقد جاء ذلك عقب رحلة قام بها إلى فلسطين، فقال: "الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الأمة الإسرائيلية أواخر القرن الماضي، وكثر تحدث الناس فيها بالأعوام الأخيرة، وبأنها أحدثت تأثيراً شديداً في أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية، وبأنها مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر أرخيا، وبالرغم من ذلك فهم يتذرعون إلى الاجتماع غالباً بأسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها إلى ما يساعد على ذلك القيام، ولذا، لا بد في هذه الحال من محرك يبعث على النهوض.

وقد بعث اليهود على هذه الحركة أمران: الأول، تمكن الروح المليية في نفوسهم إثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتمدن؛ والثاني مبالغة الأمة النصرانية في امتهان اليهود باسم مقاومة السامية (Antisemitism)، وقد أخذت روح الصهيونية تتمكن في قلوب اليهود، وهم يزدادون تمسكاً بالعنصرية كلما زاد مقاوموهم شدة”171.

عند التدقيق في ما أورده صاحب الهلال، يمكن استخلاص الأمور التالية:

1- في تعريفه الصهيونية اعتبرها حركة اجتماعية اقتصادية عنصرية، وخصوصاً مع ازدياد مقاومتهم.

2- إبراز دور العامل الديني كأساس للحركة الصهيونية، ولكن هذا العامل بالنسبة إليهم، إنما هو مطية للوصول إلى الهدف، وليس هو الهدف بحد ذاته.

3- استفادة الصهيونية من الظروف الدولية على اختلافها.

رأى الشيخ أحمد حسن طيارة، وهو من جماعة الإصلاحيين في بيروت، بأن للفكرة الصهيونية خطراً مزدوجاً، سياسياً واقتصادياً 172.

أما صحيفة المنهل، فكان لها وجهة نظر مغايرة في ما يتعلق بخاطر الفكرة الصهيونية، فأشادت في كانون الثاني/يناير عام 1914 بزيارة الثري اليهودي روتشيلد (Edmond Rothschild) للقدس، وتقديمه التبرعات للجمعيات والمشروعات للأسر الإسرائيلية الفقيرة، والذي بلغ نحو خمسة ملايين فرنك، ثم تقديمه هبة للحرم القدسي الشريف وخدامه بلغت خمسين ليرة، حيث أطنبت الصحيفة في مدح هذه الفتة الكريمة من المحسن الكبير 173.

فالصحيفة لم يستوقفها حجم هذه التبرعات والجهات التي ذهبت إليها، وما هي النشاطات التي تقوم بها هذه الجمعيات، بل انحصر اهتمامها فقط، بما قدمه للحرم الشريف، ولم يدر في خلدنا إن مثل هذا التصرف هو فقط لذر الرمال في العيون.

أما خليل السكاكيني، فقد استناره في 17 شباط/فبراير عام 1914 الاستقبال والاحتفال الذي قوبل به روتشيلد من قبل اليهود، واغتمها فرصة للحديث عن الأمة العربية، وحاجتها إلى رجل مثل روتشيلد لينفق أمواله في سبيل إحيائها. وأضاف “مع ما يستولي علي أحياناً من اليأس في نجاح الأمة العربية، وما أجده من الحطة في انتسابي إليها، فإني لا أستطيع إلا أن أكون وطنياً... لكنني وقفت نفسي على خدمة الأمة العربية، وبذلت وسعي في إنهاضها وإقامة أحوالها لتلحق ببقية الجنسيات” 174.

وفي حديث له مع أحد اليهود الصهاينة في شباط/فبراير عام 1914 حول الحركة الصهيونية وعودة اليهود إلى البلاد، والذي أكد فيه الصهيوني أن “هذه البلاد منذ صارت إلى العرب لعبت بها أيدي الخراب، وخيم فوقها الموت وأصبحت جرداء.. وبأن الأمة اليهودية جعلت لفلسطين تاريخاً جميلاً، فتاريخ اليهود الجميل وحنينهم الدائم إلى هذه البلاد يخولهم الحق في الرجوع إليها، وأما أنتم فليس لكم إلا حق واحد وهو أنكم تسكنون هذه البلاد من أجيال طوال، فليهود حق التاريخ وحق

الحنين، ولكم حق المعيشة"، فرد السكاكيني على هذا الطرح، بقوله: "إذا كانت هذه البلاد مهد روحانياتكم وموطن تاريخكم، فإن للعرب حقاً آخر لا ينكر وهو أنهم نشروا فيها لغتهم وأدبياتهم، فحقكم مات بمرور الزمان، وحقنا حيّ ثابت" 175.

استمرت خلال عام 1914 بعض المحاولات التي ترجمت وعلها خطر الفكرة الصهيونية إلى خطوات عملية تمثلت بتأسيس الجمعيات المقاومة للصهيونية على اختلاف تسمياتها، ويبدو أن مؤسسي هذه الجمعيات، أخذوا الشق الثاني، مما قاله محمد رشيد رضا حول "المسألة العربية والصهيونية" في آذار/مارس عام 1914، بخصوص كيفية التعامل مع أطماع الصهيونية ألا وهو إنشاء الجمعيات، ويبدو أن هذا التوجه لدى العرب دفع بالصهيوني رابين إلى القول إنه "يوجد بين أعضاء منظمين شباب في كل من القدس ويفاا سواء منهم المسلمون أو المسيحيون، من هم على استعداد لمحاربتنا بجميع الوسائل في مختلف أنحاء فلسطين" 176.

في شباط/فبراير عام 1914 تأسست في اسطنبول "جمعية مكافحة الصهيونية" 177.

في تموز/يوليو عام 1914 أسس الأمير علي نجل عبد القادر الجزائري، ونائب رئيس مجلس المبعوثان، جمعية إسلامية لمقاومة التيار الصهيوني 178.

في القاهرة تشكلت في تموز/يوليو 1914 جمعية من الشباب العربي الفلسطيني والسوري باسم "جمعية مقاومة الصهيونية"، وإضافة إلى الفلسفة التي قامت عليها هذه الجمعية والمتمثلة باتباع سياسة التعاضد بين أبناء البلاد العربية عموماً وفلسطين على وجه الخصوص لمواجهة التيار الصهيوني، فقد وزعت منشوراً عرضت فيه تقدم الصهيونية خلال الثلاثين سنة الماضية، كما عرضت برنامج عملها، والذي من أبرز نقاطه مقاومة الصهيونيين بكل الطرائق المشروعة، وتنبيه الرأي العام وتوحيد الأفكار في هذا السبيل 179.

من الجوانب التي ركزت عليها الجمعية أيضاً، والتي تتم عن وعي خطر الصهيونية، وإدراكها أهمية إيجاد وعي عربي ليس فقط بين النخبة السياسية والثقافية، بل بالتركيز بالدرجة الأولى على الفلاحين والمزارعين أيضاً، وذلك لإيمانها بأن هؤلاء هم هدف الصهيونية، وعليهم يعتمد نجاح برنامجها أو فشلها، لذا سعت الجمعية إلى توعية هؤلاء ليتمكنوا من اتقاء أخطارها، ومعرفة أبعاد فكرها ومقاصدها وكشف أساليبها.

قاربت هذه الجمعية في مبدأها ما كانت قد طرحتة جمعية "مكافحة الصهيونية" التي تأسست عام 1913 180، ويبدو أن هذه الجمعية استطاعت أن تحدث فرقاً بدليل ما أشار إليه عنيبي (Anitebi) بأن "جمعية مكافحة الصهيونية" أخذت تكسب الأنظار، وتتحرك نحو مرحلة العمل 181.

في تموز/يوليو عام 1914، تشكل في حيفا "المنتدى الأدبي"، وضم عناصر إسلامية ومسيحية، وكانت غايته المعلنة تنشيط الحركة الوطنية. أما الهدف السري

له، فهو مقاومة الصهيونية. وكان برعاية نجيب نصار الذي أسس في بيروت جمعية "الشبيبة النابلسية"، وضمت مئة شاب من نابلس 182.

كما ظهرت في القدس في حزيران/يونيو عام 1914 أربع مؤسسات وطنية اختلفت في تسمياتها وتخصصاتها، والتقت في هدفها ألا وهو الوقوف في وجه الصهيونية، ومن هذه المؤسسات "الجمعية الخيرية الإسلامية"، و"جمعية الإخاء"، و"شركة التجارة الوطنية الاقتصادية" 183.

استمرت الصحف في فلسطين وخارجها في موقفها من حيث وعي أبعاد الصهيونية وخطورتها؛ فصحيفة فلسطين التي حاولت فضح التواطؤ الحكومي مع الصهيونية في تنفيذ برنامجها، وهو الأمر الذي استحقت عليه التعطيل في 2 نيسان/أبريل عام 1914، وكانت التهمة نشر الصحيفة ما يدعو إلى التفرقة بين فئات الشعب، فردت الأخيرة على هذا الإغلاق بإصدار منشور إلى قرائها في نهاية شهر نيسان/أبريل، يعبر - وفق شهادة نائب القنصل البريطاني في يافا، والقنصل البريطاني في القدس - "بصدق عن العداء المتصاعد في أوساط العرب للصهيونية" 184.

يلاحظ أن المنشور جاء متأثراً بالحدث الآني وهو إغلاق الصحيفة، ففقد شيئاً من موضوعيته، وذلك عند وصفه العلاقة بين اليهود والسكان المحليين بالانسجام، في حين أن عرض الأوضاع والظروف السائدة في تلك المرحلة تناقض ذلك، فقد كان هناك تدهور في العلاقة بين الجانبين، منذ مدة سابقة لذاك التاريخ، كما أن الإشارة إلى التحول الجذري في العلاقة والتي عزاها التقرير إلى الصهيونية، والذي تم خلال عشر سنوات، لا يمكن أن يتم بهذه السرعة - خصوصاً أن الحديث عن علاقة تمتد لعقود وأكثر -، لو لم تكن هناك أرضية فكرية وعملية ممهدة لاستقبال أفكار الصهيونية واحتضانها والأخذ بها، بحيث أصبحت سمة المجتمع اليهودي في تعامله مع السكان المحليين.

ومن المؤشرات على تطور الوعي العربي تجاه الصهيونية، أن الجالية الفلسطينية في أمريكا أرسلت إلى رئيس تحرير صحيفة فلسطين قلماً من الذهب، ودواة من الفضة مع لوازمها تقديراً لخدمته ومواقفه التي أدت إلى تعطيل صحيفته 185.

عكس كاتب صحيفة الأهرام إبراهيم سليم النجار، في كتاباته خلال عام 1914 وعياً نوعياً قائماً على اتباع النهج العلمي في ما يقدمه من فهم وأراء وحقائق عن الصهيونية، وذلك من خلال البحث والدراسة وإجراء المقابلات مع مختلف الأطراف والاعتماد على الأرقام، وكذلك الاستشهاد بكتابات بعض اليهود، وينضح ذلك من خلال مقالاته كتلك التي نشرها في 9 نيسان/أبريل عام 1914، بعنوان "الإسرائيليون في فلسطين" 186.

وفي مقال آخر له في الأول من تموز/يوليو بعنوان "الحركة الصهيونية، مراميها ووجه الخلاف فيها"، تناول فيه النجار الصهيونية كحركة سياسية واقتصادية ولغوية تستحق عناية العثمانيين، وخصوصاً أهل فلسطين وسوريا. وقد امتاز نجار بنظرته الشمولية والمستقبلية خلال تناوله المسألة الإسرائيلية والحركة الصهيونية، وخلال تعرضه أيضاً لمستقبل الإسرائيليين في فلسطين 187.

استمرت صحيفة الكرمل في تعزيز وعي القارئ العربي وإثارته لمعركته مع الصهيونية، فخاطبته في 12 حزيران/يونيو عام 1914 بقولها: "إن كل صهيوني وضع نصب عينيه احتلال فلسطين، لذا يجب على كل عربي أن يضع نصب عينه المدافعة عن فلسطين" 188.

عادت صحيفة المؤيد لتكرر تحذيراتها في عام 1914 بخصوص الصهيونية ومحاولتها "جعل أصحاب تلك البلاد أجراء وهم أصحاب السيادة" 189.

ونجد المعنى ذاته يتكرر لدى صحيفة فتى العرب التي أبدت تخوفها من أن "يتحول سكان فلسطين غداً إلى ممالك لا مالكين" 190.

حاولت الصحيفة في أيار/مايو عام 1914 تفنيد ما نشرته صحيفة المقطم للزعيم الصهيوني سوكولوف (Nahum Sokolov)، حيث أكدت أن أهداف الصهيونية تتعارض تماماً مع حقوق الفلسطينيين، مستشهدة بما قاله ماكس نوردو بأنه "أفهم الحكومة العثمانية صراحة أنهم لمجرد كونهم صهيونيين، فإنه لا يمكنهم الاقتران بالأهالي الوطنيين" 191.

كما قامت صحيفة فلسطين بترجمة ما أطلق عليه اسم "البروغرام الصهيوني السياسي"، الذي وضعه "أوشكين" زعيم العاملين الصهيونيين، من أجل الاستيلاء على فلسطين وحددها بثلاث حالات هي: حالة الشعب، ويقصد به الشعب اليهودي، بأن يكون في أعلى درجات الاستعداد، وحالة البلاد بأن تكون ملكاً للأمة اقتصادياً وعقلياً، وحالة الظروف الخارجية ويقصد بها استقطاب الرأي العام الأجنبي 192.

تتضح أهمية ترجمة صحيفة فلسطين لهذا البرنامج من خلال ما أثارته من نقاش في الصحافة العربية، حيث أعادت عدد من الصحف والمجلات العربية نشر البرنامج، ومنها مجلة المنار التي قامت بنشره في أيار/مايو عام 1914، وعلقت عليه بقولها: "لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني إلا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد الصهيونيين، وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها، إن الصهيونيين إذا تم لهم ما يريدون فإنهم لا يبقون في أرض الميعاد التي يؤسسون ملكهم فيها مسلماً ولا نصرانياً، فهذه بلاد عندهم لا يجوز أن يقيم فيها غير الإسرائيليين، نعم إنهم لا يببّدون فيها من غير اليهود بالسيف والنار، كما فعل أسلافهم من قبل، بل يببّدونهم بقوتي الكيد والمال، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول، حتى أن دولة روسية القوية القاهرة أخذت تستميل في هذه الأيام يهود بلادها على قتلهم لئلا يحدثوا فيها أحداثاً وفتناً داخلية تزلزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة أن لا يكون لها شاغل داخلي يشغلها، فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرقهم وجهل السواد الأعظم منهم كنه الخطر وكنه قوة مزاحمهم، وعلى جهلهم أيضاً قوة أنفسهم وطرائق الانتفاع بها، ولا أقول إنه لا يمكن أن يعملوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع، ولا بد من المسارعة إلى تنظيم وسائل الدفاع، وليعلموا أنه لا يكاد يكون شعب من شعوب الأرض غافلاً عن قوته واستعداده كالشعب العربي، فقوته واستعداده كامنان

فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن الحجر الصلد؟ وأين مقذحة الحديد التي تقذح النار من هذا الزند؟، ستجيب عن هذين السؤالين الأيام، فإن الجواب عنهما أحداث وأفعال لا أحاديث ولا كلام”193.

شكلت الانتخابات النيابية عام 1914 مؤشراً آخر على درجة التحول في وعي خطط الصهيونية ومقاصدها، فأصبحت مقاومة الصهيونية في انتخابات نيسان/أبريل عام 1914 في صلب البرامج الانتخابية لعدد من المرشحين في سورية وفلسطين 194. فوعد راغب النشاشيبي “بتكريس قوته كلها ليلاً نهاراً لإزالة الأذى والخطر الذي ينتظرنا على أيدي الصهيوينيين والصهيوينية”195. في حين أكد سعيد الحسيني على أن الصهيونية تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً في آن واحد، وبأن إهمال هذا الخطر يؤدي إلى عواقب وخيمة196. وهو ما لم يؤيده حسين سليم الحسيني الذي أظهر إعجابه بالصهاينة، ودعا إلى التشبه بهم ومحاکاتهم197، فهو لا يرى في الحركة الصهيونية “خطراً على فلسطين، لأنها ليست حركة سياسية، وإنما هي استيطانية، والصهاينة أناس متعلمون وذوو ثقافة، ولا مطامع لديهم، وهم موحدون في ما بينهم، ليس من العدل والإنسانية أن نكره ونعادي هذا الشعب، إلا أنه مع ذلك علينا مراقبتهم بعيون مفتوحة”198.

أما عضو البرلمان السابق أحمد العارف، فقد صرح في منتصف نيسان/أبريل عام 1914 لصحيفة إقدام “بأن المشكلة اليهودية هي حديث الفلسطينيين الوحيد، حيث الجميع مصاب بالخوف والذعر منها، وأن المسألة الصهيونية وإن كانت في الظاهر اقتصادية إلا أنها في الحقيقة سياسية هامة”199.

وفي العدد ذاته، كان للصحيفة لقاء مع فيضي العلمي، الذي حذر من أنه في حال استمرت الأمور في مجراها الحالي، “فسيملك الصهاينة البلاد، ويصبح أهلها غرباء فيها”200.

لكن، على الرغم من زخم تصريحات وبرامج المرشحين الانتخابية والوعد الرنانة، إلا أن أداء المجلس الجديد لم يرق إلى مستوى برامجهم وطريقة تعاملهم مع موضوع الصهيونية، وهو ما أثار سلسلة من الانتقادات من قبل الكثيرين، فصحيفة فتى العرب اتهمت النواب بالخيانة، لأنهم يريدون الحفاظ على مقاصدهم فآثروا الصمت، لخشيتهم من أنه في حال جاهرُوا في معارضتهم الصهيونية أن لا ينالوا النيابة ثانية. وقد جاء هذا الاتهام عقب فشل الصحف الفلسطينية مثل الكرمل وإقدام وفتى العرب في حثها النواب العرب على الاهتمام بالخطر الصهيوني201.

علق أحمد عزت الأعظمي على هذا الدور بقوله: “فليت شعري هل كانت الكفاءة وما إليها من الصفات التي يتفاضل بها الناس موجودة في أولئك، وهل كان النواب العرب يشعرون كما يشعر النواب الروم والأرمن، فيسعون إلى إنهاء أمتهم، كما كان أولئك يسعون صالح شعبيهما، حكى لي من أثق به، وكان عضواً في مجلس النواب العثماني أن جمال باشا بعد أن فرغ من الفتك بزهرة أبناء سورية وسبى النساء والأطفال، قدم الأستانة وزار مجلس النواب فلم يبق في المجلس من نواب



العرب أحد إلا وذهب يرحب به ويسلم عليه، إلا رجلين وهما الأمير عادل أرسلان نائب جبل لبنان، وعبد المحسن السعدون نائب المنتفك<sup>202</sup>.

ممن انتقد هذا الأداء أيضاً أحد نواب فلسطين محمد باشا المخزومي، فقال: "كان أعضاء العرب في مجلس النواب سبعة نواباً (ثلث مجموع أعضاء المجلس تقريباً) منهم اليماني والحجازي والسوري والعراقي والفلسطيني والطرابلسي (طرابلس الغرب)، وكل نائب عن هذه البلاد كما أن له لهجة خاصة ونبرات في كلماته، هكذا له وجهة خاصة وآمال فردية ومنافع ذاتية، لا تتفق مع مجموع نواب العرب إخوانه، بل تتخالف مع رغائب زملائه من البلد الواحد، سبعون نائباً من البلاد العربية لم يتمكنوا من تعيين وال من العرب في ولاياتهم، وما ذلك إلا لتفوق كلمتهم وعدم اتحادهم، وما كان في مجلس النواب من الأرمن سوى ثلاثة أو أربعة عميدهم وخطيبهم زهراب أفندي، وكان هذا الرجل مع قلة أبناء طائفته في المجلس إذا صعد المنبر للخطابة، تشخص إليه أبصار فرقة الأكثرية، وترتعد منه فرائص رؤسائها، بفضل اتحاد كلمة الأرمن خارجاً والتفافهم حول عميدهم زهراب داخل المجلس، وكان للأرمن في الوزارة وزيران وثلاثة مستشارين وعشرات الوظائف الكبيرة المهمة"، وفي حديث لزهراب مع المخزومي، قال له: "أه لو كان لي من النواب سبعون نائباً كما لكم أنتم العرب، لكنت أجعل الباب العالي في منزلي..."<sup>203</sup>.

لم يمنع سوء أداء مجلس النواب بعضهم من الثبات على موقفه في مواجهة الصهيونية؛ فنجيب نصار دعا في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1914 إلى تأليف جامعة عربية فرعية في فلسطين تنبثق عن الجامعة العثمانية، يكون هدفها إنقاذ فلسطين من خطر الصهيونية بتأليف القلوب وجمع الكلمة، وبيان الأضرار التي ستلحق بأهل فلسطين من سيطرة الصهيونية على بلادهم، والأخطار التي تهدد مصالح الدولة العثمانية<sup>204</sup>.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، خبا - نوعاً ما - موضوع مناقشة مسألة الصهيونية بين الأوساط العربية، ولا سيما مع احتجاج الكثير من الصحف العربية عن الصدور، والتي كانت منبراً مهماً لإثارة هذه المسألة، فعلى سبيل المثال قدمت مجلة الهلال في شباط/فبراير عام 1916 عرضاً للصهيونية، التي عرّفها بأنها "الحركة التي قام بها نفر من زعماء اليهود لجمع شتاتهم". وقد جاء عرض المجلة هذا، في معرض تحليلها آثار الحرب العالمية الأولى في تطور المشروع الصهيوني، فقدّمت تصورات المفكرين اليهود الذين رأوا أن هذه الحرب قضت على آمالهم، ولا سيما مع ما رأوه من اضطهاد من الحكام الأتراك، مما أدى إلى هجرة الكثير منهم إلى مصر<sup>205</sup>.

كما لم يفت المجلة في عرضها هذا، الإشادة بمآثر أسرة روتشليد الشهيرة، لردّها لإمبراطور النمسا جميع الأوسمة التي كان قد منحها لأسرته منذ أكثر من قرن، وذلك عقب نشوب الحرب العالمية الأولى<sup>206</sup>.

تباينت مواقف صحف الاغتراب من الصهيونية خلال الحرب، فوفقاً لما أشار إليه أحد التقارير البريطانية في 19 أيلول/سبتمبر عام 1916 "بأن الصحف العربية في

أمريكا أشغلت نفسها بمسألة الظروف المحلية ومستقبل جبل لبنان وسورية، ونادراً ما كانت تتعامل مع قضايا الحدود، وأن السبب الرئيس لعدم تفاعل عرب الولايات المتحدة هو الخوف من الانتقام من جانب الأتراك ضد أقاربهم”207.

ومن الصحف التي استمرت على مواقفها الموالية للصهيونية خلال فترة الحرب صحيفة المقطم، فذكر أحد التقارير البريطانية المؤرخ في 11 شباط/فبراير عام 1917 “أنها من أكثر الصحف انتشاراً وتوزيعاً، وبأنها المساعدة في الدعاية في ما نرغب فيه، فأى مقترح يقدم للمحرر السيد نمر يأخذ به باستمرار”208.

أصبحت المقطم لسان حال اليهود في نشر ما يعزز الوجود الصهيوني في فلسطين، ومنبراً للدفاع عن الصهيونية من خلال بعض الكتاب.

أما صحيفة أفكار فقد علقت في 20 أيار/مايو عام 1916 على مساعي السفير الأمريكي الجديد لدى الباب العالي للحصول على موافقة تشكيل لجنة أمريكية لتوزيع الإعانات على منكوبي سورية ولبنان، بقولها: “ولعل حكومة الباب العالي سحرت عقل هذا السفير الإسرائيلي الجديد، وخلبت لبه بالمواعيد الخالية المعروفة من جعل فلسطين مقاطعة يهودية، أو ما أشبه من تلك المخدرات التركية المعهودة التي كانت الآستانة وما برحت إلى هذه الساعة تستخدمها مع السفراء الإسرائيليين الأمريكيين حتى تتوهم تنويماً مغناطيسياً عميقاً، وبعد ذلك تنفذ سياستها تنفيذاً تاماً، ولو كانت تلك السياسة مضرّة أحياناً ليس بمصالح الرعايا العثمانيين فقط بل بمصالح الأمريكيين أيضاً.. ولا ندري ما السر في تعيين سفراء من اليهود فقط لدى الباب العالي، لكننا نؤكدنا من أمر، أن السفير السابق هنري مورغنتو (Henry Morgan) اضطر إلى الاستقالة بسبب شكاوى الحلفاء منه، وبسبب سخط الأمريكيين الموجودين في تركيا من سياسته الإسرائيلية المضرّة بهم وشدة حقنهم عليه”209.

حاولت الصحيفة كشف الدور الذي اضطلع به السفراء الأمريكيون في الآستانة في خدمة الأفكار والمشروع الصهيوني، فأشارت إلى أن أصحاب الصحف الإسرائيلية في نيويورك، أقاموا وليمة فاخرة للسفير الأمريكي الجديد، خطب فيها عدد من الصحفيين والمحامين والأطباء، مظهرين ما طبع عليه من دماثة أخلاق، ومعلقين عليه الأمل في خدمة الحكومة الأمريكية (وبالحري الملة اليهودية) بإخلاص وتحسين العلاقات بين البلدين، وبالوقت نفسه الاهتمام بالإسرائيليين ومصالحهم. وقد كان الخطاب الذي ألقاه صاحب صحيفة “العبراني الأمريكي” متضمناً خلاصة ما قاله الخطباء، وأبرز ما جاء فيه: “إن المستر ألكوس وإن كان إسرائيلياً، لا يذهب إلى الآستانة لتمثيل الإسرائيليين، وإنما لخدمة الحكومة الأمريكية، ولكن بالوقت نفسه نعلم جيداً أنه لا يدخر وسعاً في مساعدة الإسرائيليين والاهتمام بمصالحهم وإنالهم حقوقهم، إن المستر ألكوس هو السفير الإسرائيلي الثالث في تركيا، فقد سبقه إلى هذه الوظيفة كل من المستر أوسكر ستروس وهنري مورغنتو، وقاما بوظيفتهما حق قيام، ولكن المستر ألكوس سيأتي من الأعمال ما عجز عنه زميلاه السابقان، ولا يدل ذلك على حط من قدرهما، وإنما لأن المستر ألكوس سيذهب إلى عمل وضعت قواعده، أما عبء هذه الوظيفة، فتقيل لا سيما متى كان صاحبها

إسرائيلياً، لأنه فضلاً عن قيامه بما تتطلبه هذه الوظيفة، يجب عليه تمثيل الشعب الإسرائيلي بكده واجتهاده والمحافظة عليه، ولذلك فوق تمنياتنا بنجاح المستر ألكوس، نتمنى أيضاً إتمام أمل كل إسرائيلي، إن الحكومة العثمانية تعامل الإسرائيليين معاملة عادلة، ولكن المستر ألكوس يقدر باستعمال نفوذه وأدبه على تحسين الحالة عما كانت عليه، ويقدر أيضاً على تخفيف الحيف عن الإسرائيليين في أوروبا”210.

أما صحيفة الزهراوي الصادرة في سان باولو في البرازيل، وصاحبها جورج أطلس- وسميت بذلك تيمناً بعبد الحميد الزهراوي- نشرت لأحد الصهاينة البرازيليين في 9 تموز/يوليو عام 1917 مقالاً بعنوان “اليهود يطلبون استرجاع حقهم بعد مرور ألفي سنة”، تحدث فيه عن الأثر الذي تركته الحرب العالمية على المسألة اليهودية، فقال: “إن من نتائج هذه الحرب الضروس ظهور اليهود بجلّة جديدة يطلبون حقوقهم كشعب حي، وللحصول على أمنيتهم بالمعنى العملي ألفوا الجمعيات في كل الأقطار المعمورة، فكرة نيل الاستقلال واسترجاع مملكتهم البائدة”. وقد نقل كاتب المقال ما صرح به مدير المجلة الإسرائيلية في البرازيل، قوله: “لا أظنكم تجهلون مستقبل أبناء فلسطين في اليوم الذي يديرون شؤون بلادهم أنفسهم، ولا سيما القاطنين العواصم الكبرى كبرلين ولوندره ونيويورك، وبأن اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول قرروا أن من الواجب على كل إسرائيلي المطالبة بحقوقه السياسية، والاعتراف له بجنسيته كعبراني، وأن له الحق كغيره من الشعوب بالمطالبة والاستقلال، وبأن هذا ما قرره مؤتمرنا عملياً وشرعياً ولكن من حيث أمانينا، فهي قديمة العهد من نحو ألفي سنة، واليهود موالون للحلفاء لأنهم يدافعون عن الأمم الصغيرة”211.

مما يثير الاستغراب، أن هذه الصحيفة التي تيمّنت بعبد الحميد الزهراوي في تسميتها، ونذرت نفسها لمهاجمة من أقدموا على إعدامه والدفاع عن مبادئه ومواقفه والترويج لها، نقلت مثل هذا المقال بتفاصيله من دون أن تعلق أو تفند ما جاء فيه. ولعل ما جاء في هذا المقال الذي يعكس الفهم الصهيوني للعبة التحالفات الدولية واستثمارها على أكمل وجه، وبالمقارنة مع ما كان عليه الموقف العربي والحركة العربية على اختلاف تسمياتها وتشكيلاتها، يؤكد صحة المقولة أن الفرق يكمن في انطلاق المقاومة العربية من إمبراطورية متهاوية، وتصاعد الصهيونية من إمبريالية صاعدة212؛ إذ على الرغم من أن الشريف حسين تلقى تأكيدات من بريطانيا، أن استيطان اليهود لفلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها213، وأنه أرسل إلى أتباعه مؤكداً أن ثورته قامت انطلاقاً من هذه التأكيدات، إلا أن هذا لا ينفي أن طبيعة المواجهة العربية الصهيونية، عكست قصوراً في الوعي العربي لمواجهة أبعاد الظاهرة الصهيونية ومخططاتها وأفكارها. ولعل نجاح الصهيونية يكمن في كيفية توظيفها فرصة الحرب ومحاولات الاستفادة من الأطراف كافة.

كما تنبه بعض زعماء الصهيونية حتى قبل إصدار وعد بلفور إلى أهمية استغلال فترة الحرب من أجل تجنيد يهود العالم في وحدات يهودية تقاتل في صفوف أعداء الدولة العثمانية، كي تشارك في احتلال فلسطين، وكي تكون نواة جيش يهودي

يرابط فيها بعد انتزاعها من يد العثمانيين 214، فطالب بن غوريون عند اندلاع الحرب بمشاركة وتعاون سياسي وعسكري يهودي مع الإمبراطورية العثمانية، إلا أن جمال باشا رفض عرضه، وردّه وزميله بن تسفي (Yitzhak Ben-Zvi) وعدداً آخر من اليهود 215. كما دعا فلاديمير جابوتتنسكي إلى إنشاء فيلق يهودي كجزء من الجيش البريطاني، وذلك لكي تكون تعبيراً طبيعياً للقومية اليهودية، التي ستركز انتباه العالم على الحركة الصهيونية، وسيعود عليها بالفائدة في مفاوضات السلام عندما تنتهي الحرب 216، فتألفت إحدى الكتائب من يهود أمريكا، والثانية من بريطانيا، والثالثة من يهود نفثهم السلطات العثمانية من فلسطين إلى مصر كونهم رعايا روس 217. بعد رجحان كفة الحلفاء، تركز النشاط الصهيوني في لندن 218.

ومن المحاولات الصهيونية لاستغلال ظروف الحرب لتحويل الأهداف والأفكار إلى واقع وبمباركة وشرعية دولية، الرسالة التي بعث بها الصهيوني "كان" (Kenn) باسم المنظمة الصهيونية، ويشير فيها إلى المسألة اليهودية المتعلقة بفلسطين، وأنها مسألة وجود "أمة مستقلة للشعب اليهودي" ستطرح نفسها، وأنه إذا كانت هناك نية لمنح هذا الشعب الفرصة لإقامة بلد يهودي في وقت لاحق، فمن الضروري أن تعي القوى المختلفة أنهم ثقة (أي الصهاينة)، وأنهم سينفذون دورهم بحذر وفقاً للخطة الموضوعية، وأضاف "نحن مع الرأي بأن الحل النهائي والمقنع للمسألة اليهودية سيكون وسيتم التوصل إليه بتحقيق الأفكار الصهيونية، وسنكون قريبين من الحل إذا ما قبلت قوات الحلفاء الفكرة الصهيونية" 219.

ثم جاء وعد بلفور ليشكل تحولاً إضافياً حيث أعطى مخرجاً لنشاط إسرائيلي عملي وفوري مباشر طالب به بن غوريون من الحزب الأمريكي 220.

في هذا السياق، علّق الزعيم الصهيوني وايزمن على الجهود الصهيونية خلال الحرب أولاً، وعلى وعد بلفور ثانياً، بقوله: "وفي الجملة أعدنا في الفترة بين سنتي 1907 و1914 العدة اللازمة لمواجهة الحرب، وما عسى أن تعود علينا من وعود وعهود، ومن فرصة سانحة لبناء فلسطين من جديد، يهودية لليهود، وبالفعل وجدنا فلسطين حين أخذنا وعدنا وجئنا إليها بعد الحرب لتنفيذ الوعد أساساً يصلح للبناء عليه، وشعرنا أننا لسنا بادئين، وإنما كنا نكمل بناءنا الذي بدأناه.. يزعج لويد جورج أن حكومته قطعت وعد بلفور لليهود مكافأة لي أنا على ما قدمت من خدمات في منصبه كخبير كيميائي، وهذا الذي زعمه لويد جورج غير صحيح، فوعد بلفور لم يقطع كمكافأة لي، ولا ناله بمثل هذه السهولة، وإنما قطع بعد جهود واتصالات ومساعٍ طويلة شاقة" 221.

يعزز قول وايزمن أعلاه، المذكرة التي نظمت في كانون الثاني/يناير عام 1917 من قبل فريق من علماء وفلاسفة وتجار ومحامين يهود، نصّ أحد بنودها على "أن الشعب اليهودي في فلسطين يعني اليهود الموجودين الآن في فلسطين، أو اليهود الذين سيهاجرون إليها في المستقبل، وعلى الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تعترف بهؤلاء اليهود على أنهم الشعب اليهودي، ولهذا الشعب أن يتمتع في فلسطين بكافة حقوقه المدنية والقومية والسياسية" 222.

ويلاحظ أن هذا الحشد الصهيوني، على اختلاف أشكاله، للجهود من أجل تحقيق فكرتهم قبل الحرب العالمية وأثناءها، قابله وعي عربي باهت وضعيف، حيث انشغل العرب بقضايا أخرى على مستوى عالٍ من الأهمية من حيث علاقتها بكيان الأمة العربية واستقلالها، إلا أنهم أغفلوا قضية مهمة، وهي الصهيونية وما تشكله من خطر وتهديد لهذا الاستقلال، وهو ما انعكس بصورة واضحة على النتائج والمكاسب التي حققتها الطرفان بعد الحرب، وذلك على الرغم من أن حليفيهما كان واحداً؛ فحصل الصهاينة على وعد بلفور وعلى نواة لقوة عسكرية، وحصل العرب على التقسيم والانتداب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الثاني

### بدايات الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني، 1897-1917

تشكل الهجرة والاستيطان ضلعا ثالثا للمشروع الصهيوني في فلسطين- إضافة إلى شراء الأراضي-، ففي بدايتهما لم تظهر الروح المعادية لليهود، ولكن مع زيادة الهجرة وتوسع الاستيطان كان الفلسطينيون وغيرهم من العرب- سواء من شهدوا أثر تدفق المهاجرين اليهود، ومحاولات الاستيطان على أراضيهم، أو سمعوا عنها- وجهاً لوجه مع بشاعة الأفكار والأطماع الصهيونية، إذ يعتبر النشاط الاستيطاني من أهم المؤشرات التي توضح اتجاهات الحركة الصهيونية، صوب المناطق التي تنتقل إلى الاستيلاء عليها<sup>223</sup>.

وقد تأثر الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني خلال مرحلة الدراسة بمجموعة من العوامل والمتغيرات، والتي يمكن عرضها وفقاً للمراحل الزمنية التالية:

#### أولاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان 1897-1904

تعود جذور الهجرة اليهودية والاستيطان عموماً إلى عام 1871، وذلك نتيجة تدفق أعداد كبيرة من اليهود الروس إلى الدولة العثمانية عموماً، وفلسطين على وجه الخصوص، في إثر المذابح في روسيا، فأنشأوا مستوطناتهم (بتاح تكفا) على بعد 12 كم من شمال شرق يافا، فكانت أقدم مستوطنة، وضمت ألفي يهودي، في حين أن أول نشاط استيطاني يهودي يعود إلى عام 1854، حيث تملك اليهود أول أرض فلسطينية أقاموا عليها في ما بعد، حي مونتغيموري في بيت المقدس، وجاءت هذه التسمية نسبة إلى الثري اليهودي الذي شجع فكرة استيطان اليهود ونشر التعليم الزراعي بين بني قومه فيها. وفي عام 1856 اشترت أول بيارة برتقال بالقرب من يافا أقيمت عليها عام 1870 مدرسة زراعية (مكفة إسرائيل)، والغرض من تأسيسها بث الروح الزراعية بين اليهود المقيمين في فلسطين<sup>224</sup>. في القدس، بدأ الاستيطان اليهودي خارج أسوارها منذ عام 1860، حيث أنشأت قوميانية (وفقاً للتعبير الذي استخدمه مؤلف القدس العثمانية) مياسفارين ومن جاورها من القوميانيات للسكناج واليهود اليمينيين<sup>225</sup>.

وشهد عام 1881 توافد أعداد كبيرة من اليهود إلى الدولة العثمانية، وتحديداً فلسطين هروباً من الاضطهاد الروسي، وذلك في أعقاب الاعتداءات التي واجهها اليهود بعد حادثة اغتيال القيصر الروسي في صيف ذلك العام، وهو ما عرف بالهجرة الأولى، وجرت خلال الأعوام (1881-1904) وامتازت بعفويتها، وعدم تنظيمها، وقام بها جماعة "أحباء صهيون"<sup>226</sup>.

جاء مؤتمر بال عام 1897 ليأسس الفكر الاستيطاني الصهيوني، فكان من أهم مقرراته تشجيع الاستعمار الاستيطاني لفلسطين من خلال العمال الزراعيين

والصناعيين اليهود على أسس مناسبة 227، وعرض هرتزل في المؤتمر تصوره للآلية التي يجب أن تتم من خلالها الهجرة، فأكد على أن إرسال عشرة آلاف يهودي سنوياً إلى فلسطين لا يمكن أن يؤدي إلى إقامة دولة، نظراً إلى وجود تسعة ملايين يهودي في العالم أو أكثر، وإن عمليات التسرب والهجرة في هذه الحال ستستمر مئات السنين، وأصرّ هرتزل على ضرورة الحصول على موافقة الدولة العثمانية وسلطانها الذي يحارب الهجرة اليهودية، وأضاف بأن "مما لا شك فيه أن الحكومة التركية ستعيد فرض قوانين منع الهجرة رأساً، ولا نستطيع أن نعارض هذه الخطوة أبداً، فمن يعتقد أنّ باستطاعة اليهود التسلل إلى أرض أجدادهم فهو يخدع نفسه، ويخدع الآخرين، كما أن التسلل سيزيد من ثمن الأرض، ويصعب في ما بعد شراؤها" 228.

عارض هرتزل مبدأ التسلل التدريجي لليهود، لأن نهايته ستكون سيئة، وأوضح وجهة نظره بهذه المسألة بقوله إن "التسلل سيستمر إلى اللحظة التي لا يمكن تجنبها، فعندما يشعر السكان المحليون أنهم مهددون، سيجبرون الحكومة على إيقاف أي تدفق جديد لليهود، وبالتالي فإن الهجرة لا جدوى منها ما لم تقم على أساس من هيمنة مضمونة، فجمعية اليهود ستتعامل مع الملاك الحاليين للأرض، وستضع نفسها تحت حماية القوى الأوروبية، فإذا أعلمت السلطان أنها ترغب في الاعتراف بسيادتنا على قطعة من الأرض، فإن الجمعية ستدخل في مفاوضات لتمتلك هذه الأرض" 229.

بلغ عدد اليهود في فلسطين عندما تأسست الحركة الصهيونية عام 1897 حوالي خمسين ألف يهودي، وثمانية عشر مستوطنة يهودية 230، وقد عهدت الحركة الصهيونية إلى جمعية الإيكا بالاستعمار التدريجي 231، وبحلول عام 1899 كانت حركة المهاجرين الروس قد أسست مستوطناتها عبر فلسطين بكاملها، بوساطة هؤلاء الرواد 232. كما شهد هذا العام هجرة أعداد كبيرة من اليهود البلغار 233.

في بداية القرن العشرين، بدأ يهود الأكراج بإنشاء القومانية تجاه باب العامود، مدخل حي المصراة من الجهة اليمنى 234، وارتفع عدد المستوطنات في الريف الفلسطيني- بما فيها مدرسة نيتز الزراعية- إلى 22 مستوطنة، وكانت تضم 5410 يهودي، معظمها في السهل الساحلي بين الكرمل ومصر، حيث كان هناك 12 مستوطنة، وفي الجليل سبع مستوطنات، وفي القدس اثنتان، وفي الأغوار واحدة 235.

كانت صحيفة البشير قد أشارت في آذار/مارس 1900 إلى أن البارون روتشيلد تخلى عن جميع الأملاك والقرى التي اقتناها في فلسطين لجمعية خيرية إسرائيلية في باريس، بحيث أصبحت زمارين والجاعونة وزبيد وسائر القرى التي عمروها لإسكان اليهود المختصة بتلك الجمعية 236. يبدو أن قرار روتشيلد هذا، جاء نتيجة الأوضاع السيئة التي لاحظها في المستعمرات عندما قام بزيارة فلسطين عام 1899، حيث اطلع على أحوال المستعمرات فيها، وشكك في أنها ستقام سريعاً 237.

بدأت هذه الجمعية عهداً جديداً عام 1901 بتوسيع النشاط الصهيوني هناك، فمنحت القروض الزراعية لكل من يذهب إلى فلسطين من يهود العالم، وبعثت بالمهندسين والخبراء الزراعيين إلى فلسطين لاستصلاح الأراضي وتحسين الزراعة وإنشاء القرى النموذجية. في الوقت ذاته، كانت جمعية "أحباء صهيون"، المنظمة اليهودية الصهيونية تتابع جهودها لشراء الأراضي الفلسطينية وتوطين اليهود فيها، وإنشاء المستوطنات اليهودية الزراعية، وتقديم المساعدات المادية للفلاحين اليهود وبناء المساكن الشعبية لهم 238. ونجحت شركة إيكاف في إقامة ثمانية مستوطنات خلال أربع سنوات، وامتلاك ما يقارب 151 دونماً 239.

عارضت الحكومة العثمانية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وذلك لعدم رغبتها في إثارة مشاكل قومية أخرى، ولكي لا يكون لديها مزيد من الأوروبيين بامتيازات خاصة، تحت سيطرة المقيمين في جزء حيوي ومهم من الإمبراطورية، لذا أعلنت موقفها هذا مسبقاً قبل تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام 1881. كما رفضت جميع الطروحات التي قدمها هرتزل للسلطان والباب العالي أثناء مفاوضاته في الأستانة عام 1896240.

وقد دفع الطلب الذي تقدم به أحبار القدس عام 1901 بالسماح لهم بتأليف نواة للجيش اليهودي، مقابل دفع مليون ليرة ذهباً عثمانياً كدفعة أولى لهذا الجيش، بالسلطان عبد الحميد الثاني لإصدار أوامره للوالي لموافاته بتقرير عن النشاط اليهودي في فلسطين، فهاله ما قرأه، فقرر إيقاف الهجرة اليهودية، وأصدر قانون الجواز الأحمر 241.

لم تتجح الأوامر المتعاقبة من الباب العالي بعد عام 1897 بمنع اليهود من الاستيطان في فلسطين 242؛ فإجراءات الحكومة العثمانية كانت علاجية وليست وقائية، والقيود الإدارية التي فرضتها على دخول يهود أوروبا إلى فلسطين، جاءت في إثر ازدياد الهجرة اليهودية من روسيا عام 1881 243.

بعد ذلك، تلاحقت القرارات والأوامر الحكومية، فأصدر السلطان في حزيران/يونيو عام 1898 قوانين جديدة تتضمن عدم السماح لليهودي الأجنبي بزيارة الأراضي المقدسة، إلا بداعي الزيارة الدينية، على أن يدفع تأميناً مالياً أثناء دخوله البلاد، والتعهد بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوماً 244. وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1900 أصدر فرماناً أكد سابقه، فثار اليهود عليه 245، واضطر السلطان تحت الضغط أن يقابل هرتزل عام 1901246. وقد علق السلطان عبد الحميد الثاني على هذه المقابلة، وعلى طلب هرتزل موافقته على الهجرة والاستيطان اليهودي، بقوله: " لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا أكثر الدول الأوروبية تحبذ هجرتهم إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيراً، ولكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا قدراتها خلال وقت قصير، وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم، لن نستطيع رئيس الصهاينة "هرتزل" أن يقنعني بأفكاره" 247.



ممن كان له دور في التأثير في موقف السلطان عبد الحميد الثاني الراض للهجرة اليهودية والاستيطان، الوزير العربي عزت باشا العابد، وهو أمر أكده أبو الضيا توفيق في مقال له بعنوان "الصهيونية ومقاصدها"، نشرته صحيفة تصوير أفكار في حزيران/يونيو عام 1911، فقال: "بعد أن كاد الصهاينة أن ينجحوا في إدخال جمع غفير من المهاجرين، تدخل عزت باشا لحكمة نجلها، ولولا ذلك لكانت فلسطين ذهبت منذ أمد بعيد من أيدي العرب" 248.

يؤكد هذا القول روجي الخالدي في كتابه السيونزم، إذ يعلق على المقطع الخاص بمقابلة السلطان العثماني لهرتزل، فيقول: "استعمل جميع بلاغته وفصاحته لإقناع رجال المابيين (قصر السلطان) السذج. وأمام إغراء المال والذهب كاد يتم الأمر لهرتسل، لو لم يتدخل بالأمر عزت باشا العابد المشهور عند الأتراك بعرب عزت، ويخيف السلطان عبد الحميد من إقدامه على إعطاء امتياز للصهيونيين، فأحجم السلطان عن ذلك خوفاً" 249.

إن الشعور بحقيقة خطر الهجرة وما ترتب عليها من توسع للاستيطان الصهيوني وتكريس له، لم يكن قد تبلور بعد خلال تلك المرحلة، ويبرر بعضهم ذلك بتأكيد أنه لم يكن لدى المستوطنين الأوائل النوايا السيئة في الاستيلاء على فلسطين أو اعتناق الأفكار الصهيونية من قبلهم، والدليل على ذلك، توجه بعض أصحاب المزارع اليهود نحو تشغيل المزارعين العرب وعدم تشغيل المزارعين اليهود، كون المزارعين العرب أقل كلفة وأكثر خبرة 250، وبأن الاستيطان الزراعي المتواضع لم يبرز كظاهرة ذات دلالات خاصة عند أغلبية أهالي البلد؛ فسكان المستعمرات الزراعية كانوا يشكلون حينذاك أقل من 10 بالمئة من الأقلية اليهودية في فلسطين، لذا لم يختلف موقفهم منه من الموقف السلبي اللامبالي من الاستيطان الألماني 251.

لذا، اتسمت العلاقات العربية - اليهودية في تلك المرحلة بالودية؛ فأغلبية أهالي فلسطين لم يشعروا بتهديد حقيقي لمصالحهم المستقبلية، ولا سيما أن معظم اليهود الذين جاءوا إلى فلسطين اتجهوا إلى المدن كالقدس وصفد وطبرية والخليل، وكذلك المدن الساحلية، وخصوصاً يافا وحيفاً 252. وكان هناك نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ بين الجانبين؛ إذ استفاد أصحاب الدور والمتاجر الفلسطينيون من زيادة الدخل الناجمة عن قدوم المهاجرين اليهود 253. مما يدل على الاستفادة التي حققها الفلسطينيون، ما جاء في مذكرات بن غوريون حول قدومه إلى فلسطين، والطريقة التي استقبل بها، والمساعدات المدفوعة الأجر التي كان يقدمها الفلسطينيون على ظهر السفن الآتية إلى حيفا، حيث أكد على الود الذي أظهره سكان البلاد 254.

كذلك الوصف الذي ضمّنه أحد المستوطنين، ويدعى براص في كتابه قرية على ضفاف الأردن، فيقول: "في تلك الأيام قطن المسلمون والمسيحيون واليهود في أورشليم معاً، كان معظم اليهود من أبناء الطوائف الشرقية، ولم يختلفوا في مظاهرهم عن المواطنين العرب. أما الباقون، فكانوا يهوداً متدينين من الإشكناز من مواليد أورشليم التي كان فيها، في ذلك الحين، نفر قليل جداً من رجال الهجرة الثانية" 255.

لذا، فإن الوعي العربي خلال الهجرة الأولى، وما بعد عقد مؤتمر بال، كان ضعيفاً ومتأثراً بروح علاقات حسن الجوار السائدة بين الجانبين، وبالبعد الإنساني لأسباب هجرة هؤلاء، وما الإشارات أو الدلائل التي تقدم على وجود مثل هذا الوعي المبكر الرافض للهجرة والاستيطان إلا محاولات فردية، أو ناجمة عن دافع اقتصادي أو اجتماعي، وليس عن وعي أبعاد هذا الاستيطان وأخطاره وتنظيمه، ومنها المواجهات الدموية بين المستوطنين وجيرانهم العرب، التي تكشف عنها حوليات المستوطنين، التي أبرزتها في إطار السرقة والسلب وحتى القتل، ففي تقرير له أثناء تجواله في فلسطين عام 1898 كتب موتسكين (Le Motzkin) قائلاً: "في السنوات الأخيرة معارك لا تحصى بين اليهود والعرب، لكن مثل هذه الروايات يجب أن تعرض وفق سياق الوقت والمكان، مثل تلك المصادمات كانت تحدث ليس فقط بين العرب واليهود، بل وبشكل مماثل يحدث بين سكان القرية والقرى الأخرى" 256.

إن تبدل الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي، لم يحدث إلا بعد إدراك حقيقة مغزى الاستيطان اليهودي في فلسطين والهجرة إليها، وذلك بعد أن أصبح انتشار الأفكار الصهيونية وسيطرتها يؤثر سلباً وتلقائياً في موقف اليهود من السكان العرب في البلاد. يؤكد صحة هذا القول، الإجابة عن التساؤلات التالية: هل جاء هذا التغيير فقط نتيجة انتشار الأفكار الصهيونية، وتوسع نشاطها؟ أم أن الوجود اليهودي في فلسطين كان ينتظر فرصة لمأسسته وتنظيمه في الإطار الذي ينبغي أن يكون عليه؟ الدليل على صحة ذلك، هو الأقليات اليهودية في البلاد العربية، فأين هي الآن؟، ولمن كان انتمؤها؟ حقيقة الأمر، أن الصهيونية هي الإطار الذي يقاس به الطموح اليهودي، وفيها وبغيرها كانت ستكون النتيجة واحدة، وهي السيطرة على فلسطين وتحقيق حلم اليهود، مهما اختلفت التسمية أو الوسيلة.

صحيح أن القرى العربية في المنطقة القريبة كانت على علاقات طيبة جداً مع المستوطنات اليهودية، ولكن أخطار السطو كانت كثيرة في عهد الأتراك، لذا كان الكل يخشى أن يقع في أيدي اللصوص وقطاع الطرق، وقد تعرض دافيد بن غوريون لهذا الموقف، "إذ هاجمه ثلاثة من قطاع الطرق الملتهمين (وفقاً لوصف براص)، وجرحوه بينما كان سائراً في أحد الأيام في طريقه من رحوبوت إلى يافا، وقد وجده أصدقاؤه الذين عادوه في المستشفى يقاسي من الإهانة الإنسانية التي تسببت له أكثر من جروحه التي أصيب بها" 257.

كما كتب أحد الصهاينة ويدعى بيرغهام (Brigham)) - والذي كانت له أملاك واسعة في فلسطين - يصف ردود الفعل تجاه الاستيطان اليهودي - الصهيوني قائلاً: "كان على أفراد عائلتي أن يدافعوا عن أملاكهم الجديدة باستمرار حتى الحرب العالمية الأولى، وبمختلف الوسائل الاجتماعية والسياسية والقانونية، ضد جبهتين: الطبقة العليا المحلية، وفلاحين القرية. وقد بدأت السلسلة الطويلة من الخصومات القضائية، برفض دفع الإكرامية (البخشيش) التي طلبها موظف الطابو (تسجيل الأراضي) في القدس، عمر أفندي الحسيني، عند تسجيل العقارات لأول مرة، وبدأ

الخصام مع الفلاحين، عندما أدرك هؤلاء أن مصيرهم سيغدو كمصير عمال الأرض التابعين لملاك أوروبي كبير” 258.

تكشف الصور التي قدمها المهاجرون لموقف العرب عن حالة رفض ونفور من وجودهم، ومثال ذلك ما قاله ريفون يوسف بيكوفيتش من أن الشباب العرب في يافا كانوا معادين تجاه اليهود ومتعطرسين، وكتدبير وقائي صنع بعض الهراوات لخشيته على نفسه وإخوانه بعد فترة قصيرة من الوصول، وعندما كانوا يسيرون في الشوارع الضيقة في البلدات العربية المكتظة بالسكان، كانوا يضربون الهراوات على الأرض، ويشعرون بأن هذا إيحاء بالتحدي تكسبهم احترام السكان 259.

لذا، بدأت ردود فعل السكان العرب تعكس وعياً للخطر الذي ينطوي عليه الاستيطان الصهيوني في فلسطين، فتنبه الفلاحون العرب إلى أولئك الغرباء الوافدين إلى أرضهم. ومن العوامل التي أسهمت في تنامي هذا الوعي، وتصاعد ردود الفعل حيالها، وجود المستوطنات الزراعية كواقع منبثق من وحي فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين، وعزز ذلك- خصوصاً في الريف- جهل المستوطنين اليهود اللغة العربية والعادات الاجتماعية والزراعية (كالمشاع وحق المرور في أراضي الآخرين)، التي شكلت مصدر استقزاز للفلاحين العرب، سرعان ما تحول هذا الاحتكاك إلى صدام عنيف، عندما بدأ المستوطنون الجدد بإجلاء الفلاحين عن الأراضي التي اشتروها من ملاك وإقطاعيين ومن الحكومة 260، فأصبحت مواقف السكان المحليين عدائية في بعض الأحيان، وأخذت المستوطنات تتعرض أحياناً للاعتداء، على الرغم من تدخل روتشيلد، وهو ما أدى إلى خيبة أمل بعض المستوطنين، ورحيلهم 261.

أضف إلى ذلك، إغراء المستوطنين اليهود الملاكين العرب بما يمكن أن يحققه من كسب مادي بابتلاع أراضيهم التي كان الفلاحون يقيمون عليها وبحرثونها مقابل أجر أو حصة من المحاصيل، حيث وجد هؤلاء أنفسهم مجردين من حقوقهم، ومقتلعين من الأرض 262.

مع إعلان الصهيونية عن نواياها في مؤتمر بال وأهدافها الاستيطانية، ظهرت على الفور حركة الرفض والمقاومة من جانب السكان العرب للاستيطان الصهيوني، وحذر بعض المثقفين العرب من الأخطار التي يمكن أن تترتب على الهجرة، مما يبين أن الوعي العربي الفلسطيني لأبعاد تلك الحركة وأهدافها كان موجوداً 263.

من أبرز مظاهر الوعي العربي المبكر للاستيطان الصهيوني، الخطوة التي قام بها مفتي القدس محمد طاهر الحسيني في محاربته الاستيطان الزراعي اليهودي حيث ترأس عام 1897 هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، فحال بذلك دون استقرار المهاجرين ودون توظيفهم، وذلك من خلال تدقيق عقود الملكية 264. وتكمن أهمية هذه الهيئة في أنها أول عمل جمعي مؤسسي ومنظم ومبكر للرد على تنامي الهجرة والاستيطان، ولكن السؤال الذي يبرز هنا: لماذا لم تستمر مثل هذه الهيئة؟ ولماذا لم تدعم من الحكومة والشعب؟، ولماذا لم تُعمم تجربتها على بقية فلسطين والدولة العثمانية؟

من ردود الفعل أيضاً، إرسال البرقيات والمذكرات وعرائض الشكوى والاحتجاج بعد انعقاد مؤتمر بال عام 1897 إلى السلطان عبد الحميد الثاني، ورجال الحكومة في الآستانة والقدس، التي طالبت بوضع قيود على هجرة اليهود الروس، وحل مشكلتهم بتوطينهم خارج فلسطين. ثم توالى بعد ذلك ردود الفعل العربية؛ ففي عام 1898 احتج أهالي الناصرة ضد مستوطنة الهيكلين قرب السمونية، التي سرعان ما باءت بالفشل<sup>265</sup>.

تناولت صحيفة أبو نظارة في عددها الصادر في 4 نيسان/أبريل عام 1899، موضوع الهجرة من زاوية أخرى، وذلك بالحديث عن السلطان وأسلوب حكمه، واعتائه بالناس، الأمر الذي شجع هجرة المضطهدين من اليهود إلى المملكة العثمانية، فقالت: "وردنا من التلغرافات الجديدة أن يهود أوروبا أخذوا يحتفلون ويخطبون الخطب حاثين بعضهم بعضاً على المهاجرة إلى الممالك المحروسة ليتخلصوا من الاضطهاد التعسبي... وبالفعل هاجر منهم جمع غفير قاصدين التبعية العثمانية، لعلمهم بعدم البحث والاتفات والتعصب في الأديان والمذاهب"<sup>266</sup>.

وفي نيسان/أبريل عام 1898 ردت صحيفة المقتطف على تساؤل أحد القراء حول استيطان اليهود في فلسطين بقولها: "إذا اتفق أغنياء اليهود في أوروبا على ابتياع الجانب الأكبر من أراضي فلسطين، ونقل إخوانهم الفقراء إليها، لم يتعذر عليهم ذلك، ولم يتعذر على هؤلاء الفقراء أن يعيشوا في فلسطين بالراحة والرخاء، لأن الأرض واسعة وخيراتها كثيرة، وكانت تمول أضعاف سكانها الحاليين، ولكن بين ما يمكن للإنسان، وما يُقدم عليه بون شاسع"<sup>267</sup>.

إن المتخصص ما تضمنه سؤال القارئ وردّ المجلة عليه، يلحظ أنها كانت عملية ترويج للاستيطان وللصهيونية، أكثر منه تساؤل للحصول على معلومات ومدى اهتمام الصحف والأوساط العربية به، أي جس نبض لردة الفعل على النشاط الصهيوني المقبل.

كتب الأب هنري لامنس في مجلة المشرق عام 1899 تحت عنوان "اليهود في فلسطين ومستعمراتهم" - تعليقاً على الأوامر العثمانية، ومخالفة اليهود نظام الدولة من خلال انتشارهم في فلسطين- فقال: "فكان ذلك داعياً لنا إلى البحث في المستعمرات اليهودية في فلسطين لنطلع القراء على عددها وشيء من أحوالها، مستنديين في ذلك إلى تقارير أعلنها اليهود في مجلاتهم منها "مجلة الجمعية الصهيونية". ليعرض لامنس بعد ذلك، وبالتفصيل المستعمرات اليهودية، التي أشار إلى أنها بلغت خمساً في يافا وضواحيها والقدس وصفد وبلاد بشارة وحيفا وملحقاتها<sup>268</sup>.

في آذار/مارس عام 1899 بعث يوسف ضياء الدين الخالدي رسالة إلى رئيس الحاخاميين في فرنسا، سلمها بدوره إلى الزعيم الصهيوني هرتزل، أشار فيها إلى الخطر الذي يشكله التدفق المتزايد لليهود الأجانب إلى فلسطين واستقرارهم فيها، معرباً عن مخاوفه من أن يعرض ذلك التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين

واليهود للخطر، وبأن الحل يكون بالبحث عن مكان آخر للشعب اليهودي البائس، حيث هناك أماكن فارغة على الكرة الأرضية، وبهذا يكون الحل الأفضل للمسألة اليهودية<sup>269</sup>.

إن هناك قضية مهمة أثارها مفتي القدس عام 1899، وذلك من خلال رسالة الاحتجاج التي بعث بها إلى الحكومة على القادمين الجدد من اليهود، مشيراً إلى أن من يهاجر إلى فلسطين هم المجرمون والمبعدون. كما رفع أعيان القدس عريضة إلى الحكومة عام 1899، اشترطوا فيها أن يصبح اليهود رعايا عثمانيين للسماح لهم بالاستقرار في فلسطين<sup>270</sup>.

في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه ردود الفعل العربية، والوعي تجاه الهجرة والاستيطان الصهيوني، وجد بعضهم في هذه المستوطنات نموذجاً يثير الإعجاب، وأن لها تأثيراً إيجابياً في المجتمع ككل، ومثال ذلك ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في صحيفة الأهرام في 15 آذار/مارس عام 1899 تحت عنوان "حيفا بيروت الصغيرة"، وذلك في معرض حديثه عن مستوطنة زمارين<sup>271</sup>.

حاولت صحيفة المؤيد في عددها الصادر في 15 تشرين الأول/أكتوبر عام 1899<sup>272</sup>، أن تنبه إلى خطر الهجرة اليهودية، وتداعياتها فقالت: "وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية، فعزم الكثير على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن كثير منهم في كل الجهات". كما حذرت الصحيفة الحكومة من ضرر هذه الهجرة على مصالح الأمة والدولة، وبأن القدس ستصبح في يوم ما بيد اليهود، "إذ ليس للدولة حاجة في إيجاد مسألة يهودية"<sup>273</sup>.

في الوقت الذي أشادت فيه الصحيفة بالأوامر التي تصدرها الحكومة من وقت إلى آخر، إلا أنها نبهت إلى تسهيل بعض الأمور للمهاجرين الدخول إلى الموانئ، ورأت الحل الأمثل لتجنب ذلك بأن تقوم الحكومة "بمنع إدخالهم بتعيين بوليس في يافا وحيفا وصفد من ذوي العظمة والشهامة والإخلاص للدولة"<sup>274</sup>.

تكمن أهمية هذا المقال، في أنه يعكس وعياً عميقاً لخطر الهجرة اليهودية، وذلك من خلال النقاط التالية:

- الربط بين مصلحة الأمة والدولة.

- توضيح حقيقة خطر المسألة على المدى البعيد، وليس في الوقت الآني.

- طرح المسألة من منظور سياسي إثنى، حيث إن تجاهل خطر الهجرة والاستيطان سيخلق للدولة مشكلة جديدة هي المسألة اليهودية التي ستصبح كالمسألة الأرمنية والبلقانية وغيرها.

أوردت صحيفة الهدى في 12 كانون الأول/ديسمبر عام 1900 التعليمات التي أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني، التي يمنع بموجبها الزوار اليهود من الإقامة في القدس أكثر من ثلاثة أسابيع<sup>275</sup>. وبررت صحيفة المقطم في 9 كانون الثاني/يناير عام 1901 إصداره، بقولها: "إن مهاجرة الإسرائيليين أفواجا من روسيا

ورومانيا أفلقت الحكومة العثمانية، فخشيت أن يذهب السواد الأعظم منهم إلى فلسطين، وتوسع الدسائس السياسية فيها” 276.

أشارت صحيفة الهدى إلى القانون في 21 تموز/يوليو عام 1901، وذلك في معرض حديثها عن الأمريكيان الذين كانوا سابقاً رعايا للدولة التركية، فأكدت أن اليهود حُرّم عليهم الاستعمار في البلاد التي تحت سيطرة الحكومة التركية 277. ونشرت الصحيفة ذاتها في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1901 أوامر السلطان الصادرة إلى الولاة لإنفاذ إرادته بهذا الخصوص، حيث أكدت الصحيفة أن الغاية من ذلك، منع توطن المهاجرين الإسرائيليين من روسيا ورومانيا في أرض السلطنة 278.

كان ارتباط العرب خارج فلسطين بما يحدث فيها قوياً، وكانوا على اطلاع على كل ما يتعلق بالاستيطان والهجرة اليهودية، وذلك من خلال وجود جماعة كبيرة من السوريين في القاهرة، وكذلك التقارير التي كانت تعرضها الصحف العربية حول النشاط الصهيوني في فلسطين، والتي كانت تصل إلى أبعد نقطة تتواجد فيها جاليات عربية كنيويورك. أضف إلى ذلك، التقارير الرسمية حول الهجرة والاستيطان اليهودي التي كانت ترسل إلى بيروت ودمشق، ويطلع عليها الموظفون العرب في المراكز العليا والوسطى في الإدارات المحلية. على سبيل المثال، جمع الموظفون العرب في القدس في عام 1901 توابع للاعتراض على دمج قوانين دخول اليهود وشراء الأراضي، التي أعطت اليهود حقوقاً متساوية كرعايا عثمانيين لشراء الأراضي الأميرية، واعتبروا هذه القوانين أمراً غير مرغوب فيه، وكذلك فعل الموظفون في بيروت الذين امتنعوا عن نشر هذه القوانين للسبب ذاته 279.

وفي مقال للصحفي سليم قبعين بعنوان “بلدان فلسطين يصفها فلسطيني”، نشرتته مجلة الجامعة في كانون الثاني/يناير عام 1902، قدم خلاله صورة للأوضاع التي كانت عليها بلدة طبريا، فيقول: “أكثر سكان طبريا اليوم من اليهود الذين يتقاطرون إليها من جميع أطراف المعمورة لاستيطانها، وبالإجمال فإن طبريا (بلدة إسرائيلية)، لذلك نرى جميع أسواقها مقفلة يوم السبت” 280، وتكمن أهمية هذا المقال في أنه إشارة واضحة وصريحة ومبكرة جداً إلى حقيقة لا تحتل ازدواجية المعنى والدلالة، ألا وهي التهويد التدريجي للمدن الفلسطينية والمستوطنات التي كان يقيمها الصهاينة في تلك المرحلة.

لعلها الصدفة التي قضت بأن يتزامن مقال قبعين هذا، مع إصدار هرتزل روايته الأرض القديمة الجديدة التي نشرها عام 1902، وحاول أن يقدم من خلالها عرضاً لرؤيته لما ستكون عليه فلسطين الصهيونية بعد عشرين عام من الاستيطان اليهودي، حيث الدولة تمتلك عناصر المدينة الفاضلة كافة، وهي مزدهرة اقتصادياً، يسودها التسامح وعلاقات حسن الجوار مع العرب في ظل الصهيونية المثالية، وأوضح أفكاره هذه من خلال إحدى شخصيات الرواية، وهو رشيد بك- الذي عرفه هرتزل- بأنه شخص عربي “تعلم في برلين، وكان أبوه أحد أولئك الذين أدركوا مبكراً فائدة الهجرة اليهودية، فساهم في نشاطنا الاقتصادي فأصبح غنياً، ولا يفوتني أن أقول إن رشيد هو عضو في مجتمعنا الجديد” 281.

يسترسل هرتزل -على لسان رشيد بك - في تقديم مواصفات مدينته الفاضلة، فيقول: "نحن المسلمون كان لدينا دائماً أفضل العلاقات مع اليهود، أكثر من المسيحيين، عندما قامت المستوطنة اليهودية الأولى هنا، قبل نصف قرن، نصف العرب ذهبوا إلى اليهود للتحكيم بينهم، لقد أغنانا اليهود، فعلاهم نتذمر منهم، إنهم يعيشون معنا كأخوة، وبالنسبة للدين فيمكن أن تجد هنا إلى جانب الكنس اليهودية الكنائس المسيحية والمساجد الإسلامية والمعابد البوذية والبراهيمية، أما المنظر الكبير منظر التعايش السلمي بين الأديان، فهو في أورشليم" 282.

في مقابل هذه الصورة المشرقة التي قدّمها هرتزل لمجتمع المستوطنات الجديد، عرض صورة للأوضاع السيئة التي كان يعيشها أهل فلسطين خارج هذه المستوطنات، فيقول على لسان إحدى شخصيات الرواية: "أمضينا بضعة أيام في أرض فلسطين إسرائيل القديمة، لقد تركت يافا انطباعاً غير مستحب، كل ما فيها كان مهملًا، الأزقة مليئة بالروائح الكريهة، قذرة مهملّة، وحيثما كنت تتجه ببصرك لا ترى غير الفقير: أتراك فقراء، عرب جياح ويهود فزعون عاطلون عن العمل، كلهم كسالى فقراء فاقدو الأمل، ورائحة العفونة كرائحة القبور تكتم الأنفاس.. وفي طريق متداع إلى أورشليم، لم يريا غير مناظر بؤس رهيب، فأراضي السهل كلها تقريباً رمالٍ ومستنقعات، والحقول البائسة بدت وكأن النار قد التهمتھا.. قرى عربية بدائية يسكنها من الفقراء.. أطفال يلعبون بتراب الشوارع وهم عراة، وفي الأفق البعيد تبدو جبال يهودا الجرداء" 283.

ثانياً: الوعي العربي لخطر الاستيطان والهجرة من 1904-1908

مع بداية هذه المرحلة، تجددت موجات الهجرة اليهودية الصهيونية- والتي استمرت حتى عام 1914- وهو ما عرف بالهجرة الثانية التي امتازت عن سابقتها بما ترتب عليها من نتائج؛ إذ أدت إلى تسارع نمو المستوطنات اليهودية التي أخذت بالتحول النوعي إلى مستعمرات صهيونية فعلية ذات أهداف سياسية واضحة من أجل بناء مجتمع جديد 284، فبلغ عدد المهاجرين خلالها عشرون ألفاً، أغلبهم من يهود روسيا 285، يعتقدون أفكاراً جديدة تمثلت بتشكيل أحزاب ومنظمات خاصة بهم، انطلاقاً من فكرة العمل الذاتي 286، فوصل عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين عام 1905 إلى 3450 يهودياً 287.

تزامن ذلك كله، مع تعيين متصرف جديد في القدس عام 1904 وهو رشيد بك الذي كان داعماً للاستيطان اليهودي في فلسطين ومؤيداً له، ووجد في بعض الثغرات القانونية منفذاً للتحايل على تطبيق القوانين والتعليمات الحكومية بهذا الشأن، فكتب إلى الباب العالي معللاً موقفه بأن حصول أغلبية اليهود على الجنسية الأجنبية يحول دون مغادرتهم فلسطين بعد إقامتهم مدة الثلاثة شهور التي نص عليها القانون، وذلك لمعارضة القناصل مغادرتهم 288.

يذكر نجيب عازوري في كتابه يقظة الأمة العربية حادثة يحاول من خلالها إظهار ضعف الاهتمام الرسمي التركي بموضوع الصهيونية ونشاطها الاستيطاني، فيقول: "أرسل السلطان أخيراً في كانون الثاني/يناير عام 1904 مفتشاً عاماً تركيا إلى

سورية وفلسطين ليدرس الوضع السياسي في هاتين المقاطعتين، وفي إحدى الأمسيات بينما كان يلعب "البكارا" عند كاظم بك، تحدث رجل أمن صدفة عن مستعمرة إسرائيلية مجاورة، وبعد أن كان هذا الموظف العالي قد قضى ستة أشهر في بيروت والقدس من دون أن يهتم بمسألة اليهود، كتب تقريراً عن الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وعاد إلى القسطنطينية بعد أسبوع"289.

انعقد في عام 1905 المؤتمر الصهيوني السابع، الذي قرر أن تكون فلسطين الوطن القومي، وأكد على ضرورة الاستيطان واتباع النهج العملي من أجل الإسراع في فرض أمر واقع صهيوني على الأرض الفلسطينية، لذا قرر المؤتمر توسيع نطاق الاستيطان الزراعي في فلسطين290.

كان الفلاحون الأكثر تأثراً وتلمساً لأثار الهجرة الثانية والاستيطان الصهيوني، لذا اتسمت مقاومتهم بالعنف، وعبروا في أكثر من مناسبة عن معارضتهم لها291، إذ رأوا فيها اقتلاعاً لهم من أراضيهم وحرمانهم من العيش292، فقد كانوا يعملون في أراضي الملاك الكبار بالأجرة أو المشاركة، فلما انتقلت ملكية هذه الأراضي إلى المستوطنين اليهود أصبحوا بلا عمل أو مأوى، ورغم الاستغاثات المتكررة للمزارعين العرب، فإن أصواتهم لم تكن لتصل إلى مسامع السلطات العثمانية، ولذا اضطروا إلى مقاومة تلك التطورات الجديدة بما لديهم من إمكانيات بسيطة، وافتقارهم إلى قيادة واعية، حيث حاول هؤلاء التثبيت بالأرض التي طردوا منها فهاجموا المستعمرات اليهودية، لكنهم اصطدموا بعقبات غير متوقعة، فالمستعمرات اليهودية كانت مزودة بالأسلحة النارية، ونجح القائمون عليها بتضليل السلطات المحلية العثمانية بتصوير مقاومة المزارعين العرب على أنها خروج على القانون والنظام، واعتداء على أصحاب الأرض الشرعيين293، ونجد صورة واضحة لهذا الوضع في ما ورد في يوميات المستوطنين الصهاينة، كتلك التي أوردها يوسف براص في كتابه "قرية على ضفاف الأردن"، وفي أكثر من موضع، ومما أورده في هذا السياق قوله: "إنه مما زاد الأوضاع سوءاً في تلك الفترة (1906)، في مزرعة كنيرت أن قبائل البدو المجاورة كانت تكمن لرجال التلة في الطرقات، وكثيراً ما أشعل أفراد هذه القبائل النار في بيدهم، ولكن الزملاء صمدوا في المكان"294.

نجم عن هذه الظروف زيادة في الوعي العربي لخطر الهجرة، وما ترتب عليها من توسع في الاستيطان، وخصوصاً مع اطلاع المثقفين العرب على المخططات الصهيونية295، فأدى ذلك إلى تزايد ردود الفعل العربية، الأمر الذي تنبه إليه بعض الصهاينة، فطالبوا بضرورة الاهتمام بمشاعر العرب ومصالحهم، وظهرت أصوات جديدة تدعو إلى الاهتمام بالعرب كقوة سياسية بدلاً من التوجه إلى الباب العالي296.

من تصدى لهذه الهجرة، سعيد الحسيني الذي انتخب عام 1905 رئيساً لمجلس بلدية القدس، فأظهر مقاومة للصهيونية عموماً، وللهجرة اليهودية خصوصاً، ساعده على ذلك معرفته العبرية، وعمله كموظف في قسم الرقابة لمراجعة صحيفة عبرية محلية297.



يكشف التقرير الذي بعث به متصرف يافا وقائمقامها محمد آصف باشا، في 26 حزيران/يونيو عام 1906 إلى متصرف القدس أكرم بك، قلقه من الآلية التي كان يتبعها المهاجرون اليهود- الذين وصفهم بالجمرة الخبيثة- للدخول إلى فلسطين والاستيطان فيها، وذلك " من طريق شركات معينة مثل شركة روتشيلد، فيسكنون ويشترون الأراضي الأميرية ويزرعون الأشجار من دون إذن مسبق من السلطات، ويتم ذلك من طريق الحيل والذرائع بحجة أنها أرض ملك صرف، ويقومون عليها القرى اليهودية، محتالين على القانون الذي يشترط الإذن المسبق قبل إقامة أي بناء، وينشئون البناء من 15-20 داراً من دون رخصة، وبهذه الطريقة يقيمون مئات العمارات"، ولينهي تقريره هذا بالإشادة بجهود متصرف القدس السابق رؤوف باشا في التصدي لمحاولاتهم هذه والحد منها298.

صحيفة الأهرام القاهرية تابعت دخول اليهود إلى فلسطين، وذلك من خلال مراسلها هناك، وفي أكثر من عدد من أعدادها؛ ففي رسالة له من يافا بتاريخ 11 أيار/مايو عام 1906 كتب يقول: "لقد أصبح توافد اليهود الروس إلى بلادنا عظيماً، ففي كل باخرة يحضر عدد كثير منهم، حتى كادت يافا والقدس تضيقان بهم، ومأمور التذاكر على الرصيف وأعوانه يمهدون لهم سبيل الدخول لقاء عشر فرنكات، يدفعها كل مهاجر، والأمة الإسرائيلية تتهالك في سبيل استيطان فلسطين"299.

إن في ما قاله هذا المراسل دلالات مهمة، فهو يشير إلى الكم الهائل للقادمين من اليهود، وإلى استيطانهم في مناطق معينة وهي يافا والقدس، وكذلك ضعف الالتزام بالتعليمات الرسمية بهذا الخصوص، وتواطؤ الموظفين في التغاضي عنها مقابل مبالغ معينة، ولا سيما أن اليهود على أتم الاستعداد لدفعها مهما بلغت، لتهالكهم على استعمار فلسطين.

كان الوجود اليهودي في بعض المدن والقرى الفلسطينية يلفت نظر زوارها، وهو ما أشار إليه الخوري إبراهيم حرفوش- أحد كتّاب مجلة المشرق- في وصفه مدينة صفا عام 1906، فذكر "بأن اليهود فيها اعتادوا خطة لم يألفها غيرهم من جنسهم وهي البطالة، وإن ما حملهم على ذلك ما كان يصل إليهم من المساعدات المالية من صناديق الجمعيات الخيرية"300.

لم تكن النظرة العربية إلى الهجرة والاستيطان الصهيوني سواء؛ ففي حين عارضه بعضهم وحاربه، لم يرَ بعضهم به ضيراً، بل وجدوا فيه فوائد وميزات يمكن أن تعود على العرب بالخير، فكتب سليم قبعين في 12 كانون الثاني/يناير عام 1905 يقول: "إن الاستعمار الإسرائيلي لفلسطين أفضل بكثير من استعمار الألمان بعض جهات حيفا والقدس ويافا، لأن اليهود لا دولة لهم ترسل بوارجها، كما فعلت ألمانيا عندما أرسلت طرادين كادا أن يرسلوا كراتهما على حيفا وعكا بعد وقوع معركة بين الأهالي والألمان بسبب اعتداءات الأخيرين عليهم"301.

المفارقة هنا أن سليم قبعين هو ذاته الذي كان كتب عام 1902- وفقاً لما سبق ذكره- عن الهجرة والاستيطان، وتحول طبريا إلى بلدة إسرائيلية؟302.

شاركت قبعين في هذه الرؤية صحيفة النصير- وكان صاحبها إيليا زكا مقرباً من الحركة الصهيونية وتعاون معهم- فنشرت عدة مقالات عام 1906 في مدح الاستيطان، استحقت بسببها لقب الصحيفة المأجورة، ومع ذلك استمرت وصاحبها في علاقتها مع الصهيونية، فكان معظم المشتركين من الصهاينة وأصحاب الإعلانات، لذا كانت تصدر أحياناً بملاحق عبرية<sup>303</sup>.

كان لأحد الأشخاص ويدعى فريد قصاب وهو مسيحي أرثوذكسي من بيروت، الموقف ذاته؛ ففي عام 1906 كتب يصف المستوطنين "بأنهم مسالمون ولا يثيرون الاستياء، وأصبحوا رعايا عثمانيين مخلصين من دون طموح لاستقلال قومي في فلسطين"<sup>304</sup>.

وكان لبعض الصحف دور بارز في الترويج للهجرة، لهجرة اليهود إلى تركيا، وما يمكن أن تحققه من فوائد، كصحيفة جون ترك التي كان يحررها جلال نوري، ومالكها اليهودي الألماني هوخبرغ<sup>305</sup>.

تطور جديد شهده عام 1907 تمثل بقيام مجموعة من المهاجرين القادمين من روسيا- وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم "مجموعة الدفاع الذاتي"، واستوطنوا في مستوطنة سجرة- بتشكيل تنظيم سري، وكان شعارهم: "بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار يهودا تقوم"، ومن أبرز قادته إسراييل شوحاط وإسحق بن تسفي وديفيد بين غوريون<sup>306</sup>، وكان في مقدم اهتماماتهم احتلال العمل والحراسة وإقامة مستوطنات زراعية<sup>307</sup>.

كما انعقد في آب/أغسطس عام 1907 المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي، حيث سويت الخلافات بين تيار السياسيين وتيار الصهيونيين العمليين<sup>308</sup>، وتم التوصل إلى اتفاق على دمج التيارين بهدف الحصول على الشرعية السياسية، وتنشيط الهجرة والاستيطان في فلسطين بشتى الوسائل<sup>309</sup>.

ثالثاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني من 1908-1914

شهدت السنوات الأخيرة من حكم السلطان عبد الحميد الثاني زيادة في عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها، وذلك على الرغم من القيود والفرمانات التي كانت تصدرها الحكومة التركية آنذاك، وقد أسفرت هذه الزيادة عن تغير الأوضاع الديمغرافية فيها، فارتفع عدد اليهود إلى ثلاثة أضعاف ما كانوا عليه في بداية حكمه، وكانت المدن أكثر عرضة للزيادة نتيجة الهجرة إليها من الريف ومن خارج البلاد، ووصل عدد سكان المدن الفلسطينية من اليهود عام 1908 إلى نحو ثلث مجموع عدد السكان، بعد أن كانوا نحو الربع فقط، في بداية عهد السلطان عبد الحميد<sup>310</sup>.

جرت خلال عام 1908 سلسلة من التغيرات التي أثرت بصورة مباشرة على موضوع تنامي الهجرة اليهودية والاستيطان، فكانت هناك ثورة الاتحاديين على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، حيث كان لليهود الصهاينة دور بارز فيها، وهو ما انعكس إيجاباً على موقف المستوطنين في فلسطين منها فاندفعوا إلى تأييدها

311، وهو ما أثار دهشة العرب، التي سرعان ما زالت، بعد ما أسفرت عنه ثورة عام 1908 الدستورية من سيطرة الاتحاديين على الحكم، وتزايد تعاونهم مع الصهاينة، مما أدى إلى تخفيف القيود المتعلقة بهجرة اليهود إلى فلسطين 312، الأمر الذي ولد مخاوف لدى العرب من توسع المجتمع اليهودي في فلسطين وتنامي العدواة تجاهه 313. كان لهذه المخاوف ما يبررها، فقد نجح الصهاينة في زيادة عدد المهاجرين 314، على الرغم من التزام السلطات المحلية بالقيود السابقة، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود تساهل حكومي تجاه هذه القيود 315؛ فحكومة الاتحاديين وإن كانت رفضت منح ضمان خطي للصهاينة، لكنها سهلت عمليات الهجرة والاستيطان وتغاضت عنها 316، فقد تكون الرقابة والحرص على تطبيق القوانين والتعليمات المتعلقة بمنع الهجرة اليهودية غير فاعلة، وعديمة النفع خلال عهد السلطان عبد الحميد، ولكن كانت هناك مظلة قانونية تمنعها، يحتكم إليها إذا ما وجد من يخلص في تطبيقها، في حين أن هذه المظلة انتقت بقدم الاتحاديين، وذلك بعد إلغاء تلك القوانين والتعليمات.

في ذلك العام أيضاً، هاجرت الموجة الثانية من الهجرة الثانية إلى فلسطين، وقد حملت هذه الموجة معها فكرة العنف المسلح لفرض وجودهم القسري على السكان، ووضعت حجر الأساس للمنظمات الإرهابية 317.

كما بدأ في مطلع عام 1908 العمل على إنشاء تل أبيب أو (تل الربيع) كحي يهودي في شمال يافا، وأقيمت مدرسة البنات والبنين على الحدود بين يافا وتل أبيب، ثم شيدت المدرسة الثانوية هرتسليا وبعض البيوت الخاصة حولها 318. بعد أن تزايد عدد مستوطناتها واتسعت مساحتها في ما بعد، قامت الحركة الصهيونية بوضع خطة لدمجها مع مستوطنة المنشية، التي أنشئت عام 1888، وذلك لجعلها مدينة كبيرة مستقلة استقلالاً تاماً من يافا 319.

يتضح حجم الوعي العربي لمثل هذا الإنجاز الصهيوني من خلال الدور الذي كان لبعض العرب في بناء تل أبيب، الذي يصفه أحد المستوطنين الصهاينة بقوله: "وبعد ضغط وإحاح وافق المقاول على قبول بعض الدقائين اليهود للعمل عنده، وقد رشحت نفسي، واشتغل عداي في أعمال بناء تل أبيب دقائان عبريان وخمسون دقائاً عربياً، كانت نظرة العمال العرب إلينا مشوبة بالرئب، لأنهم كانوا يرون فينا منافسين، ولم تكن نظرة المقاول إلينا بأفضل" 320.

كما طرأ خلال هذه المرحلة تحول في الدور الذي كانت تمارسه المستوطنات الثلاث (القدس، يافا، الخليل)، الذي لم يعد يقتصر على إيواء جموع المستوطنين فحسب، بل اتخذت أوكاراً لأعضاء الحركة الصهيونية وشركاتها وبنوكها وجمعياتها ووكلائها للانطلاق لشراء الأراضي في الأرياف وديار العريان وبناء المستوطنات 321.

كما كان عام 1908 بداية النشاط الاستيطاني المنظم من قبل الحركة الصهيونية، فأنشأت من أجل هذه الغاية مكتب فلسطين (322) The Palestine Office، وقد

تولى إدارته الروسي آرثور روبين (Arthur Robin)، ويعد هذا المكتب من أهم المؤسسات الصهيونية ميدانياً في هذه المرحلة 323، وأضيف إليه ذراعان تنفيذيان: الصندوق القومي اليهودي الذي سبق أن تأسس عام 1901 بهدف شراء الأراضي من أجل ملكية قومية ولإقامة المستوطنات عليها وبقي مجمداً حتى عام 1908، وشركة تطوير أراضي فلسطين التي أسست كشركة أسهم، والهدف منها شراء الأراضي وتحضيرها للاستيطان لتغطية احتياجات الصندوق القومي اليهودي والأفراد 324. وقد نجح الصهاينة خلال عام 1908 في تأسيس ثلاث مستعمرات دفعة واحدة 325.

أدت هذه التطورات إلى تحول نوعي في الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني، فشنت الصحف الفلسطينية في الأشهر الأولى من العهد الدستوري هجوماً منتظماً على نشاطات صناديق الاستيطان اليهودية 326.

أُرسل في العام ذاته بيان موقع من شخصيات فلسطينية إلى مجلس المبعوثان ونواب فلسطين، حذروا فيه من سعي اليهود الصهاينة إلى استعمار البلاد وإخراج أهلها منها، أو تحويلهم إلى عبيد وخدم لهم، وطالبوا الحكومة بإعادة قانون المهجرة، وقانون الورقة الحمراء، الذي كان يقضي بعدم إقامة اليهود الأجانب في فلسطين لأكثر من ثلاثة أشهر 327، كما طالبوا في ختامه بالعمل على تقوية الجبهة الداخلية من خلال تنشيط التجارة والصناعة الوطنية، وبيع الأراضي وعدم الهجرة من فلسطين، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة 328.

من النتائج المترتبة على التطورات التي شهدتها عام 1908، التحول في نوعية العلاقة بين الجانبين العربي واليهودي الصهيوني، والتي أخذت تميل إلى العنف والمواجهات المسلحة 329، فشهد عام 1908 وبدايات عام 1909 نزاعات واشتباكات مسلحة بين العرب واليهود في المستوطنات والمدن الفلسطينية، أسفرت عن سقوط عدد من القتلى 330.

أكدت التقارير الواردة في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1908، تزايد عداء الفلاحين في منطقة حيفا وطبرية للملاكين العرب والمستوطنين اليهود 331.

وفي كانون الأول/ديسمبر عام 1908، حاول عدد من أهالي قرية كفر كنا الاستيلاء على بعض الأراضي في غزة طبريا، تعود ملكيتها للجمعية اليهودية الاستيطانية 332.

وخلال عام 1909، استمرت المواجهات بين المستعمرين وأهالي سجرة، على خلفية خلاف حول مطالبتهم جيرانهم المستعمرين بأحراج ومراع وأراضٍ مختلفة. وكذلك مطالبة أهالي كفر كنا بدم أحد أبنائهم، الذي قتل على يد المستوطنين، وحقوق في أراضٍ، وقد وصف بن غوريون الغارات على مستعمرة سجرة بأنها شرسة وقاسية 333.

أدت هذه الاعتداءات إلى عقد المؤتمر التأسيسي لمنظمة هشومير (الحارس) في نيسان/أبريل عام 1909 في مستعمرة مسحة (الجليل الأسفل) 334، وإنشاء منظمة تتولى حراسة المستعمرات وتدريب الحراس، وعلى الرغم من تعثر أعمال هذه المنظمة في بداية الأمر، نتيجة نظرتها الاستعلائية، ومعارضة المستوطنين القدامى والفلاحين العرب، إلا أنها نجحت في طرد الفلاحين العرب من أراضي الملاكين الغائبين الذين باعوا أراضيهم للصندوق القومي اليهودي 335.

استغل الصهاينة مذبحه الأرمن التي جرت عام 1909، وأشاعوا بأن العرب سيقومون بالعمل ذاته بحقهم 336، كما تذرعوا بانتفاضة الفلاحين العرب في شمال فلسطين لحمل قائمقام طبرية على السماح لهم بتشكيل وحدات مسلحة من الحرس اليهودي للدفاع عن أنفسهم 337، وجاء هذا السماح على الرغم من تحفظ الحكومة التركية على نشاطات (منظمة هشومير)، وعدم حماسيتها لتشكيل الجيوش الخاصة في المملكة 338. وقد وجد الصهاينة في هذا القرار فرصة لحمل السلاح علانية بحجة الدفاع عن النفس، وذلك على الرغم من أن المستعمرات كانت مليئة بالسلاح 339.

تتالت بعد ذلك حوادث الصدام المسلح بين الجانبين؛ ففي قرية مصبة أطلق النار على أحد العمال اليهود الذي يعمل عند أحد الفلاحين، من قبل أحد الجيران العرب في طريق سجرة- مصبة، فأصاب الرصاصات أماكن مختلفة من جسمه توفى في إثرها 340.

يتضح التحول في الوعي العربي تجاه مسألة الاستيطان والهجرة، والذي اتسم بالعنف والحدّة، من خلال ما جاء في مذكرات بعض المستوطنين، فاعتبر أحدهم عام 1909 عام المضايقات والعراقيل، ويصف ذلك بقوله: "الحياة لم تكن آمنة، وكانت اليد الواحدة تمسك بالمحراث، والأخرى على المسدس، وتشبّع جو الجليل كله برائحة البارود، وعانت (مستوطنة كنيرت) كثيراً من حسد قبيلة "عرب الدلايقة"، فكان هؤلاء البدو يهاجمون المستوطنين في الطرق والحقول، ويشعلون النار في البيدر، ويفلقون الراحة ليل نهار، فتعكر صفو الأمن أيضاً في سائر مستوطنات الجليل. وفي سجرة، نشبت نزاعات بين اليهود والمواطنين العرب في القرية المجاورة للمستوطنة، إذ انقضوا على قطيع المستوطنة وأغاروا على حقولها، وفي آخر أيام عيد الفصح من ذلك العام قتل في سجرة أحد الحراس على يد أحد الفلاحين" 341.

ساهم مسلحو منظمة (هشومير) عام 1909 في السيطرة على أراضي مستعمرة دجانيا (جنوب بحيرة طبريا)، وتثبيت المستوطنين فيها، وذلك على الرغم من مقاومة الفلاحين العرب، وكذلك فعل مستوطنو الخضيرة مع سكان القرى المجاورة، إذ نشبت معركة بشأن أرض يقيم عليها فلاحون عرب، ونجح المستوطنون بدعم من المنظمة في طردهم منها، بعد وقوع عدد من الإصابات في الجانبين، وفي النهاية استولى مستوطنو الخضيرة على الأرض 342، وقد تم تصوير هذه العلاقة بين الطرفين من قبل سميلانسكي (Moshe Smilansky) في قصة نشرت عام 1909 بعنوان "الشيخ عبد القادر" 343.

في مقارنة لما أصبح عليه الوضع بعد عام 1908، وخصوصاً العلاقة بين العرب والمستوطنين، وتشكيلهم منظمات شبه عسكرية للرد على رفض العرب وجودهم، نجد الصورة مناقضة تماماً لما حدث عام 1886، وذلك بعد الصدام المسلح الذي حدث في مستوطنة بتاح تكفا بين اليهود والعرب، إذ أصر المستوطنون على أن تقوم المصالحة على دعوة العرب إلى القهوة في مستوطناتهم<sup>344</sup>.

مهما يكن من أمر، فقد استمرت حالة الوعي والتحذير من خطر الهجرة والاستيطان؛ فروحي الخالدي حاول إثارة الموضوع بصورة مباشرة في كتابه عن الصهيونية، وذلك من خلال التساؤل: الهجرة إلى أين؟ مجيباً على هذا السؤال بتصنيف المهاجرين اليهود- من روسيا تحديداً- إلى فئتين: الأولى طلبة المدارس وأصحاب العلم والفكر، وهذه توجهت إلى فلسطين منذ العام 1881؛ والثانية فئة العمال، والتي هاجرت إلى أمريكا<sup>345</sup>.

ومن جانبهم، طالب مبعوثو القدس، خلال جلسات المجلس عامي 1908-1909، الحكومة باتخاذ التدابير الفاعلة لوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>346</sup>، فطالب نائب يافا حافظ السعيد في إحدى جلسات المجلس عام 1909 بإغلاق ميناء يافا في وجه اليهود، ولا سيما تل أبيب التي كانت في مستهل بنائها في تلك السنة<sup>347</sup>، ولكن على الرغم من تصريحاته هذه، ومواقفه المعادية عموماً، عُرف عنه المهادنة والاعتدال إذا ما قورن بمواقف زميليه روعي الخالدي وسعيد الحسيني، فوصفه الصهاينة بأنه من ذوي المواقف المعتدلة حيال الاستيطان<sup>348</sup>. ويبقى السؤال هنا: هل كانت إثارته القضية من باب الالتزام تجاه ناخبه؟ أم ناجمة عن إحساس بالخطر الحقيقي للاستيطان، وخصوصاً في ما يتعلق بحساسية المنطقة الجغرافية التي يمثلها، وهي يافا؟

أدى إصرار النواب العرب خلال عام 1909 على مطالبتهم بعدم السماح للمهاجرين بالاستيطان إلى إعادة الحكومة العمل بالقيود التي كانت فرضتها في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1900<sup>349</sup>، وقد اعترض نائب القدس روعي الخالدي على التدابير التي اتخذتها الحكومة العثمانية لتقييد الهجرة اليهودية لأنها غير مجدية، "إذ اتخذها المأمورون وساطة للرشوة والغش، ولم تمنع اليهود من التوطن في فلسطين"<sup>350</sup>.

مما أسهم في زيادة الوعي والسخط ضد الهجرة اليهودية والاستيطان، خلال عام 1909، إصدار نجيب نصار صحيفة الكرمل، في كانون الأول/ديسمبر عام 1908<sup>351</sup>، التي أصبحت منبراً لمهاجمة الصهيونية ومخططاتها عموماً، والهجرة اليهودية والاستيطان خصوصاً.

أثارت العلاقة بين الصهاينة والاتحاديين الوعي العربي تجاه مسألة الهجرة والاستيطان؛ فرفيق العظم لفت انتباهه، خلال زيارته الأستانة في آب/أغسطس عام 1909 نفوذ اليهود الدونمة داخل جمعية الاتحاد والترقي، وثقة الاتحاديين بهم، وهو ما دفعه إلى التخوف من انعكاس هذه العلاقة على زيادة أعداد المهاجرين اليهود الأجانب إلى البلاد العثمانية، وذلك من دون أن يحدد فلسطين بعينها<sup>352</sup>.

كما علقت مجلة المقتطف في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 على الدور الذي أداه يهود الدونمة في ثورة الاتحاديين، وأثر ذلك في زيادة الهجرة، فقالت: "ولذلك لا يبعد أن تكثر مهاجرة إخوانهم الغرباء إلى البلاد العربية، واستعمارهم الأراضي البائرة الآن، التي ليست أهلة بالسكان" 353.

يلاحظ في قول الصحيفة هذا- ذات التوجه الصهيوني- محاولة لدس السم بالدسم؛ إذ حاولت في البداية وصف المهاجرين بإخوانهم الغرباء، لتخلق نوعاً من التعاطف تجاههم، ثم تأكيدها أن استيطانهم وإقامتهم ستكون في الأراضي البائرة الخالية من السكان، والواقع أنذاك يكذب مثل هذه المقولة، لأن المهاجرين اليهود استولوا على أخصب المناطق، والأكثر حيوية في فلسطين.

كما حاول هؤلاء التقليل من حجم الاستيطان الصهيوني وخطره؛ ففي الأول من آب/أغسطس، نشرت صحيفة المؤيد تصريحاً للنائب اليهودي نسيم مزلياح حول استيطان اليهود فلسطين، قال فيه: "لدى الحكومة مشاغل كافية فلا نضيف إليها مسألة اليهود، على أنه لا مانع من نزولهم في أي قسم أرادوا من المملكة، ولكن كأفراد وليس كمجموع أمة إسرائيلية، فإن المسلمين يعارضون ذلك، والمسيحيين أشد معارضة، ولا مانع من وجود بعض قرى إسرائيلية، كما توجد قرى مسيحية أيضاً. أما استعمار اليهود فلا أمل لهم بتحقيقه... ولقد سمعنا قوماً ينكرون الحجر الذي وضعناه على مهاجرة اليهود إلى فلسطين، إذ منع اليهود الأجانب من الإقامة فيها إلا لثلاثة شهور، وإنما وضعنا هذا القانون في إثر استئصال مبدأ الحزب الصهيوني" 354.

أوفدت صحيفة الأهرام في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 مراسلاً خاصاً لزيارة فلسطين، الذي وصف موقف الأهالي هناك، بقوله: "إن الفلسطينيين قلقين من الحركة الصهيونية، فالهجرة اليهودية مستمرة، تخلق لديهم المخاوف والقلق، والبلاد تكاد الآن أن تكون في أيدي الأجانب" 355.

كما أثارَت صحيفة النعمة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909 قضية مهمة، تتعلق بالمهاجرين، محاولة لفت انتباه القراء إليها، وهي الجمعيات المعنية بشأن هؤلاء، فقالت: "لا يسعنا أن نغضي عن الجمعيات الأوروبية الناظرة في أحوال مهاجرين فلسطين الإسرائيليين، التي غايتها لا تزال واحدة وهي مساعدة المهاجرين الإسرائيليين" 356.

ممن تصدى للهجرة والاستيطان الصهيوني، الأعضاء العرب في فروع حزب الاتحاد والترقي في سورية الذين عملوا علانية ضد اليهود، وهو ما أكدّه موظف في البنك العثماني، حيث عزا زيادة الاعتداءات والنزاع بين العرب وسكان المستعمرات إلى تدخل عرب آخرين يعارضون استيطان اليهود في فلسطين 357. كما حاول الأعضاء الفلسطينيون في الحزب عام 1909 كسب زملائهم من أعضاء السلطة الحاكمة في الأستانة إلى جانبهم، من خلال لفت نظرهم للخطر الذي يهدد البلاد والفلاحين من الهجرة اليهودية 358.

تحدثت صحيفة العصر الجديد في 4 كانون الأول/ديسمبر عام 1909 عن طلب الحكومة الأمريكية من الحكومة العثمانية إسكان الموسويين الأمريكيين الذين نزحوا عن بلادهم إلى سورية، وأن يبحث مجلس الوكلاء في هذا الأمر، وقد علقت الصحيفة على هذا الخبر بقولها: "لعل الجريدة أرادت أن تكتب فلسطين فاستعاضت عنها بسورية، إذ ليس للموسويين في سورية ما يشوقهم إليها، وإنما يؤمنون بلاد فلسطين زرافات ووحداناً" 359.

في أواخر عام 1909، صرح سعيد الحسيني في لقاء صحفي، برفض تجميع اليهود في فلسطين، لعدم استعداد البلاد لذلك، وبأن قدومهم بالآلاف سيلحق الضرر بالبلاد، وشدد على أن يكون اليهود عثمانيين موالين مثل العرب، وليسوا أجانب يعيشون تحت حماية حكومات أجنبية 360.

تزامن هذا التصريح مع انعقاد المؤتمر الصهيوني التاسع في مدينة همبورغ في كانون الأول/ديسمبر عام 1909، وتحدث فيه ماكس نوردو عن الانقلاب العثماني الكبير، والعلاقة المستقبلية بين الصهيونية وحكومة الانقلاب، وختم حديثه بالقول "إن الصهاينة يرغبون في مساعدة تركيا في نهضتها الجديدة، ولكن بصفتهم شركاء أحراراً وجدوا جنسيتهم بعد أن فقدوها منذ ألفي عام، لا بصفة مستعمرين أو أجانب يباح لهم النزول في الممالك العثمانية، كما طالب بضرورة أن تعترف الحكومة الجديدة بالجنسية الإسرائيلية، قبل أن يجمع الشعب الإسرائيلي شتاته ويهاجر من كل الأقطار إلى الأنحاء الفلسطينية ليقيم فيها نهائياً" 361.

أثار انعقاد المؤتمر وقراراته اهتمام عدد من الصحف، فنقلت صحيفة المؤيد في الأول من كانون الثاني/يناير 1910 عام أمر موافقة المؤتمر على رصد مئتي ألف فرنك لإنشاء مستعمرة تعاونية في فلسطين 362. وأكدت صحيفة الأمة في 8 كانون الثاني/يناير عام 1910، أن الغاية من عقده في همبورغ هي بحث الهجرة الإسرائيلية وأحوالها 363.

نقلت صحيفة الكرمل، عن صحيفة الهدى تفاصيل الخطبة التي ألقاها ديفيد فلورنتين (David Florentin)، والتي كان لها أثر كبير بحيث "ارتجت لها الجدران، وتخرت أيدي المصنفين استحساناً، وبحث لها أصوات المهللين، والتي أفاض فيها في الحديث عن مهاجرة الأمة اليهودية إلى تركيا وفلسطين، وخطته فيها هي أن يجمع بين أفراد هذه الأمة المهاجرة والمتفرقة في سائر أنحاء المعمورة رجالاً ونساءً، الذين يطالبون جميعاً ويرغبون في أن يكون لهم قطر خاص بهم" 364.

قادت صحيفة المقتبس في شباط/فبراير عام 1910 حملة عنيفة للتنبيه إلى النتائج الخطيرة المترتبة على الهجرة والاستيطان، ووجهت اللوم إلى الأمة والحكومة لوقوفها موقف المتفرج تجاه هذا التيار 365.

كما كان لنجيب نصار وصحيفته الكرمل الموقف ذاته؛ إذ استمر خلال عام 1910 بسياسته المعارضة الهجرة والاستيطان الصهيوني، ولخص أفكاره بهذا الشأن في مقال نشره في شباط/فبراير عام 1910 تحت عنوان "استعمار أم استدرار" 366، وقد أحدث هذا المقال ردة فعل غاضبة لدى بعض الجهات المعنية، وبعض



الصحف، فاستنكرت صحيفة جراب الكردي تحذيرات نصار من خطر الهجرة، وأكدت أن "هجرتهم إلى فلسطين ذات منافع جمة". ووافقتها في هذا الرأي صحيفة المقطم التي دأبت على الترويج للهجرة اليهودية، بحجة أن فيها النفع العميم، والخير الجم لسكان فلسطين، وبأن المخاوف المثارة من جراء الهجرة ليست إلا أوهاماً باطلة<sup>367</sup>. واتهمته صحيفة النفير العثماني- الصادرة في القدس، والناطقة باسم الصهيونية-بالتفرقة بين العناصر في الدولة، وقد أثمرت هذه التهم، محاكمة نصار، واضطراره إلى تقاديبها بإضافة كلمة (الأجنبي) إلى عبارة الاستعمار الإسرائيلي، لكي يفرق بين اليهود المواطنين والموجة الجديدة من الهجرة<sup>368</sup>.

ولكن ذلك لم يمنعه من تتبع ما كان ينشر بخصوص الهجرة والاستيطان؛ ففي 16 نيسان/أبريل عام 1910 نقلت صحيفة الكرمل عن إحدى الصحف الصادرة في أزمير، قولها: "بأنها علمت من مصادرنا في القدس أن الجمعية الصهيونية أخذت سراً في إدخال الإسرائيليين الأجانب إلى فلسطين، وذلك على الرغم من الأوامر الصادرة من الحكومة في آب/أغسطس عام 1907، يساعدها على ذلك كثير من مأموري الحكومة المحلية، فبلغ عددهم في هذه السنة نحواً من ثمانية آلاف في حيفا وحدها، مع أن المقيددين في دفاتر الحكومة لا يزيدون عن المائتين...، ولتختم الكرمل خبرها هذا بالتساؤل التالي: "فليقل لنا حضرات الذين اصطفنهم الأمة من المأمورين ليكونوا وكلاء عنها في إدارة شؤونها وصيانة حقوقها: هل يسمح أحدهم لغريب بالدخول إلى بيته والتصرف به كصاحبه؟ ثم هل يتخلى له عنه؟ فكيف يجوز إدخال الأجانب إلى بلادنا فيتمتعون بهوائنا ومائنا ويزاحموننا على أوطاننا؟.. وهل يضمن لنا مأمورونا كون هؤلاء المهاجرين هم من خيرة الناس، وليس فيهم الفوضوي والثوري والجاني والفار... الخ؟ فلماذا يتناوم المأمورون؟"<sup>369</sup>.

ممن استوقفه تزايد أعداد اليهود في فلسطين خلال عام 1910 يوسف الحكيم رئيس محكمة يافا آنذاك، فكتب، يقول: "ومما لفت نظري أن عدد اليهود الأجانب مجتمعين يقرب من عدد الوطنيين، فأما اليهود فمنهم الأصليون لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة آلاف، ومنهم الغرباء وعددهم غير معروف لعدم وجود دائرة إحصاء لدى الحكومة، ولكنه يقدر بثلاثين ألفاً في يافا والقدس المجاورة لها، ومنهم المهاجرون من روسيا ورومانيا وألمانيا والنمسا والمجر واليمن والعراق وبعض الولايات العثمانية وشمال أفريقيا، مما يدل على أن فكرة الهجرة إلى فلسطين كانت هدف يهود العالم، يغذيها كبارهم بمختلف الصور، وقد ظهر كما يقول الخبراء من اليافيين أن عدد اليهود المهاجرة إلى يافا قد زاد في العهد الدستوري مما كان عليه في العهد الحميدي، بفضل حماية القانون الأساسي حق كل فرد منهم، بالإضافة إلى الامتيازات الأجنبية التي ظلت مرعية"<sup>370</sup>.

في محاولة لمواجهة سيل الهجرة ومخاطر الاستيطان، قدم أحد المواطنين العثمانيين ويدعى أمين حشيمي اقتراحاً في 14 كانون الثاني/يناير عام 1910 إلى النواب في مجلس الأمة بعامّة، والعرب على بخاصة، وينص على "إسكان العرب الرحل، وتعويدهم على المصر والحضارة، لأن إسكان هؤلاء خير من إسكان المهاجرين الذين يردون أفواجاً، ويتقاطرون زرافات من كل فج وصوب، إذ نحن

في حاجة عظيمة لمزج العناصر الموجودة بين ظهرانينا، لا لتكثيرها وبثها في أنحاء البلاد”371.

نقلت صحيفة الأمة في 13 شباط/فبراير عام 1910 تقريراً عن صحيفة عثمانيشر لونيدي كتبه مراسلها في القدس، بحث فيه حالة الموسويين في القدس، والبالغ عددهم خمسة وأربعين ألفاً، مقابل عشرة آلاف من المسلمين، وخمسة عشر ألفاً من الطوائف المختلفة، وتحدث عن أوضاع المهاجرين اليهود الذين بينهم عدد من الطاعنين بالسن، الذين يهبطون بيت المقدس بأمل أن يقضوا ما بقي من حياتهم في الأراضي المباركة372.

أما الصحفي عبد الله مخلص، فقد طالب مجلس المبعوثان في 15 آذار/مارس عام 1910 بإثارة قضية الاستيطان الصهيوني وبيان خطورته، والتحذير من قرب سقوط فلسطين بأيدي الصهاينة، وعقده مقارنة بين ما كان يحدث أثناء عهد الاستبداد وعهد الحكومة الاتحادية من حيث الطريقة التي كان يتم بها التعامل مع المهاجرين اليهود، فقال: “وكان يأتي ذاك الغريب ثغور فلسطين، فلا تطأ قدمه إلا بعد أخذ الموائيق عليه، حتى إذا زار بيت المقدس وبقية الأماكن أرجعوه القهقري، أو جعلوه بقرة حلوب، وقد أصبحوا الآن يدخلونها بسلام، ونحن لم نقرأ ولم نسمع أن حكومتنا الدستورية التي لا بد من أن تكون أبعد نظرة في العواقب من تلك الفئة المنقرضة التي أمرت بذلك، وفيه ما فيه من القضاء المبرم على مستقبل البلاد”373.

إن هذا الموقف المتساهل من قبل الحكومة الاتحادية تجاه الهجرة والاستيطان دفع بعدد من النواب العرب في منتصف أيار/مايو عام 1910 إلى مطالبة وزير الداخلية إصدار تعليمات تمنع دخول حشود المهاجرين اليهود، لما يشكلونه من خطر على الإمبراطورية العثمانية، فبعث وزير الداخلية بتعليمات إلى القدس وبيروت لتفعيل القيود على الهجرة. وقد أكد تقرير القنصل البريطاني جدوى هذه التعليمات على أرض الواقع، التي جاءت نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون الاجتياح والغزو اليهودي الأجنبي374.

أما أهالي حيفا، فقد بعثوا برقية إلى الأستانة، احتجوا فيها على قدوم مئة ألف مهاجر يهودي. وأرسلت برقيات وعرائض باسم أهالي فلسطين عموماً، احتجاجاً على دخول أكثر من ثلاثمئة ألف مهاجر375. كما أرسلت برقية أخرى موقعة من مختير الطوائف الدينية في مزارين، تحدثوا فيها عن خطر الاستيطان اليهودي الذي يشكل تهديداً مباشراً لهم. وبعد أيام قليلة من إرسال هذه البرقيات، بعث مسلمون من حلب ودمشق وضواحيهما برقيات طالبوا فيها الحكومة بوقف الهجرة376.

أما الأمير مصطفى أرسلان، فعلى الرغم من تأكيده في 25 حزيران/يونيو 1910 أن الاستعمار يسهم في ترقية البلاد، إلا أنه استثنى الاستعمار الصهيوني، وذلك “لإتباعه طرائق مختلفة من أجل السيطرة على فلسطين، ولتعثمنهم كذبا، وتقييد أسمائهم في دفاتر الحكومة بأسماء غير أسمائهم، وعند الحاجة بيرزون

السابورطات بأسمائهم الحقيقية وبتابعياتهم الأجنبية، مما يوقع الدولة في مشاكل في المستقبل". ولمواجهة هذا الوضع، طالب أرسلان الدولة بتسجيل أسماء القادمين إليها على أنهم عثمانيون، وذلك بعد المصادقة على ذلك من دولهم وقناصلهم، وإن لم تصادق دولهم على عثمانيتهم<sup>377</sup>.

وفي 9 تموز/يوليو عام 1910 تقدم أحد مواطني طبريا بشكوى بحق القائمقام عبد الله أفندي خير، في إثر زيارة الأخير قرية لوبية، "وتهديده الأهالي بصورة لا يجيزها القانون، ولا تليق بحاكم دستوري أن يتقوه بها من أجل مصالح المستعمرين"<sup>378</sup>.

حذرت صحيفة الكرمل في رسالة وجهتها إلى الحكومة في 9 تموز/يوليو عام 1910، تحت عنوان "روسيا وتركيا واليهود"، من خطر تقاوم الهجرة من روسيا التي تضطهد اليهود، وترحب الحكومة العثمانية بهم، وفتح أبواب بلادها لهم، بحيث أصبحوا ذوي كلمة مسموعة ورأي نافذ في فلسطين، وذلك على الرغم من أن "العثمانيين أنفسهم يخافون من قضية الإسرائيليين التي استقل أمرها في روسيا ورومانيا، بأن يكون لها ذنب في البلاد العثمانية، وخصوصاً في فلسطين، حيث اشتدت نهمة الإسرائيليين إلى الاستعمار"<sup>379</sup>. وربطت الصحيفة في 25 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 بين القرار الذي أصدره والي بيروت بمنع مهاجرة أبناء البلاد ليبقوا فيها ليعمروها، وبين تهديد المستعمرين لإخراجهم من أراضيهم في الفولة، وخاطبت الوالي بقولها: "ولكي لا تخسر الأيدي العاملة منهم، فقد خدمت بذلك الحكومة والبلاد، فخير ما تفعل يا مولاي أن تستحصل لهم على مال من الحكومة يساعدهم على المهاجرة، فذلك أولى من الحجر عليهم، وتركهم يموتون جوعاً"<sup>380</sup>.

وفي السياق ذاته، عرض عزيز عريضة، أحد أبناء يافا في 15 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 الأوضاع، بعد مرور عامين على الحياة الدستورية في الإمبراطورية، فقال: "كنا نتمنى أن يكون لنا حكومة دستورية تنبه الشعب من غفلته وتم لنا ذلك، وصارت حكومتنا دستورية، وتشكل مجلس نوابنا، وأصبح الحكم للشعب والرأي له، وتحررت الأقاليم، ولكن مر على ذلك عامان والحال باقية كما كانت، الاستعمار يمتد، ومهاجرة الوطنيين من البلاد والمستعمر إليها تزداد"<sup>381</sup>.

أثار سيل الهجرة المتدفق إلى فلسطين وما جاورها مخاوف قائمقام الناصرة السابق شكري العسلي- الذي عزل من وظيفته لتصديه للصهيونية ومخططاتها- فوجه رسالة استغاثة إلى قائد الحملة الحورانية سامي الفاروقي في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910، عبر صحيفة المقتبس، كشف فيها عن أن "الحكومة كانت قبلاً منعت استعمارهم، ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر ألباب الخائنين من الحكام والمستخدمين استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبرية، وبعض قضاءي صفد ويافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها، واليوم يسعون للدخول إلى قضاء الناصرة... وهم لا يزالون حاملين الجوازات الأجنبية التي تحميهم، وعندما يصيرون إلى المحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم، ويدعون

الحماية الأجنبية... وقد احتالوا على الحكومة فقيدوا أنفسهم عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً"382.

رأى رفيق العظم في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 أن مكنم الخطر في الهجرة هو في بقاء اليهود محتفظين بجنسياتهم الأجنبية، وبدعم تجنسهم بالعثمانية، ولمواجهة هذا الخطر والتصدي له، لا بد من فرض الجنسية العثمانية عليهم. وأبدى العظم استغرابه من "سعي بعض كبارهم لإلغاء الورقة الحمراء، التي تعطي جوازاً لكل أجنبي منهم يدخل فلسطين من الحكومة المحلية، وهي لا تجيز له البقاء فيها أكثر من ثلاثة أشهر، ومكنم الغرابة لديه هو في "بقائهم على التبعية الأجنبية يضررون أنفسهم والمكان الذي يقدسونه، فبلا ريب إذا وقع شجار بين الدولة الروسية مثلاً وبين الدولة العثمانية من أجل اليهود الروس في بيت المقدس، فعقلاء اليهود أدرى بسوء عاقبة هذا الأمر عليهم"383.

لم ترق طروحات العظم هذه لكثيرين، فانقدت بعض الصحف وجهة نظره، وأنكرت أي خطر يمكن أن تشكله الهجرة اليهودية على الدولة العثمانية، بل اعتبرتها مصدر فائدة384.

سعت صحيفة الكرمل في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1910، وتحت عنوان "الحق لا مرأ فيه"، إلى كشف أسلوب آخر للتلاعب الصهيوني للتضليل بشأن حقيقة أعداد المهاجرين، وتجاوزاتهم للقوانين العثمانية، والمخاطر المترتبة على مثل هذه الأوضاع، فقالت: "إننا نعلم بأن عدد نفوس الإسرائيليين في دفا تر حكومة حيفا لا يتجاوز الخمسمائة حالة، ولكن عددهم الحقيقي يربو على العشرة آلاف، وكلهم لا تعرف الحكومة شيئاً عن تبعثهم وصفتهم، ومع كل باخرة تأتي منهم جماعات جديدة، فلو ارتكب أحدهم جرماً لا يمكن للحكومة معرفته والقبض عليه، فما معنى إغماض الحكومة إلى هذا الحد عن معرفة الأعراب الذين يدخلون البلاد"385.

ولكن، على الرغم من الاتهامات للحكومة بتسهيل دخول المهاجرين اليهود، إلا أن ذلك لم يحل دون استمرارية التنسيق الصهيوني-الاتحادي بهذا الخصوص؛ ففي 12 نيسان/أبريل عام 1910 أشارت صحيفة المفيد إلى لقاء باش حاخام الطائفة الإسرائيلية مع رئيس مجلس الأمة أحمد رضا بك، وإجراء مفاوضات سرية معه تتعلق ببعض شؤون الطائفة386. ويبدو أن هذه المفاوضات كانت مثمرة، إذ ذكرت الصحيفة ذاتها في 16 أيار/مايو عام 1910 أن الحكومة وعدت رئيس الطائفة الإسرائيلية بوقف إصدار مذكرة النفوس الحمراء للإسرائيليين المهاجرين إلى فلسطين، بعد أن يصادق مجلس النواب على نظام تذاكر النفوس387.

نجح ناحوم أفندي رئيس الحاخاميين في الدولة العثمانية في استثمار صداقته للصدر الأعظم لطفى باشا، في الإسراع في وتيرة إقامة المستوطنات اليهودية في فلسطين، وذلك في الوقت الذي كان يؤيد فيه التدخل الدبلوماسي من قبل القوى العظمى بغية إقرار حق السيادة على فلسطين388.

يذكر ليفي أبو عسل في كتابه يقظة العالم اليهودي أن انتخاب حاييم ناحوم أفندي لمنصب الحاخام الأكبر لمصر "جاء متزامناً مع خلع السلطان عبد الحميد، والذي كان من طلائع أعماله قبل أن يتبوأ السلطة الروحية، جهاده مع المسيو ستراوس ومرغانو سفيري الولايات المتحدة جهاد الأبطال في القضاء على الجواز الأحمر الذي وضع خصيصاً لتحديد المهاجرة في تركيا"389.

لم يحل تنامي الوعي العربي- على اختلاف أشكاله- دون خطر استمرارية الهجرة والاستيطان؛ ففي أواخر صيف عام 1910 شرع في بناء مستوطنة دجانيافي سهل طبريا، وهي أول مستوطنة زراعية390، وقد أشرف على تأسيسها رئيس (مكتب فلسطين) وخبير الإسكان الدكتور روبين، وهي نوع جديد من المستوطنات التعاونية الاشتراكية391، وقد جاء إنشاء هذه المستوطنة تنفيذاً لقرار المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905، القاضي بتوسيع نطاق الاستيطان الزراعي في فلسطين392.

دفعت شدة الهجمة العربية ضد المستوطنات بالزعيم الصهيوني بن غوريون، إلى كتابة مقال عام 1910، بحث فيه مستقبل وجود اليهود في فلسطين، والتكامل والسطو الذي تتعرض له المستوطنات من قبل الفلاحين العرب، ووحدة القوى العربية مع قبائل البدو بهدف الوقوف جميعاً ضد حركة الاستيطان393.

ارتفعت وتيرة الوعي العربي تجاه الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني خلال عام 1911، وخصوصاً لدى النواب العرب في مجلس المبعوثان، الأمر الذي اضطر معه الصدر الأعظم إلى الرد عليهم مبرراً موقف الحكومة "بأن أصل المشكلة هو الأوضاع السيئة التي يعيشها اليهود في بعض ممالك أوروبا، وهجرة فريق منهم إلى أماكن مختلفة، حيث هاجر تسعة ملايين منهم إلى الأرجنتين، وبعضهم جاء إلى فلسطين، فخاطبوا حكومتنا واغتموا فرصة التساهل في عهد السلطان عبد العزيز، فجاءوا واستوطنوا فلسطين، ولكن نزول هؤلاء الأجانب المهاجرين، وهم يختلفون خُلُقاً وخلقاً وتقاليد عن الشعب الفلسطيني نجمت عنه المشاكل"394. كما أكد وزير الداخلية في حديث له أمام مجلس المبعوثان على أن "الحكومة اتخذت الوسائل لمنع مهاجرة اليهود إلى قسم واحد من أقسام المملكة العثمانية، وبأن أفكار الحكومة في هذا الشأن موافقة لأفكار اليهود العثمانيين الذين لا يرغبون أن تنثور في البلاد العثمانية مسألة جديدة مضادة لمصالح البلاد تحت اسم الجمعية الصهيونية"395.

هذه الأقوال التي جاءت على لسان كل من الصدر الأعظم ووزير الداخلية، لم تقلح في تهدئة القلق بهذا الشأن، والذي عبّر عنه أحد أركان حزب الاتحاد والترقي كاظم باشا، بتحذيره في 6 كانون الثاني/يناير عام 1911 من عدم قدرة الحكومة على تحمل تجمع اليهود في فلسطين، ليتحولوا إلى أعداء لها في الأيام المقبلة، وأضاف: "نحن نفتح بلادنا لجميع اليهود المضطهدين في البلدان الأخرى، ونبيح لهم التوطن في ولاياتنا التي لا تسمح الأحوال بإقامتهم فيها"396.

كتب نجيب نصار في شباط/فبراير عام 1911 رداً على هذه التصريحات، وعلى ما جاء في بعض الصحف السورية حول خطر الهجرة اليهودية والاستيطان، قائلاً: "ورداً على كل المدافعين عن الصهيونية فإن كانت تقوم بعمل إنساني بإيجاد ملاجئ لليهود المظلومين في بلاد أخرى، فلا يقضي أن تكون سبباً بإشقاء أهل البلاد" 397.

لم تحل ردود الصدر الأعظم ووزير داخلية دون طرح المسألة أكثر من مرة في جلسات مجلس المبعوثان، ولا سيما مع دخول عناصر جديدة إليه، كالنائب شكري العسلي الذي لم يكذب يصل إلى المجلس، حتى أثار هو ومبعوث القدس روجي الخالدي قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين 398، وحذر من تزايد أعداد اليهود، "بحيث أصبح في متصرفية القدس وحدها مئة ألف يهودي، وبأن القوانين التي سنتها الحكومة لهجرتهم، ومنح جواز السفر الأحمر لهم لم تحل دون هجرتهم لأنها لم تنفذ" 399. وبأنه "إذا لم تضع الحكومة حداً لهذا السيل المتدفق من المهاجرين، فإن الوقت لن يكون بعيداً، الذي ستصبح فيه فلسطين ملك المنظمة الصهيونية" 400.

في جلسة الأول من آذار/مارس عام 1911، أثار النائب إسماعيل حقي مسألة إسكان المهاجرين اليهود في فلسطين، وفي شط العرب من قبل الصهيونية، وقد أيدته في طرحه هذا نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك، وفي جلسة لاحقة- وعندما أثرت مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين- ادعى النائب اليهودي عمانوئيل قره صوه بأنها ليست مهمة، فاتهمه روجي الخالدي بعدم قول الحقيقة، وبأن أهميتها فوق العادة 401.

حاول الصدر الأعظم تبرير الوضع مرة أخرى، وبيان موقف الحكومة، بقوله: "إن مشكلات حدثت بينهم وبين اليهود العثمانيين، لعدم امتزاجهم واتحاد عاداتهم، فمنعت مهاجرتهم بعد الحرب الروسية، والموجودون الآن في فلسطين من الموسويين الألمان، إنما ظلوا فيها منذ تلك الحرب، ثم أحدثت الحكومة طريقة الجواز الأحمر، وهو في الحقيقة عبارة عن إذن بالسكن الموقت، ولا يزالون على هذه الطريقة إلى أن يسن قانون للمهاجرين" 402.

تعتبر جلسة مجلس المبعوثان في 3 أيار/مايو عام 1911 جلسة البحث في المسألة الصهيونية بحق، ففيها عرض روجي الخالدي إنشاء البنك الصهيوني من قبل نقابة اليهود المتحدة برأس مال مليار فرنك، والذي جرى بوساطته تجميع نحو ثمانين ألف يهودي في فلسطين. وفي إجابة على مداخلة لفيضي بك حول ما إذا ما كان ما يقوله الخالدي صحيحاً، فلماذا لم ينتخبوا مبعوثاً عنهم؟ رد الأخير بأن أكثرهم أجنبي، وهم إذا ما تجنسوا بالعثمانية، فبإمكانهم وعلى ضوء عددهم أن ينتخبوا ثلاثة أو أربعة نواب يمثلونهم 403.

ثمّة نقطة أخرى أثارها الخالدي، وهي اتهام الحكومة بعدم الاهتمام بأمر هؤلاء، وعدم تقدير خطورة تواجدهم، كما كشف الأساليب التي كانوا يتبعونها لتثبيت وجودهم 404.

وتحدث في الجلسة ذاتها، نائب القدس سعيد الحسيني، حول موضوع الهجرة، فقال: "إني اعتقد أن مهاجرة اليهود التي بدأت منذ تسع سنوات تقريباً- أي منذ عامي 1902-1903، وهو بذلك يسقط من حسابه ما سبقها من هجرة أسست لما تلاها- وما زالت في ازدياد رغماً من الممانعات الشديدة"، وأضاف أنه لا ينكر أن الحكومة المحلية والحكومة المركزية ما فتئت تتخذ التدابير لمنع هؤلاء، ثم أعرب عن أمله "من همة ناظر الداخلية أن يتخذ الأنسب من التدابير لتطمين الأفكار العمومية". وقد قدر الحسيني عدد من جاء إلى فلسطين من اليهود بمئة ألف، وذلك بدعم من أغنياء اليهود كأوسشكين الروسي وروتشيلد وهرش وأمثالهم 405.

كرر الخالدي في جلسة المجلس- التي خصصت لمناقشة الميزانية في 16 أيار/مايو عام 1911- هجومه على الحكومة لخرق القانون القاضي بمنع المهاجرين اليهود من الاستيطان في فلسطين 406. وذلك في الوقت الذي كان لسعيد الحسيني وجهة نظر أخرى، إذ رأى أن الإمبراطورية استقادت كثيراً من الهجرة اليهودية. في جلسة لاحقة من اليوم ذاته، طالب شكري العسلي بالتصويت على مشروع قانون كان قد تم تحضيره عام 1909، ويقضي بوقف الاستيطان اليهودي في فلسطين. ولكن أقصى ما حصل عليه النواب العرب رداً على مطالبهم، هو تأكيد من وزير الداخلية أن القيود التي كانت مفروضة على دخول اليهود سيعاد العمل بها. استناداً إلى صحيفة القسطنطينية، فإن النواب العرب فشلوا في طرحهم القضية الفلسطينية، لأن المجلس لم يكن مهتماً بالمسألة، وإن طرح النواب العرب المسألة جاء باهتاً، يسيطر عليه الخوف من الاتهامات بالاسامية 407.

الملاحظ هنا، أنه على الرغم من أن الخالدي والحسيني مبعوثان عن منطقة واحدة في فلسطين، وهي القدس، إلا أننا نجد تناقضاً واضحاً في أقوالهما في ما يتعلق بموقف الحكومة من الهجرة والاستيطان؛ فبينما أنحى الخالدي باللائمة على الحكومة لعدم انتباهها إلى المسألة، نجد الحسيني يطنب في حرص الحكومة المحلية والمركزية، بينما الواقع والوقائع كانت تخالف هذا الرأي، فبفضل التهاون الحكومي على اختلاف أشكاله استطاع اليهود الصهاينة التغلغل والاستيطان في فلسطين. وفي محاولة من الحكومة لتهدئة النواب العرب، صرح وزير الداخلية الجديد خليل بك بأن الحكومة ستمنع تركيز اليهود في منطقة واحدة 408.

تعددت خلال عام 1911 مظاهر الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني، فإضافة إلى طرحها في مجلس المبعوثان، كانت هناك عملية رصد لما يجري في فلسطين، من حيث تزايد أعداد المهاجرين وتجاوزات المستوطنين، وتغافل الحكومة وممثليها في تطبيق القوانين والتعليمات؛ فصحيفة المقتبس استوقفتها في 7 كانون الثاني/يناير عام 1911 ما نشرته صحيفة عثمانيشر لويد في بطرسبرغ على لسان أحد أنصار الصهيونية القادم من سورية، الذي قدم وصفاً أو صورة لما هي عليه القدس في ظل الاستيطان الصهيوني، فقال: "لقد كثر الإسرائيليون في القدس بصورة خارقة للعادة حتى أضحت تعد بلدة إسرائيلية، وإن بقية العناصر تعد بمثابة العدم بالنسبة للإسرائيليين، وإن لهم في القدس (120) مدرسة وكنيساً، وعددهم يتجاوز الثمانين ألفاً، وإن الإسرائيليين في حيفا ويافا

يزيدون بهذه النسبة... وإن المهاجرة من روسيا نتيجة لما يقع على الخمسة ملايين منهم في روسيا من الظلم، وإن جمعية المهاجرين تنفق مبالغ جسيمة لتأمين المهاجرين "409. وعلقت الصحيفة على ذلك، بقولها: "هذا ما يقول به كبير من كبار الصهيونيين، ننقله ليطلع عليه القراء، وليعلموا مقدار عناية الصهيونيين وجريهم، وتكاسلنا في مقاومتهم، مما يجعل الإنسان معجباً بنشاطهم، راثياً لتهاوننا وضعفنا عسى أن نرى من الحكومة تدبيراً عاملاً يشرح الصدور، ويصد هذا السيل الجارف من الأجانب"410.

توضح الشكوى التي تقدم بها أحد أهالي قرية لبية في 10 كانون الثاني/يناير عام 1911 مدى العنت والاستهتار الصهيوني، وتواطؤ بعض موظفي الحكومة، ومفادها أنه بينما كان يزرع في أرضه الجارية بتصرفه جاء عليه خيالان من الجندرية من طبريا، مع وكيل المستعمرات الإسرائيلية روزنك، وأوقفاه عن الزراعة، ولم يسمحا له بتغطية بذاره الذي كان مبدوراً في الأرض411.

استمرت احتجاجات أهالي فلسطين، التي عبروا من خلالها عن وعيهم خطر الهجرة والاستيطان، فرفع أهالي يافا في 30 آذار/مارس عام 1911 احتجاجاً إلى مجلس المبعوثان والصدارة العظمى، طالبوا فيه الحكومة "بوضع حد للخطر الصهيوني الدايم، والداء الوبيل بسد باب الهجرة، إسوةً بغيرنا من الحكومات"412.

أظهرت صحيفة المقتبس في 21 حزيران/يونيو عام 1911 الدور الذي أدّاه الموظفون العثمانيون في مساعدة المستعمرين، ودللت على ذلك من خلال إيرادها خبر حفل الوداع الذي أقامته مستعمرة زمارين لمساعد المدعي العمومي علي كمال أفندي الذي رافقه في الاحتفال قائد الدرك ذكي أفندي الملازم، حيث أقيمت لهما ليلة راقصة. وقد علقت الصحيفة على قرار نقله بقولها: "الذي أسعفتنا العناية الإلهية بنقله من قضاء حيفا إلى قضاء بعلبك، لعدم اقتداره على إيفاء وظيفته في هذه الديار"413.

هذا التكريم لم يأت من فراغ، فقد كان لهذا المعاون ووكيل المستنطق يد في إطلاق سراح الشخص الذي اعتدى على نجيب نصار، مما أدى إلى احتجاج الأهالي الذين أرسلوا إلى والي بيروت ومتصرف عكا وعدليتهما يطالبون بمجازاة المعاون ووكيل المستنطق، وهو ما دأبت صحيفة المقتبس على نشر تفاصيل تداعيته، فذكرت أن المعاون والوكيل هما اللذان سلما المتهم للقنصل الإنكليزي، في حين أن الجماهير من الناس كانت تظن أن القنصل أخذه قسراً عنهما414.

تمثل مظهر آخر من مظاهر الوعي بتشكيل حكومة حيفا المحلية لجنة في أواخر حزيران/يونيو عهدت إليها بمراقبة المهاجرين الموسويين الذين يأتون البلاد من طريق حيفا، وتطبيق أحكام الورقة الحمراء عليهم، وقد علقت الكرمل على هذه الخطوة بقولها: "فنشكر للحكومة انتباهها، ونأمل من القومسيون أن يقوم بما عهد إليه، فيسيطر له في تاريخ العثمانيين الاجتماعي آيات حميدة، كفى حيفا ما دخلها من ألوف المهاجرين إلى اليوم، حتى ضاقت بهم"415.



كان أحد القراء قد بعث في الأول من تموز/يوليو إلى الكرمل يتساءل بتهكم عن تصريح القائمقام المنشور في الصحيفة حول الجواز الأحمر بأنه ما زال مرعياً، وتساءل "هل لكم أن تقيّدوني إذاً عن الألوّف المؤلّفة من الموسويين الذين دخلوا حيفا من بعد الدستور؟ وهل يوجد في أيديهم جوازات حمراء؟ ألم تنته مدة إقامتهم في البلاد؟" 416.

شهد عام 1911 عدداً من المصادمات بين الفلسطينيين والمستوطنين، وفي مقدمها حادثة الفولة التي سبقتها حادثة أخرى في الناصرة، ولعل أبرز ما يميز هاتين الحادثتين أنهما تقدمان صورة لحقيقة ما وصلت إليه المستوطنات الصهيونية من قوة وقدرة على التأثير والتلاعب بالسلطات التركية المحلية وغيرها، إضافة إلى أمر آخر، هو ظهور مستوى التسلح العالي لديهم، الأمر الذي تنبّه له نجيب نصار، ونبه إليه من خلال تأكيده أن هناك عدة أنواع من هذه الأسلحة التي يمتلكها الصهاينة كالموزر والقرداغ، وذلك على الرغم من أن هؤلاء اليهود جاءوا إلى الفولة من طبريا، و"بأن الذي علمناه أن حكومة طبريا نزعّت السلاح حتى غير الممنوع 417، وحتى البواريد البراهيمية والسيوف العتيقة المصدية المثلمة من أهالي ذاك القضاء، فهل فرقت يا ترى بين الأهالي والمستعمرين، وإننا ننبه المراجع العالية إلى التحقيق في ذلك.. ثم يقال إن المتهمين ينتظرون من يثبت عليه الجريمة ليدعي الأجنبية... إننا ننبه حكومة الناصرة إلى التدقيق في عثمانية المتهمين وفي المكان والزمان والطريقة التي تعثّموا فيها" 418.

توالى الحوادث المشابهة لحادثة الفولة والناصره؛ ففي رسالة من أهالي سولم حول ادعاء المستوطنين الصهاينة بأنهم أتلّفوا ما يساوي قيمته 2100 ليرة من المزروعات، في حين أثبتت التحقيقات أن التلّف طفيف، حيث اغتتمت صحيفة الكرمل الفرصة للتذكير بحادثة قتل أحد أبناء كفر كنا، وفرار القاتل بعد أن جرت محاولة من المستعمرين لإلصاق التهمة بأصحاب القتل، وإهمال الحكومة المحلية التحقيق. كما ذكّرت الصحيفة بحادثة قتل أحد المستعمرين في السجرة، وكيف أن الحكومة وجهت الاتهام لأهالي كفر كنا، وقامت جراء ذلك بتعذيبهم ومضايقتهم 419.

استمرّ التّديد ببعض المأمورين الذين - وفقاً لما ذكرته صحيفة الكرمل في 27 أيار/ مايو عام 1911 "لا يألون جهداً في السعي وراء منافعهم الذاتية، فيمدون يد المساعدة لهم وللمسيو فرانك وكيل روتشيلد،... ويخدمون أفكاره كما يرغب، بل أفكار الجمعية الإسرائيلية حتى انتهى إلى زمن توطن في فلسطين ما يقارب من مئة وخمسين ألف نسمة من مهاجري اليهود، وتبدّل قرية زمارين إلى (بوآخر جاحوب) أي تذكّار يعقوب نسبة إلى والد روتشيلد اعترافاً بفضلّه، وأسكنوا فيها يهوداً لا كيهود بلادنا بل من يهود رومانيا وروسيا الأشداء، وأنفقوا أضعاف وارداتهم وما يجنونه في تلك الأراضي والمشروعات مما يدهش كل متأمّل وأخص بالذكر النفقات لإنشاء فنادق ومساكن لإنزال مأموري الحكومة ضيوفاً على الرحبة والسعة، وإطعامهم مجاناً" 420.

هذا التهاون الحكومي في مواجهة الهجرة والاستيطان الصهيوني دفع بنجيب نصار في حزيران/يونيو عام 1911 إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى جميع رؤساء الصحف العربية لاتخاذ موقف موحد معارض الاستيطان الصهيوني، لحمل الحكومة على اتخاذ إجراء ما ضد الصهيونية، والذي كان له صدى وتجاوب من الكثير من الصحف العربية<sup>421</sup>.

تناول الكاتب مصطفى نمر في تموز/يوليو عام 1911، في دراسة تتم عن نضج في الوعي لديه للدور الذي تضطلع به الدول الأوروبية في تشجيع الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وللعلاقة بين مصالح هذه الدول والصهيونية، التي اعتبرها علاقة حيوية ومهمة، فذكر بأنه من أخص أماني الروس سوق اليهود إلى الأراضي المقدسة لإيجاد المشاكل وتوليد المعضلات ليكون لها حق التدخل في سياسة الدولة وأمورها، وليتسنى لها تنفيذ ما تنويه كما تفعل في البلقان، "والإنكليز بيت القصيد عندهم فصل القطر السوري عن المصري لئلا يكون بعضهم ظهيراً لبعض إذا اقتضى الحال، لأن الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب، وفصل القطرين لا يكون إلا بإحلال أمة أجنبية في القطر السوري كاليهود، فهي تود أن تقوي اليهود في فلسطين والقطر السوري، وتنشئ دولة مستقلة صوتاً لها وحفظاً لكيانها في القطر المصري. وأما ألمانيا، فلها مطامع اقتصادية في العراق، فهي راضية ضمناً عن عمل الجمعية البرلمانية الصهيونية، وإلا كانت حذرت الوزارة الحقية كما تحذر هي منه في بلادها. ولا يسوء النمسا مد تجارتها في بلادنا بوساطة يهود بلادها، فلذلك هي تنظر إلى مهاجرتهم بعين الرضا. أما الجمعية الصهيونية، فهي تتقرب من جميع الدول ذات المصالح، وتستفيد من نفوذها حتى تبلغ أربها، ومتى اتسع ملكها وكثر عدد أبنائها في البلاد، أحدثوا القلاقل والفتن والمشاكل، واضطروا أوروبا للمداخلة ومنحهم حكومة مستقلة، فكل عثماني يبيع جمعيات الاستيطان رأساً أو بالوساطة أو يسهل عمليات البيع ونيل الامتيازات والاستيلاء على التجارة يخون وطنه وحكومته على ما نعتقد"<sup>422</sup>.

أعرب نجيب نصار في 27 تموز/يوليو عام 1911 عن استغرابه من قول الصهيوني نورمان بنتويش (Norman Bentwich)، إنه يعتقد "أن تركيا تقوي من كل قلبها مستعمرة يهودية كهذه في الشرق الأدنى، لكي تقاوم ميل الأعراب والأرمن للانفصال عن المملكة"، وقد رأى نصار في هذا القول كماً كبيراً من الدسيسة والخيانة لهذه السلطنة، ولا سيما إذا ما تمت مراجعة تاريخها بعد الدستور، وتمعن في حوادثها والتقلبات السياسية التي طرأت عليها، فيرجح الظن بعظم تأثير هذه الدسائس في الهيئة الاتحادية، وأضاف "بدأنا نشعر بتأثير الصهيونيين على الهيئة الحاكمة منذ علت نقمة الترك على العرب، وكنا نقول مراراً وتكراراً لعبدالله أفندي مخلص وإبراهيم أفندي أدهم ولكثير من غيرهم أن أحرار الترك سليمان النوايا وحديثو العهد في السياسة، ونعتقد أن الصهيونيين وجدوا فيهم موضوعاً قابلاً للخديعة، فأخذوا يتلاعبون بقلوبهم وبالسياسة العثمانية، وسيغرسون في صدورهم النفرة والكره للعرب والعناصر الأخرى، ويوهمونهم بأن العناصر، ولا سيما العرب غير مخلصين للدولة"<sup>423</sup>.

على الرغم من دفاعه هذا عن الاتحاديين، فإن نصار عاد في آب/أغسطس عام 1911 ليلسط الضوء على مدى تهاون السلطات العثمانية في حيفا في تطبيق أنظمة الدخول إلى البلاد وقيودها، ونجح في تشكيل لجنة من المواطنين لمراقبة الأوضاع هناك، حيث نجحت في الحصول على إذن من متصرف عكا للإشراف على نزول اليهود في مرفأ حيفا، للتأكد من أن قيود الدخول إلى البلاد مطبقة عليهم تطبيقاً دقيقاً<sup>424</sup>.

كما أصدر نصار في ذلك العام، كتابه الصهيونية، الذي هاجم فيه الحكومة لعدم اهتمامها بمنع الهجرة اليهودية<sup>425</sup>.

حدثت مواجهة من نوع آخر، في تموز/يوليو عام 1911، تلك التي جرت في إثر الاحتفال الذي أقامته الجمعية الصهيونية في مستوطنة الملاحه التابعة لطبريا، وما شاهده القائمقام طغرل بك من تجاوزات تمس السيادة العثمانية، ما دفعه إلى إيقاف الاحتفال، وذهابه إلى قريتي مسحة وبيت دجن، فمنع إكمال الإنشاءات الجاري بناؤها بدون رخص قانونية، وهدم جانباً من البناء في مسحة، وطرد خمسة من اليهود الأجانب، وعاد إلى مركز القضاء وأخذ في التحقيق والتحري عن غيرهم ليتم طردهم، وعندما راجعه روزنك بالأمر وذكره بأقوال وأفعال شكري العسلي بطعن الصهيونية في مجلس الأمة، وأن الصدر الأعظم رد عليه بكلمتين، وذهبت جهوده هباءً، مؤكداً له أنه "إذا كان كبار رجال الدولة لم يفلحوا بشيء ضد الصهيونية، فأنتم من يعبأ بكم؟" فرد القائمقام عليه بقوله: "الدستور لا يبيح مخالفة القوانين ولا التجاوز على الوحدة العثمانية، فأنا كقائمقام أو كعثماني، أحامي عن العثمانية بكل قوتي، وبناءً على ذلك طردت من عرفتهم من الصهيونيين، وسأناظر على خطتي، وأمنع إسكان مهاجريكم الروسيين الذين يحملون البزاورط في جيب والتذكرة العثمانية في جيب"<sup>426</sup>.

استخلصت مجلة الكرمل نقطة مهمة جداً من هذه الحادثة، وهي مسألة أساسية في ما يتعلق بالاستيطان الصهيوني ومشروعهم عموماً، وعلاقات المؤسسات اليهودية الأخرى به، على اختلاف مواقفها؛ معارضة أم مؤيدة، وذلك من خلال قولها الذي وضعته بين قوسين لتأكيد أهميته، ولفت نظر القارئ إليه وهو (عجيب، روزنك وكيل للإيكا، ويقولون الإيكا غير راضية عن عمل الصهيونية، فما سر هذا التناقض)<sup>427</sup>.

أما صحيفة البيان ففي حديثها عن الصهيونية في 24 تشرين الأول/أكتوبر عام 1911، أكدت ما ذكره مبعوث القدس أن هناك ثمانين ألف يهودي، في حين أن عدد المسلمين لا يزيد عن تسعة آلاف<sup>428</sup>.

كان صلاح الدين القاسمي، وفي مرحلة لاحقة، قد كتب في عام 1918- وبعد أن أصبحت نتائج الهجرة اليهودية خطراً ماثلاً للعيان، وحبلاً يلتف حول عنق فلسطين- قائلاً: "وها نحن الآن نعاني ما نعانيه من شرور وأخطار الهجرة الصهيونية التي نبه الرواد إلى خطرهما منذ عام 1911"<sup>429</sup>.

حاول الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، من خلال رسالة بعث بها إلى صحيفة المفيد، ونشرتها في 19 آب/أغسطس عام 1911، التحذير من أن المهاجرين اليهود مسلحون بالمال والعلم، ومن ازدياد موجات الهجرة. لمواجهة ذلك، قام بتشكيل "الحزب الوطني العثماني" في آب/أغسطس عام 1911، الذي كان في مقدمة أهدافه، إغلاق باب الهجرة، وتطبيق الإجراءات الحكومية لمنعها<sup>430</sup>.

تزايد الوعي العربي بالشعور بخطر الهجرة والاستيطان في أعقاب انعقاد المؤتمر الصهيوني العاشر في آب/أغسطس 1911، الذي تميز بنوعية المواضيع التي ناقشها، والقرارات التي اتخذها- خصوصاً في مجال الهجرة والاستيطان- كذلك الذي ينص على أن المسألة اليهودية لا يمكن أن تحل إلا بالهجرة إلى فلسطين، وأن المهمة الملحة للمنظمة الصهيونية العالمية هي تشجيع الهجرة وتنظيمها<sup>431</sup>. وقد تبهت صحيفة المقتبس لخطورة ما تم بحثه في المؤتمر، فأوردت في 18 أيلول/سبتمبر عام 1911 حديث أوتو فاربورغ (Otto Warburg)) في المؤتمر الذي عرض فيه منجزات الجمعية الصهيونية، كإنشاء مصرف في يافا، وزراعة الحقول والأشجار، وإنشاء مدرسة زراعية وصناعية في حيفا، ومكتبة وطنية ومستودع أثري ومكتب صحي. ولتختم الصحيفة بالتعليق على ذلك، بقولها: "فليتأمل القارئ ما يبذله الصهاينة من الهمة في سبيل الوصول إلى غايتهم، ولينظر إلى أمانيتهم فيرى نشاطهم، وتقاعدنا عن صد تيارهم، متى نفق يا ترى مما نحن فيه من المذلة"<sup>432</sup>.

كتب أحدهم إلى صحيفة المقتبس مقالاً بعنوان "الاستعمار الصهيوني"، في 4 أيلول/سبتمبر عام 1911 وقعه بأحرف ي.ك.ش، قدم فيه تحليلاً للأساليب التي نجح من خلالها المهاجرون في الدخول إلى المملكة والاستيطان في فلسطين، كالأوضاع السيئة للدولة العثمانية، وجهل الوطنيين وغفلتهم، وعوزهم إلى الدرهم، وخيانة بعض المأمورين والسماسة الذين يبيعون نخوتهم بدراهم قليلة، مما ساعد على تحقيق أحلام الصهاينة، "واستعمار ما قدروا على امتلاكه من الأرض، وعدا ذلك فهم يقوون استعمارهم هذا بسلاح التبعية الأجنبية، فإذا صادفوا في سيرهم مانعاً معارضاً من أرباب النخوة الوطنية انفقوا ما يقتضي لإذلاله، وإخفات الصوت الوطني أو اتهموه بالتعدي عليهم"<sup>433</sup>.

في السياق ذاته، نشرت صحيفة النفائس العصرية في تشرين الأول/أكتوبر عام 1911 مقالاً بعنوان: "بعض مزارع يهود فلسطين من سنة 1860 إلى سنة 1900"، بقلم نجيب ميخائيل ساعاتي، الذي تحدث فيه عن تهافت الإسرائيليين على فلسطين، وليخلص إلى القول: "إن فلسطين كانت أهلة بكثير من الإسرائيليين، ولا تزال هذه الأراضي المقدسة ملجأهم الوطيد ومحط رحالهم الوحيد، فيصعدونها زرافات ووحداناً، أفراداً وأزواجاً، فراراً من مقاومات الغرب والشمال لهم، وأكد أن هذه الحركة طالما استوقفت أنظار القوم، وغدت بحكم الضرورة من المسائل الشاغلة لأفكار أولي الأمر، ولا غرو إذا شغلت كثيراً من الصحف العربية وغيرها، وشحذت قرائح كتبتنها، فالأمر جلل والتقاعد عن استقرائه يحملنا على الندم"<sup>434</sup>.

صنّف سليمان البستاني المهاجرة إلى الدولة العثمانية صنفين: هناك ما يكون القصد منه الإقامة أو الاستعمار، كمهاجرة فئة من الأجانب بمعاونة أرباب الأموال منهم لتتوطن في بقعة من الأرض، كتوطنها في بعض جهات فلسطين مع البقاء على جنسيتها، وخصوصاً أن هذه الفئة تجد في نفسها من أسباب العناية بها، ما يغنيها عن عناية الحكومة، أو قدوم المهاجرين إليها من تلقاء أنفسهم بقصد الإقامة والتجنس بالجنسية العثمانية، كمهاجري الشركس والكريت وبوسنة وهرسك، ليختم حديثه بالقول: "وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جداً، يضيق فيه البحث" 435.

من بين المقترحات التي قدمها البستاني في حديثه- في ما يتعلق بالمهاجرين القادمين إلى فلسطين- أن تعمل الحكومة على تشجيع واستقطاب هؤلاء باعتبار أن بيت المقدس تحديداً مركز سياحي، وهؤلاء سياح يشكلون دخلاً مادياً للدولة بقدمهم وسياحتهم فيها- ويجب على الحكومة الاستفادة من تجربة الدول الأوروبية لزيادة دخلها المالي بتوفير الأجواء التي تشجع السياح على ارتيادها-، ثم تحدث عن السياح والمستوطنين وفلسطين، فقال: "إن فيها مواطن الأنبياء ومهابط الوحي، فهي بهذا الاعتبار محجة المسلمين والمسيحيين وبني إسرائيل من كل أقطار الأرض، لو نظرت إلى المعالم الدينية في أوروبا، وعلمت أن زوار واحدة منها في فرنسا، يربو على عدد جميع الزوار الذين ينتابون بيت المقدس من أبناء جميع الأديان، تحققت إننا لو أعددنا هنا من أسباب الراحة والترحال ما أعدوا هنالك، لكان للبلاد من وراء ذلك مورد ثروة جديد، يبقى على أولي الأمر وأبناء البلاد ابتداءً كثير من الإصلاح اللازم لمعدات الراحة في الإقامة والانتقال داخل فلسطين وما جاورها، مما لا بد من أسباب التأمين والتشويق، على ما اعتاده زوار المسيحيين والإسرائيليين في أوروبا" 436.

إن هذا القول، بعيداً من مهنية كاتبه، وباعتباره وزيراً للزراعة، ويسعى إلى تطوير اقتصاد الدولة وماليتها، صادر عن الوزير العربي الوحيد في الحكومات التركية، والمدقق في ما كتبه يجد أنه بعيد كل البعد من وعي الخطر الذي تشكله الهجرة والاستيطان الصهيوني، وبعيداً أيضاً من تداعيات هذا الموضوع على الساحة العربية خصوصاً، والعثمانية عموماً، فكتب عن الموضوع وبحث فيه بحيادية وعلمية مستنيرة، وهو مثال واضح على قصور الوعي لدى بعض النخب العربية، لمثل هذه المسألة المصيرية في الصراع مع الصهيونية.

نشرت صحيفة المقتبس في 23 كانون الثاني/يناير عام 1912 عرضاً صهيونياً آخر لمنجزات منظماتهم في فلسطين، وتمثل ذلك بالخطاب الذي ألقاه أحد زعماء الصهيونية نورمان بنتويش، في لندن في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، وذلك بعد جولة له في فلسطين، وأشار فيه إلى تزايد أعداد المهاجرين وانتشارهم في القدس والخليل وصفد وطبريا، حيث يشكلون سُبُع عدد الأهالي، وبأنهم قبل ثلاثين سنة لم يتجاوز عددهم الأربعين ألف يهودي، وبأن المهاجرين الجدد من روسيا تمكنوا من إيجاد مستعمرات خاصة بهم، واكتفت الصحيفة بالتعليق على ما جاء في هذا الخطاب بكلمة واحدة هي، "فتأمل" 437.

ومن الحلول التي تم طرحها لمواجهة مسألة الهجرة والاستيطان الصهيوني، ذلك الذي قدمه نجيب نصار في شباط/فبراير عام 1912، وطالب فيه بإسكان مهاجري البلقان من المسلمين في سوريا، لأن ذلك "أضمن لمستقبل العثمانية من الإفساح للجمعيات الصهيونية للاستعمار، ونقل المهاجرين الصهيونيين بالآلاف إلى البلاد" 438.

رأت صحيفة المقطم في هذا الاقتراح إضعافاً للجنسية العربية بإدخال عناصر أجنبية، مما دفع بنصار إلى الرد عليها ساخرًا من أن الصحيفة لم تجد ضرراً بالهجرة الصهيونية، وترى الخطر الجسيم في هجرة مئة عثمانية إلى سورية، في حين أن صفحاتها مفتوحة لمقالات الكتبة الصهيونيين 439.

كما قدمت صحيفة المنادي في 26 آذار/مارس عام 1912 تحليلاً لأخطار الهجرة اليهودية، فأكدت على "أنه بإسكان المهاجرة وضع الصهيونيون أصابعهم في البلاد، وداست الأرجل الأجنبية التراب المقدس، وبأسبابها قلت الثروة، وتعطلت الأشغال" 440.

كانت المستعمرات الصهيونية قد أثارت اهتمام المقدسي أنيس الخوري الذي وصفها في مقال له بعنوان "ماذا رأيت من الأراضي المقدسة" في مجلة الكلية في نيسان/أبريل عام 1912، وذلك عند حديثه عن يافا، فقال: "في المدينة مستعمرة للألمان، وأخرى لليهود، وهما في أحسن تنظيم" 441.

كما أثارت اهتمام محمد كرد علي صاحب المقتبس الذي قدم في نيسان/أبريل عام 1912 صورة لما كانت عليه المستوطنات آنذاك، وذلك في معرض عرضه المناطق التي مرّ بها أثناء هروبه إلى مصر من ملاحقة السلطة العثمانية له، فقال: "الجليل أصبح أكثره ملكاً للصهيونيين من مهاجرة الإسرائيليين الأوروبيين، يستنبتونه على طريقتهم المتعارفة في ديار الغرب، حتى تحس للحال بالفرق بين زراعة الوطنيين وزراعة المهاجرين" 442.

ونبهت مجلة المقتبس في عام 1912 إلى "أن الأرض المقدسة- ولا سيما طبرية وصفد وحيفا ويافا والقدس- توشك أن تعد ولاية إسرائيلية، وذلك لكثرة المهاجرين في العشرين سنة الأخيرة من الإسرائيليين الروسيين والنمساويين والألمان وغيرهم من دعاة الصهيونية" 443.

تمثل جانب آخر من جوانب الوعي لخطورة الهجرة اليهودية والاستيطان، بالنداء الذي وجهه نجيب نصار إلى العامة أثناء انتخابات مجلس المبعوثان عام 1912، لانتخاب شكري العسلي وأمثاله من المرشحين للوقوف في وجه الهجرة، وذلك بغض النظر عن كونهم اتحاديين أو غير اتحاديين 444.

عقد المجلس المنتخب أولى جلساته في 18 نيسان/أبريل، وتلاشى الدور الذي كان للمجلس نتيجة سيطرة الاتحاديين، وغابت القضايا العربية عن مناقشاته، ومن بين القضايا القليلة ذات الخصوصية مسألة الحد من الهجرة اليهودية التي طرحها نواب

فلسطينيون، ولكن بعد التأكيدات الشكلية لوزير الداخلية طلعت بك، أن الحكومة ستخذ الإجراءات الضرورية، لم يطرح النواب الموضوع ثانية 445.

شهدت الساحة العربية مع بداية عام 1912 نمواً في الوعي لخطر الهجرة اليهودية والاستيطان، أسفر عن حملة شعبية واسعة لمناهضتهما، وذلك من خلال الضغط على الحكومة باعتبارها معنية بالدرجة الأولى في التصدي لها، وتقديم مجموعة من المطالب من بينها سد باب الهجرة، من خلال تطبيق قانون الجواز الأحمر، وإجراء تحرير أو إحصاء لنفوس الإسرائيليين، ومنحهم تذاكر تثبت فيها حقيقة أسمائهم وأسماء آبائهم وعائلاتهم 446.

مع مجيء حكومة الائتلافيين إلى السلطة في تموز/يوليو عام 1912، وإعادة فتح الصحف المغلقة، ونشاط النوادي السياسية المنحلة، التي تحولت إلى مراكز للعمل الوطني للقوميين العرب، وتردي الأوضاع الوطنية الفلسطينية، زادت الآمال في إعادة الحكومة الائتلافية نظرها في موضوع الهجرة اليهودية والاستيطان 447.

ولكن، وبعد خسارة الدولة العثمانية لحرب البلقان، وعودة الاتحاديين إلى السلطة، ووقوعها تحت تأثير الصهيونية، قررت إلغاء التذكرة الحمراء المفروضة على اليهود الأجانب، كثمرة لنجاح الصهيونية في دفع الاتحاديين إلى خدمة حركتهم 448. وللاستفادة من الأوضاع المؤيدة للصهيونية في القسطنطينية، وفي محاولة منهم لتوثيق علاقتهم فيها، قام زعيما الصهيونية بن غوريون وبن زيفي- وبتأييد من حزب عمال صهيون- بالالتحاق عام 1912 بجامعة القسطنطينية لدراسة القانون، لاعتقادهم بأن دراستهم ستمكنهم من الوصول إلى البرلمان العثماني، وتمثيل اليهود فيه، وبذلك يتمكنون من جعل الهجرة إلى فلسطين قانونية، كما ستمكنهم من التغلغل في الأوساط الحاكمة الجديدة المعادية للعرب، إلا أن عدم معرفتهما بالقوانين التركية كان حجر عثرة في طريقهما، ففشل مسعاها 449.

ربطت صحيفة المنادي في 2 تموز/يوليو عام 1912 بين الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني، وبين ظاهرة أخرى كانت تشهدها البلدان العربية، وهي الهجرة المعاكسة، فحاولت الصحيفة تنبيه الحكومة إلى خطورتها، فقالت: "وإذا انتهت الحكومة لأمر آخر جوهرى أيضاً، وهو منع السكان من المهاجرة، والمهاجرة الإسرائيلية... باتجاه فلسطين"، زادت الفائدة وارتقت البلاد ارتقاءً عظيماً" 450.

لم تكن المنادي أول من كتب في هذا الموضوع، فقد دفعت ازدواجية موقف الحكومة من هجرة مواطنيها داخل المملكة، وتدفق اليهود الصهاينة من خارجها إليها- حيث تشددت في الأولى وتهاونت في الثانية-، إلى مهاجمة هذه السياسة، فانقد أحد القراء وعبر صحيفة المقتبس في 19 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 سياستها حيال المهاجرين المسلمين الصرب البوسنيين والهرسكيين والجزائريين، وقال: "نرى الحكومة تغافلت منذ أمد عن استعمار اليهود الأجانب الصهيونيين، وتبخل الآن على العرب والمسلمين بقطع بعض من الأرض لتسكنهم فيها" 451.

هاجمت صحيفة فلسطين في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1912 الحكومة الائتلافية، ووصفت الأوامر الكثيرة التي صدرت من قبلها بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين حبراً على ورق، بما فيها الورقة الحمراء، وعقدت مقارنة بين الأوامر التي تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتلك التي تمنع هجرة أبناء فلسطين إلى أمريكا، مؤكدة أن الأوامر لم تحقق الأغراض التي سنتت من أجلها، بل استغلها الموظفون لاكتساب المال<sup>452</sup>.

ربط عبد الغني العريسي في حديثه عن مخاطر الهجرة الصهيونية في 8 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، بينها وبين الهجرة المعاكسة، فقال: "إن أهالي البلاد الأصليين- العرب- يهاجرون إلى أمريكا. في الوقت نفسه، يهاجر الصهيوينيون إلى بلادنا، ولا بد أنه سيأتي علينا يوم، إذا استمرت الحال على هذا المنوال، ويصبح العربي في بلده أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام"<sup>453</sup>.

ممن كان له باع في الحديث في هذا الموضوع، سليمان البستاني، الذي عزا أسباب الهجرة المعاكسة إلى الحروب واختلال الأمن، وتخاذل أبناء البلاد، وظلم الحكام، وجشع جباة الأموال، وانتشار الأوبئة. ورأى البستاني أن المسلمين والمسيحيين في ذلك سواء، وبأنه ربما كانت الوطأة أشد على المسلمين منها على المسيحيين<sup>454</sup>. وفي مقال له بعنوان "الهجرة عند العرب"، نشرته صحيفة فلسطين في 26 تموز/يوليو عام 1913، ربط راغب الخالدي بين تزايدها وبين تأسيس المدارس الأجنبية، وتوافد الأجانب على البلاد، مما أدى إلى إقامة علاقات بين الوافد والمقيم، ولا سيما في بيت لحم، حيث الأماكن المقدسة المسيحية، وبعد أن أحرز هؤلاء نجاحاً في المهجر تبعهم سكان القرى المسيحية الأخرى، مثل بيت جالا ورام الله، ثم تبعهم فلاحو القرى الجبلية المجاورة من المسلمين الذين يعانون الفقر الشديد، ورأوا النجاح الذي حققه جيرانهم، فأخذوا يهاجرون إلى أمريكا<sup>455</sup>.

مع ارتفاع أعداد المهاجرين العرب خارج بلادهم، وخصوصاً مع سماح الحكومة التركية بالهجرة لمن يرغب- وكان القانون العثماني قبل ذلك يمنع سفر من هم في سن العسكرية- تجددت المطالبة العربية بوقف الهجرة للحيلولة دون إفراغ البلاد من أهلها العرب<sup>456</sup>.

أسهمت التطورات في العلاقة بين الصهاينة والحكومة التركية، وانعكاسها على زيادة الهجرة والاستيطان الصهيوني إلى ارتفاع الأصوات العربية المنددة بهذه العلاقة، فدعا بعض وجهاء فلسطين إلى مقاومة الهجرة بالوسائل السلمية من خلال تقديم العرائض للصدر الأعظم، ونشر المقالات بهذا الخصوص<sup>457</sup>.

استمرت الصحف في نقدها الموظفين الأتراك لتواطئهم وتهاونهم في تسهيل عملية الاستيطان والاستجابة لطلبات المستعمرين، فوجهت صحيفة فلسطين نقداً لاذعاً لأمر المتصرف مهدي بك بالموافقة على غرس شجر اليو كالببتوس في الأراضي المحيطة بالقرى القريبة من شاطئ البحر، أي في جهات المستعمرات اليهودية، لأنه بهذا القرار " تكون عيون قارة قد استقادت الآن من هذا الأمر في مدة أسبوع، ما لم تقدر أن تستفيده في مراجعاتها وطلباتها من الأسنان مدة خمسة عشر عاماً"<sup>458</sup>.



وعلقت صحيفة المنادي على قرار المتصرف بقولها: "ليس فيه شيء من الغرابة، فإن ما تصبو الصهيونية إلى نبيله منذ كونهم وشروعهم في تنفيذ فكرتهم، سينالونه بفعل عطفة المهدي، في شهور قليلة إذا مد الله في حبل أيام حكمه في هذه البلاد" 459.

ثمّة مسألة أخرى مهمة، تناولتها صحيفة المقتبس، وكانت قد أشارت إليها صحيفة الكرمل، في العام السابق، في معرض حديثها عن حادثتي الفولة والناصر، ألا وهي تعدد أنواع الأسلحة التي وجدت بحوزة المستوطنين في عقب الاعتداء الذي قاموا به، فنتساءلت "عندما تم جمع السلاح في عهد سامي باشا الفاروقي أين كان قائمقام طبرية شاكراً أرطغرل أفندي عندما جمع من الأهالي حتى البواريد الإبراهيمية، واكتفى بالكتابة للمستعمرات الصهيونية فأرسلوا بضع بارودات عتيقة، فلم تسأل الحكومة شاكراً يومئذ، ولا اهتمت بجمع سلاح المستعمرات حتى صار أشقيؤها بحسن التفاتته يهاجمون قرى الأهالي بسلاح الموزر، فتأمل" 460.

كما وجهت صحيفة الكرمل سؤالاً إلى قائمقام الناصرة أمين عبد الهادي في 26 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912 عن أسباب تغاضيه عن أعمال البناء التي يقوم بها الصهاينة في الفولة، فرد بأن هذه العمليات ليست سوى مزاد للماشية (أو أخير)، إلا أن الكرمل شككت في صحة قوله، مؤكدة أن كل المستعمرات التي بناها الصهاينة بنوها تحت اسم (أو أخير) 461.

ثمّة بُعد جديد أضافه عارف الشهابي- الذي كان يوقع كتاباته باسم "عبد الله بن منسي"- في وعيه خطر الهجرة الصهيونية، والهجرات الشعبية عموماً، ألا وهو البعد القومي، وخطر مثل هذه الهجرات على القوميات، وإذا ما كان التغاضي عنها، أو تسهيلها مقصوداً أم لا من قبل الحكومة، فكتب في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 قائلاً: "إذا لم يكن ثمة داع يدعونا إلى التأفف من فكرة المهاجرة سوى الغاية التي يخيل لنا أن الحكومة ترمي إليها، وهي إضعاف القومية في نفوس أبناء جلدتنا، لكان بها مدعاة لنا على النفور والكرهية" 462. وانتقد محمد رشيد رضا التسهيلات التي تمنحها الحكومة للصهيونية، وما يترتب عليها من زيادة خطر الهجرة الصهيونية 463.

مع بداية عام 1913، بدأت الدعوة والترويج للتفاهم بين العرب والصهاينة، التي قادها حزب الإصلاح واللامركزية، فأخذت النظرة إلى الهجرة اليهودية والاستيطان- على الأقل بالنسبة إلى هؤلاء- تتغير إلى نظرة إيجابية؛ فعلى سبيل المثال، كتب داود بركات أحد أعضاء الحزب في صحيفة الأهرام عن ضرورة الهجرة لتطوير البلاد 464.

تتجلى أهمية هذا الطرح في أنه كان المدخل الذي استخدمه الصهاينة لإثارة اهتمام العرب والتفاهم معهم، فبعد أن عاد هوتشبرغ في منتصف آب/أغسطس إلى الأستانة، بعد لقائه بعض الشخصيات العربية، لخص انطباعاته في ما يتعلق بموقف الإصلاحيين العرب من الهجرة اليهودية، بأن المسيحيين أبدوا عطفاً عليها، وذلك لمواجهة التفوق العددي للمسلمين، في حين لم يكن لدى المسلمين اتفاق على هذه

المسألة؛ فهم بين مؤيد ومعارض 465، وهناك من وضع شروطاً في حال الموافقة عليها: كتحديد العدد سنوياً، وتحديد الأرض التي يستوطنون فيها، وأن يجلبوا معهم مبلغاً من المال. أما المعارضون للهجرة بشدة، فانطلقوا في موقفهم هذا لمخاوفهم من دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين الأكثرية العربية التي تستمد قوتها من وحدة اللغة والعادات 466.

كان التخلص من المعارضة العربية للاستيطان الصهيوني والهجرة أحد الأسباب التي دفعت الصهاينة إلى الدعوة إلى التفاهم مع العرب، إذ كانوا واعين إلى أن جذور هذه المعارضة تعود إلى مرحلة مبكرة منذ محاولات "أحباء صهيون" في بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، كما كانوا واعين دائماً للخطر الذي تشكله الصهيونية على الحقوق العربية، لذا حرصوا على إتباع أسلوب التمويه من خلال تأكيد أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين يمكن أن تفيد السكان المحليين خصوصاً، والإمبراطورية عموماً، ولا سيما أن اليهود مزودون بالقوى العاملة ورأس المال والتقنية الحديثة، إلا أن هذه الوعود الخالصة لم تحل دون استمرار المعارضة العربية لنشاطات المستوطنين اليهود في فلسطين 467.

رأى زعيم الإصلاحيين العرب، رفيق العظم في نيسان/أبريل عام 1913- تماشياً مع طبيعة المرحلة- في الهجرة اليهودية والاستيطان مكاسب ثمينة، يمكن أن تتحقق من خلال أحوال المهاجرين اليهود وقدراتهم وذكائهم، وبأنه من الخطأ رفض هذه المساعدة، إلا أنه في الوقت ذاته، طالب بضرورة وضع نظام يضبط هذه الهجرة، كما هي الحال في كل البلاد المتقدمة، وكان له مأخذ على الهجرة- وفقاً لرده على الزعيم الصهيوني سوكولوف في صحيفة المقطم- أنه من الأسباب التي تنفر العرب منها، هو عدم اندماج القادمين الجدد مع المجتمع الفلسطيني 468.

كتب حقي العظم في صحيفة الأهرام عن "الهجرة وأسباب مقاومتها"، فحاول أن يوضح نظرة الفلسطينيين والسوريين إلى استيطان اليهود النازحين من الظلم في أراضي فلسطين، وأن هؤلاء يهتمهم رقي البلاد، ويعلمون بأن هذه الأراضي ينقصها المال والأيدي العاملة النشطة. أما أسباب مقاومة العرب للهجرة عموماً، والسوريين خصوصاً، فيعود إلى رفض المهاجرين التخلي عن جنسياتهم الأجنبية، الأمر الذي أضر بالمواطنين، وكذلك ميل الصهاينة للاتحاديين، وإيثار الأخيرة الإسرائيليين على العرب في المناصب، وليختم العظم مقاله بتوجيه تحذير للصهاينة بأن "يحسبوا حساب الشعب العربي، الذي دبت فيه روح الانتباه للمحافظة على حياته السياسية والاجتماعية، وبأنه قد يلجأ إلى الزئير غداً إذا دام تسرب الشكوك والريب" 469.

عكس المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس في حزيران/يونيو عام 1913 هذا التوجه لدى قادة الحركة العربية آنذاك، في ما يتعلق بالهجرة اليهودية والاستيطان، فعلى الرغم من حساسية الموضوع وأهميته، إلا أنه لم تثر المسألة، فتحدث الشيخ أحمد طيارة- أحد زعماء حزب الإصلاح- عن هجرة السوريين إلى الخارج، وتعرض بإيجاز إلى الهجرة إلى سوريا، مشيراً إلى وجود فريقين: فريق يستنكر مهاجرة غير العرب إليها، خوفاً من امتزاج المقيم بالوافد. وفريق آخر لا يرى فيها

مانعاً، بل فائدة، لاعتقاده بأن العرب يدمجون ولا يندمجون، ليختم قوله بأنه لا بأس بالمهاجرة إذا كان لها نظام خاص 470. والتقى حافظ السعيد نائب يافا، مع الشيخ طيارة في ما قاله، من حيث أن ضرر الهجرة ينقضي إذا ما قيدت بشروط تتكفل بدفع الضرر، فلا بأس بها في هذه الحال 471.

وكان لعبد الحميد الزهراوي الموقف ذاته؛ إذ أبلغ الزعيم الصهيوني هوخبرغ في حديث سري معه- أثناء انعقاد المؤتمر العربي في باريس-، أنه مقتنع بأن الاستيطان اليهودي ضروري لرقى هذه الأقاليم، وإن كان اشترط لذلك الجنسية العثمانية، وعدم طرد الفلاحين 472. عقب انعقاد المؤتمر العربي، صرح الزهراوي في 25 حزيران/يونيو، بأنه يعتبر الهجرة اليهودية ليست أمراً مرغوباً فيه فقط، بل ضروري. وكرر في لقاء آخر موافقته عليها، ولكن بشروط منها حمل الجنسية العثمانية، وضمن عدم إخراج العرب من أراضيهم التي يبيعونها لليهود 473.

جاء موقف الإصلاحيين هذا، على الرغم من تلقي المؤتمر عشرات الرسائل المنذرة بالخطر الصهيوني، والمطالبة باتخاذ موقف حازم من الهجرة اليهودية 474.

هذا التناقض أو التبدل في مواقف قادة الحركة العربية، وآلية الطرح لمسألة الهجرة أثناء انعقاد المؤتمر، كان لجهود الصهاينة دور كبير وفاعل فيها، وفي مقدمة هؤلاء هوخبرغ الذي تكشف تقاريره لقادته عن المؤتمر أهمية هذا الدور، فيشير في أحدها في 10 تموز/يوليو عام 1913 إلى الجهد الذي يبذله مع الوفود السورية حول هذا الموضوع، من خلال تذكيرهم بأن أي قرار ضد الهجرة اليهودية سيحرم العرب من جميع مساعدات العالم اليهودي، وستصبح قوة هذا العالم ضدهم وليس معهم، وأكد أن جهوده أثمرت وذلك بتحول موقف الشيخ طيارة المكلف بالحديث عن الهجرة 475.

أثار موقف الإصلاحيين العرب المتعاطف مع الهجرة اليهودية غضب الفلسطينيين واستهجانهم وسخريتهم؛ فصحيفة فلسطين سخرت في تموز/يوليو عام 1913 من الاهتمام بهجرة منكوبي الروملي إلى سورية، وتجاهلهم أخطار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتساهل الحكومة العثمانية في تنفيذ قيود الهجرة، وما سينجم عن ذلك من مشاكل في المستقبل 476. كما نشرت الصحيفة ذاتها في 28 آب/أغسطس عام 1913 مقالاً لعيسى السفري بعنوان: "لقد أسمعت لو ناديت حياً"، استعرض فيه الخطر الداهم من الهجرة اليهودية، وهاجم رجال فلسطين بقوله: "لو كانت توجد غيره لتشكلت من أغنيائهم جمعية وطنية وقفت حاجزاً يمنع التيار الصهيوني" 477.

هاجم نجيب نصار، وعبر صحيفة الكرمل زعماء المؤتمر لتهاونهم في الوقت الذي طلبوا فيه توطين مهاجرين الروملي في الأناضول، بدلاً من بلاد الشام، فتهكم ساخراً بقوله: "إن مهاجري الروملي يستعربون مع الزمن، لأن بيننا وبينهم روابط ومناسبات، ولكن المهاجرين الصهيونيين لا يمتزجون بشعب" 478.

مما ضاعف من النقمة على أصحاب مؤتمر باريس أن الحكومة الاتحادية- وفي خطوة استباقية منها لخطب ود رأس المال اليهودي في أوروبا- قامت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 بإلغاء الورقة الحمراء المفروضة على اليهود

الأجانب 479، فرأت صحيفة الكرمل في هذا القرار اعترافاً ضمناً من الحكومة بعدم التعرض للذين هاجروا سابقاً، إما لسوء تصرف المسؤولين، وإما لضعف اقتدارهم "من حيث أنهم يظهرون كفاءة في تطبيق الورقة الحمراء، فمن المرجح أنهم لا يهتمون باتخاذ الوسائل لمعرفة المهاجرين وإخراجهم؛ فالورقة الحمراء كانت قانوناً غير معمول به، قانوناً صدر مع وقف التنفيذ" 480. كانت الصحيفة قد نبهت إلى نية الحكومة اتخاذ مثل هذا القرار، إذ لاحظت تساهل حزب الاتحاد والترقي في تنفيذ القيود على الهجرة، ونددت بهذا الموقف في أيار/مايو عام 1913 481.

رأت صحيفة فلسطين أن قرار الإلغاء لم يأتِ بجديد، لأن الجوازات كانت ترد إلى أصحابها من طرق غير مشروعة، إذ كان يسمح لليهود بالإقامة في البلاد، وكل ما في الأمر أن الحكومة اعترفت بالأمر الواقع رسمياً، فسمحت لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ومن غير قيد 482.

وعزت صحيفة القبس في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 هذا الإلغاء، إلى التدابير التي اتخذها المؤتمر الصهيوني الحادي عشر المنعقد في فينا في أيلول/سبتمبر عام 1913 483، الذي كان من أهم قراراته اعتبار مسألة الهجرة والاستيطان بالنسبة إلى الصهيونية قضية لا يمكن التفاوض بشأنها، وضرورة السعي إلى إسكان كل من في الإمكان إسكانه في فلسطين من اليهود، مع أخذ الضمان من الحكومة التركية على أن لا تطردهم ولا تحملهم من الواجبات والضرائب ما لا يحمله سكان فلسطين الوطنيين 484. كان الزعيم الصهيوني روبين قد قدم للمؤتمر صورة سيئة لما عليه وضع الاستيطان في فلسطين، فأشار إلى أنه أثناء زيارته شاهد، والأسى يملأ قلبه، فتور الحماسة وانعدام الثقة لدى الكثير من أبناء المهاجرين في بعض المستعمرات، ولا علاج لذلك إلا بدماء فنية من مختلف أنحاء أوروبا، تعيد الشباب وتنفخ في الأرض روحاً وثابة جديدة 485.

إذا ما تم الربط بين تاريخ انعقاد المؤتمر، وقرار الحكومة الاتحادية إلغاء الورقة الحمراء، يتضح إلى أي مدى وصل التنسيق أو التفاهم الصهيوني-الاتحادي، وإلى أي مدى كان الصهاينة صادقين في نواياهم للتفاهم مع العرب، وهو الأمر الذي لم يقره قادة الحركة العربية المنادين بالتفاهم آنذاك، بدليل استمرار المحاولات إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

خلال العام 1913، نددت الصحافة- وخصوصاً الفلسطينية- بخطورة الهجمة الاستيطانية اليهودية- الصهيونية، وعبرت عن الاحتجاج الشعبي الذي أبداه الأهالي من الأساليب التي يتبعها اليهود في هذا المجال 486.

أثناء محاولات التفاهم، كانت المعارضة والمقاومة للأنشطة الصهيونية مستمرة في فلسطين، وتمثلت بالمقاومة شبه المسلحة في المنطقة الشمالية منها، ومعارضة الفلاحين للقادمين اليهود الجدد بمهاجمة المستوطنات اليهودية وغزوها 487.

علقت صحيفة القبس في 23 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 على خبر رفع يهود سالونيك للعلم العثماني بدلاً من اليوناني، وذلك عند احتلال اليونان بلادهم، بقولها:

“نحب أن يبرهن المهاجرون من يهود فلسطين على حبهم الجامعة العثمانية، بتجنسهم بالجنسية العثمانية، ويعرفوا قدر العثمانية. أما الإسرائيليون العثمانيون، فلا شك عندنا بأنهم يقدرّون العثمانية حق قدرها، ويستعذبون في سبيل المصلحة الوطنية حلوها ومرّها” 488.

بقيت المصادمات بين العرب واليهود في المستعمرات الزراعية محدودة العدد والنتائج، عشية الحرب العالمية الأولى، ولكنها كانت البداية الحقيقية لصراع قومي بشأن مستقبل فلسطين 489؛ ففي شباط/فبراير عام 1914، حدث صدام بين أهالي قرية غابة الجركس وأهالي مستعمرة الخضيرة، على حدود الأراضي أدى إلى جرح ستة من الوطنيين، وسبعة من المستعمرين الإسرائيليين 490.

في مقابلة مع صحيفة الإقدام القاهرية في آذار/مارس عام 1914، ذكر حسني سليم الحسيني- الذي انتخب رئيساً لبلدية القدس عام 1910، وترشح لانتخابات مجلس المبعوثان عام 1914- أن الخطر الوحيد للحركة الصهيونية هو في حركة الاستيطان، لذا يجب سن القوانين الجديدة لمنع بيع الأراضي لليهود 491.

أما حافظ السعيد مبعوث يافا، فقد كانت له وجهة نظر مغايرة بالنسبة إلى الهجرة، فرأى أنها “قد تكون مضرة، وقد تكون نقيض ذلك، فإن كانت مربوطة بقيود وشروط تتكفل بدفع الضرر فلا بأس منها” 492. والغريب في أمر تصريحات السعيد هذه، أنها صدرت عن شخص كان من أوائل من أثار مسألة الهجرة والاستيطان الصهيوني في مجلس المبعوثان، وحذر من خطرهما، وذلك في عام 1908- كما أسلف ذكره- فإذا كانت الهجرة والاستيطان في تلك المرحلة خطراً، فكيف هي في عام 1914 بعد أن أصبح للصهيونية صولة وجولة في فلسطين وخارجها، وبعد أن تكاثرت المهاجرون اليهود في فلسطين، واستشرى الاستيطان وأصبحت آثاره واضحة للعيان؟ وهو أمر إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مواقف النخبة العربية- على اختلاف تسمياتها- من الصهيونية، مواقف مزاجية متقلبة ومبطنة. والسؤال الآخر- اعتماداً على ما ذكره السعيد- والذي ربط فيه بين اتساع الأراضي، وقلة عدد السكان، وقبول الهجرة والاستيطان: هل يعني ذلك أن على كل شعب لديه مساحات واسعة من الأراضي وأعداده قليلة، أن يقبل بالغريب الغازي لبلاده باعتبار أن هناك حيز للجميع؟!

تطرق إبراهيم سليم النجار في ما كتبه في صحيفة الأهرام في 14 نيسان/أبريل عام 1914 إلى أعداد سكان متصرفية القدس، وذكر أن “عدد اليهود فيها يبلغ 300 ألف نسمة، أي ثلث نصف السكان في هذه البقعة، وبأن الإسرائيليين يزعمون بان عددهم لا يتجاوز 180 ألف، وهو قول مردود لأن عددهم في القدس ويافا وصفد وطبريا وحدها يزيد على هذا العدد الذي يذكرونه”. وقد جاء اهتمام النجار بمسألة عدد السكان انطلاقاً من أنه دستورياً بإمكان سكان متضامنين كالإسرائيليين أن ينتخبوا ثلث عدد أعضاء المجلس العمومي منهم، “فيتصرفوا وقتنذ بجمع ميزانية المتصرفية كما يشاءون، ويضعوا يدهم على السلطة، والذي يحاذره العقلاء هو أن يسعى متنفذو الإسرائيليين في الآستانة لدى الحكومة الحاضرة إلى تعديل حدود متصرفية القدس الإدارية، فتتم لهم الأكثرية في المتصرفية بلا جدال” 493.

ورد المعنى ذاته في الخطاب الذي وجهه أحد أعيان القدس راغب النشاشيبي للفلسطينيين في 19 نيسان/أبريل عام 1914، وبكلمات تعكس حجم الشعور بالخوف والخطر المترتب على زيادة عدد المهاجرين اليهود، واتساع حجم المستوطنات الصهيونية في فلسطين ونفوذها، فقال: "ألم يأن أن نفكر في مستقبل بلادنا فلسطين، أنتم بني وطني لا تقاسون بأهالي دمشق، إن دمشق لم يزاحم أهلها أجنبي حتى الآن، بل إن الذين يهاجرون إليها هم من بني جلدتنا وإخواننا في التبعية، وأما أنتم، فانظروا كيفما التقتم هلا ترون أن سبيل الهجرة الأجنبي يكاد يغرقكم؟ إن فيها الآن منهم أكثر من مئة ألف شخص مختلفي التبعات، وعلى جانب كبير من المعارف والمقدرة، فمن يضمن لنا إذا حكمت البلاد بطريق اللامركزية، أن لا يوعز الخوارج عنيبي وغيره من زعماء الصهيونية إلى عشرين ألفاً فقط من الصهيونيين أن يتجنسوا العثمانية، حتى إذا ما تم لهم ذلك سعوا بما لهم من نفوذ ومال إلى اكتساب الأكثرية، فكانوا أعضاء في مجالس البلديات والإدارة والمجلس العمومي، وانصرف الأمر لهم، فتصبح فلسطين فعلاً يهودية على أهون سبب" 494.

استمر رصد أعداد المهاجرين اليهود ونوعياتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية؛ فصحيفة لسان الحال في 15 نيسان/أبريل عام 1914 ذكرت أن باخرة نمساوية وصلت إلى ميناء يافا، وعليها أكثر من ثلاثمئة صهيوني، وعلقت الصحيفة على ذلك، بقولها: "ولم ترَ القدس منذ سبي اليهود حتى الآن هذا العدد، وفيه كبار السياسة والمؤلفون الفلاسفة والدكاترة والمحامون" 495.

وبتوقيع مقدسي مغربي، تحدث أحد أبناء فلسطين عن مصالح الإسرائيليين في هذه البلاد، كونهم يهاجرون إليها من زمن الاستبداد أفواجاً أفواجا، فتسكنهم جمعياتهم وتملكهم الأراضي وتهبئ الآلات الزراعية وغيرها من الحاجيات التي مهدت لهم سبيل الاستعمار بكل هناء وأمان، ولا يجهل أحد ما يساعدهم به حكام الدور البائد على تنفيذ مآربهم إلى أن أصبحوا في زمن قصير أصحاب أملاك ومزارع وبلاد 496.

بعث أهل فلسطين برسالة استغاثة إلى النواب والزعماء العرب عام 1914 جاء فيها: "نحن في وسط نكاد نفنى فيه، ونجلى عن بلادنا، ويحق علينا ما حق على هنود أمريكا" 497.

تبعاً لذلك، توالت ردود الفعل العربية التي اتسمت بشيء من الوعي لأبعاد هذا الخطر، فطالبت "جمعية مقاومة الصهيونية" التي تشكلت في أيار/مايو عام 1914 في القاهرة، من قبل الطلبة الفلسطينيين بتقديم الاحتجاجات والشكاوى إلى جميع الجهات ذات العلاقة، للعمل على وقف الهجرة 498.

وجه أحد كتّاب صحيفة لسان الحال رسالة تحذير في الأول من أيار/مايو عام 1914 إلى أهالي فلسطين من نتائج تدفق اليهود، وضرورة وعي خطورتها، وسبل ومواجهتها، فقال: "نطلب مجارات الصهيونيين ونحن بهذا الخمول بدون جدوى، فالحذر ثم الحذر يا قوم لئلا تصبحوا غرباء، والغرباء مواطنون. فالآن هو الوقت

المناسب لإيقاف هذا التيار الجارف باتفاق الوطنين يداً واحدة، واتباع وسائل النجاح التي يتبعها الصهيونيون، لئلا يكون لهم بعد هنيهة الأكثرية في الرجال كما هي في المال، لأن عدد السكان الآن داخل لواء القدس 36 ألف مسلم، وثمانية عشر ألف يهودي، وستة عشر ألف مسيحي، وأطلب من كل وطني صادق أن يضع نصب عينيه ما سيؤول إليه حال هذه البقعة "499.

أقامت الصحيفة ذاتها في 15 أيار/مايو عام 1914 وفي مقال بعنوان "الأرض ميراث المجتهدين"، مقارنة بين ما كانت عليه أراضي فلسطين قبل الاستيطان الصهيوني وبعده، فقالت: "وهكذا هي الحال بين الإسرائيليين الأوروبيين والوطنيين، فلهم نحو ستين مستعمرة بين سفح جبل الشيخ وغزة، وتدل كل واحدة على مقدرة الإنسان العظيمة، ونتيجة التقاني والاجتهاد، وكانت تلك المستعمرات بين أيدي الوطنيين خراباً، وكانت الأموال الأميرية المفروضة على هذه الأراضي منذ نحو خمس عشرة سنة خمسين ليرة، فأصبحت الآن ألفين، وتلاصق هذه المستعمرات قرى الوطنيين المهملّة الخربة، فيسير الفريقان على القاعدة الطبيعية أي تقدم المجتهدين، وتفهر الكسالى الخاملين، وتكون النتيجة على مر الأيام، بقاء الأنسب وانقراض غير المناسب" 500.

رابعاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني من 1914-1917

بلغ الاستيطان اليهودي الصهيوني ذروته قبيل الحرب العالمية الأولى، فحضر بجذوره في الساحل والقدس، ووصل عددهم عام 1913 إلى 90 ألف نسمة 501، وبلغ عدد المستوطنات عام 1914، 47 مستوطنة: ست وعشرون في السهل الساحلي، و12 في الجليل، واثنان في القدس، وست في الأغوار، وواحدة في مرج بني عامر، ضمت جميعها 11990 يهودياً، أكثرها وأكبرها سكاناً "بتاح تكفا" أو "ملبس"، حيث جمعت 4000 يهودي، وأقلها عتليت وضمت 51 يهودياً، والخضيرة 626 يهودياً، ورخبوت كان عدد من فيها يوم تأسيسها 300 يهودي 502. أما المناطق التي تصدت للاستيطان ولم يدخلها اليهود، فهي نابلس وأريافها التي تقطنها عشائر عربية. وكان لكل مستوطنة إدارتها وحراسها من اليهود، وتتمتع بامتيازات خاصة حصل عليها الصندوق القومي من حكومة الاتحاديين التي سمحت له بشراء الأراضي لحسابه، وإنشاء المستعمرات 503.

استمر المهاجرون اليهود بالتوافد إلى فلسطين قبيل الحرب؛ فصحيفة لسان الحال أشارت في 22 تموز/يوليو عام 1914 إلى "قدوم أربعين ركباً إسرائيلياً من التابعة الروسية، حيث رفضت إدارة البوليس دخولهم، وأمرت البحارة بعدم إنزالهم إلى البر، فتوجه قنصل روسيا إلى الباخرة، وأخرجهم بالقوة رغم معارضة البوليس" 504. في 28 تموز/يوليو عام 1914، ذكرت الصحيفة أن عدد اليهود الذي يقدر أنهم دخلوا يافا من جهات مختلفة بألف، أغلبهم من الشباب الأقوياء والشابات 505.

كانت الأغلبية الإشكنازية من المستوطنين اليهود، عشية الحرب الأولى، مستقرة ومنظمة كما يجب، ولا ينقصها من الناحية الثقافية والاجتماعية والمستوى

## الاقتصادي سوى الأمان 506.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28 تموز/يوليو عام 1914، استطاعت الصهيونية أن توظف الظروف السيئة لصالحها، وتوسّع رقعة الاستيطان، كاستغلال الظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها فلسطين من أجل هذه الغاية 507. وبقي هاجس الهجرة والاستيطان مسيطرًا على التحركات الصهيونية خلال الحرب؛ فبن غوريون، عند اندلاع الحرب، وجد فيها فرصة للشعب اليهودي للاستيطان في أرض إسرائيل، فعرض على جمال باشا مشاركة وتعاوناً سياسياً وعسكرياً يهودياً مع الإمبراطورية العثمانية، إلا أن جمال باشا رفض، وطرده وزميله بن تسفي وعدداً آخر من اليهود 508.

كما وضعت الصهيونية نفسها في خدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي؛ ففي رسالة كتبها الزعيم الصهيوني وايزمن (Weizmann) في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914، تحدث عن فائدة إسكان مليون يهودي في فلسطين، وعن أنهم سيطورون البلاد ويعيدون إليها الحضارة، ويكونون حارساً فاعلاً لقناة السويس 509.

في ما يتعلق بالعلاقة بين العرب وسكان المستعمرات، فلم يخل الأمر من بعض المصادمات؛ فقد ذكرت صحيفة لسان الحال في 27 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914، أنه بينما كان د. ليفي الإسرائيلي متوجهاً إلى زمارين ومعه فتاة إسرائيلية تعرض لهما في الطريق أربعة من اللصوص وضربوه ضرباً مبرحاً، وسلبوا حوائجها وتعدوا على الفتاة 510.

أما في حيفا، فلم يبلغ عن أي تعرض للسكان اليهود، فقد استمروا في السكن في الحي الشرقي مدة طويلة بعد عام 1914، ولم يكن هناك أي تنظيم عربي في حيفا أو في المناطق المحيطة بها ضد الاستيطان 511.

يعكس ما جاء في الأوراق والمستندات التي وجدها الأتراك عام 1915 في القنصلية الفرنسية، درجة العداء للصهيونية والاستيطان الصهيوني؛ إذ تشير إلى وجود خطة عربية للتخلص من الصهيونية، تقضي بإضرام النار في المستعمرات اليهودية، وطرد السكان اليهود الصهاينة ألد أعداء العرب، وهذا هو السبب الذي من أجله كان الأتراك على استعداد تام لمساعدتهم 512.

قدمت مجلة الهلال في شباط/فبراير عام 1916 تحليلاً لآثار الحرب العالمية الأولى على المستعمرات والوجود الصهيوني في فلسطين، كما عرضت التكلفة المادية العالية لإنشاء مثل هذه المستعمرات، وقدرتها بمئة مليون جنيه، ثم أوردت تصورات المفكرين اليهود حول آثار هذه الحرب، التي تلخصت في أنها قضت على آمالهم، ولا سيما مع ما رأوه من اضطهاد من الحكام الأتراك، واضطرار الكثير منهم إلى الهجرة إلى مصر 513.

عادت المجلة ذاتها، وأكدت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1917 تزايد أعداد اليهود خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، وذلك عندما عرضت سكان المستعمرات



الإسرائيلية في يافا، وأشارت إلى أن عدد الأوروبيين الإسرائيليين بلغ أربعة آلاف وخمسة، وأن عددهم زاد كثيراً في السنوات الأخيرة 514.

استناداً إلى أحد تقارير المكتب العربي في القاهرة في 19 كانون الأول/ديسمبر 1917، فإن الصهيونيين قد امتلكوا حتى عام 1914، 130 ألف هكتار تقريباً، تشمل أفضل أراضي فلسطين 515.

تحققت خطوة مهمة لصالح الهجرة والاستيطان الصهيوني في الأول من أيار/مايو عام 1915، كشفت عن تصور مستقبلي لما ستحصل عليه الصهيونية عند انتهاء الحرب، وذلك من خلال المذكرة التي قدمها هربرت صموئيل (Herbert Samuel) إلى وزارة الخارجية البريطانية، حول مباحثاته مع الزعيم الصهيوني وايزمن ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، وتنص على ضم فلسطين تحت النفوذ البريطاني من أجل المشروع الصهيوني، حيث عبرت المذكرة عن الأمل، بأنه تحت الحكم البريطاني، ستحصل الصهيونية على التسهيلات التي تحتاجها المؤسسات اليهودية لإقامة المستعمرات والتحكم بالهجرة، حيث سيعطى اليهود الأفضلية. في وقت لاحق، سينمو عدد السكان اليهود إلى أن يصبحوا أغلبية ويستقروا في الأرض 516. ومما تضمنته مذكرة صموئيل أيضاً "أن يتم حشد ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي في فلسطين" 517.

استمرت المتابعة العربية لمسألة الهجرة أثناء الحرب الأولى، فأشارت صحيفة المقتبس في 16 أيار/مايو عام 1915 إلى طلب ألفين وثمانية إسرائيليين من التابعة الأجنبية، الدخول في التابعة العثمانية 518.

خلال الحرب، استمر الاستيطان الصهيوني؛ فتم بناء ثلاث مستوطنات يهودية جديدة: الأولى مستوطنة "نحلات يهودا"، في شهر أيلول/سبتمبر عام 1914، في ظاهر ريشون لصيون الشمالي؛ والثانية "كفار جلعاري" إلى الجنوب من المطلة في 21 كانون الأول/ديسمبر عام 1916؛ والثالثة "إيليت هشر"، وكانت قد بنيت في عام 1892، ثم أُخليت عام 1917، وأعيد في 30 حزيران/يونيو عام 1918 إقامتها، وكانت تعرف قبلاً بـ"نجمة الصبح" نسبة إلى الخربة المجاورة التي تحمل هذا الاسم 519.

في تقرير لأحد الدبلوماسيين البريطانيين، في بداية عام 1915، وُصف لأحوال سورية ولبنان والأردن وفلسطين، قال فيه: "بالقرب من نهر الأردن هناك مستوطنات يسكنها يهود جزائريون ومغاربة مختلطة بقرى اليهود الفلسطينيين والأوروبيين" 520.

وصف تقرير بريطاني آخر أوضاع المستعمرين اليهود من شباط/فبراير عام 1916 إلى ربيع عام 1917، فقال: "إن معاناتهم بدأت منذ لحظة دخول تركيا الحرب، فرجالهم تمت تعبنتهم، وأملآهم سلبت" 521.

كما قدّم مراسل إحدى الصحف البريطانية وصفاً لرحلة قام بها في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917 إلى يافا، فقال: "والذي يسافر في جنوب فلسطين يرى كلما تقدم

شمالاً أن العمران تزايد، وفي بعض الأماكن كالمستعمرات اليهودية التي نشب حولها قتال عنيف جداً رأيت للمرة الأولى أقواماً لابسين ملابس أوروبية، إن الرملة بلدة جميلة تحيط بها بساتين وحدائق، ووراؤها سهل شارون المنتهي عند جبال السامرة واليهودية، ولم يهدم العدو شيئاً من الأبنية في مستعمرة "ريشون ليصيون" الزراعية اليهودية" 522.

في كانون الثاني/يناير عام 1917، قدمت اللجنة الصهيونية في بريطانيا مذكرة إلى وزير الخارجية البريطاني مارك سايكس، كان من بين البنود التي تضمنتها أنه "على الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تسهل ليهود العالم حرية الهجرة إلى فلسطين، وأن تعطيهم كذلك حق الجنسية الفلسطينية" 523.

تكشف رسالة بعث بها يهودا إلى لويد جورج في 23 أيار/مايو 1917 أن أعداد اليهود في فلسطين هي 100 ألف يهودي تقريباً 524.

عند إصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917، فتحت فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية على الرغم من معارضة العرب، ونقل أراضي الدولة للصهيونية من أجل الاستيطان 525. فإذا كان المؤتمر الصهيوني الأول قد نبه عرب فلسطين إلى مخاطر الاستيطان، فإن وعد بلفور ترجم هذه المخاطر إلى واقع 526.

في 29 كانون الثاني/يناير عام 1902، وفي مقال في المنار، تحت عنوان "حياة أمة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، كشف محمد رشيد رضا عن التحايل التي كانت تتبعها الجمعية الصهيونية في الكشف عن مساعيها إلى جعل فلسطين مقر ملكهم وعرش سلطانتهم، فقال: "إنها لم تكن تُظهر في أول الأمر طلب الملك، وإنما كانت تتظاهر بحب نقل الفقراء اليهود والمخرجين المنفيين إلى بلاد فلسطين ليعمروها، ويعيشوا في ظل السلطان أمنين، وكأنها وثقت بقوتها الآن، فخرجت من مضيق الكتمان، وقد بعث منذ أشهر المستر زانغويل ((Israel Zangwell من لندرة (لندن) إلى الأستانة للمساومة في شراء القدس الشريف، ويقال إنه لقي من الحضرة السلطانية التفاتاً وانعطافاً، وعند رجوعه خطب: "إن اليهود سيرجعون بكثرة إلى فلسطين إلى مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها من سماء أفكارهم، وسيبلغ عددهم فيها، سنة 2000 أي في آخر القرن العشرين مئتي ألف ألف (مليونين) نفس، وإن غاية ما يرمي إليه اليهود هو جمع النقود الكافية لابتياح أرض فلسطين من السلطان، الذي ستكون الحركة الكبرى تحت سيادته، وبلغ ما جمع إلى الآن ألف ألف دولار أمريكي (مليون)، وفي كل مدينة وقرية يتبوؤوها اليهود في مشارق الأرض ومغاربها فرع من الجمعية الصهيونية، يجمع المال لهذا الغرض، وكل ما جمع فهو من الفقراء 527، لأن الأغنياء مشغولون بمنافعهم الشخصية" 528.



## الفصل الثالث

# بدايات الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية، 1897-1917

أولاً: الوعي العربي لأهمية الأراضي بالنسبة إلى الصهيونية

يمكن تلخيص أهمية الأرض في الصراع مع الصهيونية بمقولة نجيب نصار وهي: "فبالأرض نبقى وننتصر، والأرض هي الفيصل لبقاء أو سقوط أو هزيمة أو نجاح الصهيونية" 529.

لقد أدرك الصهاينة أهمية هذه المقولة، وعملوا من أجلها؛ فالأرض بالنسبة إلى الصهيونية مادة الحياة لاستمرارية مشروعها في فلسطين، واليهودي الصهيوني عندما اشترى الأرض، اشترى الحلم ليحوّله إلى واقع، لذا لم يكن يعر الثمن اهتماماً مهماً غلا، فالأرض قاعدة حلمه التي تربطه بالواقع، والتي تحقق عملية "الانقلاب الديمغرافي"، بطرد العرب الفلسطينيين من أرضهم، وإحلال اليهود مكانهم، إذ استندت الصهيونية في تحقيق هذا الهدف على شعارها الذي ينادي بمنح "وطن بلا شعب إلى شعب بلا وطن" 530.

بدأ اهتمام الصهيونية بالأرض مبكر جداً؛ إذ وضع هرتزل خطة للاستيلاء عليها، تلخصت في ما كتبه في 12 حزيران/يونيو عام 1895 في مذكراته، بقوله: "عندما نحتل البلاد يجب أن نستخلص ملكية الأرض التي ستعطي لنا باللطف والتدرج، سنحاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح إلى البلدان المجاورة، وذلك بتأمين أشغال لهم هناك، ورفض إعطائهم إي عمل في بلدنا. أما أصحاب الأملاك، فسيكونون إلى جانبنا، على أننا يجب أن نقوم بكلتا العمليتين: استخلاص الأرض، وإبعاد الفقراء بتعقل وحذر. يجب أن نعمل على إيهام أصحاب الأملاك التي لا تنقل على أنهم يخدعوننا ببيعهم الأشياء بأكثر مما تساوي، وأما نحن فلن نبيعهم شيئاً، سيكون استخلاص الأملاك عن طيب خاطر مهمة عملائنا السريين، ستدفع الشركة أثماناً باهظة، عندها سنبيع فقط لليهود، وستكون المتاجرة بالعقارات بين اليهود فقط، طبعاً لن نستطيع أن نصرح بهذا، ونعلن بأن أي بيع آخر ليس قانونياً، يجب أن نحافظ على ما يباع من ممتلكات من طريق فتح مجال للشركة أن تشتريه ثانية، أي أنه إذا أراد المالك أن يبيع ما يملكه، يكون لنا حق شرائه بالثمن الأول الذي وضعناه له" 531.

وكتب هرتزل في 3 أيار/مايو عام 1896 "إن نحن حصلنا على فلسطين، سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية وبين الممتلكات الخاصة" 532.

ولتحقيق هذا الهدف، شكلت الصهيونية الكثير من المؤسسات التي كان عليها متابعة عملية انتقال الأراضي إلى المؤسسات الصهيونية، وتسجيلها في السجلات الرسمية العثمانية 533.

## ثانياً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية 1897-1908

جاء الوعي العربي لخطر شراء الصهاينة للأراضي مختلفاً- نوعاً ما- من غيره من الوعي لجوانب الخطر الأخرى المتعلقة بالصهيونية، كما أن مصادر الخطر المتعلقة بهذا الأمر كانت متعددة، فلا يتعلق بالصهيونية وحدها، إذ كان عليهم الوعي للنشاط الصهيوني من جهة أولى، ولموقف الحكومة العثمانية وتعليماتها وقوانينها وتطبيقاتها وموظفيها من جهة ثانية، ولملك وسماسة الأراضي على اختلاف مستوياتهم من جهة ثالثة، لذا تطلب الأمر وعياً مزدوجاً ومضاعفاً، ولا سيما أن شراء الأراضي من قبل الصهاينة شكل ترجمة عملية وسريعة لما يمكن أن ينجم عن الأفكار الصهيونية، إذ أصبح العرب يرون النتائج ويعايشونه، مما تطلب منهم رفع حالة الوعي لديهم لمواجهة هذا الخطر.

بدأ الوعي العربي لخطورة استيلاء اليهود الصهاينة على الأراضي مبكراً جداً؛ فمئذ ثمانينات القرن التاسع عشر بقيت شعارات الفلسطينيين والعرب تتركز حول مجموعة من المطالب، كان أبرزها بيع الأراضي، واغتصاب اليهود لها 534. استجابة لهذه الاحتجاجات، أصدرت الحكومة التركية عام 1892 قراراً بمنع بيع أراضي الدولة الأميرية أو (الميري) في فلسطين لليهود من دون استثناء الرعايا العثمانيين منهم، وبقيت هذه الإجراءات سارية المفعول حتى عام 1900 535.

في 12 شباط/فبراير عام 1895 بعث عبد الباقي زاده حسني بك- وهو أحد أعيان حلب، وقائمقام حيفا سابقاً- رسالة إلى الصدارة العظمى، قال فيها: "وأشد ما يعذب وجدان كل ذي جنان صادق عدم المبالاة والسكون من سكان الأراضي المقدسة من مسلمين ومسيحيين بتخليهم عن أراضيهم رويداً رويداً، وانخراطهم في خدمة اليهود كالأجراء، أو اضطرارهم إلى المهاجرة من بلادهم إلى أمريكا" 536.

ونجد قول زاده هذا، ينطبق تماماً على آل سرسق الذين بدأوا ببيع أراضيهم للصهاينة مبكراً جداً، وقبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني، وقد أشار هرتزل في يومياته إلى بيع هذه العائلة الأراضي للصهاينة في ما كتبه في 10 آذار/مارس عام 1897 إلى أن "جمعية الاستعمار اليهودية تتفاوض حالياً مع عائلة رومية اسمها سرسق على ما أظن من أجل شراء سبع وتسعين قرية في فلسطين، يعيش هؤلاء الروم في باريس، وقد خسروا أموالهم في القمار، وهم يريدون بيع ممتلكاتهم وهي ثلاثة في المئة من مساحة فلسطين، بسبعة ملايين فرنك" 537.

لقد أسهم الوعي العربي، أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين في الحد نوعاً ما، أو التصدي- بعيداً من السؤال إلى أي حد نجح في ذلك- للهجمة الصهيونية على الأراضي، فنجحوا في استصدار تشريعات لمنع بيع أراضي فلسطين لغير العثمانيين، وعدم الاقتراض من المرابين، وتأسيس بنك زراعي فلسطيني لإقراض الفلاحين العرب حماية لهم من سطو الصهيونيين وانتزاع ممتلكاتهم 538.

من أولى ردود الفعل العربية التي أعقبت انعقاد المؤتمر بهذا الخصوص، الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897 إلى

صحيفة المقطم، أكد خلالها أن هدف المؤتمر هو "المفاوضة في مشتري أراضي فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين، وبقوار أورشليم في الدولة العلية" 539.

من أبرز الخطوات التي تتم عن نضج في الوعي لخطر شراء الصهيونية للأراضي، الهيئة المحلية التي شكلها مفتي القدس محمد طاهر الحسيني عام 1897، وهي هيئة ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، فحال بذلك دون حصول اليهود على أراضي زراعية جديدة، وأوقف بيع الأراضي في متصرفية القدس عدة أعوام 540.

تعزز ذلك رسمياً بإصدار الباب العالي أوامره عام 1898، القاضية بعدم "جواز بيع الأراضي الأميرية الواقعة في ضواحي القدس الشريف لأجنبي أو وطني" 541. إذ أشادت صحيفة البشير في عددها الصادر في 8 آب/أغسطس عام 1898 بهذه التعليمات وأهميتها 542.

في تقرير نشرته صحيفة المؤيد تحت عنوان: "اليهود في سورية"، ونقلته عنها صحيفة البشير في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1899 تضمن معلومات مهمة حول تملك اليهود للأراضي في فلسطين، بحيث نجحوا حتى تلك المرحلة في الاستيلاء على قرى بأكملها، كالجاعونة والزبيد والمطلة والجسر، ونصف أراضي قضاء صفد، على الرغم من أن ذلك ممنوع رسمياً، وأن ذلك تم بطرائق ملتوية 543. وقد أعربت الصحيفة عن استغرابها من أن بدل أعشار القرى- إضافة إلى ضريبة دخولهم وتملكهم- التي ابتاعوها من الأهالي، بقي كما هو قبلاً من دون زيادة، على الرغم مما غرسوه من الألوف المؤلفة من كروم العنب والتوت والأشجار المثمرة، وما يعصرونه من الكميات العظيمة من النبيذ الذي يرسلونه إلى أوروبا، حيث يبيعونه بأثمان باهظة لأن مصدره الأرض المقدسة 544.

فشلت الأوامر المتعاقبة الصادرة من الباب العالي بعد عام 1897 في الحد من نشاط اليهود في شراء الأراضي. على سبيل المثال، قامت السلطات في بيروت عام 1900 بإبلاغ وزير الداخلية برغبة بعض الملاك في بيع ممتلكاتهم في منطقة طبريا لليهودي الفرنسي ناركيزي ليفين (Narcisse Leven)، فأصدر مجلس الوزراء قراراً بمعاملته معاملة الأجنبي وفقاً لقانون عام 1868، ووافقت على عملية الشراء 545.

أدى ذلك إلى حملة احتجاجات واسعة عام 1900 قادها الفلاحون في فلسطين، ورفعوا العرائض احتجاجاً على شراء اليهود الأراضي العربية الزراعية 546، ومنها عملية بيع أراضي في طبريا من قبل عائلة سرسق اللبنانية لليهود، وعندما جاء الفينيون لمسح الأرض تمهيداً لإتمام الإجراءات القانونية لنقل الملكية، قام الفلاحون بمهاجمتهم ومنعوا عملية البيع 547.

صودف في هذا العام أن تخلى البارون روتشيليد عن جميع الأملاك والقرى التي كان يمتلكها في فلسطين لجمعية خيرية إسرائيلية في باريس، فأصبحت قرية زمارين والجاعونة وسائر القرى التي عمروها لإسكان اليهود مختصة بتلك الجمعية 548.

كانت صحيفة البشير قد ذكرت في 12 آذار/مارس عام 1900 أن مساحة الأراضي التي اشتراها البارون روتشيلد في ولاية بيروت تجاوزت المساحة التي كانت الحكومة قد أجازت له شراءها، لذا صدر الأمر بتعيين مفتش خاص لأجل التحقيق في الأمر 549.

نبتت صحيفة الثمرات في تقرير لمندوبها في صفد في كانون الأول/ديسمبر عام 1900- نقلته صحيفة البشير- إلى أحد الأساليب التي يتبعها الصهاينة في الاستيلاء على الأراضي وهو "أن تحاسبهم الحكومة على الحدود لا على الدونمات، إذ كثيراً ما يشترون الأراضي الفسيحة التي لا يجوز لهم تملكها إلا بإرادة سنية، فيحددونها بالجهات ليوحوا أنها ذات مساحة قليلة، ولو مسحت، وتبين مقدار دونماتها لما جاز لهم تملكها بوجه أبداً" 550.

وقد ختم المراسل تقريره بالإشارة إلى مسألة مهمة تشير إلى معرفة حقيقة ما تقوم به الصهيونية ووعيتها، فقال: "وعسى أن تكون الحكومة عالمة بحقيقة أخبارهم، إذ علمت من أسرارهم في سياحتي هذه ما لو أبوح به لما جاز أن يُباع يهودي شبراً من الأرض في هذه البلاد، ولعلي أوافيكم قريباً ببعض ما وقفت عليه مع بيان القرى التي بيعت لهم، وما أنشأوا فيها من الآبار، والأبنية الشاهقة، وكذلك القرى والمزارع الجاري بيعها لهم بأسماء مستعارة خدمة للدولة والوطن العزيز" 551.

شنت الصحافة خلال العام ذاته حملة ضد بيع أراضٍ بين الناصرة وجنين من قبل رابطة الاستيطان اليهودي، والتي تصدى لها محافظ منطقة الناصرة، ولكنه فشل في إيقافها 552.

في 25 حزيران/يونيو عام 1900 قرر الباب العالي تشكيل لجنة مؤلفة من ثلاثة مأمورين، لأجل التحقيق في بيع الأراضي داخل ولاية عكا 553.

كما أصدرت الحكومة العثمانية عام 1901 تعليمات جديدة رأى فيها بعضهم خدمة لليهود بدلاً من الحد من توسعهم؛ إذ منحتهم حقوقاً متساوية كرعايا عثمانيين، ومكنتهم تالياً من شراء الأراضي الأميرية، فما كان من المعارضين لمثل هذه الخطوة إلا أن جمعوا تواقيع لتقديم عرائض احتجاج للباب العالي 554.

وبعد مدة وجيزة من إصدار هذه التعليمات، تم منح امتياز لرئيس جمعية الاستيطان اليهودي ليفن لشراء أراضٍ في منطقة طبريا، وحاول عنيتبي أن يوسع هذا الامتياز إلى متصرفية القدس، فعقد مجلس الإدارة فيها جلسة عاصفة عبّر خلالها القاضي والمفتي عن غضبهما أثناء مناقشة الموضوع، والذي انتهى بمنح المجلس ليفن حق شراء الأراضي في القدس، مما أدى إلى تصاعد حدة الاحتجاجات، ولم تتوقف إلا بإلغاء الباب العالي امتياز ليفين في منطقة طبريا، وإلغاء كل عمليات نقل الأراضي باسمه في القدس 555.

تشكلت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1901 منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأراضي لليهود 556. وخلال العام 1901، وبداية العام 1902 كانت وتيرة

الكرهية تجاه اليهود آخذة بالتفاقم في المجلس الإداري والمحاكم وبين المسؤولين الرسميين 557.

في مقال بعث به سليم قبعين إلى مجلة الجامعة في كانون الثاني/يناير عام 1902، بعنوان: "بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني"، كشف عقم المحاولات - سواء من جانب الحكومة التركية وتعليماتها لمنع شراء الأراضي، أو المعارضة العربية لها - للوقوف في وجه الطوفان الصهيوني في شراء الأراضي، قال فيه: "إن جمعية الاستعمار الإسرائيلية ابتاعت من جهات طبريا نحو ستين ألف دونم أرض، وشرعت تغرس الكروم وتنشئ الحدائق والأشجار" 558.

هذا النجاح الذي حققته الصهيونية في مسألة شراء الأراضي، لم يثن بعضهم عن الاستمرار في محاربتها؛ ففي عام 1905 تصدى رئيس مجلس بلدية القدس سعيد الحسيني لبيع الأراضي للمنظمة الصهيونية ومؤسساتها في منطقة القدس 559.

ثالثاً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية من 1908-1914

زادت الهجمة الصهيونية شراسة عام 1908- في أعقاب الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني- ومما أسهم في ذلك زيادة النفوذ الصهيوني في دوائر الحكم في الأستانة، والوزراء اليهود في الحكومة الاتحادية 560، أضف إلى ذلك أن الحكومة الاتحادية لم تعترف بحقوق المزارعين فيها، ورأت فيها سلعة رائجة من مخلفات السلطان السابق، وأخذت تتحين الفرص المناسبة لطرحها في المزاد العلني لبيعها على اعتبار أنها أصبحت من ممتلكات الخزينة، ففي عام 1908 أجبرت المعارضة السلطان التنازل عن جميع أراضيه في الإمبراطورية إلى خزينة الدولة، فأصبحت تعرف باسم الأراضي المدورة (أي المنقولة أو المحلولة) بدلاً من الجفتلك السلطاني، وأصبحت دوائرها ومديرياتها تعرف باسم الأراضي المدورة 561.

مهدت عملية تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن الأراضي الأميرية الطريق للصهيونية من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه الأراضي، فاستغلت الأوضاع المالية السيئة التي كانت تعاني منها الحكومة عام 1908 لتقدم عروض شراء وامتيازات لهذه الأراضي، بحيث أصبحت العاصمة الأستانة خلال الأعوام 1908-1914 ملاذاً مناسباً لمندوبي الشركات والسماسرة والطامعين في السيطرة على الأراضي السلطانية 562.

ويبدو أن الوعي العربي لموجة شراء الأراضي خلال العام 1908 كانت من القوة والكم بحيث اضطر بن غوريون إلى تعلم اللغة العربية لدراسة القانون للتفاهم مع الزبائن العرب، وذلك من أجل مطالبتهم بإخلاء الأراضي التي تم شراؤها منهم، حيث واجهوا مقاومة عربية عنيفة، ورفضوا إخلاء الأراضي، فيشير بن غوريون إلى ازدياد حدة النزاع على الأراضي، وبأنه في العام 1909 أخذ العرب بالاستيلاء بالقوة على أراضي اليهود 563.

ويؤكد قول بن غوريون هذا، ما جاء في تقريرين لأحد ناشطي الحركة الصهيونية بتاريخ 11 و 17 تشرين الثاني/نوفمبر 1908، يصف فيهما الأوضاع بعد الانقلاب



العثماني، بقوله: "بحسب الأخبار التي تصل من الجليل أثارت الحرية حماسة واسعة بين الفلاحين حتى أنهم صاروا يهددون كبار ملاك الأراضي وسكان المستعمرات اليهودية، إذ أنهم يخطئون في تفسير الحريات التي أعادها الدستور، وكأن في استطاعتهم استعادة الأراضي التي كانت في حيازتهم وباعوها في الماضي" 564.

كما هاجمت مجلة الأصمعي التي أصدرها حنا العيسى عام 1908 التسهيلات التي وفرتها الحكومة التركية للصهيونية للاستيلاء على الأراضي العربية 565.

دعا نجيب عازوري في تشرين الأول/أكتوبر عام 1908 إلى ضرورة أن تتخذ كل الوسائل والذرائع اللازمة لتهيئة رأس المال الأجنبي لتشغيل الأراضي الموات والمتروكة 566.

وأرسلت في العام ذاته برقيات احتجاج من أغلبية المدن الفلسطينية، موجهة إلى السلطات العثمانية اعتراضاً على بيع الأراضي للمستوطنين الصهاينة 567.

ويمثل البيان الذي بعث به عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية عام 1908 إلى مجلس المبعوثان حالياً من الوعي لدى النخبة الفلسطينية، وتكمن أهميته في أن الشق الأول منه عبارة عن رسالة تحذير موجهة إلى المواطنين من مغبة التقريط بالأرض لصالح الصهاينة، ليصبحوا بلا بلاد تأويهم، كما فعلوا بكثير من الفلسطينيين. أما الشق الثاني من البيان فهو موجه إلى نواب فلسطين في مجلس المبعوثان يطالبهم بعدد من المطالب لمواجهة الخطر الصهيوني، في مقدمها التحذير التالي: "لا تبيعوهم أراضيكم واستعملوا كل نفوذكم في منع الفلاح من البيع، وانبذوا السماسرة وحقروهم... أغرسوا في قلوب الوطنيين - وبالأخص الناشئة - حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وارأفوا بالفلاح وأعلوا من شأنه" 568.

ويتضح من مضمون البيان، ومن الأطراف الموجهة إليه، أنه أصاب أساس المشكلة، وقدم الحلول لها.

تصدت صحيفة الكرمل وصاحبها نجيب نصار منذ أواخر عام 1908 لعمليات شراء الأراضي، وبنم الشعار الذي رفعت الصحيفة عن درجة عالية من الوعي والفهم لخطورة القضية، وتلخص شعارها بما يلي: "بيعوا لليهود كل شيء باستثناء الأرض، ولا تشتروا من اليهود إلا الأرض" 569.

كان لهذه الصحيفة دور مهم في التوعية وفضح صفقات بيع الأراضي في منطقة العفولة والجفتلك في وادي الأردن وغيرها، حيث دأب صاحبها على تحريض العرب على الامتناع عن بيع أراضيهم، فاعتبر بذلك المحرض الأول وأحد مسببي بعض الحوادث في المستوطنات والعرب، مثل حادثة الشجرة في ربيع عام 1909، وقد عطلت الصحيفة جراء ذلك مرتين خلال العام 1909، وذلك بتهمة الإخلال بالأمن 570.

انطلق نصار في معارضته وتحريضه وتوعيته من فلسفة تتلخص في أن الولايات السورية، وخصوصاً منطقة فلسطين هي عربية، وبأن السماح للصهاينة بشراء

الأراضي واستيطانها يجب أن يتوقف 571، ولم يكن هدف نصار تحريض الرأي العام ضد الصهيونية وتوعيته فحسب، بل التنبيه لحالات التواطؤ من جانب السلطات التركية لتسهيل بيع الأرض لليهود 572.

ومن الأمور التي امتازت بها صحيفة الكرمل، وجعلتها أكثر تأثيراً في الرأي العام، هو اطلاعها على ما كان يجري في الخفاء، وكانت تقوم بدورها بإطلاع الرأي العام عليه، وذلك بغية إفشال صفقات السماسرة لبيع الأراضي، وفي الوقت ذاته وجهت جهودها إلى الفلاحين محذرة من أن يرهن أحدهم أرضه لدى الشركة الأنجلو - فلسطينية كونها شركة صهيونية 573.

شهد عام 1909 تحولاً في الوعي العربي لخطر الاستيلاء الصهيوني على الأراضي، ففي حين كان يحركه في الأغلب - وخصوصاً لدى الفلاحين - المنافسة الاقتصادية التي عاناها الفلاح الفلسطيني، نجده ينطلق منذ عام 1909 من قاعدة أيديولوجية قوية 574، تتمثل بأن الصراع العربي - الصهيوني هو صراع بين قوميتين، وتالياً انعكس هذا التحول على نوعية المواجهة لهذا الخطر، فكان هناك إلى جانب الحرب بالكلمة والمواقف، حلول عملية على أرض الواقع، تمكن أصحاب الأراضي - وخصوصاً الفلاحين - من الصمود أمام الضغوط والمغريات الصهيونية؛ ففي تشرين الأول/أكتوبر عام 1909، تأسست في حيفا ويافا والقدس لجان النضال ضد بيع الأراضي للصهاينة 575. وأسس نجيب نصار اتحاداً في حيفا، كان هدفه الوحيد النضال ضد الصهيونية من خلال إقناع الحكومة بمنع بيع الأراضي 576.

وخلال عام 1910 وما بعده، أسهمت - إضافةً إلى الكرمل - صحف عربية أخرى في حرب الأراضي، وكان أعداءهم فيها الصهاينة من جهة، والسماسرة والسلطات التركية وبعض موظفيها من جهة أخرى؛ فصحيفة المقتبس في عددها الصادر في 15 آذار/مارس عام 1910 وصفت الهجمة الصهيونية على الأراضي بقولها: "تراهم اليوم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حيفا وما يليها إلا وينقضون عليه، ويشترونه بأثمان باهظة، ومواطننا الفلسطيني قصير النظر، لا يعلم أن يحدد هذا الذي يكبره اليوم، سيكون وبالاً عليه غداً" 577.

وجه عبد الله مخلص في 15 آذار/مارس عام 1910 كتاباً مفتوحاً إلى مجلس المبعوثان، محذراً من العواقب المترتبة على بيع الأراضي للمهاجرين اليهود، وبأن ذلك ينذر بالنهاية التي ستحل بعرب فلسطين، وبأنها ستكون مماثلة لما حل بالعرب في الأندلس 578.

ويتضح من هذا الكتاب أن الصراع مع الصهيونية بالنسبة إلى عبد الله مخلص، هو صراع وجود ومصير، وبأنه يهدد البقاء العربي الفلسطيني في فلسطين، وفي قوله هذا، فهم ووعي عميقين لحقيقة الصراع مع الصهيونية، وأهمية الأرض فيه.

علقت صحيفة الكرمل في 13 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 على أوامر الحكومة ببيع الأراضي خارج سور عكا قطعاً صغيرة بالمزاد العلني للأهالي، وأن يكتب قائمة بأسماء الفقراء لترسل إلى النظارة المالية ويصادق على إعطائهم

لزومهم مجاناً، بقولها: "نأمل أن يظهر الكومسيون اهتماماً بالأمر، ولا يتبع طريقة التسويف فيمل الناس، ونرجو ألا يكون عدد السماسرة الذين يشترون لليهود الأجانب كثيراً" 579.

ومن أبرز قضايا الأراضي التي شهدتها عام 1910 تلك التي قام بها إلياس سرسق، ببيعه الأراضي الواقعة بين الناصرة وجنين وتخص قرية الفولة، وقد أثارت عملية البيع هذه معارضة شديدة، فأرسل الأهالي - عندما علموا ببدء المفاوضات في أيار/ مايو عام 1910 - برقيتين إلى الأستانة: الأولى من الناصرة بتوقيع المخاتير وممثلي الطوائف الدينية في المدينة؛ والثانية من حيفا بتحريض من نجيب نصار 580.

وتساءل عبد القادر القباني، أحد أعيان بيروت مستغرباً من أنه "من جملة سيئات الدور السابق ورود الأوامر المبنية على الإرادة السلطانية بمنع بيع الأراضي إلى اليهود، ومع ذلك كان يحصل البيع، وبعد الانقلاب، وبدور الحكومة المشروطة تقرر منع بيع الأراضي في فلسطين إلى اليهود، وهذه أراضي قرية الفولة في لواء عكا تباع لهم فما معنى ذلك؟" 581

كان الموقف الأبرز في مسألة بيع أراضي الفولة وغيرها، لقائمقام الناصرة آنذاك شكري العسلي، الذي ينم عن درجة عالية من الوعي، اقترنت بالتصدي العملي لعمليات نقل ملكية الأراضي المباعه، مفنداً معارضته هذه انطلاقاً من أن سرسق أداة غير أمينة بأيدي شركة أجنبية، كما طالب بحقوق الفلاحين ضامني الأراضي بعدم طردهم وظلمهم، ومنعهم من مغادرة الفولة، وقام بوضع أربعة جنود في الفولة لمنع الاستيلاء على الأراضي، ولكن صلابه موقف ومعتقد العسلي لم تجد نفعاً أمام تعنت والي بيروت وحاكم عكا- إذ اشتراها الصهاينة بالمال- فأجبرا الفلاحين على إخلاء الأرض، وتحويل الملكية في كانون الثاني/يناير عام 1911582.

ولكن هذا التواطؤ لم يثن العسلي عن متابعة جهوده للحيلولة دون استيلاء الصهاينة على أراضي الفولة، منطلقاً هذه المرة من أن توطين اليهود والرعايا الأجانب فيها يعد مخالفة للقانون، بسبب قربها من سكة الحديد الحجازي 583، حيث تمثل محاولته هذه حالاً من الوعي تميز بها العسلي في حربه مع الصهيونية، وتتمثل بإدراكه للغاية الحقيقية لدى الصهاينة للاستيلاء على أراضي الفولة تحديداً، وهي قربها من خط سكة الحديد الحجازي، إذ كانت العفولة إحدى محطات القطار، وكانت أراضي الفولة تبعد عنها ثلاثة كيلو متر 584، لذا كان من بين الأساليب التي اتبعتها في حربه على الصهيونية، لفت نظر المواطنين إلى مواد القانون التي تخولهم حق الشفعة في الشراء والتملك، ولا سيما أن بعضهم أخذ يطالب الحكومة باسترجاعها باسم الأهالي 585.

من ذلك أيضاً، حثه أهالي الناصرة على ملاحقة طلباتهم بشأن الخط الحديدي الذي كان مقرراً إنشاؤه من العفولة إلى الناصرة 586، فخرج جمهور غفير يعد بالآلاف من قسبة الناصرة والقرى وقاموا بمظاهرة وطنية تجاه دار الحكومة مطالبين القائمقام بإيصال صوتهم للأستانة للموافقة على مرور الخط الحديدي الذي تقرر مده

إلى عكا بالناصره وصفوري وشفا عمرو، واستعدادهم لدفع ما تقرضه عليهم الحكومة من نفقات 587.

ويسجل العسلي في خطوته هذه حالاً أخرى من الوعي لكيفية التعامل العملي مع الصهيونية وأساليبها، وذلك من خلال رفع درجة الوعي لدى أصحاب الأراضي بحقوقهم وما لهم وما عليهم، إضافة إلى تقديره ل أهمية دور الأغنياء والوجهاء في مواجهة الصهيونية، فتوجه إليهم في مثل هذه القضية المصيرية.

لعل البرقية التي أرسلت إلى والي بيروت والصدارة العظمى والداخلية ورئاسة مجلس المبعوثان باسم أهالي الناصرة، وبتوقيع نادي الاتحاد والترقي والمفتي ورئيس البلدية وأحد أعضاء مجلس الإدارة والمحكمة، يحذرون فيها الوالي من فراغ قلعة الفولة، لدليل واضح على نجاح العسلي في مسعاه إلى التأثير في أهالي البلدة وأعيانها، يؤكد ذلك نص البرقية الذي جاء مثابهاً إلى درجة كبيرة لما كتبه العسلي في صحيفة المقتبس عن صلاح الدين الأيوبي، ومن معه من المجاهدين الذين جبلت دماؤهم بتراب هذه الأرض، ليتم تسليمها بعد ذلك كله إلى ممثل الصهيونية افرائيم 588.

يتجلى وعي العسلي خطر الصهيونية في قضية بيع الأراضي واضحاً من خلال رده على سؤال نجيب نصار حول موقفه من بيع الأراضي فقال: "أنا شاب، ونفسي تطلب العلا، ولكن ثق بآني أفضل العزل وخسران مستقبلي على التصديق على بيع وطني من أعداء أمتي ودولتي" 589.

وصف نجيب نصار ثبات موقف العسلي تجاه قضية أراضي الفولة في معرض مقال نشره في صحيفة المقتبس بعنوان "بين بني إسماعيل وبني إسحق"، في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1911، بقوله: "فله كم يحतालون على نيل أمانهم، وكيف يتقبلون لتنفيذ غاياتهم، ولكن قائمقام الناصرة على ما تعهدونه من الإخلاص والتفاني في خدمة الوطن فهو لا ينخدع ولا يميل" 590.

دفع شكري العسلي منصبه ثمناً لمواقفه هذه ولكن، وفي المرحلة ذاتها، تم انتخابه نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان، ليستأنف من هناك معركته.

ساند نجيب نصار العسلي في موقفه، فحاول من خلال مقالات كثيرة أن يؤثر في موقف أصحاب الأراضي، وأن يثنيهم عن بيعها، وعندما لم ينجح هاجم هؤلاء في مقال بعنوان: "نصب صلاح الدين بين الناصرة وجنين"، اتهمهم ببيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير لينفقوه على الملاهي. واعترافاً منه بفشله في مسعاه، عمد إلى نشر تفاصيل الكثير من صفقات بيع الأراضي للصهاينة 591.

وفي 14 شباط/فبراير عام 1911 كتب نصار مهاجماً موقف والي بيروت من بيع أراضي الفولة، فقال: "قلنا لشكري العسلي مبعوث الشام إن إحدى الجرائد البيروتية التي تحترم مبادئها أشارت على إثر ما نشرناه عن بيع الفولة إلى وجوب لوم المبعوثين (لا الوالي) الذين لا يستدركون أمر بيع الأراضي للأجانب، فأجابنا رشدي بك الشمعة إن المبعوثين يستطيعون أن يسنوا القوانين ولكنهم لا يستطيعون

أن يوجدوا رجالاً، وقال شكري أفندي كان يحسن بالوالي أن يبحث عن حقيقة الرجل الذي تفرغت باسمه الفولة، ومن أين أتوا بالمزارعين إليها، وإنهم قيدوا نفوسهم عثمانيين في شهر كانون الأول/ديسمبر أو الثاني، ولم يجر القيد على الأصول، وكفى بأدوار الحيل التي استعملت لفراغ الفولة دليلاً على أنها بيعت للأجانب المستعمرين، وقلنا نحن غسلنا أيدينا من الفولة حينما بلغنا أن الوالي قال لأهلها إنه زار زمارين فوجد أن الأهلين المجاورين للمستعمرين قد تحسنت حالهم، وظننا أن الوالي يرى من واجباته كأكبر حاكم إداري في الولاية تحسين أحوال الأهالي الذين أشقاهم الدور السابق، فلا يقضي على آمالهم بقوله ما يفيد أنهم يجب أن ينظروا إلى تحسين أحوالهم ممن يريدون أن ينازعوهم بقاءهم لا ممن وكلت إليه إدارة شؤونهم”592.

كما حاول نصار كشف الاحتيال الذي مارسه أحد السماسرة الصهاينة ويدعى خانكي الروسي، للالتفاف على منع بيع أراضي الفولة، وذلك بتقديمه إخطاراً يدعي فيه الوكالة عن إلياس سرسق، ويطلب مع بعض المزارعين الصهيونيين الإقامة في الفولة، وإدارتها زراعياً593.

كشف أحد أبناء فلسطين تحت عنوان ” رحلة صغرى“، ما جرى من بيع الفولة، وذلك من خلال نقله حديثاً سمعه من بعض أهلها، وملخصه ”أن أولي الأمر اطلعوا على دخيلة الأمر في بيع الفولة من الإسرائيليين، وأصدروا أمراً يقضي بمنعه، فسقط في أيديهم ويد سرسق، الذي أوشك أن يقبض العشرين ألف ليرة، وعند السؤال عن سرسق وما قام به، رد بأنه تدبر أمره وقام يعمل على تسليمهم القرية من طريق الإيجار، ولكن لم يفلح في الصفقة وتسجيلها عند محرري المقاولات في ولاية بيروت، فقصد لبنان فتعاطيا العقود أو كادا، وأصبح الفوليون على شفا جرف الذل، والذي يزيد الطين بلة أنه يحاول إرضاء هؤلاء المساكين الذين استعبدتهم السنين الطوال وجنى على ظهورهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة بنقلهم من مسقط رؤوسهم ومنبت غراسهم إلى مزرعة أخرى، ولكن ذلك كله من باب تسكين ثائرتهم حتى إذا ما قضى لبانته وأزاحهم من مكانتهم نبذهم نبذة النواة”594.

عندما لمس نصار ضعف تأثيره في أصحاب الأراضي، تحول نحو إثارة عامة الشعب ضد الحركة الصهيونية، من خلال التركيز في مقالاته على أن الشعب بحاجة إلى زعماء يوقظونه من سباته، وخرجونه إلى الشارع لكي يتظاهر، ويحتج بشكل قانوني وعنيف595.

الغريب في الأمر، أنه على الرغم من اطلاع الكرمل على كثير مما كان يجري في ما يتعلق بنشاط الصهيونية عموماً، وصفقات بيع الأراضي خصوصاً، إلا أنها كانت باستمرار وحتى مرحلة متأخرة، تنزه رجال الحكومة الاتحادية عن التورط في هذه الصفقات، ففي 18 حزيران/يونيو عام 1910 كتبت تقول: ”يقول الناس إن هذا الوزير (جاويد بك) يميل إلى مساعدة الجمعية الصهيونية أو بالحري يتوهمون أنه اتخذ عجز الميزانية حجة لبيع الأملاك الأميرية المدورة إلى الجمعية الإسرائيلية الأجنبية، على أننا لا نعتقد بوجود سبب يدعوه إلى هذا الخوف، لأن ناظر المالية من خيرة رجال الحكومة الدستورية كما يقولون، وقد وضعت الأمة ثقها به، ورقته

من وظيفة صغيرة وسلمته القيادة، أمن الممكن إذا أن يبيع أملاكها إلى قوم لا يريدون بها وبشعبها خيراً... وهو ما لا تقدم عليه حكومتنا الدستورية، ولا يحلم به أحد من رجالها مع ما هو مشهور عنهم من الحرص على حقوق الحكومة والرعية" 596.

تحت عنوان "وأنتم ماذا عملتم، ماذا عمل أغنياؤكم؟"، قالت صحيفة الكرمل: "هم يتاجرون بمصالحكم ويبيعون الأوطان والشرف والمروءة وكل المبادئ الشريفة بمعبودهم الذهب الذي يشعل ضمائرهم بنار العذاب في ساعة الموت، لماذا تظهرون الأسف وتستعظمون الأمر وتلومون الحكومة على عدم دفع الشر، وأنتم تجلبونه علينا بأيديكم يا سماسرة السوء، لتربحوا وتسود صفحات تاريخكم وتشقى بلادكم وقومكم؟ من قال لكم إن الحكومة تعيد لكم أراضيكم وأنتم تسلبونها من الفلاح وتبيعونها؟ أيها الشعب المستسلم للأقدار، الغافل عما يضره لك المستقبل، استيقظ، أفلت من قيود عبودية الزعماء الذين يتاجرون بك، افتح عينيك، حافظ على أرضك ومالك، ولأهل الفولة اشترى أنتم بلدكم وإلا فغنيكم يبيعها لمن أراد" 597.

من صفقات الأراضي التي أثارت معارضة واسعة في الأوساط العربية، أراضي الجفتك السلطاني (المدورة) المنتشرة في الإمبراطورية العثمانية عموماً، والأراضي الفلسطينية خصوصاً، والتي كانت مركز اهتمام الحركة الصهيونية ومشاريعها الاستيطانية، ولتقادي إثارة الرأي العام العثماني والعربي، وللالتفاف على أنظمة الحكومة العثمانية، لجأت الصهيونية لتحقيق مبتغاها إلى أحد سماسرتها وهو نجيب الأصفر، الذي كان يمتلك شركة مسجلة في بلجيكا تتمتع برأس المال، وتحظى بدعم المؤسسات الصهيونية، فقد تقدم نجيب الأصفر إلى الحكومة العثمانية بطلب امتياز استثمار الأملاك الخاصة بالدولة في وزارة المالية لمدة 99 عاماً، مقابل تعهد يقوم بموجبه بتأسيس شركة عثمانية لاستثمار الأملاك الكائنة في البصرة والموصل وبيروت وسورية، وأن تقوم الشركة - وهو البند الأهم - بتقسيم الأملاك، وبيعها للفلاحين الوطنيين لحساب الحكومة 598، على أن تدفع الشركة للحكومة مبلغ مئة مليون فرنك، تسترده من ثمن الأملاك التي يصير بيعها، ومما تعهدت به الشركة أيضاً، ري الأملاك باستخدام مياه الأنهار وحفر الآبار الارتوازية، والسعي إلى ترغيب البدو بالحضارة والاستقرار، وإنشاء الطرق والمعابر وتجفيف المستنقعات 599.

أوردت صحيفة الكرمل هذا الخبر في 23 آب/أغسطس عام 1910 نقلاً عن الصحف السورية، وعلقت عليه بقولها: "استغربنا كيف أن الجرائد السورية نقلت هذا الخبر ولم تعلق عليه شيئاً مع أنها لا تجهل أهميته، فهل هي مقتصرة على نقل الأخبار ولا يهملها مستقبل بلادها ومصالح حكومتها، أم هي لا تريد أن تخوض في هذا الموضوع قبل أن تدرسه درساً مدقاً" 600، إن الشركات تقدم مصلحتها المادية على كل مصلحة أخرى، فقد توجب عليها منافعها إبعاد الفلاحين من الأهالي عن هذه الأراضي واستبدالهم بأجانب، ولا سيما إذا كانت أموالها أجنبية، ومن يدري أنه ليس وراء هذا المشروع أيد أجنبية لها مقاصد سياسية، ربما أن نجيب أفندي الأصفر نفسه لا يعلم بها... نخاف أن تتغلب حاجة الحكومة إلى المال، فتبيع كنزاً

مدفوناً بحفنة ذهب... نخاف أن لا تكون الشركة عثمانية بحتة، أو أن لا يكون رأس مالها من العثمانيين، وأن تكون عثمانية بالاسم فقط، وأن تكون الأيدي الصهيونية هي التي تعمل من وراء الستار” 601.

وفي 26 آب/أغسطس عام 1910 قدمت صحيفة المراقب تفصيلاً لحقيقة مشروع الأصفر وتداعياته، فأكدت أنه “مندوب شركة أجنبية، وهي يهودية، وبأنه طلب امتيازاً بالأملك السنوية المحالة إلى الخزينة المالية التي تبلغ مساحتها ثلاثين مليون دونم، وبأنه التمس تأجيل منح الامتياز إلى ما بعد اجتماع مجلس المبعوثان، وأشارت إلى أن الصدر الأعظم رفض مضبطة مجلس شورى الدولة المتضمنة منح الامتياز، وقرر إرجاء المسألة إلى ما بعد انعقاد المجلس” 602.

في السياق ذاته، كشف أحد أعيان بيروت عبد القادر القباني- وهو أيضاً أحد صحفييها- في 28 آب/أغسطس عام 1910 عن وجود عرض آخر أكثر جدوى “مقدم من شركة عمال الحولة العثمانية المشكلة من جميع عناصر الوطن، المسلم والمسيحي واليهودي، الذين طلبوا الامتياز المذكور بشروط أكثر فائدة للحكومة من الأصفر، وتقرر طرحها بالظرف المختوم، وتم تأجيل فتحه بسبب مراجعة الباب العالي بشأن الامتياز، وانتقال المسألة إلى مجلس الوكلاء ثم مجلس شورى الدولة والاستيضاح من ولايتي بيروت، وبأن القضية لا تزال قيد البحث في شورى الدولة ومجلس المبعوثان” 603.

في تلك الأثناء، استمرت احتجاجات أهالي فلسطين على المشروع، ففي الأول من تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 بعث عدد من أعيان الناصرة رسالة إلى صحيفة المقتبس “يقيمون فيها الحجة على من كانوا اتفقوا مع الأصفر في مشروعه، ويحتجون بكل قوتهم على هذا العمل المنافي للروح الوطنية، وعلى كل عثماني يخدم آمال الصهيونية” 604.

علقت المقتبس على هذه الرسالة بقولها: “نشكر لهم غيرتهم ووطنيتهم، ونخبرهم بأنه قد عز عليهم وعلينا دخولهم في المشروع، وقد رجعوا والحمد لله عنه وضربوا به عرض الحائط، وانتبهوا إلى ما يراد منه على ما يحب كل غيور على وطنه يريد حفظ أملاكها لبنيتها” 605.

كما قدم أهالي حيفا احتجاجاً في 19 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 على منح نجيب الأصفر الامتياز، وأكدوا على أن الصهاينة وراء هذا المشروع 606.

تمثل مظهر آخر من مظاهر الوعي العربي بالرد على عرض الأصفر في تقدم أحد أعيان بغداد ويدعى محمود شابندر- وبدعم من واليها ناظم باشا- بطلب للحصول على هذا الامتياز لنفسه باسم شركة غنية جداً، وبشروط أنفع من شروط شركة الأصفر. كما تقدمت شركة تضم عدداً من أعيان دمشق وتجارها، إضافة إلى أحد الأغنياء المعروفين ويدعى جرجي عيد بطلب الامتياز بأراضي منطقة سورية، ودعا هؤلاء محمود شابندر في بغداد إلى الانضمام إليهم 607.

ويشكل هذا العرض - إذا ما نحينا النفع المادي لهؤلاء - خطوة في الاتجاه الصحيح نحو التصدي للصهيونية، والتي تظهر وعياً حقيقياً لما يحدث، ولأبعاد مشروع الأصفري الصهيوني، ولكن يبدو أن هذه الخطوة على أهميتها، لم تتفد. وكانت صحيفة المقتبس قد وجهت في 19 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 دعوة ورجاء إلى والي بيروت والصحف العربية والتركية وحملة الأفلام لتبني مثل هذا المشروع، وحثت الأهالي على المبادرة إلى الاشتراك في هذه الشركات "المضمون مستقبلها وربحها، إضافة إلى أنها خدمة جليلة يستفيد منها الأغنياء والفقراء" 608.

كررت المقتبس في 31 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 الشكوك المطروحة آنذاك، حول ما إذا كان الأصفري سيقوم بهذا الامتياز وحده. وهو أمر استبعدت الصحيفة حصوله، واصفة الأصفري بأنه عميل وسمسار لغيره، وأبدت تخوفها من أن يجتمع أبناء إسرائيل في تلك الأراضي ووراءهم حماية الدول الأجنبية، مشيرة بذلك إلى الأصابع الخفية للصهيونية في هذا المشروع 609. وأكدت الصحيفة على أن هذه الشكوك والقلق يشاركونها فيه أهالي دمشق وبيروت، وبأنهم احتجوا لدى المراجع العليا على الأصفري بدعوى أن الشركة أجنبية، لتختم خبرها، بالقول: "فحمداً لله على تيقظ الشعور الوطني في البلاد" 610.

انتهى مشروع الأصفري بالرفض من قبل مجلس الوكلاء، وقد عزا أحد أبناء يافا ويدعى عزيز عريضة وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 هذا الرفض إلى احتجاجات الأهالي والمبعوثين، وقد أعرب عن تقائله بأن احتجاج الأهالي يدل على أن هناك بقية حياة في الشعب يغذيها الشعور الوطني، ثم ليخلص إلى ما خلص إليه غيره من أن هذه الأراضي التي يريد أن يستولي عليها الأصفري تكفي لإعالة كثيرين من العثمانيين وأسراهم، فإذا أعطيت هذه الأراضي للأهالي بدلاً من إعطائها للأصفري تبقى عثمانية سياسياً واقتصادياً، ولكن شريطة أن تتألف شركات عثمانية تستثمرها وتعلم الناس على استثمارها، وإلا استولى عليها الأجانب قطعة بعد قطعة 611.

تقاؤل عريضة هذا، لم تشاركه إياه صحيفة الكرمل التي أعربت في 11 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 عن فقدانها الأمل بجدوى المعارضة العربية، وقصور الوعي عن مواجهة مشاريع الصهيونية وفي مقدمها مشاريع الأصفري للاستيلاء على الأراضي، فقالت: "هل غرنا الحيفاويين والدمشقيين والبيروتيين احتجاجهم على طلب الأصفريين، فكأنني بنا بذلك الضعيف الذي لا يستطيع حراكاً، ولكنه يصيح لما يشعر بألم الضربة على رأسه، ثم يصمت" 612.

أشارت الكرمل إلى مسألة مهمة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 وهي العلاقة بين مشروع الأصفري، والحفاظ على كيان الدولة وسيادتها، وربطت بينه وبين ما حدث في الجزائر وكريت والبلغار وغيرها، وتساءلت "هل يليق برجالها إعطاء ليس ثلاثين مليوناً دونماً كما يقولون، بل سبعين مليوناً في البلدان العربية، لنفتح عليها مشكلة المشاكل ويصير حلها بعد إدراك أخطارها من أصعب الأمور على السياسيين، أم نحن لا نشعر بالخطر قبل الوقوع فيه، طالما أن غاية الحكومة الحالية إنقاذ أهالي بلادها من المظالم والبلايا التي أوقعتها بها الحكومة السابقة،



فكيف ترمي بالأهالي بين أيدي تجار أو ذوي مطامع سياسية ليستخدمونا إما عبيداً وإما آلات لنيل مطامعهم السياسية؟... لا يبرح من ذهن الحكومة أن تسليم مقاطعات البلاد لشركات أجنبية يسلب الثروة ويضعف عثمانية الشعب، وبيع الرعايا والأملاك لم يعز حكومة ما ولا سد حاجاتها... عمل الحكومة والرعايا على استثمار الأراضي أقرب مالأ وأسلم خطراً على البلاد من تسليمها للأيدي الأجنبية، يجب على الحكومة أن لا تدع محلاً للشك في سلامة نياتها، فتعامل مزارعي الأراضي المدورة في البلاد العربية مثلما تعاملهم في بلاد الأناضول"613.

كان أحد أبناء قضاء سلمية قد بعث برسالة إلى صحيفة المقتبس، وقعها باسم "وطني غيور"، تحدث فيها أولاً عن برقية احتجاج بعث بها أهالي القرى المدورة في القضاء إلى الحكومة، ثم فند فيها مشروع الأصفر ومدى استفادة الحكومة منه، وتظهر الرسالة درجة عالية من الوعي لدى هذا المواطن؛ إذ قدم حسابات دقيقة جداً لما يمكن أن تجنيه الحكومة من هذه الأراضي في حال منحها للأصفر أو أبقى عليها في أيدي أهلها614.

مما تضمنته الرسالة التالي615:

- إن الأراضي المدورة آلت إلى السلطان المخلوع وحقوق الأمة، لأن شعبة مثل حماة وتوابعها لديها واردات الخمس والمرعى سوى رسوم الأغنام ما يزيد على الثلاثين ألف ليرة سنوياً. ولو فرض المبلغ نفسه في عشرين شعبة في الممالك العثمانية يجاوز المبلغ - على أقل تقدير - ستمئة ألف ليرة.

- إن الحكومة بخسارتها لأهالي هذه المناطق - بعد أن تخسر أراضيهم - ستخسر أمر تجنيدهم، فتفقد يداً قوية في الجيش.

- إن القوانين تبيح للأهالي إيجار تلك الأراضي ببدل المثل بطرائق غير قانونية.

- إن مصير أهالي هذه الأراضي - إذا ما أنفذ المشروع - سيتم سحقهم من قبل الاستعمار.

- التناقض بين أوامر وتعليمات نظارة الداخلية التي تمنع بيع قرية في صفقة واحدة رحمة بالمزارعين، وبين الحكومة الدستورية التي تريد إيجار بل بيع ثلث الممالك العثمانية تقريباً.

- إن عملية البيع ستكون لأمة أو أمم أجنبية، وهي بذلك تقدم على بيع عدد غير قليل من رعاياها، وتجعلهم أسرى المستعمرين، مع أن حكومات أوروبا تجتهد في المستعمرات وتكثرها لرفاهية رعاياها ليس إلا.

- إن عملية الإيجار تعد إجحافاً بحقوق الخزينة.

من ردود الفعل التي تظهر وعي خطورة أبعاد مشروع الأصفر، سلسلة المقالات التي بعث بها أحد أعيان دمشق، ويدعى خورشيد وهبي، إلى عدد من الصحف ومن بينها المقتبس، حيث دعا في إحداها في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 أهالي سورية بعامة، والدمشقيين بخاصة، إلى التباحث في المشروع. لكنه عندما لمس

ضعف الاستجابة لدعوته هذه، قدم في 5 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 اقتراحاً يتولى فيه بيع جميع الأراضي المدورة في غضون ستة أشهر ومن دون مقابل، وكذلك شراؤه مائة ألف دونم من أراضي سورية وطرحها للمزايدة، لتربح بذلك الحكومة، وصغار المزارعين وكبارهم، كما يسهل زراعة الأراضي في مدة سنة، ويدفع العشر للحكومة، وقد أرسل برقيات إلى الباب العالي وجميع النظارات بهذا المعنى 616. ثم عاد في 10 كانون الأول/ديسمبر 1910 للحديث عن الأراضي المدورة، مظهراً غضبه مما ورد من أخبار من الآستانة، مفادها أن النواب وافقوا على مشروع الأصفر وعدلوا عن مقاومته، متسائلاً في الوقت ذاته عن سيمع عدم تدخل الأجانب في البلاد العثمانية، ولا سيما أن التاريخ والحوادث السابقة أثبتت مقولة أن (الحق بجانب القوة) 617.

ألمح وهبي إلى ميل الحكومة ورغبتها في منح الأصفر الامتياز على الرغم من العروض الأخرى المجدية مادياً أكثر بالنسبة إليها، ودل على ذلك رفضها اقتراحه أعلاه بتاريخ 5 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، ولا سيما أن خبرته كمهندس ورياضي وميكانيكي وزراعي تمكنه من ذلك 618.

أدى تجاهل الحكومة اقتراحاته إلى توجيهه نداء إلى كل من يظلم الهلال العثماني، قال فيه: "بحق وطنيتكم تقوموا قومة رجل واحد، ويد الله مع الجماعة، احتجوا الاحتجاج المشروع على مشروع الأصفر، لعل رجال العقد والحل يقبلون نداءكم" 619.

كشف مندوب صحيفة المقتبس في الآستانة عن الأساليب الملتوية، وغير المشروعة التي يتبعها الأصفر في سبيل الحصول على الموافقة على مشروعه، فكتب في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 إلى صحيفته كاشفاً عن ذهاب نجيب الأصفر إلى باريس، وعودته مصحوباً بمبلغ ضخم يتجاوز الثلاثين ألف ليرة، ليوزعها على أصحاب النصيب يلتهمون غنيمته باردة، وإن عاد على الوطن بنار حامية، لذا اقترح على اللجنة التي تألفت لمناهضة هذا المشروع حرصاً على المصلحة العامة "أن يوكّلوا في العاصمة أمرهم إلى رجل صادق السعي حسن الهمة يقوى على مدافعة الأصفر ونقوده الرنانة، إذ من دون ذلك، لا يستطيعون أن يحسنوا عملاً، فإن الاحتجاجات البرقية والأخذ والرد والكلام من دون العمل لا تجد فتيلاً، فلينتبه المنتبهون، عندنا هنا حقي العظم وهو الرجل الذي فيه الكفاءة لمثل هذا العمل، فليفوضوه وليبعثوا إليه بشروطهم، إن شاءوا أن يكونوا من الفائزين" 620.

استمرت محاولات كشف المخاطر التي ينطوي عليها مشروع الأصفر، ومنها السلسلة التي بعث بها يونس نادي إلى صحيفة تصوير أفكار في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، كشف فيها عن منح الأصفر ما بين 30 إلى 40 مليون دونم لشركة أجنبية، لمدة سبعين عام، وشكك في السرعة التي تتم بها الإجراءات المتخذة من أجل إتمام الصفقة، وذلك في الوقت الذي تصم فيه الحكومة أذاتها عن الاحتجاجات على المشروع، وتساءل نادي عن جدوى القرض الذي ستحصل عليها الحكومة مقابل هذا الكم من الأراضي، وعن جنسية الشركة المحتجبة، وإذا ما كانت

موجودة فعلاً. واستنكر نادي أسلوب التفاوض مع الأصفر بحيث يرفض ويقبل، في الوقت الذي يوجد هناك من يقبل بالصفقة من دون شروط 621.

وكرده فعل على المشروع وللضرر الذي يلحقه بمصالح العرب وبلاد العرب، تألفت في العاصمة في كانون الأول/ديسمبر عام 1910 جمعية "لمقاومة مشروع الأصفر" من خيرة رجال العرب المخلصين، وذلك بهدف مقاومة المشروع الذي لقبته جرائد العاصمة بالخطر الأصفر، وذلك باستخدام كافة الوسائل القانونية والمشروعة، حيث تعهدت الجمعية بإبلاغ وإيصال جميع ما يرد لها من البلدان العربية من الاحتجاجات والاعتراضات على هذا المشروع لأصحاب العلاقة من الحكومة. وقد فتحت الجمعية الباب لمن يرغب في الانضمام إليها أو يكتب إليها الرسائل والبرقيات 622.

وجهت صحيفة المقتبس في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1911 نداءً إلى رجال الشورى ونواب الأمة وممثلي الحكومة أن لا يضيعوا البلاد لقاء أسهم يعدهم بها الأصفر كما يشاع، وأكدت أن شركة الأصفر ليست عثمانية وغايتها أكثر من تجارية، فهي لا تقبل بمساهمة عثمانية وستضطر كل عثماني لبيع أسهمه لتستقل 623.

في 3 كانون الثاني/يناير عام 1911 عاد خورشيد وهبي إلى اقتراحه السابق، وذلك رداً على صاحب صحيفة لسان الاتحاد الذي طالب - عبر صحيفته - الحكومة بمنح الامتياز لأي شركة كانت، حيث أكد وهبي أن المقصود هنا شركة الأصفر لأنه لا يوجد غيرها، وليقدم اقتراحاً جديداً تمثل بدعوة الحكومة إلى ضرورة تقسيم تلك الأراضي في كل ولاية على حدة، وأن تتألف في كل واحدة منها شركة لاستثمار هذه الأراضي، وحذر من أن عدم الالتزام بهذا الاقتراح سيجعل من الأراضي المدورة لقمة سائغة للاستعمار، ولتكون حجة امتيازها في ما بعد مدخلاً للاستيلاء على البلاد 624.

كما بعث أعيان أهالي القنيطرة برقية في كانون الثاني/يناير عام 1911 إلى السلطان ومجلس الأمة وصحيفتي طنين وإقدام احتجاجاً على منح الأراضي المدورة للأجانب باسم الأصفر، التي هي ملك للأمة العثمانية، قالوا فيها: "كما إننا نريد أن نحافظ على كريد والعلم العثماني لآخر نقطة في دماننا، هكذا نريد أن نحافظ على هذه الأملاك لأنها ملك للزراع العثمانيين، ولا يجوز شرعاً إعطاؤها بالدسائس للأجانب" 625.

عرض أحد أصدقاء صحيفة المقتبس - التي عرفته بأنه من الذين يعملون بكل قواهم على مقاومة الصهيونية - في الأول من شباط/فبراير 1911 بالنشاط الذي يمارسه اليهود الصهاينة في الأستانة، والنفوذ الذي أصبح لهم، وهو الأمر الذي تنبّهت إليه الحكومة العثمانية، فحظرت بيع الأراضي في جهات القدس من الإسرائيليين، وقد برر الكاتب خطوة الحكومة هذه، بأنها "لم ترد أن تزيد على الملل والنحل التابعة لها أمة جديدة" 626.

كما وجه أحد أهالي طبريا رسالة إلى أغنياء العرب- يمكن أن يطلق عليها وصف رسالة استفزازية تهدف إلى إثارة الغيرة والحمية فيهم- يعلق فيها على ما سمعه من أخبار حول تشكيل شركة عثمانية لتقوم مقام الأصفر، وتأخذ الامتياز بدلاً منه، فيخاطب هؤلاء بقوله: "ما كنت لأصدق لأن ما أعهده في إخواني العرب من الانقسام وحب الذات يجعلني لا أصدق أقاويلهم ومطالبهم، فإنهم يندفعون لبادئ بدء إلى بذل الهمة الصحيحة، ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تنحل هذه العزائم، ويموت هذا الشعور، فإلى أغنيائنا أوجه هاته الكلمات: مشروع الأصفر مشروع كبير لا تقفرون على القيام به، إذ لا وجود لوحدة الرأي بينكم، فالنجاح بعيد منكم، وأنتم بعيدون من الإصلاح"627.

تحت تأثير معارضة مشروع الأصفر، قام مجلس شورى الدولة بتعديل بعض موادها، ومن جملتها مادة تتعلق بالمبالغ التي تؤخذ من مزارعي الأراضي، فقبل الأصفر ببعض المواد المعدلة ورفض بعضها الآخر. بناء على رفضه، قررت هيئة الشورى العمومية رد المشروع، وعلى ضوء هذا الرفض، حذرت صحيفة تصوير أفكار من وجود محاولة للاحتيال على قرار مجلس الشورى، وذلك بإغفال مجلس الأمة، وتحقيق آمال الأصفر بتصديق المشروع أثناء عطلة المجلس، وبأنه حالما يقبل الأصفر بتعديلات مجلس الشورى تعود مسألتها، فتوضع على بساط البحث628.

علل أعرابي من فروق- اختار لنفسه اسم دريد بن الصمة في مقال بعث به إلى صحيفة المقتبس في 7 كانون الثاني/يناير عام 1911، تحت عنوان "مشروع الأصفر واليهود"- أن أسباب رفض المشروع من أعضاء مجلس الشورى، بعد أن وافقت عليه نظارة المالية وهيئة الشورى في جلستها السابقة "هو حملات الجرائد على المشروع، حيث أثارت الكيفية التي تم فيها الاتفاق بين نظارة المالية وصاحب المشروع الشبهات لدى العامة، فتخوف الصدر الأعظم من أن يثير المشروع المعارضة ضده، أضف إلى ذلك معارضة الأكثرية في مجلس النواب - رغماً من ميل بعضهم له -ومن بين هؤلاء قسم كبير من حزب المعتدلين وكذلك حزب الأهالي والأحزاب أو الأفراد الباقية من المبعوثين ضد المشروع، لذا عندما قدم نافع باشا تقريره بشأن مشروع الأصفر كان أكثر النواب من رأيه، وكان بعضهم على اختلاف المشارب يجاهر بمقاومة الضرر العظيم، ويتوعد بإفشاء أسرار المسألة وكان للأعيان الموقف ذاته. كما أن بعض شبان العرب الذين أفسموا أن ينفقوا بصدورهم وأقلامهم في وجه كل نائبة تنوب البلاد لم يألوا جهداً في محاربة شركة الاستعمار وطلّاع جيش الاحتلال حتى ملأوا الأستانة ضجيجاً، ونشروا من أسرار المشروع المخفية ما أربع قلوب العثمانيين، وبناءً على كل ذلك رفض المشروع"629.

شكك صاحب المقال- استناداً إلى بعض المطلعين- في أن هذا الرفض موقت، " وأنه حيلة احتالوا بها لتسكين الخواطر، وبأنه لا بد من الرجوع إلى هذه القضية أجلاً، وعند أول فرصة تسنح إذا لم يبين الرفض إلا على رفض الأصفر بعض شروط أرادت هيئة الشورى إدخالها في المقابلة محافظة على مصلحة الوطن،

فرفضها الأصفر، وهو يدعي أنه سيخدم بمشروعه الوطن والأمة". وليتابع مقاله بالمطالبة بضرورة مواصلة الاعتراض، معرباً عن خوف السوريين من دخول الجمعية الصهيونية في مسألة الأصفر، واستيلائهم على فلسطين غنيمة باردة على يد اقتصاديين الشهير، ليختم بقول ينم عن دراية ووعي للخطر الصهيوني على أراضي فلسطين، وهو: "يشهد الله أن خوفهم في مكانه، ومن عرف ما يجري في هذه السلطنة وتحت ظل هذه الخلافة من أعمال يهودية ليخاف على كل شبر من أرضنا العثمانية"630.

ثمّة قضية مهمة أثارها صحيفة تصوير أفكار تمثلت بالربط بين برنامج الصهيوني "كان"، وما جاء في كتابه "المملكة الموسوية"، وبين مشروع الأصفر الذي جاء مطابقاً لما كتبه "كان" وهو الحصول على امتياز واسع يشمل جميع أراضي فلسطين والأماكن الهمايونية (الجفالك الأميرية)، وعندما تنبّهت الصحيفة إلى أن المقصود من المشروع هو الاستيلاء على أراضي فلسطين، وما سترتب على ذلك من مخاطر اقتصادية وزراعية، أخذت تنشر المقالات تنبيهاً للحكومة للقيام بواجبها. وقد علقت صحيفة الكرمل التي أوردت المقال في 8 آذار/مارس عام 1911 بقولها: "من له أذنان فليسمع، ومن له عيون فليبصر"631.

عاد مشروع الأصفر في منتصف عام 1911 ليطفو إلى السطح ثانية، فتحت عنوان "مشروع الأصفر يبعث حياً"، كتبت الكرمل في 6 أيار/مايو عام 1911 تقول: "ترامى إلينا أن رسل الأصفر انبثوا في البلاد، وهم يحاولون التقاهم مع المعارضين في بيروت والشام وخصوصاً مع الصحافة التي قامت في وجه المشروع سابقاً، وأنهم يسعون في إسكاتها بإعطاء أصحابها أسهم مجانية، أما نحن وإن كانت ثقتنا ضعيفة بعبدة المال، فإن اعتقادنا بالمبعوثين وبأرباب الصحف متين، ولا نخالهم يتخذون خدمة الأمة وسيلة لبيع الوطن بمنافع خصوصية، ولنا اعتقاد وثيق ببعض أصحاب الصحف يؤثرون الموت جوعاً على التمتع بمال يجر الشقاء على فلاحين الجفالك الأميرية، خير خدمة يستطيع أن يقوم بها أرباب الصحف والمبعوثون أن يطالبوا الحكومة بتوزيع الجفالك الأميرية على الأهالي المزارعين بحسب احتياجاتهم، وأن تقسط أثمانها عليهم، ولقد نبهنا مزارعي الجفالك مراراً إلى مطالبة الحكومة بذلك، وقد فعلوا فليداوموا على الطلب، وليواصلوا الاحتجاجات على تسليم زمامهم لشركة الأصفر، أو غيرها التي نكاد أن لا نرتاب في أنها تخدم المقاصد الصهيونية"632.

في تموز/يوليو عام 1911 أصبحت التكهّنات بعودة مشروع الأصفر أقوى، فتصدت الكرمل للكشف عنه، من خلال تأكيد أن نية الأصفر إعادة طرح مشروعه في أخذ امتياز الجفالك الأميرية، وبأنه يخطط ليضمن عدم رفض مشروعه للمرة الثانية، كما أكدت أن "غاية ما تريد أن تقهّم لمزارعي الجفالك الأميرية أن الدائرة تدور عليهم إذا لم يقوموا للمحامية عن حقوقهم بأنفسهم، وليطالبوا الحكومة بإحالة أراضيهم عليهم بالبدل الذي تراه عادلاً وتقسطه عليهم على عشر سنوات، ولتعلم الحكومة والصحف أن مبادئ الجمعية الصهيونية، السعي إلى نيل الامتيازات الكبيرة للوصول إلى غايتها، فإذا كان مشروع الأصفر صهيونياً واستولت هذه

الجمعية على غور بيسان، وهي ستستولي عاجلاً أو آجلاً على مرج ابن عامر، فتقبض بذلك على موارد ثروة فلسطين التي اتخذتها وازعاً لحركتها، وتستعين بضعف الأهالي وجهلهم وفقدان الوطنية على بلوغ أمانيتها، فليتشفق أصحاب العقول على حكومتهم ووطنهم وأبناء قومهم"633.

لم يكن قادة الحركة العربية بمنأى مما يحدث، فقد قدم حقي العظم اقتراحاً يعكس أولويات قادة الحركة العربية، طالب فيه - وبعد أن تحدث عن الانشقاق والخلاف الذي حدث في الرأي العام العربي، بسبب مشروع الأصفر، والذي انعكس صداه في الصحف الصادرة، داخل فلسطين وخارجها - جميع الأطراف بالاتفاق والاتحاد، لأن الفرقة هي ما يسعى إليه الاتحاديون، ويعملون من أجله، وليقتراح على الصحف واللجان التي تألفت في سورية، وعلى نجيب الأصفر أيضاً العدول عن هذا المشروع إلى غيره من المشروعات المفيدة الكثيرة في المملكة العثمانية634.

ويدل اقتراح العظم هذا، على قصور في الوعي، وفي فهم حقيقة مشروع الأصفر، ومن وراءه، وبأن أي مشروع يتبناه أو ينفذه الأصفر ستكون غايته خدمة الأهداف الصهيونية بالدرجة الأولى، ولديه من الأمثلة السابقة، ما يغني عن إثبات عكس ذلك.

عادت صحيفة الكرمل في 11 تشرين الأول/أكتوبر عام 1911 لتحذر مرة أخرى من أن تكون الصهيونية والأموال اليهودية وراء هذا المشروع الواسع، وبخاصة تلك الأملاك الأميرية في فلسطين، وتشمل غور بيسان وأريحا، وبينت أن من وراء الأصفر شركة بلجيكية تمولها الجمعية الصهيونية، وأن الهدف من توسيع رقعة المشروع هو إبعاد الشكوك عن الجمعية الصهيونية ومقاصدها في فلسطين635.

انتهى مشروع الأصفر بقرار مجلس الشورى صرف النظر عنه، وذلك بعد أن نظرت فيه الحكومة العثمانية أربع مرات منذ أيار/مايو عام 1910، وممن كان لهم الفضل في مثل هذا القرار، الوزير العربي سليمان البستاني، الذي تمكن من إقناع الحكومة الاتحادية بالاستجابة لمطالب العرب636.

أثار الموقف السلبي لمن سكتوا عن صفقات بيع الأراضي، ومن كان طرفاً في عقدها، استياء الكثيرين وحنقهم، فالشاعر عبد الرحمن قبيلات في قصيدة هجا فيها هؤلاء، قال637:

يقولون لا نبغي اليهود وإن رأوا

سنا صفرة الدينار حالاً تخيبروا

ففي الفولة التعساء حيناً تفانوا

وسرعان ما زيح الغطا فتطيروا

في معضلات الغور غاروا أو غيروا

وأغروا وغروا غيرهم وتغيروا  
وعن فكرة الأرض المدورة انتثوا

ولما بدا الدينار داروا ودوروا  
على رسلكم يا قوم فالكل أصفر

realpage0217 وصاحب ذا المشروع ما عاش أصفر

ولكن جلّ الصحف فيكم تلونت

وما من صحافي كذا يتطور  
فنحن قبل مصفر وبالأمس أزرق

واليوم مخضر ومن بعد أحمر

قدم شكري العسلي تحليلاً لحقيقة ما جرى بالنسبة إلى مشروع الأصفر، فرأى "أن الأخير نجح في المشروع الأول بشراء بعض المسؤولين، ولكن تصدي نخبة من الشبان الغيورين على وطنهم، الذين ألفوا جمعية لمقاومة المشروع، وكتابتهم المقالات بالتركية والعربية تمكنوا من هزيمته، ويؤكد ذلك تسليم الصهاينة والأصفر بأن سبب هزيمتهم أصحاب الأقلام والصحف، فعزموا على إرضائهم، ونجحوا في شراء بعضهم- امتنع عن ذكر أسماء هؤلاء لأنهم خدعوا وليس لسوء وطنيتهم- وضرورة الاكتفاء بإيقاظهم". وفي ما يتعلق بالمشروع الثاني، فقد أشار العسلي إلى حديثه مع ناظر المالية بخصوصه، حيث وعده الأخير بعدم البت فيه إلا باستئذان مجلس النواب. وقد اغتتم العسلي الفرصة لكي ينكر ما شاع بأن الأصفر ينتسب لحزب الأحرار المعتدلين، وبأن انتسابه الحقيقي هو وأمثاله، لمصالحهم الذاتية638.

انتقلت خلال عام 1911 معارضة شراء الأراضي من قبل الصهاينة إلى جلسات مجلس المبعوثان، حيث تولى النواب العرب إثارتها والتحذير من خطرها639، فعندما تحدث النائب إسماعيل حقي في جلسة آذار/مارس عام 1911 عن شراء الحركة الصهيونية أراضي فلسطين من بعض الإقطاعيين وتخصيصها للمهاجرين اليهود، سارع نائب القدس سعيد الحسيني ونائب دمشق عبد الرحمن بك إلى تأييده640، وكذلك فعل والي بيروت رضا الصلح641.

في جلسة أيار/مايو عام 1911 تحدث النائب سعيد الحسيني عن دور البنك الذي من خلاله وبمساعدة أثريائهم، تمكن الصهاينة من شراء أراضٍ واسعة، منوهاً بدور الحكومة وإجراءاتها في الحيلولة دون ذلك، ومتأملاً بناظر الداخلية "أن يتخذ المزيد من التدابير لتنظيم الأفكار العمومية" 642.

كما تحدث نائب القدس روجي الخالدي في الجلسة ذاتها عن شراء الكثير من اليهود للقرى والأراضي والبساتين، مستغلين ضعف نفوس بعض الموظفين وضمانهم هناك، مؤكداً أن هدف الجمعية الصهيونية هو جمع الأموال لشراء الأراضي 643. لتقادي ذلك، طالب النواب العرب بسن تشريع يمنعهم من تحقيق غايتهم 644.

ولكن هذه المعارضة على اختلاف أشكالها، لم تحل دون عقد صفقات بيع أراضٍ في مواقع متفرقة من فلسطين، والذي لم تجد بعض الصحف في نشر الأخبار عنها، ما يستحق التعليق منها أو المعارضة. على سبيل المثال، نشرت صحيفة المؤيد في 8 نيسان/أبريل عام 1911 أنهم ابتاعوا عشرة آلاف فدان من أراضي رفح لجعلها مستعمرة إسرائيلية 645.

حذرت صحيفة المقتبس في 29 تموز/يوليو 1911 من الخطة التي تتبعها الصهيونية "والتي مكنتها من الفوز بامتلاك ثلاثة أرباع قضاء طبرية في الدور البائد، وهي الآن في عهد الشورى تقصد ابتلاع ما تبقى منه" 646.

في معرض هجومه على الخطاب الذي ألقاه جاويد بك في آب/أغسطس عام 1911، وهاجم فيه المعارضين لسياسية الاتحاديين، قال حقي العظم: "يريد جاويد بك أن يفهم العثمانيين أنهم يجب عليهم أن لا يرفعوا صوتاً على ما يأتيه إخوانه من الحيف والضرر والاستبداد الاتحادي، حتى ولو بيع القطران الفلسطيني والسوري من الصهيوينيين الألمان ببيع السلع، بل عليهم أن يطأطئوا الرؤوس أمام هذه الإرادة الاتحادية" 647.

في آب/أغسطس عام 1911 شكل الشيخ سليمان التاجي الفاروقي (الحزب الوطني العثماني)، وكان من بين الأمور التي تعهد الحزب بالقيام بها تذكير الحكومة بواجباتها، وأبرزها منع بيع الأراضي، وإجراء إحصائية جديدة لنفوسهم، وإحصاء أملاكهم وأراضي المستعمرات واستيفاء الأموال الأميرية منهم لصالح الخزينة 648.

تكمُن أهمية هذه المطالب التي تتم عن وعي نوعي، في أنها تلزم الحكومة معرفة ما جرى من صفقات بيع أراضٍ وحصره، والمساحات التي امتلكها اليهود حتى تلك المرحلة، بعيداً من عمليات التمويه والإنكار التي كانت تجري سواء من الصهاينة أنفسهم، أو من الأطراف المتورطة في عمليات البيع على اختلاف أدوارهم وتسمياتهم.

نوهت صحيفة المقتبس في 2 أيلول/سبتمبر عام 1911 بنقطة مهمة ومفصلية في المساعي الصهيونية إلى شراء الأراضي، وذلك من خلال الإشارة إلى المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب عام 1911، الذي كانت جلساته مقتصرة



على تلاوة تقارير حسنة عن أعمال المصارف الصهيونية الثلاثة، ومن بينها المصرف الإسرائيلي الوطني الموافق على مشتري أراضٍ في فلسطين، والذي زاد رأس ماله حتى صار يبلغ ثلاثمئة ألف دولار منذ عقد المؤتمر الأخير "649.

وتعزيزاً لخبرها هذا، وتأكيداً لجديده ما ورد فيه، ومن يعملون على تنفيذه، أوردت المقتبس في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 قول رئيس المؤتمر الصهيوني إن "المؤتمر قرر تنشيط شركة الأراضي الفلسطينية، التي تقدم وسائل الاستعمار الحقيقية بشرائها الأراضي للمستعمرين، وإعدادها وتوزيعها عليهم" 650.

كما نشرت المقتبس في 18 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 رسالة مطولة من أهالي قرية المجدل التابعة لطبريا، يشكون فيها سلب أراضيهم التي عملوا فيها منذ زمن طويل، ثم ابتاعوها من الحكومة ببديل المثل، وهم يملكون سندات طابوا بها، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف دونم، ثم حكمت المحكمة بإعطائها للمدعوة أ. فاربورغ (O. Warburg) وهي من الصهاينة، في حين لا يملك فيها المستعمرون أكثر من 1900 دونم، فرفع الأهالي شكاوهم إلى الحكومة في بيروت ومحكمة استئنافها، انطلاقاً من أن الفلاحين إذا اغتصبت أراضيهم وأعطيت لهؤلاء الأجانب يكون الحال كمن يسلم بلاده بأيديه إلى غيره 651.

إن إيراد الصحيفة مثل هذه الأخبار، يدل أولاً على تلمسها مكنم الخطورة في النشاط الصهيوني لشراء الأراضي، وثانياً إلى أن هذا الوعي العربي والمقاومة لعمليات بيع الأراضي لم تؤثر في هذا النشاط أو الحد منه، بل تجد من خلال ما ورد في مؤتمراتهم وتصريحاتهم وكأن ما يحدث لا يعنيه من قريب أو بعيد، وهم سائرون في خطتهم لا يثنيهم شيء، ولا يلتفتون لأحد مهما بلغ شأنه أو تأثيره أو سلطته، متخذين في سبيل ذلك الوسائل والأساليب كافة، التي يبدو أنها كانت ناجحة في تمهيد السبل لهم، وليس أدل على صحة هذا القول من التوسع الصهيوني في شراء الأراضي، ويؤكد ذلك ما جاء في التقرير البريطاني الذي بعث به المكتب العربي في القاهرة إلى وزارة الخارجية في 27 آب/أغسطس عام 1911، وذكر فيه التالي: "إن عملية الشراء مؤخراً أصبحت أكثر فاعلية، وأصبحت تتم بشكل سري، فجرت مؤخراً في 31 تموز/يوليو 1911 محاولة مسح لأرض تم شراؤها من قبل اليهود في غزة ورفح، والتي تعود لعرب الرميلات التي تركتها منذ ثمانين عاماً، مما سبب إشكالية في عملية المسح وتحديد الأرض" 652.

نشرت صحيفة المقتبس رسالة استغاثة بعث بها أحد المواطنين في غزة، وذكر فيها "أن اللهيبي قد اتسع عندنا، وتهافت العرب على التخلص من أراضيهم حياً بالأصفر الرنان"، ليختم رسالته بندااء استغاثة للفت أنظار القائمقام ومتصرف القدس لوقف سريان هذا اللهيبي 653.

اغتنمت الصهيونية فرصة حرب البلقان عام 1912، وانشغال الأتراك بالحرب، وتغاضيها عن صفقات بيع الأراضي في مناطق متعددة، وهو ما دفع بصاحب الكرمل نجيب نصار ليكتب تحت عنوان: "هجوم من كل الجهات يا هو واحدة واحدة"، متسائلاً: هل أراد الصهونيون الاستيلاء على فلسطين دفعة واحدة، أم

يريد أهلها أن يبيعوها؟ أم هي فرصة يريد الصهيونيون اغتنامها في عهد الحكومة الحاضرة؟ أين الأوامر بمنع البيع لهم وبأسماهم المستعارة؟ أين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيونيين بالتملك والتوطن في فلسطين؟ لماذا لا نسمع لهم صوتاً؟ 654.

تمكن وكلاء الصهيونية خلال عام 1912 من شراء جميع أراضي خربة الجمامة البالغة سبعة آلاف دونم، والواقعة في منطقة ديرة عرب النتوش من ديار قضاء بئر السبع على المشارف الغربية للقضاء 655.

وفي ربيع عام 1912 عُقدت صفقة لبيع قرיתי جيداً وتل الشمام في مرج ابن عامر من قبل آل تويني للصهيونية، وكانت صحيفة المقتبس، قد تابعت مراحل هذا البيع، وحين أُحيلت أوراق البيع إلى مجلس إدارة حيفا للتدقيق فيها، كتبت الصحيفة محذرة المجلس بقولها: "هل يكون المجلس وفيه المفتي والمطران والوجيه آلة للصهيونيين أعداء الوطن العثماني، وللاانتفاعيين من الموظفين، ويسجل عليه إثم بيع الوطن الذي اشتراه الأجداد بالدم؟" 656.

ترافقت هذه الهجمة على شراء الأراضي من قبل الصهاينة مع تزايد الوعي العربي لخطرهما، فوفقاً لتقرير كتبه آحادها عامفي عقب زيارته إلى فلسطين عام 1912، قال فيه: "إن أبناء البلاد الأصليين في فلسطين، والذين أصبح وعيهم القومي يتنامى منذ الثورة التركية، ينظرون بغضب إلى بيع الأراضي للغرباء، ويقدمون أفضل ما عندهم لإيقاف هذا الشر" 657.

وفي هذا العام أيضاً، انضمت صحيفة جديدة إلى ركب الصحف الفلسطينية والعربية في دفاعها عن فلسطين، ونشر الوعي العربي تجاه ما يجري فيها، ألا وهي صحيفة المنادي التي وقفت نفسها على فضح الأساليب الصهيونية والصفقات التي كانت تتم لشراء الأراضي، والسماسة ومن يساعدها في مسعاها هذا، ففي شباط/فبراير عام 1912 كتبت تقول: "إن مسألة بيع الأراضي والبيوت إلى هذا العدو هي شر المسائل علينا، وهي كانت أكبر مساعدة له على امتداد سطوته في هذه البلاد، وإن طمع الكثيرين منا بالمال قد أثر كثيراً في تقلص ظل سطوتنا أمام العدو الصهيوني" 658.

وفي تعليق لأحد الكتاب، ورد في المقتبس في 19 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 يدل على عمق وعي ما آلت إليه أوضاع الأراضي في فلسطين، وتبعات ذلك، قال فيه: "إن مستقبل فلسطين زاهر بعكس مستقبل الفلسطينيين، فإنه مظلم جداً لأن خمس الأراضي الزراعية بيد الصهيونيين الذين زادوا عن سبع السكان الأصليين، ويتوقع- لو استمرت الحال هكذا- من مساعدة الموظفين ورجال الحكومة على تخليص البلاد من أيدي أهلها إلى أيدي المستعمرين، أن تصبح فلسطين يهودية، يضطر إلى هجرها بحكم تنازع البقاء المسلم والمسيحي" 659.

وقد تصدى سعيد النابلسي وأولاد الصلاحي لعملية البيع هذه، ورفعوا شكوى ضد المتصرف جودت بك، كما احتج مدير الأوقاف إلى نظارة الأوقاف، ورغم تحذير

الأخير إلا أنه أتم عملية البيع، وأتبعها بأخرى، وفتح مجال الشراء في وجه الصهاينة، وتسهيل الأسباب لهم660.

شهد عام 1913 تطوراً مهماً تمثل بحل الحكومة الاتحادية مساحات واسعة من أراضي الأوقاف غير الصحيحة وإعادتها إلى خزينة الدولة، تمهيداً لعرضها في المزاد أسوة بغيرها من الأراضي الأميرية لبيعها لطالبيها، الأمر الذي أثار ضجة عارمة في أوساط المجتمع الفلسطيني نظراً للنتائج السلبية التي تترتب على هذا الإجراء، وفي مقدمها خراب عمل الكثير من المؤسسات الخيرية وضمحلته، ومخاطر انتقالها إلى الشركات الرأسمالية الأجنبية661.

استمرت خلال هذا العام عملية رصد بيع الأراضي وتقصي تفاصيلها؛ ففي رسالة تحذير وجهتها صحيفة فلسطين في 25 كانون الثاني/يناير عام 1913 إلى العرب عموماً، والحكومة خصوصاً، "من أن يصبح حظ الدولة في فلسطين كحظها في طرابلس الغرب أو ربوع البلقان، إذا لم يتم تدارك الأمر، وذلك نتيجة لاستيلاء الصهاينة على فلسطين، قرية تلو الأخرى، فقد ابتاعوا القدس بأجمعها، وفلسطين بكليتها". وقد جاء تحذير الصحيفة هذا، في معرض حديثها عن بيع أراضي قرية أبي شوشة662.

تكرر هذا التحذير أثناء اللقاء الذي أجراه الوفد العربي برئاسة عبد الكريم الخليل في الباب العالي عام 1913، حيث طرح الوفد مسألة الجهود التي يقوم بها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي اليهود من أمثال نسيم مزراحي، أو الذين هم يهود أصلاً (الدونمة) كجاويد بك وحسين جاهد، من أجل إلغاء الحظر الذي كان موضوعاً زمن السلطان عبد الحميد على بيع الأراضي لليهود والأجانب، وإقامتهم في فلسطين مدة طويلة، حيث أخذ اليهود ينشطون في شراء الأراضي هناك، وفي الحصول على امتياز استعمار بعض أراضي الدولة فيها، وحذر الخليل من عاقبة ذلك663.

وجهت مجلة المنار في شباط/فبراير عام 1913 اتهاماً صريحاً لجمعية الاتحاد والترقي، التي لقبته بـ "جمعية الأحمرين الدم والذهب"، الأولى لأنها ثورة، والثانية لأنهم نهبوا أموال السلطان عبد الحميد، واتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة. واستندت المجلة لإثبات صحة حديثها إلى قول وزيرهم حقي باشا في خطبة علنية له بأن مستقبل الدولة العثمانية لليهود664.

ومن الأراضي التي استولى عليها الصهاينة خلال عام 1913 وادي الحوارث، الذي تنازل عنه شيخ قبيلة الحوارث لأنطون بشارة التيان من كبار ملاكي يافا، وبقيت أراضي الوادي باسم الأخير حتى وفاته، وعندئذ وضع التاجر اليهودي اسحق حايمم آريه من مستوطني القدس يده عليه عام 1913، مقابل دين له في ذمة التيان يبلغ 30 ألف فرنك فرنسي665.

إن صحيفة المنادي، وفي محاولة منها لتعزيز حالات الثبات على التمسك بالأراضي من قبل مالكيها، على الرغم من العروض المادية المغرية، وفي مؤشر منها لحالة من الوعي حاولت استخدامها في تعميم هذا الوعي، ونقله إلى أكبر

شريحة ممكنة من أصحاب العلاقة، أوردت في بداية عام 1913 خبراً تصف فيه تعاضم الشعور بأضرار بيع الأراضي لليهود، خصوصاً بين القرويين، وأوردت حادثة تدل فيها على ذلك، وملخصها أن أحد السماسرة المعروفين آنذاك بنشاطهم في البيع لليهود، جاء إلى قرويين عارضاً عليهما بيع أراضٍ لهم مقابل مبلغ كبير من المال ولكنهما رفضا، واستمرا على موقفهما على الرغم من مضاعفته المبلغ. وقد علقت الصحيفة على هذه الحادثة بقولها: "فنتمنى أن يصبح كل الوطنيين في هذه البلاد أمثال هؤلاء، فلا يحظى المستعمرون، أعداء الدولة على شبر" 666.

كما نشرت الصحيفة أخبار بيع أراضي أبي شوشة التابعة لقضاء يافا للمستعمرات الصهيونية، وهاجمت الأشخاص والجهات المستترة وراء هذا البيع 667.

تحت عنوان "لا حول ولا" أكدت صحيفة المنادي في 27 شباط/فبراير عام 1913 على وجود خمسين معاملة بيع وأوراق مزيدة في دائرة الطابو، منها بيع الأراضي المحلولة في بيت صفاة 668.

مما يؤيد ذلك، الهجمة الشرسة التي تعرضت لها أراضي الجفتلك السلطاني على يد جماعة الإتحاد والترقي؛ ففي عام 1913 سعت الحركة الصهيونية إلى شراء أراضي رفح المصرية الحدودية المتاخمة لأراضي الجفتلك السلطاني 669.

هناك أيضاً أراضي العربان (البدو) الممتدة في سهول غور بيسان؛ فما إن تم عزل السلطان وتنازله عنها للخزينة، حتى انهالت عروض الشركات الصهيونية المنتشرة خلف مسميات أجنبية غير صهيونية على الأستانة لشرائها تحت حجج وذرائع مختلفة، وقد حال غضب عرب الصقر والغزاوية، ومساندة أعيان الحركة الوطنية في بلاد الشام لهم في رفضهم المشروع الصهيوني، دون تحقيقه 670.

عادت مسألة الأراضي المدورة ومشروع الأصفر في ربيع عام 1913 ليطفو على السطح ثانية 671، وكانت صحيفة المنادي قد أشارت في 24 آذار/مارس عام 1913 - ومن خلال رسالة موقعة باسم وطني مقدسي - إلى "أن الحكومة استدعت نجيب الأصفر قبل فترة وجيزة لبيع أراضي فلسطين الأميرية- بما فيها أراضي غور بيسان- إلى موكلية من رجال الاستعمار الصهيوني" 672. وقد أكدت صحيفة المقتبس في 30 نيسان/أبريل عام 1913 صحة هذا الخبر 673.

استحوذت إعادة إحياء مشروع الأصفر على اهتمام أغلبية العرب، كما أثارت حنقهم واستنفارهم؛ فنجيب نصار علق على ذلك من خلال الكرمل بقوله: "هوذا مشروع الأصفر الذي يقضي بسقوط جانب كبير من البلاد" الأراضي المدورة الأميرية" في أيد أجنبية، عاد فظهر إلى المسرح لثالث أو رابع مرة، وكان كل ما قيل فيه في الدوائر السياسية وفي منبر مجلس الأمة، وكتب عنه في الصحف لم يكف 674. وأشارت الصحيفة إلى نقطة مهمة في تركيز الأصفر على الأراضي الأميرية في غور بيسان وأريحا "وهي بيت قصيد الأصفر والصهيونية"، ونبهت إلى أنه في حال نفذ المشروع بأموال أجنبية، فسيفيد الدولة بقيود لا تقل عن قيود الاحتلال العسكري، وسيؤدي إلى مشاكل لا نهاية لها 675.

وجه روجي الخالدي نداءً في 24 نيسان/أبريل عام 1913 من خلال مقال بعنوان: "إلى الفلسطينيين"- وذلك لإيمانه بأن لأهل فلسطين دوراً كبيراً في إفسال مشروع الأصفر وصفقات بيع الأراضي، من خلال توعيتهم، وحثهم على التكاثر- قال فيه: "فيا أهل فلسطين ومن لهم النفوذ من كبارها وأرباب الرأي والقول فيها ندعوكم باسم الوطن، ونستصرخكم وأفئدتنا تكاد تنفطر، إلى أن تمدوا أيديكم لهذا الوطن، فنتنشلوه من الهوة التي يكاد يقع فيها... اسعوا لحمل الدولة على عدم البيع لأولئك المستعمرين، وتسهيل الأعمال للوطنيين، وإعانة البائس منهم...، واحتجوا كلكم يا أهالي القدس و نابلس و عكا و يافا و غزة و حيفا على بيع أراضيكم إذا الحكومة أوشكت أن تتم ذلك البيع، فإنكم إذا قمتم بذلك سجل لكم التاريخ أسماء منيرة يكتبها عداد الفخر والعز، وإلا فإن اللعنات تلحق بكم إلى قبوركم إذا ظلتم في تسهيل البيع للمستعمرين و السمسرة"676.

تبرز في نداءه هذا، مجموعة من النقاط المهمة التي تشكل مفصلاً في الوعي للمشكلة ولكيفية حلها؛ فقد استحث الخالدي الأعيان وأصحاب النفوذ والرأي للإسهام في التصدي للبيع بالتأثير معنوياً ومادياً: معنوياً من خلال رفع درجة الوعي لدى الفلسطينيين ليتمكنوا من المواجهة والصمود، ومادياً من خلال تحفيز الأغنياء منهم على شراء هذه الأراضي، وتمكين المزارعين من استثمارها وربطهم بها، وكذلك رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للفلسطينيين.

تكمُن أهمية خطاب روجي الخالدي في أنه أصبح نموذجاً لكل الدعوات العربية والفلسطينية التي جاءت بعد ذلك على اختلاف مصادرها، من صحف وجمعيات وبرقيات، وغيرها من وسائل الاحتجاج.

وتساءلت صحيفة المنادي: لماذا لم يطلب الأصفر شراء أراضي الجزيرة بالعراق، وهي الأغزر والأخصب، واختار فلسطين؟... لتجيب على هذا السؤال بالتأكيد أن من هو إلا سمسار للصهيونيين يشتري ويسجل بأسمائهم677.

كانت لدى صحيفة المقطم المصرية نظرة للأصفر ومشروعه مختلفة تماماً من غيرها؛ إذ اعتبرته شخصاً وطنياً يستحق كل الشكر، لإقدامه على استصلاح الأرض التي لا تصلح للزراعة، وإصلاحه الري وإنشاء الترعة اللازمة، وحفر الآبار الارتوازية، وتوطين القبائل في هذه الأراضي، ومد خطوط سكك حديد جديدة، وتسيير السيارات للنقل678.

في أيار/مايو عام 1913 قررت الحكومة إحالة أراضي غور بيسان البالغة 800 ألف دونم إلى شركة عثمانية أحد أعضائها جاويد بك، مقابل خمس ملايين ليرة عثمانية، حيث صادق مجلس الشورى على القرار، ورفع له للأنتظار السلطانية- وفقاً لما أوردته المقتبس من دون تعليق منها في 21 أيار/مايو عام 1913- في حين هاجمت صحيفة المنادي قرار الحكومة، هذا الذي منحت بموجبه جماعة استحلوا باسم العثمانية- كما أطلقت عليهم الصحيفة- هذه الأراضي، وهم من المستعمرين الصهاينة الذين يحاولون نيل أمانهم في تلك الأراضي679.

أما صحيفة الكرمل، فقد استصرخت في 26 حزيران/يونيو عام 1913 أبناء الأمة العربية، محذرة من أثر هذه القرارات في رابطتهم العربية والعثمانية، فقالت: "قولوا كلمة لمندوبين الحكومة أن تمليك الأراضي للجمعيات الصهيونية يضعف القومية العربية، وبالتالي الجامعة العربية العثمانية، وأن تشاهدوا هذا ولا تعارضوه كأنكم لا صلة بينكم وبين إخوانكم في العروبة والعثمانية والوطنية، أو كأنكم لا تعلمون أن ضياع فلسطين يقضي على آمالكم وحياتكم الاقتصادية" 680.

لم تكن مواقف المعارضة هذه تجد قبولا لدى بعضهم؛ فهاجم أحد الكتّاب ويدعى أمين عبد النور مواقف الصحف في إثر الهجمة على الأصفر ومشروع الأراضي المدورة، فتصدى نجيب نصار للرد عليه مبرراً هذا الدفاع بأنه لم يأت من فراغ، بل جاء اعتماداً على موقف الرأي العام العربي المعارض مثل هذه المشاريع، وللأثر السلبي المتوقع منها، فقال: "إن جرائدنا على إثر الاحتجاجات السابقة من حيفا ودمشق والقدس صاغت مقالات انتقاداً وتهديداً ووعيداً وتكهن بوجود دسائس أجنبية يقصد بها غزو البلاد وامتلاكها، وطرد الأهالي والوطنيين وإبداهم بيهود صهيونيين إلى ذلك من الافتراءات التي ألفناها في كل حركتنا، فالجرائد التي تهدد وتعد مستندة إلى شعب لا يجيز لفرد مثل أمين أفندي أن يصدر أحكاماً عليها" 681.

جاء التطور الآخر بخصوص قضية الأراضي الأميرية في حزيران/يونيو عام 1913، حيث أصدرت الحكومة أوامرها إلى ولاية بيروت وسورية ببيع الأراضي الأميرية في تلك الجهات، ولم تشترط في هذا البيع أي مدة زمنية، بل من خلال مزاد علني 682.

لعل ردود الفعل التي أثّرت حول هذا القرار، سواء من قبل الأطراف الراضة له، أو الأساليب المتبعة في التعبير عن هذا الرفض، لدليل على حالة وعي عربي أخذت تتطور مع تطور القضية التي يتم التعامل معها، فتساءلت صحيفة المنادي عن الغاية من هذا القرار، "فهي لم تشترط في هذا البيع شرطاً أن تضع له حداً، بل إنها اخترعته لتتخلص من لوم اللائمين وانتقادات من قاموا عليها عندما أرادت بيع تلك الأراضي إلى المستعمرين الصهيونيين، وهنا نسأل: هل من الممكن أن يتسنى للوطنيين شراء تلك الأراضي وهم في ما نراهم من الفقر؟ وهل تتسرب تلك الأراضي إلى الأجانب بوساطة سماسرتهم، كما تسرب غيرها من قبل؟" 683؟

توالت المواقف المعارضة بيع الأراضي الأميرية، وذلك من خلال إظهار الضرر الذي سيلحق بالدولة نتيجة هذا البيع، كخسارتها للضرائب السنوية المترتبة على هذه الأراضي؛ فصحيفة صباح رأت في تموز/يوليو عام 1913 أن بيع مثل هذه المساحة من الأراضي في وقت تدر فيه المال للسلطنة، قرار غير صحيح، "فلو كانت هذه المزارع ملكاً للأفراد لنظروا فيها إلى حالة السوق المالية، لأن الفرد متى باع لا تبقى له علاقة، في حين أن الحكومة ليست كالأفراد، فهي شريكة دائمة بالضرائب التي تأخذها من الأرض والأملك، فعلاقتها بما تبيعه لا تنقطع، ونحن لا نعارض البيع غير أننا نعارض زمنه، إذا أحسنّا الأمن والري وإصلاح الأرض تزيد منفعتنا، لم نسمع قط أن حكومة من الحكومات باعت 28 مليون دونم بمجرد إعلان في جريدة، ولنا أمل أن الحكومة تشرك الأهالي بهذا الشراء، فتجعله لهم

على أقساط، ولا يبهرها تقدم الشركات وأصحابها لشراء هذه الأراضي بأسعار غالية قليلاً، بل عليها أن تفضل الوطنيين عليهم طمعاً بالمستقبل "684.

تزامن طرح هذه القضية، وما أسفرت عنه من ردود فعل عربية مع عقد المؤتمر العربي الأول في باريس في 18-23 حزيران/يونيو عام 1913، الذي شكّل انتكاسة لآمال العرب والفلسطينيين بهذا الخصوص؛ إذ غُيّبت القضية تماماً عن جدول أعمال المؤتمر وتم تجاهلها، وذلك على الرغم من البرقيات التي رفعت للمؤتمرين من أهالي بيسان وجنين خصوصاً، وفلسطين عموماً، وأعلنوا فيها معارضتهم بيع الأراضي في مناطقهم 685، إضافة إلى التظاهرة الكبيرة التي شهدتها مدينة نابلس عادة انعقاد المؤتمر، ضد عملية بيع الأراضي للمستوطنين اليهود 686.

سجلت صحيفة الكرمل حالة وعي جديدة تتعلق بآلية تعاملها مع هذه القضية؛ ففي محاولة منها لتوعية المواطنين لحقيقة جدية الحكومة التركية في اتفاقها مع الإصلاحيين العرب، قامت بنشر بنود الاتفاق بين الطرفين، وقرار الحكومة التركية بيع الأراضي المدورة- والتي لا تستطيع أن تقدم على شرائها إلا المنظمة الصهيونية أو سماستها- في خبر واحد 687.

ومما يستغرب له، أن مثل هذه القضية المصيرية بالنسبة إلى الأمة العربية ككل، تم تجاهلها من قبل دعاة القومية العربية والمطالبين بحقوقها والمؤتمرين من أجلها، في حين أن الصهاينة عندما أجروا مباحثاتهم مع هؤلاء للوصول إلى تفاهم مشترك، في المرحلة التي سبقت انعقاد المؤتمر العربي الأول، وخلال الجلسات السرية التي عقدها في الأستانة مع شخصيات عربية ونواب عرب، وفي القدس ويافا وبيروت، كان من بين النقاط التي ركز عليها الصهاينة مسألة شراء الأراضي، وأن لا يخضع تملك اليهود لها للضغط والإكراه 688.

ولم يكتفِ الصهاينة بذلك، بل توصلوا إلى اتفاق مع الحكومة الاتحادية بعد انعقاد مؤتمر باريس، فزاد شراؤهم للأراضي 689.

لم تحل حالة الإحباط التي خلفها المؤتمر العربي دون استمرارية التصدي العربي لمشاريع بيع الأراضي، فوجه محمد كرد علي صاحب صحيفة المقتبس تحت عنوان: "الأراضي الأميرية والصهيونيين" الاتهام إلى الحكومة بأنها تحاول حل أزمته المالية، بإعلانها بيع الأراضي الأميرية بمزاد عام، وبصفقة واحدة من مشتر واحد، وإن قبضت ربع ما تساويه هذه الأراضي، وذلك خوفاً من أن يطول عليها أمر بيعها لحاجتها الشديدة إلى المال، مشيراً إلى أن الطريقة التي تم بها الإعلان عن بيع هذه الأراضي في بعض صحف الأستانة، يدل على أنها تريد رفع عتب الأمة عنها في ما بعد؛ فهي تعلن بالصورة الظاهرة، وتنتظر بأنها تفضل بيعها من الوطنيين، وستقوم في ما بعد بتسجيل صكوك البيع مع من تريد من الصهيونيين، أو من غيرهم ممن ترضيهم شروطهم 690.

حاول كرد علي أن يبين فداحة الخطأ الذي ترتكبه الحكومة، لأن هذه الأراضي ملك لأصحابها الفلاحين العثمانيين، والتي سلبت منهم لعجزهم سنة أو سنتين عن

زرعها، أو لأسباب تافهة أخرى، وليس من العدل أن تباع للصهيونيين ويحرم منها أهلها، وتعطى لشركة لا تبقي على الأخضر واليابس في كل بلد تدخله 691. كما حاول استثارة كل من هو معني بهذه القضية للوقوف في وجه مشروع الأصفر، فقال: "لذا فواجب الصحف وأهل الرأي وأصحاب الأملاك التذرع بكل الطرق الممكنة لإكراه الحكومة على بيع الأراضي الأميرية للعثمانيين، بحيث يؤدي هذا الضغط إلى تراجعها، كما تراجع قبل عامين عن بيع هذه الأملاك- في غفلة عن الأمة- لشركة الأصفر أو الصهيونية" 692.

ذكرت صحيفة المقتبس في 19 تموز/يوليو عام 1913- نقلاً عن صحيفة إيطالية- أن بيع الأراضي المدورة سيتم عاجلاً لأن الطلبات كثيرة، سواء كان من الوطنيين أو الأجانب 693. كما نشرت في 29 تموز/يوليو عام 1913 خبراً- نقلاً عن صحيفة إقدام (التركية)- مفاده أن ناظر العدلية الأسبق نجم الدين بك يسعى باسم إحدى البيوت المالية إلى ابتياع بعض المزارع والأراضي الأميرية التي تريد نظارة المالية بيعها هذه الأونة 694.

كانت مسألة بيع الأراضي الأميرية والمدورة من بين المواضيع التي أثارها الشيخ عبد العزيز جاويش في كلمته التي ألقاها أمام الصدر الأعظم في اللقاء الذي جرى مع وفد من أبناء العرب في 5 آب/أغسطس عام 1913، وطالب فيها بضرورة النظر في "مسألة بيع الأراضي المدورة- الجفتلك- في البلاد العربية، ولا سيما فلسطين، لأن دخول الأجانب إليها وحرمان أهلها من مواردها، مما لا ترضونه فخامتكم، فآلتهم من حنان الحكومة السنية اتخاذ قرار قطعي موافق في هذا الشأن" 696.

ممن شن حملة على الحكومة التركية وحزب الاتحاد والترقي لموقفهما من مسألة بيع الأراضي، "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، التي اتهمتهم في بيانها الصادر في آب/أغسطس عام 1913 بأنهم "باعوا وطنهم، هؤلاء هم الأوغاد الذين استحلوا يلدز وسرقوا مجوهرات السلطان، وملايين الليرات، وتركوا البلاد مدانة وحملوها قروضاً أجنبية، ووضعوا أراضي الدولة في المزاد، إنهم أنفسهم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقترحوا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك" 697.

في البرقية التي رفعتها لجنة اللامركزية الإدارية في 9 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 إلى الصدر الأعظم- في أعقاب تراجع الحكومة عن عودها للعرب التي وعدت بها في مؤتمر بارس- أيدت فيها برقيات أبناء الأمة العربية، التي كان من بين مطالبها "عدم جواز بيع أراض أميرية إلا بقرار من مجلسها العمومي" 698.

بعث صديق فلسطيني مطلع على أسرار الصهيونية برسالة تحذير- وفقاً لما وصفته صحيفة المقتبس- في 19 تموز/يوليو عام 1913، ويشير فيها إلى أن "المذاكرات جارية بين الطالبين ووزارة المالية بشأن بيسان وسمخ، مما يدل على أن مخالاب الصهيونية أوشكت أن تنتشب في رقبة فلسطين المسكينة" 699.



في نداء عام وجهته إحدى المنظمات الوطنية التي تأسست في القدس، في تموز/ يوليو عام 1913، وخاطبت فيه المسلمين والسوريين والعرب مستنكرة قبولهم بأن يصبحوا عبيداً للصهاينة، وحائثة الشعب الفلسطيني على الضغط على الحكومة لحظر بيع الأراضي الأميرية للأجانب حظراً تاماً، وفقاً لما يقتضيه قانونها، وتحذيرهم من بيع أراضيهم، بل استخدام القوة لمنع الفلاحين من بيع أراضيهم، وطرد سماسرة بيع الأراضي وتأكيد ضرورة تأهيل السكان- ولا سيما الشباب- لممارسة الأعمال الزراعية 700.

من الحلول التي قدمت للحكومة لحل أزمتها المالية أولاً، وتبقي الأراضي بأيدي أصحابها ثانياً، المقترح الذي تقدم به نجيب نصار عبر رسالة وجهها إلى صحيفة المقتبس تحت عنوان: "الأراضي الأميرية والصهيونيين"، ويقضي بتوزيع الأراضي (الأميرية) على الأهالي الوطنيين العثمانيين، مقابل استيفاء ثمنها أقساطاً 701.

أثارت أخبار منح امتياز أراضي الحولة وبيع أراضي غور بيسان في المزداد مخاوف أهاليها، فبعث زعماء قراها وقبائلها وأعيانها وكبار المزارعين برقيتين إلى كل من السلطان ووالي بيروت، أوضحوا فيها أن هذه الأراضي اغتصبت منهم، وسجلت باسم السلطان السابق، مذكرين السلطان بواجباته تجاه رعاياه، وبأنهم يؤثرون الموت دفاعاً عن شعبهم وممتلكاتهم، على أن يهجروا بلادهم 702. ولم يكتفوا بذلك بل اتفقوا على التظاهر ضد الحكومة 703، فأوفدت الأخيرة متصرف لواء نابلس وقائمقام قضاء الناصرة للتحقيق، وإقناعهم بالعودة عن نيتهم، مقابل وعدا بعدم البيع للشركات الأجنبية 704.

تعليقاً على خطوة الحكومة هذه، ورد في الكرمل: "كان الأولى بالحكومة أن تقول لهم بصراحة إنه ليس في النية بيع فلسطين للجمعية الصهيونية أو سماسرتها، وأنها ستبقيها لهم فيطمئن بهم، وإلا فإن الإجابة عن طلبات الأهالي بأن شروط المزداد ستعلن، وأن حقوقهم ستؤمن، مما يبعث على الاعتقاد بأن البيع واقع لا محالة، وإذا وقع البيع، فسيكون موقعه شرك الصهاينة" 705.

رصدت الصحف كل تطور يتعلق بهذه القضية؛ فصحيفة القبس تناولت في 30 أيلول/سبتمبر عام 1913، وتحت عنوان "الأراضي المدورة أيضاً"، مخاوف البدو والحضر واحتجاجاتهم: "اصطكت الأسماع من هول احتجاجات البدو والحضر في فلسطين على بيع الأراضي المدورة من الشركات الأجنبية، التي تتحين الفرص للوثوب على هذه الفريسة، وقام الناس وقعدوا في سورية والعراق ونادوا بالويل والثبور على الحكومة لتتصفهم وتقرهم في عقر دارهم، وكان المأمول أن تجاب هذه الطلبات العادلة، فكانت أجوبة الحكومة عليها من قبيل التخدير، وإليك آخر مثال يدل على أن الحكومة لا تزال على عزمها الأول وإن كل هذه الصرخات التي كادت تفلق الصخرات لم تثن من عزمها شيئاً، فصحيفة تفسير أفكار- وهي من صحف العاصمة- أكدت في عددها الصادر في غرة شوال أن البرنس إبراهيم بك ينوي مشتري بعض المزارع التي طرحتها الحكومة للبيع من الأملاك الأميرية بقيمة 380 ألف ليرة، والذي علمناه أن هذه المزارع في جوار فلسطين، جاءتنا

تصفير أفكار بهذه البشري المؤلمة في أول أيام عيد الفطر كأنها تريد معايدة مساكين المزارع الفلسطينيين، والأنكى من ذلك أن تتجاهل المزارع التي دار عليها البحث، وتقول عنها إنها في جوار فلسطين وهي في سويداء فؤادها، هذه المزارع هي ولا شك غور بيسان وما ولاء من الأراضي الخصبة التي لا تقل عن ثلاثمئة ألف دونم صالحة للزراعة يمكن إسقاؤها من الغور... الأكثرية من مزارعي غور بيسان كانوا قبل ثلاثين سنة قبائل رحل، وقد تحضروا أو كادوا بفضل تلك المزارع، فنزع الأراضي من أيديهم- فضلاً عن كونها تقيم النزاع وتحدث الأحداث- فإنها تدفع هؤلاء المساكين إلى الفقر فالغارات، ومتى رجعوا إلى سيرتهم الأولى تراجع العمران في البلاد، وعمت الفوضى وزاد الخراب، فهل لحكومتنا التي نراها تحاول أن تعمل على تحقيق أماني العرب وتنوي تخويلهم بعض الإصلاحات الضرورية أن تجعل مبتدأ خبرها العدول بتاتاً عن بيع الأراضي صفقة واحدة، وإن كانت في حاجة ماسة إلى المال ولا تستطيع أن تطرحها قطع صغيرة"706.

عقد في آب/أغسطس عام 1913 اجتماع وطني في نابلس، أكد فيه المجتمعون على "الخطر العظيم الذي نشعر به من قرار بيع الأراضي المدورة بالمزاد العلني، نظراً لما يترتب عليه من النوايا المريعة من الطامعين في بلادنا الفلسطينية"707. وطالب المجتمعون في برقيات رفعوها إلى الحكومة بأن تصرف النظر قطعياً عن مشروع المزاد العلني، وتوزيع الأراضي ببديل المثل على الفلاحين، وبتقسيط ثمنها عليهم708.

كما شهدت نابلس مظاهرة كبرى في آب/أغسطس عام 1913 للغاية ذاتها709.

ولكن، وعلى الرغم من حالة الرفض والاحتجاج العربي الواسع، إلا أن ذلك لم يثن الحكومة عن خططها، فعادت مرة أخرى إلى قضية بيع الأراضي، ومنح امتيازها لبعض الشركات، ومنها أراضي الحولة710؛ ففي 7 أيلول/سبتمبر عام 1913 أوردت المقتبس نقلاً عن صحيفة ترجمات حقيقت أن شركة عثمانية تألفت لشراء الأراضي المدورة في فلسطين لتوزيعها على الأهالي في ما بعد، مقابل دفع 300 ألف ليرة مقدماً، وتقسيط بقية الثمن، وعندما استشارت الحكومة والي بيروت بهذا الشأن، أجابها بأن لديه من يدفع مليون ليرة، ويدفع 350 ألف سلفاً، فسكنت نظارة الداخلية عن الجواب- وفقاً للمقتبس- التي نقلت أيضاً تساؤل صحيفة الكرمل عن مدى صحة هذا الخبر711.

لم الصهيونية لتخفي سياستها في امتلاك الأراضي؛ ففي المؤتمر الصهيوني المنعقد في أيلول/سبتمبر عام 1913 في فينيا، كان من أهم قراراته التركيز على امتلاك الأراضي. رصدت صحيفة المؤيد هذا الأمر، فنقلت عن صحيفة إقدام (التركية) مقالاً لأحمد جودت يتحدث فيه عن المؤتمر، والسبل التي يسعى الصهاينة إلى امتلاك فلسطين من خلالها، ومنها ابتياع الأراضي والأملك الواسعة، وإن كانوا اختلفوا في السبل الموصلة إلى هذه الغاية712. وأشارت مجلة الهلال في تشرين الثاني/نوفمبر إلى الموضوع ذاته، في مقال بعنوان: "الصهيونية"، بأن من أدواتها لتحقيق أهدافها ابتياع الأراضي713.

في السياق ذاته، نشرت صحيفة فلسطين في 26 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 قصيدة للشيخ سليمان التاجي الفاروقي جاء في بعض أبياتها714:

بني الأصفر الرنان خلوا خداعنا

فلسنا عن الأوطان بالمال نُخدعُ

أنسلمها طوعاً وفينا بقية

من الروح إنّا إن فعلنا لظلمُ

أقل شعوب الأرض أهون أمةٍ

تساومنا في أرضنا كيف نهجعُ

أيرضيك يا ذا التاج أن بلادنا

على مشهد منا تُباع وتزرعُ

عاد مشروع الأصفر ثانية بتسمية جديدة، وهي "الأصفرين" نسبة إلى سليم ونجيب الأصفر، وكان نشاطهما يتركز على أراضي الجفتلك السلطاني بعامة، وحوض الحولة وغور بيسان بخاصة715. ولكن المعارضة الشعبية الواسعة التي اجتاحت الولايات العربية، عرقلت سير المداولات الحثيثة التي كانت تجري بين الحكومة الاتحادية والشركات الأجنبية وسماسة الحركة الصهيونية وأجهزتها716. اضطرت الحكومة إلى الاستجابة لمقترحات المعارضة ظاهرياً بتشكيل شركات عثمانية لاستثمارها أو منحها لمزارعين بالتقسيم، فتم منح امتياز تجفيف مستنقعات الحولة إلى ميشال إبراهيم سرسق، وسليم سلوم وأحمد بيهم من لبنان عام 1914717.

كان قد تم تحذير المجلس العام في بيروت في كانون الثاني/يناير عام 1914 من منح امتياز تجفيف الحولة لأحمد بيهم وعدد من عائلة سرسق، وذلك لأنهم كانوا يعملون نيابة عن المصالح اليهودية718.

من أشد المعارضين لانتقال الأراضي للصهيونيين قبيل نشوب الحرب الأولى، قائمقام طبرية أمين أرسلان الذي لم يكن موقفه هذا ناجماً عما كان يراه من خطر يهدد الفلاحين الفلسطينيين فقط، بل أيضاً- وأكثر من ذلك- لقلقه من أن يغير انتقال الأراضي العربية إلى اليهود من هوية البلد، وكان يعتقد بأن مصير فلسطين آنذاك لم يكن بأيدي العرب، بل بأيدي السلطات العثمانية، وبأن هذه السلطات كانت تحت النفوذ الصهيوني719.

كما واجه منح الامتياز معارضة من المزارعين المقيمين في حوض الحولة، فطالبوا الحكومة بإلغاء، ومنحهم إياه بحق الشفعة، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون متابعة مطالبهم، وتوقفت أعمال التجفيف من قبل أصحاب حق الامتياز 720.

يشير يوسف الحكيم في كتابه بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، إلى أنه كان لوالي بيروت آنذاك دور في منح مشروع الامتياز الذي كان يواجه معارضة في العاصمة، لأسباب اقتصادية وسياسية، حيث نجح الوالي بالتنسيق مع الحكومة في القضاء على المعارضة، وضمن المراكز الحكومية المهمة لأصحاب الشركة التي تساعدهم على إنجاح المشروع؛ إذ نجح سلام وسرسق بالنيابة في مجلس المبعوثان، وحصلوا على امتياز استثمار الحولة 721.

قدمت صحيفة لسان الحال في 22 كانون الثاني/يناير عام 1914 عملية حسابية لمشروع تجفيف الحولة، مؤكدة "أن الأرباح التي يمكن الحصول عليها من تلك الأراضي لو أُنقنت زراعتها ترضياً للذين أُحيلت عليهم من الاحتفاظ بها، والابتعاد عن المضاربة... وهنا تلميح لا يخفى على البصير، فالذين أُحيلت عليهم تلك الأراضي وطنيون، ونرى أجنب يتناولون بأعناقهم منذ سنين، ولم يحل دون وصولهم إليها غير أجنبيّتهم، وهم ذوو مال كثير، والمال غرار، فعسى أن يحرص مواطنونا عليها ويعمروها" 722.

عادت الصحيفة ذاتها في 6 شباط/فبراير لتثير الموضوع ثانية تحت عنوان: "حول الحولة وغور بيسان"، وفيه: "رجونا أن لا تقوح من هذا المشروع رائحة لا ترتاح إليها حاسة الشم، أي لا تحوّل الحولة من حال إلى حال، وكأن الأيام القليلة التي مرت جاءت تبرر ارتيابنا، لسنا بطارقين الموضوع من هذا الباب، بل من وجهة عمرانية، حسبنا أن نعلم أن أراضي الحولة وغور بيسان من الأراضي المدورة، وهي من أخصب ما هو موجود على سطح المعمورة... وتدرجياً ستصبح أراضيها ملكاً للاجئين، ونصبح نحن عبيداً لهم" 723. وقد أوردت صحيفة فتى العرب المعنى ذاته، بقولها: "إن الفلسطينيين سيصبحون غداً ممالك لا مالكين" 724.

في رحلته إلى فلسطين في نيسان/أبريل عام 1914، قال جرجي زيدان واصفاً الحالة هناك: "ومما لا شك فيه أن مستقبل تلك البلاد إذا ظلت على ذلك، واليهود عاملون على ابتياع الأراضي واستعمارها، وأهلها غافلون أو متجاهلون، وحكومتها ساكتة أو مشغولة، فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلها لليهود" 725. عزز داود العيسى في 29 أيار/مايو عام 1914 الصورة التي قدمها جرجي زيدان، وذلك اعتماداً على مصدر صهيوني؛ إذ قام بنقل ما جاء في البرنامج السياسي للصهيوني أوسشكين، وقال فيه: "إن فلسطين لا يمكن أبداً أن تكون لنا، إلا إذا استولينا على أرضها جميعاً أو أكثرها، وإلا كانت حالنا فيها كمثلها في جميع البلاد التي كانت كمنفى لنا" 726.

أظهر تقرير للمكتب العربي في القاهرة أن الصهاينة حتى عام 1914 امتلكوا 130000 هكتار من أفضل أراضي فلسطين، وبأن الجهود تبذل لتدريب اليهود

## على الأساليب الزراعية 727.

خلال عام 1914، استمرت صفقات بيع الأراضي والاستيلاء عليها، وهو ما دفع بصحيفة لسان الحال إلى ترديد قول الشاعر، لقد أسمعت لو ناديت حياً وقالت: "لا تلوموا الصهيونيين لأن الدنيا ما هي إلا دار كفاح وعراك فيرتقي فيها النشيطون، ويتقهقر الجاهل الكسول... ليس اللوم في ذلك على الحكومة بل على أنفسنا، فنحن اليوم أصبحنا نجني ما غرسه لنا الآباء، ولا شك سيجني أولادنا ما نغرسه، ترى ماذا نغرس لهم، نغرس بيع الأراضي حياً بالأصفر الرنان" 728.

في قولها هذا، تطرح الصحيفة فكرة مهمة جداً وهي أن المعركة مع الصهيونية ليست معركة أنية، ولا قضية بيع عدد من الدونمات زاد عددها أو قل، بل هي معركة أجيال، ويحدد نصر أحد الأطراف أو هزيمته، مدى اجتهاده، وكيفية غرسنا، كعرب، في نفوس أجيالنا المقبلة التمسك بالأرض والوطن، والاجتهاد ونبذ الكسل.

كان المجلس الإداري في نابلس قد اتخذ قراراً في تموز/يوليو عام 1914 بعدم بيع الأراضي الأميرية للصهاينة، وإفشال مثل هذا القرار سعت الصهيونية إلى فصل ارتباط عدد من قرى اللواء وإحاقها بقضاء يافا لعزلها وليسهل عليهم شراؤها 729.

أما الأمير علي نجل عبد القادر الجزائري ونائب رئيس مجلس المبعوثان، فقد أسس في تموز/يوليو عام 1914 جمعية إسلامية لمقاومة التيار الصهيوني، وشراء أراضي سورية وفلسطين لمنع سقوطها في أيدي الصهيونية 730.

وفي بيان منسوب إلى حزب اللامركزية، كانت "الصرخة الثانية" منه بعنوان "بلاغ للأمة العربية والمغتصبين لحقوقها"، تحدث فيه عن بيع الأراضي المدورة والامتيازات الممنوحة للشركات الأجنبية، لتنتهي البيان صرخته بمطالبة أبناء الأمة العربية باختيار المخلصين من أبنائها في الانتخابات النيابية، وأن يشترط على كل نائب من نوابها قبل كل شيء عدم الاعتراف بالامتيازات والأراضي الممنوحة للأجانب، والتي باعها حقي وجاويد 731. كان هناك بيان آخر في آب/أغسطس عام 1914 خاطب أبناء الأمة العربية يحذرهم من أن "جاويد بك وضع بلادك في البازار الأوروبي" وتساءل البيان: "هل حقي وجاويد يكونان مسلمين، بينما هما يسهلان الطريق للصهاينة للاستيلاء على أراضي فلسطين؟" 732.

ومن المؤشرات على أثر المعارضة لمحاولات الحكومة نقل ملكية الأراضي إلى اليهود، التي تتم عن وعي بخطورتها، أن طلعت بك عندما تحدث معه موظفو السفارة البريطانية في اسطنبول حول النظر في القيود المفروضة على بيع الأراضي، أخبرهم بأن هذه القيود جاءت نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون غزواً يهودياً أجنبياً 733.

مهما يكن من أمر، فإن الوعي العربي تجاه قضية بيع الأراضي للصهاينة في تلك المرحلة، امتاز بالنضج، وبالبحث عن الحلول العملية لمواجهة الضغوط الصهيونية المالية والاقتصادية، إضافة إلى ارتفاع وتيرة الاحتجاجات على اختلاف أشكالها،

وقد ساعد على نجاح هذه المساعي طبيعة الظروف التي كانت تشهدها المنطقة، وخصوصاً في ما يتعلق بالعلاقات بين العرب والأتراك، وتأزمها بحيث ظهرت دعوات عربية للانفصال، ثم ظهور بوادر تقاهم بين الطرفين.

كما كان للدور الذي أداه الوزير العربي سليمان البستاني- وكان يتولى نظارة التجارة والزراعة آنذاك- أثره في معارضة قرار الصدارة ببيع أراضي غور بيسان لشركة الاستعمار اليهودية، وإقناع الحكومة بالاستجابة لمطالب العرب 734.

رابعاً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهاينة

خلال الحرب العالمية الأولى

استمرت المفاوضات خلال الحرب العالمية الأولى، لعقد صفقات بيع الأراضي، ولم تقتصر على بيع مساحات محددة من أراضي فلسطين، فقد نبّهت مجلة أفكار، وصحيفة القبلة إلى مفاوضات كانت تجري بين السفير الأمريكي مورغنتو والحكومة التركية، لبيع فلسطين بعد الحرب لليهود ليستعمروها، حيث أظهرت- وفقاً للسفير- ميلاً إلى هذا المشروع، وبأنهم كانوا يعرضون على الصهاينة القيام بإنشاء الفنادق، ومد سكك الحديد 735. وقد علقت مجلة أفكار على هذا الحديث بقولها: "قلنا، وهذا هو السر في تسليم أوراق قنصلية فرنسا في بيروت للأتراك" 736.

أكدت مذكرة للمكتب العربي في القاهرة بتاريخ 12 كانون الثاني/يناير عام 1917 أن النشاط الصهيوني لشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات لم يتوقف خلال الحرب، وأن المنظمة الصهيونية استطاعت الحصول على 40 ألف هكتار من أجود الأراضي لاستيطانها بعد انتهاء الحرب 737.

في كانون الثاني/يناير عام 1917 قدمت اللجنة الصهيونية إلى الحكومة البريطانية مذكرة، كان من أبرز بنودها أنه على الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تسمح بحرية شراء الأراضي للشعب اليهودي في فلسطين، وأن توافق على تأسيس شركة يهودية لاستعمار فلسطين باسم اليهود، وأن لا تقتصر مساعدة الحكومة لهذه الشركة على شراء الأراضي، ولكن يجب أن تتقل إليها جميع الأراضي الأميرية كذلك 738.

كان أحد التقارير البريطانية الذي قدم وصفاً للحالة التي كانت عليها فلسطين خلال عام 1917، قد ذكر أن المسلمين من سكان القدس وضواحيها يعارضون بشدة شراء الصهايين الأراضي، وتالياً تجريد السكان من ممتلكاتهم، وأن معارضة النواب في البرلمان العثماني من أتراك وعرب، امتلاك الصهاينة الأراضي، لم يكن له أي أثر، الأمر الذي شجع الفلسطينيين العرب على الانخراط في صفوف جمعيات عربية سرية تهدف إلى تحقيق الحكم الذاتي للعرب 739.

خامساً: الوعي العربي للدور الذي أداه بعضهم في تسهيل استيلاء

الصهاينة على الأراضي

إن عملية بيع الأراضي للصهاينة لم تكن لتتجح لولا وجود أطراف أسهمت وسهلت عقد صفقاتها، ومن أهم هذه الجهات:

## 1- الولاة والمتصرفون

الأمثلة على هؤلاء كثيرة، ساعدتهم في ذلك طبيعة السلطة التي لديهم، إضافة إلى ضعف أو السلطة المركزية تغاضيها عن أدائهم، ومن هؤلاء والي القدس كاظم بك الذي هاجمه نجيب عازوري عام 1902، بقوله: "إذا اشتريت قطعت أرض في تركيا تعطى سند ملكية رسمي، بعد أسبوع تقريباً يحضر آخر مع سند ملكية رسمي وشرعي مماثل للذي معك، وسينازعك في حقوقك بالأرض... ومن الطبيعي أنك ستشكو للسلطة التي لا تستمع لكما إلا لتستثمركما، وسيعطى الحق لصاحب أكبر عرض، لقد خلق كاظم بك مورداً كبيراً لمدخله بالتسويق اللامتناهي، وهناك دعوتان من هذا النوع في يافا، منذ ثلاث سنوات واحدة بين أمين ناصيف والشيخ رباح، والثانية بين السيد طاسو والسيد ميال"740.

من المتصرفين الذين تجاوزوا التعليمات الرسمية، وساعدوا الصهاينة على الاستيلاء على الأراضي خلال عام 1905 رشيد بك، والذي أثار سلوكه غضب الأوساط العربية التي تحركت للضغط على أصحاب القرار، لعزله عن مركزه، فاستجاب الباب العالي لهذه الشكاوى، وتم إقصاؤه عام 1906، واستبدل بأخر741.

مما يؤكد إدراك المتصرف الجديد علي أكرم بك سوء أعمال سلفه، وبأن الهدف من تعيينه وقف تسرب الأراضي، كان أول عمل قام به إرسال برقية إلى رئيس اتحاد التحالف الصهيوني في القسطنطينية، جاء فيها: "إن اليهود كأبي جماعات أخرى من الممكن أن يقوموا بشراء الأراضي، ولكن هذا لا يعني قيامهم بإخضاع فلسطين، وإنني سوف أقوم بمنع بيع الأرض عند الشك بأن ذلك يقوم على طرق غير شرعية"742. كما اتخذ في تموز/يوليو عام 1907 عدداً من الإجراءات الإدارية لكي يحول دون امتلاك اليهود الذين عرف عنهم براعتهم في شراء الأراضي، وبخاصة في القدس، من امتلاك أراضي في فلسطين، فعزل بوساطة الباب العالي- يعقوب مائير الذي عين نائباً للحاخام باشي الأكبر بصورة مخالفة للإجراءات والأنظمة المعمول بها، والمعروف عنه تأييده شركات شراء الأراضي. وكذلك طرد "عنيبي" الذي يعتبر من رؤساء الشركة، وهو عضو في رئاسة المجلس العثماني، كونه شخصاً غير مرغوب في بقائه في القدس743.

عندما شعر أكرم بك بعدم قدرته على الحد من انتقال الأراضي للصهاينة بطرق غير مشروعة، أوصى بإلغاء الأراضي المنقولة بطرق غير قانونية744.

بدورها، كشفت صحيفة المقتبس عن حالات تورط مماثلة من قبل قائمقام حيفا وأعضاء مجلس إدارتها، ففي مقابلة معه حول إجازته ببيع أرض لشخص يهودي يدعى هارون إيزنبرك، أنكر ذلك، وأكد أن البيع لليهود الأجانب غير جائز. وكان للصحيفة الموقف ذاته مع قائمقام يافا؛ فعند سؤالها له عن إيزنبرك، أكد أنه عثماني منذ أربع عشرة سنة، وأن أملاكه تقدر بخمسة آلاف ليرة، حيث اغتمت الصحيفة الفرصة لتذكر بحادثة مماثلة تم فيها رفض البيع لأحد اليهود، لأنه يحمل اسماً

مستعاراً، وبموافقة مجلس إدارة يافا، في مرحلة سابقة، على بيع أراضٍ لأحد تجار اليهود، الذي سلمها بدوره إلى الجمعية الصهيونية للتصرف بها 745.

من أمثلة ذلك أيضاً، الانتقاد الذي وجهته صحيفة المقتبس في 7 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 لمتصرف القدس بشأن بيع أراضي البدو التابعة لبئر السبع: "نحن لا نستغرب بيع العربان أراضيهم، لأنهم ما زالوا رحالة لا يعرفون للأراضي قيمة، ولكن الذي يدعو للاستغراب تغافل الحكومة، ولا سيما كبار الموظفين أمثال متصرف القدس الذين يجب عليهم المحافظة على الأهالي، وينتظر منهم أن يكونوا بعيدى النظر، فلا يتركون الحدود تقع في أيدي أغيار لا يريدون للبلاد خيراً، مع أنه يجب على الحكومة وعمالها أن يكونوا شديدي التيقظ في مثل هذه الأحوال" 746.

تكشف الرسالة التي بعث بها نجيب نصار إلى والي بيروت في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، وتحمل عنوان "إلى والي بيروت ربوا الروح الوطنية في صدورهم"، إدراكه خطورة الدور الذي يؤديه الموظفون، وفيها يدعو الوالي - بعد عرض تجاوزات بعض الموظفين في مجال تمرير صفقات بيع الأراضي - إلى ضرورة الاعتبار بما جرى في طرابلس الغرب، والكف عن التهور في تملك الأجنبي البلاد بحق أو بغير حق 747.

كما نهت صحيفة المقتبس إلى النقطة ذاتها التي ذكرها نصار في رسالته، من خلال تذكير متصرف القدس بضرورة المحافظة على العربان لأنهم "وإن كانوا إلى الآن لا يحسنون الزراعة ولا يعرفون للأراضي قيمة، فهم مخلصون للحكومة، ويبدلون دماءهم في سبيل حماية الأوطان متى داهمتها الأخطار، وحسبنا بقبائل طرابلس الغرب دليلاً على ذلك، فليعتبر المعتبرون" 748.

وجه نجيب نصار في 18 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 نداءً إلى متصرف عكا وقائمقام الناصرة، قال فيه: "إذا كان الفلاح جاهلاً، وإذا كان الاختيارية والمختارون اعتادوا أن يتلاعبوا بحقوقه ويتاجروا بمصالحه، فالواجب المقدس يفرض على عمال الحكومة الدستورية الوصاية على رعاياها، وأن تكف أيدي الطامعين عنهم، فهل لمتصرف عكا وقائمقام الناصرة أن يبحثوا بحثاً دقيقاً عما إذا كان لأهل الفولة حق بأراضي الفضلة، ويعاونوهم على الحصول عليها، ثم يرشدون أهل الفولة بمعاونة أركان اللواء إلى طريق تمكنهم من مشتري القرية، وحفظ كياناتهم لئلا يتشتتوا وينقرضوا، ولنا رجاء بوجوه عكا والناصرية أن يحققوا الآمال بهم 749.

قدمت صحيفة المنادي في 10 نيسان/أبريل عام 1912 صورتين متناقضتين لوعي الموظفين في التصدي لعمليات بيع الأراضي، فقالت: "غلط من قال إن الصهيونيين يقدرون على شراء شبر من أراضي هذا اللواء بدون مساعدة المتصرفين ورضاهم". ولتوضيح قولها هذا، عقدت الصحيفة مقارنة بين متصرف القدس الأسبق عزمي بك وخلفه جودت بك؛ فالأول كان يرفض كل طلب للصهيونيين يتعلق بشرائهم أي بقعة من أرض هذه البلاد، ومنها عرقلة بيع أراضٍ قرب بئر السبع بلغت مساحتها سبعة آلاف دونم، وذلك لأن سكانها من البدو، وخشية من أن



يتوغل الصهيوينيون في الشراء، فتصير تلك الأراضي في أيديهم في زمن قريب. كان على النقيض من ذلك، خلفه جودت بك، فعندما حاول الصهاينة تصحيح مسح أرض في قضاء يافا باسم عرب أبي كشك من أراضي الوقف، قدم لهم التسهيلات كافة، وكان أداة في يد وكيل الصهيونية عنييتي يحركه كيفما شاء، فوافق على بيع أرض بئر السبع، وسهل إدخال أراضي الوقف لأرض عرب أبي كشك التي كانت محجوزة حجزاً وقفياً، فأضحت مساحتها أربعة آلاف وتسعين دونماً، بعد أن كانت تسعمئة دونم، وأصدر موافقته على بيعها للصهاينة 750.

ممن كان له باع طويل في تقديم الخدمات للصهيونية، متصرف القدس مهدي بك، الذي رشته الصهيونية بالأموال الطائلة 751، والذي كان مجال نقد واعتراض من قبل الفلسطينيين والعرب، وذلك لتجاوزاته الخطيرة لصالح الصهاينة، وعلى حساب أهالي فلسطين. وقد أشار روجي الخالدي إلى ما قام به مهدي بك في كتابه السيونزم، وذلك في معرض حديثه عن مستعمرة عيون قارة، وزيارة مهدي بك إليها في 6 آب/أغسطس عام 1912، حيث استقبل بحفاوة، وأسفرت زيارته عن منحهم جميع التلال الرملية على ساحل البحر 752.

وجهت صحيفة المنادي نقداً لاذعاً لما قام به مهدي بك، وأشارت إلى أن الصهاينة منذ عام 1897 يسعون لدى حكومتي الأستانة والقدس إلى الحصول على هذا الإذن ولكنهم فشلوا، فجاء مهدي بك ومنحهم إياه من دون مقابل، بعد أسبوع من وصوله القدس 753.

من الأراضي التي قام مهدي بك بتسهيل استيلاء الصهاينة عليها، أراضي قرية كفرورية عام 1912. ثم تلاها أراضي أبي شوشة، التي أثارت موجة من السخط والاعتراض ضد المتصرف، فكتبت صحيفة فلسطين في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1912 مقالاً اتهمته فيه بالتواطؤ على بيع الأراضي لليهود 754.

كشف أحد المواطنين المطلعين على صفقات بيع الأراضي تورط المتصرف في بيع أراضي كفرورية، من خلال رسالة بعث بها إلى صحيفة المنادي تحت عنوان: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، في 10 كانون الأول/ديسمبر 1912، تحدث فيها عن عملية استيلاء على أراضي القرية المحلولة والموقوفة على المساجد، وضمها إلى بعض ملاك الأراضي في القرية ليسهل بيعها للصهاينة، وعندما تقدم باعتراض لدى المتصرف، تعلل الأخير بعدم قدرة الحكومة على تحمل تكاليف الكشف على الأرض إذا ما تأجل البيع لحين إجراء تحقيق في الأمر، فتعهد صاحب الرسالة بتلك التكاليف، فحول الاستدعاء إلى مأمور الدفتر الخاقاني، وتمت المبايعة سرّاً 755.

من أبرز الأراضي التي أسهم مهدي بك في بيعها أراضي مستعمرة "قطرة" التي اشترتها شركة الإيكا، ومستعمرة "بئر يعقوب" التي اشترتها بلدية الرملة 756.

يبدو أن مهدي بك دفع ثمن تجاوزاته هذه، حيث تم استبداله بأخر، ويتضح مدى السخط من أفعاله من خلال الدعوات التي وجهتها الصحف إلى خلفه، تتناشده باستدراك ما تنازل عنه من أراضي وامتيازات منحها للمستوطنين اليهود واسترجاعها؛ فصحيفة المنادي في 24 كانون الثاني/يناير عام 1913 خاطبت

المتصرف الجديد، بقولها: "نحن نلفت نظر عطوفة متصرفنا الجديد إلى النظر في أراضي كفرورية التي تم بيعها على عهد سلفه مهدي بك سمسار الصهيونيين، ثم إننا نرجوه أن ينقض بيع أراضي أبي شوشة، لأنه غير قانوني، ولا يتفق مع أوامر حكومة الأستانة الأخيرة التي تمنع بيع الصهيونيين" 757.

حملت رسالة وجهتها صحيفة فلسطين إلى المتصرف الجديد المعنى ذاته، تحت عنوان: "إلى متصرفنا الجديد الصهيونيين وأبو شوشة"، نبهت خلالها إلى استيلاء الصهاينة على فلسطين، قرية تلو أخرى، وأكدت أن تنبيهها هذا جاء من منطلق الواجب الوطني 758.

المفارقة هنا، أن مهدي بك هذا، صاحب السجل الحافل بالخدمات التي قدمها للصهاينة، وفي مقدمها تسهيل شراء الأراضي، كان قد أصدر تعليمات في 11 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 إلى عموم أفضية ونواحي القدس تنص على منع تملك الأراضي والأموال لليهود الذين يحملون التابعية الأجنبية- خصوصاً الذين يحملون جوازاً روسياً، أو الذين أقاموا مدة قصيرة في أمريكا ليكسبوا حق تابعيتهم- فهؤلاء منعت إقامتهم في فلسطين زيادة على ثلاثة أشهر... فإذا كانوا ممنوعين من الإقامة، ينبغي أن يكونوا أيضاً ممنوعين من تملك الأراضي والأموال 759.

المفارقة الأخرى أن مهدي بك أو "خادم الصهيونية"، كانت العرائض أحد أسباب عزله، التي رفعت ضده إلى الحاخام الإسرائيلي في الأستانة من اليهود الصهاينة في فلسطين، احتجاجاً على قرارات منعه بيع الأراضي، والذي سعى بدوره لدى الحكومة في العاصمة إلى عزله 760، وإن كانت صحيفة فلسطين استبعدت حدوث مثل هذا الأمر، لأن تعليمات المتصرف بالمنع كانت حبراً على ورق، وعزت قرار العزل وتعيين طاهر خير الدين متصرفاً للقدس خلفاً له، لتنبه الحكومة المركزية إلى المساعدات التي قدمها للصهيونية 761.

كان أحد المواطنين الفلسطينيين قد سخر من ازدواجية مواقف المتصرف، وذلك في الرسالة التي بعث بها إلى صحيفة المنادي في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، يقول فيها: "كنت قبلاً قد اطلعت على أوامر كثيرة لسعادة متصرف اللواء، تقضي بعدم بيع الأراضي إلى اليهود الصهيونيين... ثم أخذت في الضحك من حال هذا المتصرف الذي يأمر بمنع بيع الأراضي إلى اليهود، ونراه يروج ذلك البيع بيده إلى جماعة منهم، ولا سيما إلى رئيسهم المدعو عنيتبي أفندي المتسلط على قلب المتصرف" 762.

لم يكن نجيب نصار بمنأى من انتقاد مهدي بك ومهاجمته، وإن كان أكثر عمقاً في هذا النقد، من خلال الإشارة إلى أن سياسة المتصرف ليست فردية، بل هي تتم بمباركة وموافقتها الحكومة الائتلافية في الأستانة، فهم لا يختلفون في تعاطفهم مع النشاط الصهيوني عن الاتحاديين الأتراك؛ فمهدي بك عينه الاتحاديون بينما احتفظ بمنصبه وألقى خطابه في المستعمرة الصهيونية أيام الائتلافيين، الأمر الذي أشعره وسواه من الوطنيين بالمرارة، وفقدان الرجاء بأي حكم عثماني، وقال: "إن بقاء

مهدي بك في موقعه بعد خطابه، إنما يدل على رضى الحكومة الحالية عن أعمال الجمعية الصهيونية"763.

ومن الأمثلة أيضاً على تورط المتصرفين في بيع الأراضي، تواطؤ متصرف عكا وقائمقام حيفا لإتمام بيع قرية "كركور وبيدوس"، للصهيوني هرون إيزنبرغ، وهو ما أثار هجمة ضده من قبل الصحافة، فأبدت صحيفة المفيد أسفها لأنه "حتى في مثل هذه الأوقات الحرجة لا يزال بعض المتصرفين والقائمقاميين جاهلين أو متجاهلين غايات الصهيونية"764.

لم يكن المتصرفون دائماً عاملاً داعماً ومساعداً للصهاينة، بل كان هناك من تصدى لهم وبقوة، للحيلولة دون تحقيق مخططاتهم، وفي مقدمها الاستيلاء على الأراضي، ولم تخف هذه المواقف على الأوساط العربية على اختلافها، فكان هناك وعي لأهمية هذا الدور، وتقدير لأصحابه في المعركة ضد الصهيونية، ومن ذلك الدعم الذي قدمه متصرف القدس رؤوف باشا لأهالي العباسية في صراعهم مع اليهود الصهاينة عام 1901، والذي كان من أشد حكام المتصرفية مقاومة للتغلغل الصهيوني، إذ لم يكتفِ بهذا الدعم، بل قدم مطحنة للحبوب في ملابس للشيخ إبراهيم أبو رباح الخالدي، باعتباره أحد أقطاب المقاومة الشعبية للتغلغل الصهيوني وبيع الأراضي765.

من أمثلة ذلك، الدور الذي أداه قائمقام الناصرة شكري العسلي في قضية بيع أراضي الفولة.

كما تصدى قائمقام القدس في شباط/فبراير عام 1913 لبيع طواحين نهر جريشة (العوجة) للصهاينة بوساطة أحد الأعيان الحاج يوسف وفاء، ومن قبل مجلس إدارة المتصرفية، الأمر الذي أثار احتجاج الأهالي، فتقدموا بشكوى إلى القائمقام الذي انتصر لهم برفضه البيع، واتخاذ قرار بضرورة شراء الطواحين للمنفعة العامة766.

في العريضة التي تقدم بها أحد كبار مزارعي الجفتلك في غور بيسان إلى الحكومة باسمه واسم رؤساء العشائر ومشايخ القرى هناك احتجاجاً على بيع أراضي الغور، حاول أن يثير حمية أولي الأمر، ويختم العريضة بمطالبة والي بيروت ومتصرفيات القدس ونابلس وعكا وقائمقاميتها أن يحدو حدو والي البصرة في طلبه إبقاء أراضي الجفتلك للمزارعين767.

## 2- موظفو الطابو

وكان لهؤلاء دور مهم في صفقات بيع الأراضي سلباً أو إيجاباً؛ فهناك من قدم خدمات للصهاينة في هذا المجال، ومنها ما كشفتته رسالة احتجاج من الناصرة في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 ضد مأمور الطابو فيها، لموافقته على بيع ثلاثة آلاف وخمسمئة دونم وجدت فضلة في أراضي الدولة، ومطالبة أهالي الفولة بها لدى المحاكم، حيث طالبت الرسالة الأهالي "أن لا يقعدهم الوهم عن المطالبة بحقوقهم إذا كانوا محقين، ولا شك في أن رجال المحاكم يراعون الأهالي، وأنها لم

تعد تستمال بالنفوذ والجاه، وبأنه جدير بالحكومة أن لا تحكم لورثة المشترين بأكثر مما اشتروه، وأن توزع الفضلة ببديل المثل على الأهالي 768.

من ذلك، ما ذكره نجيب نصار في رسالته إلى والي بيروت، حول اطلاعه على تقرير في طبريا مرسل من مأمور طابو عكا إلى القائمقام، يطالب فيه بوجوب رفع أيدي أهالي المجدل عن ألف ومئتي دونم وجدت خلال التحقيق، وبقرارات مجلس الإدارة واللواء والولاية أنها فضلة، وأن الأهالي فتحوها خارج حدود القرية المباعة للمستعمرين الصهيونيين، وأن يبعث للأهالي ببديل المثل بأمر من نظارة الطابو نفسها. يعلق نصار على ذلك التقرير بقوله: "فدهشت لجسارة ذلك المأمور على كتابة ما يخالف نظام الطابو وأوامر الحكومة التي تقضي بعدم معارضة صاحب القوجان وواضع اليد حتى نهاية الدعوى، ومن إقدامه على طلب أمر خارج وظيفته وأوامر نظارته القائلة باستيفاء بدل المثل من الأهالي عن هذه الأراضي وعدم نزعها من أيديهم" 769.

مثال ذلك أيضاً، إدخال كاتب الطابو الأراضي المحلولة والموقوفة في قرية كفرورية إلى أراضي أحد ملاك الأراضي، الذي قام ببيعها إلى اليهود، وقد جاءت هذه الصفقة بالاتفاق بين مالك الأرض وبعض المأمورين وأعضاء مجلس الإدارة، ولم تعد الاحتجاجات التي تقدم بها أبناء القرية ومختارها 770.

هناك أيضاً ما أوردته صحيفة المنادي تنديداً بقيام كاتب الطابو في يافا في نيسان/ أبريل عام 1913 ببيع بيارة لأحد اليهود الصهاينة نيابة عن صاحبها، وعندما بلغ الأمر الحكومة قامت بعزله، وقد أعربت الصحيفة عن استغرابها من ردة فعل الحكومة وازدواجية موقفها، وخصوصاً في ما يتعلق ببيع الأراضي في القدس، وتجاوزات مأموري الطابو "الذين يوقعون المعاملات في دور الصهاينة ومدرسة عنيتي وفي المحل الذي يريدونه، ويساعدوهم فوق ذلك على إدخال الوقف في جملة المبايعات، ذلك يتجاهلونه وينتبهون لأمثال سعيد أفندي" 771.

في المقابل، كان هناك من موظفي الطابو من تصدى لعمليات البيع، وكان محل اعتزاز وتقدير، ومثال ذلك تصدي موظفي الطابو في يافا لعمليات بيع أراضي أبي شوشة وكفرورية ورفض بيعها في بداية عام 1913، مما اضطر السماسرة والمشترين إلى الذهاب إلى القدس لإتمام البيع، وقد علقت صحيفة المنادي على ذلك بالتساؤل والاستغراب "عن إتمام العملية في القدس، حيث إن الأراضي تابعة ليافا، ولكن الشارين وجدوا هنا في دائرة الطابو وباقي الدوائر صدوراً رحبة ورجالاً معينين لم يجدوا أمثالهم في يافا، فاختاروا إتمام البيع في القدس" 772.

من أمثلة الذين ناصبوا الصهيونية العداء، ووقفوا سداً منيعاً في وجه صفقاتها لشراء الأراضي، رئيس مكتب الأراضي والمالية في القدس، مما ألب اليهود الصهاينة في فلسطين عليه، لينتهي الأمر بعزله، وذلك استجابة لمساعي الحاخام الإسرائيلي في الأستانة لدى الحكومة التركية من أجل هذه الغاية 773.

كما كان لمأمور طابو عكا الموقف ذاته، فكتب مراسل صحيفة المقتبس في عكا في 17 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 أن مأمور الطابو فيها يمانع كل الممانعة أن

يمتلك الصهيونيون الأراضي هناك، وقد علقت الصحيفة على موقف المأمور هذا بقولها: "عسى أن يظل ماشياً على هذا المنوال حتى لا تخرج الأراضي إلى يد الأجنبي، ويندم الأهلون حين لا ينفع الندم" 774.

### 3- أصحاب الأراضي (الملاكون)

شهدت عمليات بيع الأراضي وشرائها مقاومة ومعارضة مزدوجة ضد الصهاينة من جهة، وكبار الملاك من جهة أخرى؛ فالأراضي التي اشتراها الصندوق القومي اليهودي كانت ثلثها أملاك أميرية، وكان الثلثان أملاكاً خاصةً، أصحابها عرب؛ بعضهم يقيم خارج فلسطين، وبعضهم الآخر في القدس ويافا وحيفا وقيسارية والرملة. تشير الوثائق إلى أن الأراضي الخصبة التي اشتراها الصندوق اليهودي خلال الأعوام 1905-1913 في السهل الساحلي ومنطقة القدس والناصرية ومرج بني عامر، من أسر عربية معروفة 775، وكانت عبارة عن 29 ألف دونم باعها ملاك أثرياء يعيشون في بيروت، وأربعة آلاف دونم باعها ملاك من أسرة ثرية تقيم في القدس، وخمسة آلاف باعها ملاك يقيمون في يافا، وثلاثة آلاف دونم باعها ملاك يقيمون في الرملة 776.

كانت أرض فلسطين وفقاً للقانون العثماني ملكاً للدولة، ومن مجموع مساحة فلسطين كانت الدولة العثمانية تملك 42 بالمئة، ومن الأراضي الزراعية كانت 156 أسرة فلسطينية تملك أربعة ملايين دونم، سبع أسر فلسطينية تملك 94 قرية، وأربع أسر سورية تملك نصف مليون دونم وتسع قرى، وست أسر لبنانية مسلمة ومسيحية تملك 640 ألف دونم و11 قرية 777. وقد حصل هؤلاء الملاك على الأراضي عبر الالتزام أو الشراء بالمزاد العلني من الدولة التي صادرتها لعجز الفلاحين عن دفع الضرائب المستحقة عليها 778. وتقيد المصادر بأن ما باعه الفلاحون خلال الأعوام 1901-1914 إلى الحركة الصهيونية لا يتجاوز 4.3 بالمئة من مجموع ما اشترته 779. ولم تكن لفئة كبار الملاك- التي كانت تقيم في المدن الكبرى- دراية بالأرض وفلاحتها، بل كان عدد غير قليل منهم يقيم خارج فلسطين ذاتها كآل سرسق وتويني وسلام، لذا لم تتورع عن بيع الأرض للمنظمات اليهودية والصهيونية، لأنها لم تكن تشعر بارتباطها بالأرض، وكانت تستخدمها وسيلة لتكديس الأموال 780.

ومن هذا المنطلق، كانت الصعوبة في مواجهة هؤلاء، وفي وعي خطورة دورهم، لأنهم لا ينتمون إلى الأرض ولا تشكل لديهم أي قيمة معنوية، وتتحصر قيمتها بالنسبة إليهم بالجانب المادي، الذي يعنيه، وهو ما كانت الصهيونية مستعدة لتقديمه خير استعداد، فنجحت في شراء انتماء هؤلاء لقضيتهم بالأموال الطائلة، وهو ما جعلهم عرضة للهجوم والنقد من قبل الأوساط العربية على اختلافها، فقد سخر نجيب نصار من بائعي أراضي الفولة، متهماً إياهم بأنهم "لا يتورعون عن بيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير ينفقونه على الملاهي، ثم يعيشون في شقاء، ويورثون أبناءهم البلاء" 781.

كانت الكرملة نشرت اتهامات وجهت لأحد أعيان الشام ويدعى أحمد الشمعة بمساومة الصهاينة له لابتياح قرية المنشية، وبأنه ينازع العكاويين على الأراضي المجاورة لعا ليضمها للمنشية ويبيعها للصهاينة، ولكن الصحيفة عادت واعتذرت في 16 نيسان/أبريل عام 1910 عن هذا الاتهام، وأكدت قول الشمعة بأنه لن يبيعها لوكلاء الجمعية الإسرائيلية الأجنبية، ولو دفعوا له أضعاف أضعاف قيمتها، لأنه لا يريد بيع وطنه بالمال، وختمت اعتذارها بالقول: "ونعم المبدأ القويم المبني على شعور غني حي تتحلى به شيخوخة هذا المقدم الكريم، فليقتد به الأغنياء".

عادت الكرملة ونشرت في 20 أيار/مايو عام 1911 رسالة لأحد أبناء عكا، يشكو فيها من أن الحكومة الاتحادية منحت أهالي عكا الأراضي المحيطة لسورها، ليتمكنوا من تحسين ظروف حياتهم، فظهر أحمد الشمعة مدعياً أن هذه الأراضي تابعة لقرية المنشية، مع أن للباشا دونمات معلومة المقدار 782.

كشفت المقتبس في 12 حزيران/يونيو عام 1911 عن "قدوم وجوه العكاويين إلى دمشق للاتفاق مع أحمد الشمعة على أراضي ضاحية عكا، معللين سبب قدومهم بالترويج عن النفس، في حين أن السبب الحقيقي هو دعوى أرض قائمة في المحاكم النظامية" 783. وقد بعث الشمعة برسالة "مأجورة" إلى المقتبس في 28 حزيران/يونيو عام 1911 ينفي فيها هذه الاتهامات، ويؤكد أنها دسائس من بعض أصحاب المصالح 784.

عقب الهجمة الصهيونية على الأراضي، أثناء حرب البلقان عام 1912، وتغاضي السلطة العثمانية عنها، زاد حنق نصار على كبار ملاك الأراضي، للإقبال على بيع الصهاينة، فحمل عليهم بعنف وخاطبهم: "اليوم تقرر وتبيعون وتتقضون عديدكم وثروتكم بأيديكم وبأختامكم، وتزيدون عديد الغير وثروته وملكه، فإذا قوي عليكم وعاملكم كما يعامل القوي الضعيف، فإلى من تشتكون، وعلام تعتمدون" 785.

كان نصار يعي تماماً أهمية دور ملاك الأراضي في المعركة مع الصهيونية، لذا فإنه عندما فشل في تحريض عامة الشعب، توجه نحو هؤلاء ليستثير اهتمامهم وهمتهم، فخاطبهم في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912، بقوله: "العزم بالغنم أيها الأغنياء، فالوطن صار كله إليكم، لقد ملكتم رقبة أراضيهم، واستوليتم على رقاب بنبيهم، وصار الشعب غريباً في أرض آبائهم، وعبداً لفئة قليلة منكم، فأنتم المتنعمون بلذاتهم، المنتصرفون المطلقون العاملون بما تريدون، أنتم إذاً القائمون وبمقتضى الشرع والنواميس عليها، المطالبون بحمايتهم، فنحن لا نطالبكم بأن تمتطوا صهوات جيادكم، وتستلوا سيوفكم، وتتقدموا صفوف المهاجمين، ولكننا نطالبكم بمال قليل، مما ربحته من كد الفقراء وتعبهم، لينفق عليهم في أحوال ينكر فيها الأخ أخاه، والابن أباه" 786.

لم يكن هجوم نصار هذا على كبار الملاك، ووعيه خطورة دورهم في المعركة على الصهيونية، موضع ترحيب دائماً من قبل الآخرين، بل تعرض لانتقادات حادة في بعض الأحيان، فرد عليه بعضهم بقولهم: "مالك ولوطننا أيها النصراني" 787. واتهمته صحيفة المقتبس بعدم الموضوعية في هجومه ضد هؤلاء، فبينما ثار على

آل تويني لرهنهم مرزعتي جيذا وتل الشامام في مرج بني عامر، سكت عن معاملات مثلها يقوم بها زعيما من زعماء لوائي عكا ونابلس، مصطفى الخليل وعبد الهادي عبد الهادي، لبيع قرية كركر وبيدوس في قضاء حيفا788.

كانت الطبقة الوسطى في فلسطين من أشد من تأثر بعمليات بيع الأراضي، وهو ما تنبعت إليه صحيفة المقتبس، فقدمت في 16 حزيران/يونيو عام 1911 وصفاً لحالها في القدس، فقالت: "والوسط هي المعول عليها في تعمير البلاد، وقد تزلزلت أركانها بخروج أملاكها وأراضيها القليلة من أيديها إلى أيدي الصهيونيين بواسطة الطمع"789.

اتهمت صحيفة المنادي في 20 شباط/فبراير عام 1912، أصحاب الأراضي والملك بأنهم وراء ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين، فقالت: "لا شك في أن اللوم في رسوخ قدم هذا الضيف الفظيع والعدو، علينا نحن وعلى من أخذوا يبيعونه، وتركوا أراضيهم لعبته، فلو تنبه أصحاب الأملاك من قبل، لما وجد مكاناً يأوي إليه، وعاد من حيث أتى، ولو رفضوا طلبه شراء أراضيهم لما رأى بقعة يحتلها ويجمع شعبه فيها، إن مسألة بيع الأراضي لهذا العدو هي من شر المسائل"790. لخصت الصحيفة في هذا المقال الذي عكس وعياً لحقيقة الصراع وهي الأرض التي كان من المفترض أن تند الحلم الصهيوني في فلسطين بمهده، من خلال منع مادة الحياة عنه، ومثل هذا الأمر لا يمكن أن يتم بمعزل عن و مساندة ملك الأراضي ووعيمهم، وهم أصحاب القول الفصل في حسم المعركة.

حاولت صحيفة المنادي استثمار ما أوردته صحيفة فلسطين حول النشاط الذي يمارسه أحد الأطباء اليهود، الذي عينته الحكومة، ويدعى "موبال" في شراء الأراضي لصالح الصهاينة، وتوظيف هذا الخبر في مهاجمة أصحاب الأراضي فقالت: "أما نحن، فإننا لا نجد الأمر يوجب كل ذلك، فالرجل يهودي يريد أن ينفع قومه، ولكن ما قول جريدة فلسطين في إخواننا المسيحيين والمسلمين الذين نشأوا وتربوا في هذه البلاد، والذين يعيشون بمال الأمة، ويسعون أكثر ما يسعى الدكتور موبال إلى بيع البلاد إلى الصهيوني، ألا يجب أن يعلق هؤلاء من أرجلهم في أبواب المدن، ليكونوا عبرة لغيرهم، وأن يلعنوا في كل لحظة ودقيقة...".791

تبين الرسالة التي بعث بها أحد المواطنين الفلسطينيين إلى صحيفة المنادي، مدى السخط والغضب الذي أحدثه كبار الملاك لدى أهالي فلسطين؛ فتعليقاً على نشر صحيفة فلسطين في 17 أيار/مايو عام 1913 خبر نية بعضهم، بيع أرض في قرية القبيبة، استنكر عدم ذكر الصحيفة أسماء هؤلاء، والاكتفاء بكتابة نقاط مكانها، وطالب صحيفة المنادي بذكر أسمائهم "ليعرف الناس الكاذبين والمحتالين من الصادقين المخلصين، وخصوصاً أن هؤلاء البائعين كانوا قد ادعوا في ما سبق معاداتهم الاستعمار الصهيوني"792.

وعندما عرض روجي الخالدي في كتابه السيونزم المستعمرات الثماني والعشرين التي أنشأها الصهاينة في فلسطين، انتهى في كلامه عليها بالإشارة إلى مزاعم

الصهيونيين بأنهم "اشتروا أكثر هذه الأراضي من المتنفذين، ولم يشترروا من الفلاحين إلا مقداراً جزئياً" 793.

#### 4- الأعيان

كانت هناك فئة أخرى غير طبقة كبار الملاك أسهمت بوجه، أو بآخر في تسهيل حصول الصهاينة على الأراضي، وهي فئة الأعيان والذوات على اختلاف تسمياتهم ووظائفهم ومراكزهم الاجتماعية، ومن هؤلاء- إضافة إلى كبار ملاك الأراضي- أفندية المدن وشيوخ القرى والقبائل البدوية، وقد أسهم وجود هذه الفئة الواضح في الجهاز الإداري، وإشغال بعضها مراكز إدارية حساسة في نوعية الخدمات وكمها، التي قدمتها للصهاينة، وفي مقدمها شراء الأراضي.

يتمثل الوعي لخطورة الدور الذي مارسته هذه الفئة، في الهجوم الذي تعرضت له؛ فصحيفة المقتبس أشارت في 15 آذار/مارس عام 1910 إلى "استغلال من لا خلاق لهم من الموظفين، بالاشتراك مع بعض الأغنياء في البلاد، بل مع فريق من أعيانها، ويحزننا أن ننعتهم بسماسة السوء، فيقضون على البلاد شر قضاء" 794.

في حديثها عن دور هؤلاء، التمسست صحيفة المؤيد العذر للصهاينة في شراء الأراضي، "ولكن ما عذر الذين يسلمون بوطنهم، فكبار القوم لا تتعدى أنظارهم غاياتهم الشخصية، وإن هم إلا آلات بأيدي ذوي الأطماع والأغراض" 795.

وجهت صحيفة المنادي في 2 نيسان/أبريل عام 1912 اللوم والتقريع لعائلات القدس الوجيئة التي "انشغلت بالتطاحن والتنافس في ما بينها، ونبذت كل شيء غيره في شؤون دولتها وبلادها وأمنها، فخرست أموالها الموروثة، وفتحت السبل لتداخل الأجانب في بلدها، وباع الوطنيون أراضيهم لرجال الاستعمار، وبذلوا أثمانها في سبيل تمكين الوهم، وإرضاء الحكام، فخرسوا أموالهم وضيعوا الموروث" 796.

أثناء الرحلة التي قام بها جرجي زيدان إلى فلسطين خلال عام 1914، قام بتسجيل مشاهداته خلالها، فوصف- في معرض حديثه عن نشاطات الصهيونية فيها وشرائها الأراضي- أعيان فلسطين بقوله: "أما أعيان البلاد، فمنصرفون إلى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف والنيابات، أو المطالبة بالإصلاح، ولو صرفوا الهمة والجهد إلى الناحية الاقتصادية، لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال" 797.

لم يكن هؤلاء سواء في موقفهم من بيع الأراضي للصهاينة؛ فهناك من الأعيان من تصدى لها كسليم الأحمد عبد الهادي الذي انتخب عضواً في مجلس إدارة قضاء جنين، وعندما عزمت الحكومة العثمانية على تأجير أراضي الجفتك- أراضي الغور- أو بيعها من إحدى الشركات الأجنبية، بذل جهداً عظيماً للحيلولة دون ذلك للإبقاء على مزارعها، وخشية تسربها بالمزاد العلني إلى المؤسسات الصهيونية، وقد أنشأ شركة لهذه الغاية، ونجحت مساعيه، وبقيت الأراضي مدة في حيازة مزارعيها 798.



## 5- السماسرة

كان هؤلاء بمثابة الشريان لصفقات الأراضي التي كانت تتم لصالح الصهاينة، وذلك من خلال نفوذهم في بعض الأحيان، أو الأموال والغش والتزوير والترهيب في أحيان أخرى، ويورد هرتزل في مذكراته دور هؤلاء السماسرة، فيقول: "إن آل سرسق عرضوا علينا شراء مقاطعة في وادي جزريل/مرج بن عامر، صاحبها الذي يريد بيعها هو السيد سرسق من بيروت، وأظنه قال: إما أن تشتري هذه الأرض مني جمعية الاستعمار اليهودي، أو يشتريها الصهيونيين، ويظهر أن بعض السماسرة يريدون أن يربحوا مما يعتقدون أنه منافسة لنا، ربما استطعنا أن نكشف عن بعض هذه السمسرات" 799.

لم يكن دور السماسرة بخافٍ على الكثيرين، وتالياً شن الهجوم تلو الآخر عليهم، وذلك من خلال اتهامهم بخيانة الوطن، أو إطلاق لقب سماسرة الصهاينة عليهم، أو التشهير بهم وذكر أسمائهم صراحة، بهدف تعريف المجتمع بهم، وتالياً التوعية لخطورتهم وتجنبهم، أو لثنيهم عن أفعالهم، وإيقاظ حس الوطنية في نفوسهم.

كانت تجاوزات السماسرة وأعمالهم من الخطورة بمكان، حيث إن من الأمور التي كلف مأمور الباب العالي- المبعوث إلى سنجق القدس- لمراقبتها ورصدها هو عمل السماسرة، والذي بعث بدوره برسالة إلى السلطان في آب/أغسطس عام 1905 يشير عليه فيها "بأن يرسل موظفين يكون من أولوياتهم منع تسرب الأراضي لليهود، وأن يقفوا سداً حائلاً أمام السماسرة الذين يعملون على تسريب الأراضي الكبيرة إلى اليهود، وبأنه سيقوم بعزل المأمورين الموظفين الفاسدين (السماسرة) الذين يتلقون الرشاوى من اليهود" 800.

يبدو أن عدد السماسرة في العهد الاتحادي قد ازداد وتوسع نشاطهم، حيث إن صحيفة المنادي علقت على كثرتهم بقولها: "نكاد لا نمشي في طريق أو نسير في شارع أو ننظر إلى إحدى القهوات، حتى نجد سماسرة السوء، أو سماسرة الصهيونيين منتشرين يحيطون بجماعات من القرويين، وأصحاب الأراضي لخداعهم، وسلبهم ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم" 801.

قدمت صحيفة المفيد صورة لنشاط هؤلاء، ولكن في العاصمة إسطنبول، مشيرة إلى أنها غدت في الأعوام 1908-1914 ملاذاً مناسباً لمندوبي الشركات والسماسرة الطامعين بالسيطرة على الأراضي السلطانية 802.

وجه سليم الأحمد عبد الهادي رسالة في 27 أيار/مايو عام 1911 إلى نجيب نصار، يحذره من محاولات اليهود سرقة أراضي نرس، كما فعلوا بالفولة، وتورط السماسرة ووكيلها حنا منصور، ويتساءل عن عدم إرسال حكومة جنين مساعدة 803.

من أكبر صفقات الأراضي التي تمت من خلال السماسرة، تلك التي تمت في أراضي عرب أبو كشك أو العوجة، وكان ذلك في عام 1911 عندما تنازل الشيخ محمد الفارس أبو كشك أحد مشايخ القبيلة عن قطعة أرض من أراضي الديرة

تعرف بغور الوادي مساحتها 10 آلاف دونم لسمسار من أهالي يافا، وقد نقلها بدوره إلى إحدى الشركات الصهيونية في مدينة يافا 804.

أسهمت صحيفة المقتبس بدورها في حملة التوعية ضد الدور الذي يمارسه السماسرة في بيع الأراضي، فهاجمتهم في 11 آب/أغسطس عام 1910، بقولها: "فهم اليوم أخطر منهم بالأمس، إذ سلبوا من الأملاك والعقارات والأراضي ما يقارب من نصف المجموع، وجل هذه الأراضي قد انتقل إلى الأجانب من الإسرائيليين المستعمرين الذين لا يزالون يداؤبون في بذل كل الوسائل لاستملاك ما بقي" 805.

كانت صحيفة المنادي قد نددت بهؤلاء وحذرت منهم، بل لم تتورع عن تسميتهم بأسمائهم، فتحت عنوان: "لمن يريد سمساراً"، قالت: "يتعب أصحاب الأملاك والأراضي من القرويين وغيرهم في إيجاد سمسار، فيكون واسطة لديهم عند المستعمرين الصهيونيين يبيع إليهم أملاكهم، ويتم عنهم المبيعات في دوائر الحكومة... فعلى من يريد سمساراً طيباً حاذقاً، يوفق بينهم وبين الشارين على الوجوه التي ترضيهم في الظاهر، وتضر ببلادهم وأمتهم، وتتفع الصهيونيين في الباطن عليه بتوفيق أفندي أيوب العضو في مجلس إدارة يافا" 806. لم تكتفِ الصحيفة بنشر هذا المقال أو الإعلان في هذا الصدد، بل كررت نشره في أعداد تالية 807. وكانت الصحيفة قد حذرت من مساعي السمسار توفيق أيوب، الذي أطلقت عليه لقب "سمسار الصهانية"، لبيع أراضي الكنيسة بعد أن أتم بيع أراضي أبي شوشة ومن قبلها أراضي كفوروية 808.

لم يكن النجاح دائماً حليف السماسرة، فكثيراً ما كانت تتحطم أمالهم على صخرة بعض الوطنيين الذين كانوا على درجة من الوعي بحيث يرفضون المغريات والأثمان الباهضة التي كانت تقدم لإغرائهم بالتنازل عن أراضيهم ويتصدون لها، ومثال ذلك الحادثة التي أوردتها صحيفة المنادي في 27 نيسان/أبريل عام 1913، وأرادت بها الإغلاء من قدر أولئك الذين تمسكوا بأراضيهم، ليكونوا قدوة للمواطنين الآخرين، والتشهير بالسمسار توفيق أيوب، فقالت: "إن القرويين بدأوا يشعرون بأضرار البيع لليهود، وإنه عندما جاء قبل أيام أحد السماسرة إلى الشيخ محمود علي وأخويه والقرويين، وراودهم على بيع أرض لهم واسعة بسبعة وثلاثين ألف ليرة، أبوا عليهم البيع، ولو أوصلوا الثمن إلى أضعاف ذلك، فنتمنى أن يصبح كل الوطنيين في هذه البلاد أمثال هؤلاء، فلا يحظى المستعمرون أعداء الدولة على شبر ليقع أمثال توفيق أيوب ومن أقاموه للسمسرة لهم في الخزي" 809.

كما هاجمت الصحيفة نجيب الأصفر الذي سعى إلى شراء أراضي غور بيسان لموكليه من رجال الاستعمار الصهيوني، وأطلقت عليه لقب "سمسار الصهانية" 810.

اعتبرت صحيفة المنادي السماسرة وجهين لعملة واحدة، وإن اختلفت اسمائهم، وقالت: "وها هم اليوم قد استبدلوا الأصفر بالأخضر، ووضعوا حبيباً بدل نجيب"

811. كما اتهمتهم بالتجرد من الوطنية والدين، لأن من خلالهم بيتاع الصهاينة كل ما يريدون ابتياعه بأثمان بخسة 812.

رد نجيب نصار ساخراً على وعد رفيق العظم ببذل المساعي لدى سراة فلسطين لينتخبوا مندوبيهم للمشاركة في المؤتمر العربي، بقوله: "لو علم الزعيم أن مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها، أكثر مما تأتيها من الصهيوينيين، لأن هؤلاء سماسرة الصهيوينيين والبياعين لهم، لما قال إن لجنة الحزب تسعى لدى السراة" 813.

كما وجه نصار نداءً عاماً إلى أهالي فلسطين في حزيران/يونيو عام 1914 يدعوهم فيه إلى طرد سماسرة بيع الأراضي ولعنهم 814.

سادساً: الوعي العربي للأساليب التي اتبعتها الصهاينة

للاستيلاء على الأراضي

تنوعت الأساليب التي اتبعتها الصهيونية للاستيلاء على الأراضي، وكان هناك من الأوساط العربية من كان على درجة عالية من الوعي لمثل هذه الأساليب وفضحها؛ فصحيفة البشير ذكرت في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1900 بأن اليهود الصهاينة يعمدون إلى "شراء الأراضي الفسيحة التي لا يجوز لهم تملكها إلا بإرادة سنية، فيحددونها بالجهات ليوهموا أنها ذات مساحة قليلة، ولو مسحت وتبين مقدار دوناتها لما جاز لهم تملكها أبداً، إذ كانوا يقصدون من هذه الطريقة أن تحاسبهم الحكومة على الحدود لا على الدونمات" 815.

من الأساليب ما ذكره روجي الخالدي ويتعلق بالطريقة التي اتبعتها شركة الإيكا الصهيونية للاستيلاء على أراضي قطر، بمساعدة مستنطق غزة رشيد أبو خضرة، فقال: "ادعى أحد أهالي قطر بأن له في أراضيها نصف سكة، وأنه باعها لرشيد أفندي، فقيدت في الطابو وجرى الفراغ بأمر المتصرفية، وعلى هذه الكيفية شرعوا في مشتري الأراضي باسم المستنطق، ومن تمنع عن البيع اتهم بجناية وألقى في السجن... فيخرج له مأمور الطابو بشارة أفندي صافي من لاتين يافا قوجاناً بالبيع... وما زالوا يشترون بالترهيب والتزوير حتى استولوا على ثلث أراضي القرية، ثم بعثوا إلى قطر قوميسيوناً مؤلفاً من نائب المجدل إبراهيم بك مكي، لأن قطر تابعة لناحية المجدل، ومن مأمور الطابو المذكور، وعبد العظيم أفندي الغصين عضو مجلس الإدارة... واستمروا في قطر شهراً كاملاً يذبح اليهود لهم كل يوم خاروفاً، وتأتيهم البوستة من الرملة فيها التعليمات اللازمة لعمل الفراغ" 816.

مما كشفه الخالدي من هذه الأساليب "سياسة الصهيوينيين تشويق الحكومة لاضطهاد كبراء البلاد... وإذلالهم والتسبب في انقراضهم، ثم الاستيلاء على أفكار الفلاحين البسطاء ووضعهم تحت سلطتها المالية، واستخدامهم في زراعة أراضيهم التي يمتلكونها قرية بعد قرية" 817. وقد جاء قول الخالدي هذا تفصيلاً لمزاعم

الصهيونية بأنهم اشتروا أكثر الأراضي من المتنفذين، ولم يشتروا من الفلاحين إلا قليلاً 818.

كان للمال الدور الأبرز في إغراء أصحاب الأراضي، وهو أسلوب ألفته الصهيونية وبرعت في استخدامه؛ فقد بعث أحد أبناء غزة إلى صحيفة المقتبس في 7 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، حول هجمة الصهاينة على أراضي عربان بئر السبع في غزة، وإغراء هؤلاء لبيع أراضيهم "ببذل الأصفر الرنان الذي يحبه البدوي أكثر من امرأته وأولاده، كما طفق المستعمرون يستجلبون ودهم بالهدايا والعطايا لرؤسائهم" 819.

من الأساليب التي انتهجها الصهاينة، التخلص من أي موظف يمانع أو يعرف سير انتقال الأراضي إليهم، وهو أمر نبّهت إليه صحيفة المقتبس فأشارت إلى تقديم أهالي قريتي مسحة وئما- من المستعمرات الصهيونية في قضاء طبرية- شكوى تقيد بتعرضهم لهجمات متكررة من القرى العربية المجاورة، وتغاضي قائمقام طبرية عنها، على الرغم من تقديم اليهود عدة شكاوى له بهذا الصدد. وعلقت الصحيفة على ذلك بقولها: "ولما كان كتابهم مناقضاً لدعواهم، وعارياً من الحقيقة... فسيق لهؤلاء المستعمرين إقامة الدعاوى التزويرية على جوارهم، والضغط على الحكام الذين لا يجارونهم على ما يبيغون... ونظراً لانتباه القائمقام ووقوفه سداً منيعاً دون مطامعهم، سخطوا عليه، وأخذوا يرموه بالعدوان عليهم" 820.

كما قدمت صحيفة مرآة الغرب وصفاً لتلك الأساليب في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1912 "كاستعطاف متصرف، إلى التماس وال، وإلى إغراء ذي ملك إلى رشوة ذي نفوذ، إلى إطماع فقير، إلى خدع فلاح، إلى نصرة سياسي، وغير ذلك من الفنون وضروب السياسة التي امتلكوا بها أراضي واسعة في نواحي طبرية ومرج بن عامر ولواء عكا وحيفا وساحل يافا وجوار القدس حتى توصلوا إلى نواحي غزة" 821.

من ذلك أيضاً، شراء الصهاينة الأراضي بأسماء وهمية أو بأسماء آخرين، ثم تحويلها بأسمائهم، ولم تكن هذه الطرائق بخافية عن الفلسطينيين والعرب، فكتبت المنادي في 12 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912 بهذا الصدد منتقدة السماسرة وبعض الوجهاء الذين يستفيدون بخياناتهم وتدليسهم وشرائهم الأملاك والأراضي بأسمائهم، والحقيقة أنها بملال الصهيونيين، وهم يكادون لا يستلمون أوراق امتلاكها، حتى يحولوها إلى الراغبين من الصهاينة 822.

في رسالة بعث بها نجيب نصار في أيار/مايو عام 1911 من طبريا إلى الولاية والمتصرفية، حذر فيها من أحد هذه الأساليب، وهو استيلاء المغاربة على بعض أراضي طبريا بصفتهم مهاجرين، ثم عند وفاة بعضهم أو عودتهم إلى بلادهم، يرسل سماسرة اليهود بعضاً من المغاربة يطلقوا عليهم أسماء أصحاب الأراضي (التي تركت سنين، وقرر مجلس إدارة طبريا أنها أميرية) وأتوا بهم لإجراء فراغ هذه الأراضي. على الرغم من توقف المعاملة يومئذ بناءً على هذه البرقية، إلا أن نصار ذكر بأنه علم "أن اليهود استلموا هذه الأراضي، وأدخلوها ضمن

حدودهم، وهم يفلحونها ويزرعونها ويتصرفون بها تصرف المالك بملكه، وقيل إنها أفرغت لهم أو لأحد سماستهم "823.

كما برع اليهود الصهاينة في رصد الأوضاع المالية والاقتصادية لملاك الأراضي والفلاحين في فلسطين وخارجها، واغتنام الفرصة لإغرائهم بالمال لحل أزماتهم الاقتصادية مقابل بيع أراضيهم، وقد قدمت صحيفة المنادي وصفاً دقيقاً لهذه الحالة بهدف توعية هؤلاء من الوقوع في حبال الصهيونية، فقالت: "وقد اتخذوا الأزمة المالية المنتشرة في هذه البلاد وسيلة لترويج أعمالهم، فالقروي المسكين يجد في لمعان الرنان نور حياة له، فلا ينظر إلى عاقبة تقريطه في ثرواته" 824.

وجد الصورة ذاتها، في ما كتبه شكري العسلي في الرسالة التي وجهها إلى قائد الحملة الحورانية سامي الفاروقي في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 لافتاً نظره إلى هذه القضية، ومن خلال وصفهم بقوله: "تراهم لا يفترون طرفة عين، وهم يتجسسون الأخبار عن الذين تأخرت حالتهم المالية من أهل هذه البلاد، ويدفعون للبائع ثمناً فاحشاً ليطمع ويشترى منه" 825.

تعتبر مرحلة الحرب العالمية الأولى من الفترات الذهبية التي استغلتها الصهيونية خير استغلال، حيث اغتنمت طبيعة الظروف الاقتصادية أثناء الحرب، واضطراب الاقتصاد، واضطرار الكثير من العرب إلى بيع أراضيهم، فكانت بالمرصاد لشرائها 826.

كما استخدم اليهود الصهاينة الديون وسيلة لتملك الأراضي، فعمدوا إلى إغراق أصحاب الأراضي بالديون سواء الفردية منها، أو تلك التي يقترضها المزارعون من البنوك، وبخاصة البنك الأنجلو- فلسطيني، الذي كان يكمله برأس مال يهودي، وكان اليهود يأخذون منهم ضمانات تعطيهم الحق في بيع أراضيهم في حال عدم قدرتهم على السداد، وقد نجحت الشركة الأنجلو- فلسطينية والمنظمات الصهيونية "الإيكا"، والصندوق القومي اليهودي في الاستيلاء على مساحات كبيرة من الأراضي بهذه الطريقة 827.

كانت أكثر فئة متضررة هي فئة الفلاحين الشركاء الذين كانوا لا يملكون الأراضي التي كانوا يعملون فيها لوقت طويل ويعيشون في خوف دائم من الطرد، وكانوا عرضة للاستغلال من قبل المرابين الذين كانوا يسلفونهم الأموال وتتكدس عليهم الديون، فهؤلاء تضرروا من الهجمة الصهيونية لأنهم بعد حصولهم على الأراضي، قاموا بطردهم لعدم وجود قوانين تحفظ حقوقهم، وهناك أيضاً فئة الملاك الصغار الذين يملكون أرضهم ولكنهم اضطروا نتيجة تراكم الديون أن يتخلوا عنها 828، وبهذه الطريقة انتقلت أراضي قرية أبو شوشة إلى اليهودي ملفيل بيرجهايم الألماني الجنسية، بعد أن دفع رسوم تسجيلها 829.

من أشهر من برع في هذا المجال الحاخام إبراهيم كوهين الجزائري الفرنسي الجنسية، واليهودي الفرنسي الجنسية روزنك، فتمكنا من تملك مساحات واسعة من الأراضي في لواء عكا من طريق القروض والديون، فاشتري روزنك مساحات كبيرة من الأراضي في قيسارية من ورثة صادق باشا، بعد أن أغرق أولاده

بالقروض بضمان أراضيهم، فاشترى منهم جميع أملاكهم 830، ومن أجل هذه الغاية أسس عدداً كبيراً من الشركات والمصارف 831.

حاولت صحيفة المقتبس التوعية لمثل هذه الأساليب، وفضح ما كان يجري، فأشارت في 19 شباط/فبراير عام 1912، إلى محاولة اليهود منع ورثة صادق باشا من فراغ نصف أراضي قيسارية للدير، فقدموا لهم ثمناً أعلى مما اتفقوا عليه مع الدير، إلا أن الورثة رفضوا بيعها لليهود، فحاول اليهود منع عملية البيع، إلا أن الحكومة أمرت بفراغ الأرض للدير، فحاول اليهود رشوة وكيل الدير لمنع التسجيل، فرفض، ولكن ذلك لم يمنع اليهود من الاستمرار بمعارضة البيع، ونجحوا في ذلك، وتم تسجيل الأرض باسم جول روزنك 832.

قدمت صحيفة المقتبس صورة مناقضة لما كان يجري مع اليهود بالنسبة إلى الإقراض، فأشارت في 15 آذار/مارس عام 1910 إلى أن الجمعية الصهيونية أنشأت فرعاً لبنك أنجلو- فلسطين في كل ثغور فلسطين المهمة تعمل للإسرائيليين فقط، فتسلفهم المبالغ الطائلة بفوائد ضئيلة، لتتيح لهم استملاك عقارات وأراضٍ في فلسطين، ثم يسدد المبلغ على أقساط 833.

شكلت الامتيازات الأجنبية منفذاً آخر لليهود الصهاينة، استطاعوا من خلالها التحايل على قوانين الدولة العثمانية للاستيلاء على الأراضي، فاشترت مساحات واسعة منها على أساس تبعيتهم للدول الأجنبية، لا على أساس كونهم يهود 834، ولم تتوان القنصليات عن تقديم الدعم اللازم لإتمام معاملات نقل الأملاك غير المنقولة لرعايا اليهود الذين سكنوا القدس ومناطق فلسطينية أخرى، فكان اليهودي الراغب في شراء أو بيع أي عقار ما عليه إلا أن يكتب استدعائه، وبذيله بعبارة "إنني من الموسويين المستوطنين الممنوعة مهاجرتهم"، ويقدمه للقنصل 835.

امتدت خدمات القنصليات لرعاياها اليهود إلى قضاء يافا ولواء عكا، من خلال مساعدتهم على شراء الأراضي وفراغها وتسجيلها، وفي مقدم هؤلاء القنصل الإنكليزي في حيفا بيزو أبيلا، ويورد نجيب نصار في صحيفته الكرمل في 10 حزيران/يونيو عام 1911 حادثة جرت مع هذا القنصل، فقال: "اتصل بنا أن المسيو أبيلا قنصل الإنكليز في حيفا كان ينوي إجراء قطع أراضٍ اشتراها من الأهالي لأحد اليهود الإنكليز المقيمين في لندنرا (لندن) ولعله من أعضاء إحدى الجمعيات الاستعمارية، ولما فهم أن ذلك يقتضي له استئذان طلب إجراء الفراغ باسم إفرام كروس شقيق وكيل مستعمرة الشجرة الإسرائيلية، فاستعلمت الحكومة المحلية من قائمقام الناصرة وطبريا عن إفرام المذكور، فورد الجواب من الأول أن إفرام المذكور اشترى الفولة للجمعية الصهيونية، وورد الجواب من الثاني أن الرجل يحمل بزبورطاً في الجيب الواحد، وتذكرة عثمانية في الجيب الآخر، وقرر مجلس إدارة حيفا وجود محاذير سياسية وإدارية من فراغ أراضي المسيو بيلا لهذا الرجل، فنقول بترتيب إيجاد شخص ثالث جديد لتفرغ هذه الأراضي لاسمه، فالأسماء المستعارة عند الجمعيات الاستعمارية الإسرائيلية متوفرة حتى بين بعض اليهود العثمانيين 836.

وقد تعرض نجيب نصار - بعد روايته هذه بأيام- إلى مهاجمة أحد اليهود من التابعة الإنكليزية له، حيث التف حوله مجموعة من اليهود لتشجيعه، وعندما تم حجز اليهودي المعتدي في أحد مراكز الشرطة، تدخل القنصل الإنكليزي ونجح بعد عدة محاولات من إطلاق سراحه 837.

كشفت صحيفة المقتبس في 21 حزيران/يونيو عام 1911 الأسباب الكامنة وراء ما حدث لنصار، فقالت: "من أسباب الدافعة لهذا العمل هو كون المسيو بيلا يتعاطى سمسة البيع والشراء في حيفا لحساب الصهيونيين، حتى إنك لتجد أكثر المعاملات في الحكومة هي لاسم الموماً إليه، وبالنظر إلى كون نجيب أفندي نصار وأنصاره من الوطنيين قد نبهوا إلى مضار الاستعمار هنا، فأصبح الشعب يدرك الخطر الذي يتهدهه" 838. أكد شكري العسلي في كانون الأول/ديسمبر عام 1912 أن بعض عقود بيع الأراضي يتم توقيعه في القنصليات 839.

كما أثارت إحدى صفقات شراء الأراضي تساؤل متصرف عكا- الذي تزامن تسلمه منصبه مع مباحثات عقد هذه الصفقة- إذ تقدم أحد اليهود الصهاينة لطلب فراغ قريتي تل الشمام وجيدا باسمه، على الرغم من أنه روسي، الأمر الذي دفع بالمتصرف إلى إرسال عدة برقيات إلى طبرية للاستفسار عنه، وقد علقت صحيفة المقتبس التي أوردت الخبر في 2 نيسان/أبريل عام 1914 على ذلك بقولها: "فنسيم بن إسرائيل اسمه مستعار، وكذلك عثمانيته وهو روسي، وإذا كان نسيم مزارع عند إحدى الجمعيات الصهيونية في بيت حن، كيف يستطيع الذي لا يملك لنفسه أرض فدانيين أن يشتري قري ودساكر؟" 840.

لم تكتفِ الصحيفة بهذا التحذير والتساؤل، بل قدمت مبررات عدم شرعية مثل هذا البيع، فالمشتري ويدعى نسيم بوم (Nassim Boom) لا يملك الجنسية العثمانية، ولا يزال يحمل الجنسية الروسية، وكذلك وجود تعليمات وأوامر تمنع بيع الأراضي الواقعة على جانبي الخط الحجازي، كما هي الحال في هاتين القريتين، أضف إلى ذلك الأوامر التي تمنع سكنى مهاجري اليهود 841.

وستغل اليهود الصهاينة قدرتهم الشرائية العالية في رفع أسعار الأراضي لتصبح أعلى من سعرها الحقيقي بأضعاف، فيطمع بذلك أصحاب الأراضي بالبيع؛ فهناك من كان يغريه المال فيبيع، وهناك من رفض وتمسك بأرضه. في كتاب مفتوح إلى مجلس النواب وجهه عبد الله مخلص في 15 آذار/مارس عام 1910 تحدث فيه عن الصهيونية ومخاطرها في فلسطين، مشيراً إلى قوة المال في استملاك الأراضي، بحيث عجزت القوانين التي وضعتها الدولة عن الوقوف في وجه إغراء المال، فقال: "كان زمن الاستبداد يشدد النكير على استملاك الصهيونيين في فلسطين، فيقيم في طريقهم العثرات، ومع ذلك فقد كانت قوة الأصفر الرنان تغلبه على أمره أحياناً... وتلقاهم اليوم وهم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حيفا وما يليها إلا وينقضون عليه انقضاض الباز على صغار الطير، ويشترونه بأثمان باهظة تكاد لا تصدق، ومواطننا الفلسطيني قصير النظر لا يعلم أنه سيصبح مسوداً بعد أن كان سيداً، فيبيع عقاره وأرضه لقاء ربح جل أو قل، ثم يقوم ليشتري أرضاً ثانية، وقد ارتفعت أسعارها ارتفاعاً باهظاً فلا ينجح" 842.

في المعنى ذاته كتب عبد القادر القباني في 26 آب/أغسطس عام 1910 محذراً، بقوله: "هذا الموضوع وطني مهم، وخصوصاً لاستعداد الصهيونيين للغارة على الوطن واستملاك أراضيه الزراعية، ولا يغرّ قوماً كثرة ما ينالهم من ثمن الأراضي، فإنها ستكون وبالاً عليهم إذ تعذر عليهم شراء شبر أرض من الصهيونيين بمثل ثمنه المباع به أو بأكثر منه843.

لكن إغراءات الصهيونية المادية لم تكن مجدبة مع بعضهم؛ ففي تموز/يوليو عام 1910 ذكرت صحيفة المقتبس أن الجمعية الصهيونية تسعى لدى شيخ عرب الفضل إلى أن يبيعها أراضيه التي تساوي الآن خمسين ألف ليرة، بنحو نصف مليون ليرة، فأبى. وقد علقت الصحيفة على هذا الرفض بقولها: "فعسى أن يبقى الأمير على إبنائه حتى لا يذكر في حياته ومماته بما يكره، ولكن أليس في إغلاء الأثمان دليل على ما ينويه الصهيونيون من استعمار هذه الأرض التي تدر لبناً وعسلاً، وما فيها من الفوائد والمستقبل الزاهر؟".

أما صحيفة الكرمل، فقد اغتمت الفرصة للإشادة بموقفه، ودعوة الآخرين إلى الإقتداء به، فقالت: "نحن نكاد نكون على ثقة بأن هذا الأمير الكريم لا يبيع أراضيه ليصبح هو وعشيرته غرباء في بلادهم، ولا يخون وطنه الذي اشتراه الأجداد بدمائهم، ألا يعتبر خونة الأوطان الذين لا هم لهم إلا شراء الأراضي وبيعها من الجمعيات الاستعمارية أو وكلائها بحمية هذا الأمير"844.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞





## الفصل الرابع

# بدايات الوعي العربي لإقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين

جاء تعبير العرب عن وعيهم هدف الصهيونية خلق كيان يهودي في فلسطين، وغيرها من البلاد العربية- على اختلاف أشكاله- من خلال تسميات ومفاهيم متعددة اختلفت في استخدامها تبعاً لدرجة الشعور بالخطر، والوعي لإصرار الصهيونية على تنفيذ مشروعها، واتخاذ الخطوات الكفيلة بذلك، فكان هناك تعبير الدولة اليهودية المستقلة أو المملكة اليهودية أو الوطن القومي، أو كيان يهودي. وتعود بدايات تنبه العرب إلى هدف الصهيونية إقامة كيان مستقل في فلسطين، منذ أن بدأت الصحف ووكالات الأنباء تتناقل خبر استفحال الأطماع الصهيونية في البلدان العربية، والتي بدأت تكشف عن نفسها بشراء الأراضي لإقامة المستعمرات الصهيونية، ومن ثم تأسيس الدولة اليهودية المستقلة 845.

كانت هناك إشارة صريحة ومبكرة إلى رغبة اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين، وذلك في التقرير الذي رفعه كمال بك أحد المسؤولين الأتراك في القدس إلى الباب العالي عام 1888، وتطرق فيه إلى "ما شاع انتشاره في الخارج بأن اليهود في العالم يحاولون تقوية أنفسهم في القدس أكثر من أي وقت مضى، وذلك لإعادة دولتهم المزعومة"، ورداً على ذلك قامت الدولة العثمانية بتقوية الإدارة في القدس 846.

حرصت الصهيونية في طرحها مفهوم الدولة المستقلة التي تسعى إلى تحقيقها على أن يكون طرحاً دبلوماسياً يتفق وطبيعة الظروف والجهة التي يتم معها مناقشة الموضوع أو التفاوض معها بشأنه، بدليل قول هرتزل للسلطان عبد الحميد بجعل فلسطين كدولة شبه مستقلة.

إن هناك عدة إشارات في يوميات هرتزل، تعكس الرغبة الصهيونية في إقامة كيان يتخذ شكل الدولة المستقلة؛ ففي نيسان/أبريل عام 1896 في لقاء له مع دوق بادن، قال: "من واجبننا نحن زعماء اليهود أن نقنع الشعب أن تأسيس دولة يهودية هو من صالح اليهود، وليس اضطهاداً لهم" 847.

في 3 أيار/مايو 1896 كتب هرتزل تعليقاً على عرض رئيس تحرير صحيفة البريد العثماني- وكان الأخير على علاقات طيبة مع عزت باشا- التوسط لدى السلطان، قال: "أخبرته بكلمات قليلة عن القضية، وقلت له: "إن نحن حصلنا على فلسطين، لا نرضى بأقل من التنازل عنها كبلد مستقل، ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركية المالية" 848. وفي مقابلة له مع القاصد الرسولي في 19 أيار/مايو عام 1896 طلب منه مساعدة البابا على قيام المشروع الصهيوني، قال له: "لا نريد مملكة، وإنما نريد جمهورية أرستقراطية، وعندها نركز أنفسنا، وتكون

القدس خارج حدود الدولة، فابتسم القاصد الرسولي، وقال: أيعني أنكم ستتركون القدس وبيت لحم والناصره وتقيمون العاصمة في الشمال؟ أجبت نعم "849.

وقد أرسل هرتزل في 25 آب/أغسطس 1896 إلى السلطان ملحقاً لمشروعه، كان من ضمن ما اشتمل عليه من مطالب أن يعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمون في القانون الدولي في الدستور، والحكومة وإدارة العمل في الأرض التي تقرر لهم فلسطين كدولة شبه مستقلة "850.

وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في آب/أغسطس 1897، نص أحد قراراته على إقامة وطن قومي لليهود، حيث أحجم المؤتمر عن ذكر الدولة اليهودية صراحة كأحد أهدافهم، واكتفوا بعبارات غامضة 851. ويؤكد صحة ذلك قول هرتزل في تعليقه على المؤتمر: "في بازل أنشأت هذا الكيان المعنوي الذي لا تراه كما هو أغلبية الناس، أنشأته بوسائل قليلة جداً، وبالتدريج وضعت الناس في جو مناسب للدولة، وجعلتهم يشعرون أنهم هيئة وطنية" 852.

وكان هرتزل قد عاد ووضح في يومياته في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1898 تصورته لحدود الدولة وشكلها ونظامها، فقال: "نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً خلال تلك الفترة، بعد ذلك تنشأ علاقة كالتى تقوم الآن بين مصر والسلطان، وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما ثلثي مجموع سكانها، حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي، بينما تعتمد الحكومة المحلية دائماً على عدد الناخبين في المنطقة أو المحلة" 853.

أحدثت قرارات المؤتمر الصهيوني الأول في ما يتعلق بإنشاء كيان صهيوني يهودي في فلسطين ردود فعل لدى العرب، وإن كانت تكاد لا تلمس بصورة مباشرة، ويتضح ذلك من خلال ما لاحظته إلبرت عنييتي في القدس - وهو القريب من نبض المجتمع الفلسطيني - فقال: "إن إقرار المؤتمر الصهيوني الأول لأهدافه المتمثلة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، قد أثر سريعاً في العلاقات بين العرب والمهاجرين اليهود في المدن الفلسطينية" 854.

من أولى ردود الفعل العربية التي أعقبت انعقاد المؤتمر بهذا الخصوص، الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897 إلى صحيفة المقطم بعنوان "مملكة صهيونية"، أكد خلالها أن هدف المؤتمر هو "المفاوضة في مشترى أراضٍ فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار أورشليم في الدولة العلية، وجعلها مملكة إسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية، وعاصمتها القدس الشريف" 855. وعلى الرغم من أن أرسلان عرض باستقاضة مقررات مؤتمر بال، حيث أشار إلى أن الحزب الصهيوني يدأب إلى إنشاء وطن للإسرائيليين في فلسطين تضمنه شرائع وثيقة، وحديثه عن الآلية التي اتخذتها لتنفيذ مثل هذا الأمر، إلا أنه عند حديثه عن وجهة نظره حول هذا الأمر، قال: "لست أظن أن تلك المملكة يتم إنشاؤها كما يريدون، وربما اكتفوا بتوسيع نطاق مستعمراتهم هناك، وأقلعوا عما يسهل فكراً وقولاً، ويصعب أو يستحيل فعلاً" 856.

ويأتي قول أرسلان هذا ليناقض ما كان قاله في موضع آخر من المقال نفسه، وذلك عندما أجاب على افتراضه أن القراء يعدون تحقيق تلك الأمانى أضغاث أحلام، ليؤكد بأن الإسرائيليين فكروا في هذا الأمر، وشرعوا فيه منذ سنوات، ليستعرض نشاطهم في هذا السياق 857.

وكانت مجلة المشرق ممن تطرق بشكل مبكر جداً إلى نية اليهود إقامة دولة مستقلة، ففي عددها الصادر عام 1899 قالت: "إن غاية اليهود في مساعيهم لدى السلطان العثماني، هو أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة في الأراضي المقدسة التي كانت قبل المسيح" 858.

كانت الصحافة سباقة إلى إثارة المخاوف حول مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية؛ ففي صحيفة الأهرام، كتب فرح أنطون بعنوان "الحمام الإسرائيلي، ووطنه القديم"، في 17 كانون الأول/ديسمبر عام 1898 حول تأسيس كبار اليهود "المجتمع الصهيوني"، ودوره في تمهيد السبيل للاستيلاء على أورشليم، وجمع المال من أغنياء اليهود من أجل شراء فلسطين، بقصد العودة إليها، وإعادة التمدن اليهودي فيها، بحجة أن الأرض أرضهم وأرض أجدادهم قبلهم 859.

في 29 نيسان/أبريل عام 1899 أكد الأمير شكيب أرسلان في مقال له بعنوان "الإسرائيليون في فلسطين" على أن "مقصد الصهيونية هو إعادة ملك فلسطين، واسترجاع أرض الميعاد، وضم اليهود تحت راية واحدة في وطنهم القديم" 860.

يبدو أن هذا الوعي بدأت تتسع أطره نوعاً ما، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره عنيتبي عام 1900، بأن المسلمين الأيمنين سألوه عن صحة ما يشاع بأن اليهود يريدون استعادة هذه البلاد، وبأنه بعد ما يقارب السنة والنصف أخبره بعض الشباب المسلمين بأنهم على استعداد للتضحية بأخر قطرة من دمهم على أن تقع الصخرة المشرفة بيد غير المسلمين 861.

اهتمت بعض الصحف- وخصوصاً صحف الاغتراب، بأخبار اليهود الصهاينة ونشاطاتهم خارج الدولة العثمانية، ومنها صحيفة الهدى التي أوردت في عددها الصادر في 25 أيار/مايو عام 1901 خبر عقد اليهود في بوسطن اجتماعاً "بحثوا فيه مستقبل اليهود وموقفهم بين الأمم، وما صنعتها الأمة اليهودية في القرن التاسع عشر، وما وصل إليه بعض أفرادها من النفوذ والوجاهة، كما بحثت أمر إنفاذ مبشري اليهود يطوفون الأرض، ويثبتون إخوانهم الإسرائيليين في ديانة آبائهم، ليحفظوا الأمة من الانقراض، وليتمكنوا وقتاً من الأوقات من استرجاع مجدهم القديم، ورد عظمتهم السابقة" 862.

هذا ما نقلته الصحيفة حرفياً، واكتفت به، إذ يبدو أنها لم تجد في هذا الكم من المعلومات ما يثير حدسها وحاستها الصحفية للبحث عما وراء الخبر، وربطه بنشاطات الصهاينة ومؤتمراتهم، وتحذير أبناء جلدتهم مما هو آتٍ، وما يراد ببلادهم. وقد أشارت الصحيفة في العدد ذاته إلى احتفال اليهود بذكرى مرور 5662 سنة على إعطاء الله النبي موسى الوصايا العشر على جبل سيناء، حيث

أقاموا بهذه المناسبة الحفلات باعتباره اليوم الذي أظهر الله محبته وعنايته بشعبه المختار 863.

في 29 كانون الثاني/يناير عام 1902، وتحت عنوان "حياة أمة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، كشف محمد رشيد رضا عن التحايل التي كانت تتبعه الجمعية الصهيونية في الكشف عن مساعيها في جعل فلسطين مقر ملكهم وعرش سلطانهم، فقال: "إنها لم تكن تُظهر في أول الأمر طلب الملك، وإنما كانت تتظاهر بحب نقل الفقراء اليهود والمخرجين المنفيين إلى بلاد فلسطين ليعمروها، ويعيشوا في ظل السلطان آمنين، وكأنها وثقت بقوتها الآن، فخرجت من مضيق الكتمان"، وأضاف رضا بأن أحد زعماء الصهاينة وهو زانغويل إسرائيل Israel Zangwell - وبعد لقاء له منذ أشهر مع السلطان للمساومة في شراء القدس الشريف- قد أكد في خطبة له: "بأن اليهود سيرجعون بكثرة إلى فلسطين، إلى مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها من سماء أفكارهم" 864.

في عام 1903 عاد رضا ليوجه الاتهام إلى اليهود وبصراحة أكثر، من أنهم يعملون على الاستقلال بفلسطين، وإقامة دولة جديدة لهم فيها 865.

وأكد مثل هذه الاتهامات ما كان يرد على لسان بعض قادة الصهاينة ومؤيديها؛ ففي عام 1904 كتب مكاريوس يصف حال الأمة الإسرائيلية بقوله: "مرّ على الأمة الإسرائيلية أدهار طويلة، وهي تضرب في أنحاء الأرض هائمة على وجهها، لا يستقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال من شدة ما انتابها من نوازل الأقدار، التي هدمت أركان عزاها، وقوضت دعائم مجدها، وذهبت بدولتها ربيعة الشأن، حتى تفرق شمل اليهود في جميع الأمصار، ولكنها كانت مع ذلك رغم الدهر رانية في لم شعئها وجمع كلمتها وضم جامعتها، تدافع عن كيانها بالصبر وثبات الجأش، والرضوخ لأحكام الأقدار" 866.

وشاهين مكاريوس اليهودي الذي كان يعيش في مصر، ونشر فيها كتابه تاريخ الإسرائيليين، تحدث صراحة عن مجد دولة يهودية غابرة، وعن تطلع وجمع كلمة لإعادة جامعة اليهود، لدولتهم عليّة الشأن 867.

أولاً: الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة

خلال الفترة 1904-1908

ترسخت المخاوف بسعي الصهيونية إلى إقامة دولة أو كيان مستقل في فلسطين، وأخذت تبرز بشكل أوضح عام 1905، وذلك بعد موجة الهجرة اليهودية الثانية المتدفقة على ميناء يافا، وذلك بعد فشل ثورة روسيا عام 1905، وبتحريض من الحركة الصهيونية التي تبنت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين 868.

شكّل نجيب عازوري حالة وعي متميزة لمساعي الصهيونية إلى إقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين، وقد بدا ذلك جلياً في كتابه يقظة الأمة العربية، الذي صدر عام 1905، وتحدث فيه عن جهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة، وبأن مساعهم هذا جاء معتمداً على التفسير الحرفي والمادي للتوراة، فيقول: "إننا لا

ننوي نقد الطريقة التي تفسر بها الكنيسة المسيحية الكتاب المقدس، نحن نجل التعليم الكتابي المسيحي لأن المعنى المجازي والروحاني الذي يضيفه اللاهوتيون المسيحيون على قصص التوراة أخلاقياً تماماً، ويرفع كثيراً من قيمة العهد القديم، بينما التفسير الظاهري والحرفي الذي يقتصر عليه اليهود، يجعل هذا الكتاب خطيراً ولا أخلاقياً، ويشكل إدانة رهيبية لهم"، وأكد عازوري على أن مطالبتهم بإقامة هذه الدولة سينجم عنه تصارع القوميتين العربية واليهودية 869.

في طرحه هذا، يقدم عازوري وعياً شاملاً لحقيقة الصهيونية، سواء من حيث اعتبارها مستندة إلى فكرة القومية المستقلة التي تدخل في صراع وجودي مع القومية العربية، والذي يجب أن يتم بمعزل عن الدولة العثمانية لعجزها عن مواجهة الصهيونية، أو من حيث فهمه ووعيه حقيقة نشاطها وآلية عملها، ولعل ذلك يعود لاتصاله المباشر مع هؤلاء أثناء وجوده في فلسطين وخدمته هناك.

على الرغم من أن كتاب عازوري لم يحصل على الاهتمام الذي يستحقه على الساحة العربية، إلا أنه كانت له أصداء وأثر لدى الطرف الآخر من المعادلة وهم الصهاينة؛ ففي المؤتمر الصهيوني السابع في آب/أغسطس عام 1905 جاءت تصريحات ماكس نورودو رئيس المؤتمر لتتفي ما وجهه عازوري من اتهامات، فقال: "بأن الصهيونية لا تحلم بالتآمر على سلخ فلسطين عن الإمبراطورية العثمانية، أو إعلان قيام مملكة أو جمهورية يهودية مستقلة، ووضع الحركة وإمكاناتها وطاقت اليهود بتصرف الحكومة العثمانية، واستعداداً للدفاع عن فلسطين ضد حركة اليقظة العربية، التي يعترف بسعة انتشارها آنذاك، وأن اليهود مع احترامهم الكامل لحقوق السكان الأصليين، ليسوا على استعداد للسماح بأي تهجم على سلطة الباب العالي أو خرق لها، لا بل هم يجندون كل قواهم للدفاع عن السلطان" 870.

في السياق ذاته، يأتي التقرير الذي بعث به قائمقام يافا محمد آصف بك إلى متصرف القدس أكرم بك في 26 حزيران/يونيو عام 1906 إشارة واضحة إلى هذا الوعي، حيث عرض فيه خطر الوجود اليهودي والمتمثل بإعلان اليهود حكومة مستقلة بهم كما حصل مع الأرمن 871.

يستدل بعضهم على رفض الحكومة المصرية المشروع الصهيوني للاستيطان في العريش، كأول إشارة إلى معارضة العرب ووعيهم إقامة وطن يهودي في أراضيهم 872، إذ فشل الصهاينة في إقناع السلطات المصرية عام 1906 بالسماح لهم بتأسيس دولة يهودية في شبه سيناء 873، وهذا أمر يجانب الصواب؛ فالسلطات المصرية وافقت على المشروع، في حين رفضها المعتمد البريطاني كتشنر (Lord Kitchener).

عرضت مجلة المقتطف في كانون الثاني/يناير عام 1908 كتاباً بعنوان القاهرة والقدس ودمشق، من تأليف مرغوليوث، وهو - وفقاً لتعريف المجلة- أستاذ للعربية في مدرسة أوكسفورد الجامعة، الذي تناول فيه تاريخ هذه العواصم، حيث ركزت المجلة في حديثها عن تاريخ أورشليم عاصمة اليهود، وبأن الزمن الذي كانت فيه

هذه المدينة عاصمة لليهود قصير جداً يشمل عصر داود وسليمان، وعلقت المجلة على ذلك، بقولها: "ولو أبقى ملوك اليهود في مدنهم آثاراً منقوشة ومكتوبة كما أبقى ملوك مصر وبابل وأشور لكان الاستدلال على تاريخهم أسهل وأدق، نعم إن التوراة تذكر تاريخ اليهود وأسلافهم بالتفصيل من الخليفة إلى قرب زمن المسيح، ولكن علماء التاريخ يفرضون أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا تابعين لملة أخرى، وهم يبحثون في الأخبار التاريخية، فيجرحون تاريخ التوراة كما يجرحون تاريخ هيرودوتس، ولا يقبلون منهما إلا ما تؤيده الآثار، وينطبق على العقل ولا يناقض العلم، شأنهم في ذلك شأن الطبيب والفلكي والكيميائي والطبيعي" 874.

ثانياً: الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة ما بعد

### الانقلاب الدستوري عام 1908

أدى الانقلاب الذي قاده الاتحاديون ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، وما تبعه من تطورات أسفرت عن تنحيته في نيسان/أبريل عام 1909 إلى توجيه الاتهام للصهاينة بالضلوع بالمؤامرة ضد السلطان بالتعاون مع الاتحاديين، وبدأت الأصوات العربية تتعالى بهذا الشأن؛ فنجيب نصار عام 1909 اتهم اليهود بتدبير الثورة على السلطان بهدف إحداث الفرقة بين الأتراك والعرب من أجل هدم الإمبراطورية العثمانية، وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها 875.

مما يؤكد هذا الاتهام الرسالة التي بعث بها السلطان عبد الحميد الثاني إلى معلمه شيخ الطريقة الصوفية أبي الشامات، ويذكر فيها أن سبب تخليه عن الخلافة هو الضغط الذي تعرض له من قبل تركيا الفتاة للمصادقة على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة "فلسطين"، وعرضهم عليه مبلغ مئة وخمسين ألف ليرة انكليزية ذهباً، ورفضه العرض بشكل قطعي، لذلك خلعوه وأبعدوه إلى سلانيك، ولينهي رسالته بالحمد بأنه لم يلطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الناشئ عن إقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة 876.

يبدو أن مساعي الصهاينة داخل فلسطين وخارجها خلال مرحلة حكم الاتحاديين من أجل إقامة دولة لهم في فلسطين، كان من الكم بحيث استنقر الكثيرين؛ ففي حديثها عن اليهود في صدد، أشارت صحيفة الاتحاد العثماني في 15 تموز/يوليو عام 1909 إلى تشكيلهم الجمعيات التي كان أحدثها "جمعية الاتحاد الإسرائيلي العثماني"، والتي عينوا لها اثني عشر رئيساً، ونقشوا لها خاتماً، حيث شككت الصحيفة بحقيقة مبادئ الجمعية بأنها قاصرة على وقاية حقوق الفقراء، وبأن ذلك قول حق أريد به باطل 877.

أشار أحد كتاب صحيفة الأهرام في 6 تموز/يوليو عام 1909 إلى أن الغاية من تأسيس الجمعية الصهيونية المعروفة "بالسيونيزم"، هو جعل البلاد الفلسطينية وطناً مستقلاً، ومملكة حرة لليهود، مستنداً في إثبات صحة ذلك إلى أهم ما كتبه الكتاب اليهود في هذا الصدد، وخصوصاً كتاب "المملكة اليهودية" لهرترل 878.

كشفت مراسل صحيفة المؤيد في نيويورك في 21 تموز/يوليو عام 1909 عن نية جمعيات الماسون المتفرقة في أنحاء العالم إعادة بناء هيكل سليمان في أورشلين، كما كان قديماً في عهد الملك الحكيم، وفي ختام الخبر الذي أورده مراسل الصحيفة كتب معلقاً: "فإذا ثبت الماسون على عزمهم في إخراج هذه الفكرة من وراء جدران المحافل إلى حيث يراه الناس حقيقة مجسمة، عاد إلى أورشلين مجدها الزائل، وقامت روح الملك سليمان في مقرها، بعمل أتباعه ولو بعد مرور الأجيال الطوال... وإن إعادة بناء هذا الهيكل إذا صحت، تعد من الأعمال العظيمة التي تستحق الشكر والذكر" 879. على الرغم من أن كاتب المقال أشار إلى أن الصعوبات المالية قد تم تذليلها من أجل بناء الهيكل، لتوافره لدى الجمعية، وبأن مدة البناء لن تستغرق ثلث المدة الزمنية التي استغرقتها في عهد بانيه الأول، إلا أنه نوّه إلى أن هناك "بعض الصعوبات الوطنية في القدس" 880.

إن ما يثير التساؤل هنا ليس ما تحدث عنه صاحب المقال - لأنه يبدو أنه من منتسبي الجمعية الماسونية، يدلل على ذلك الصيغة الحماسية التي كتب فيها، ولأنه لم يوقع المقال باسمه، واكتفى بالتوقيع بأرقام بدلاً من اسمه - بل نشر الصحيفة هذا الخبر بلا تعليق منها، وخصوصاً إذا ما ربطناه بطبيعة المدة الزمنية التي نشر فيها المقال سواء من حيث ما كان معروفاً من تعاضد الصهيونية والاتحاديين، أو بما يتعلق بمسألة مساعي الصهيونية لتحقيق مشروعهم ليس في فلسطين فحسب، بل وبالمنطقة العربية، ولما كان شائعاً آنذاك من أن الصهيونية والماسونية هما وجهان لعملة واحدة.

لم تكتفِ صحيفة الكرمل بالتحذير من نية الصهيونية إقامة دولة مستقلة في فلسطين، بل شككت في تموز/يوليو عام 1909 بالأسس التاريخية التي استندت إليها الصهيونية لتبرر دعوتها هذه، وقالت: "فإن كانوا يدعون ذلك لأن أجدادهم امتلكوها بحق مفتوح، فقد امتلكتها بعدهم أمة بالحق نفسه، وإن كانوا يبنون دعواهم على قول التوراة، يكون الحق عز وجل أعطاها ملكاً لإبراهيم، فالحق نفسه يأخذها من أيديهم، فضلاً عن كون أمم كثيرة تفرعت عن نسل إبراهيم غير الطوائف اليهودية" 881.

أما يوسف الخالدي، فقد حذر في الوثيقة التي نشرها في 7 تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 من قيام دولة يهودية في فلسطين، لأن ذلك سيكون له نتيجة حتمية، وهي اندلاع صراع دموي ناجم عن المعارضة العربية الشديدة لقيام مثل هذه الثورة، مقترحاً لحل المشكلة اليهودية في أوروبا، إيجاد وطن قومي لهم خارج فلسطين 882.

استشهدت مجلة النعمة بالمستعمرات التي يشيدها الصهاينة في مدن معينة كأورشليم ويافا وأرجائها وحيفا وصفد، لتدل على مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية. وقد جاء ذلك عند حديثها في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909 عن النشاط الإسرائيلي في فلسطين، وتحديدًا جمعيتي "أحباء صهيون"، وجمعية "مساعدة فلاحي وصناع اليهود في فلسطين والشام"، والتي - وفقاً للمجلة - "غايتها لا تزال

واحدة، وهي مساعدة المهاجرين الإسرائيليين في فلسطين في تأسيس مملكة مستقلة”883.

نشرت صحيفة الأهرام في نهاية عام 1909 رسائل مراسلها في فلسطين حول “قلق الفلسطينيين من الحركة الصهيونية، واتهامها بأنها تهدف إلى إقامة دولة صهيونية مستقلة”884.

على الرغم من النقاش الذي جرى حول هذه النقطة في الأوساط العربية والعثمانية، ووضوح المساعي الصهيونية إلى تحقيقها، إلا أنه كان هناك من يخرج من بين هذه الأوساط، لينفي وجود مثل هذا التوجه لدى الصهاينة؛ فصحيفة جراب الكردي في 31 آذار/مارس عام 1909 نفت المزاعم بأن لليهود أطماعاً في إقامة حكومة يهودية في فلسطين885.

دحضت الصهيونية كل تشكيك بتطلعاتها المستقبلية من أجل إقامة دولة، وذلك عندما أنشأت عام 1909 مدينة تل أبيب أو “تل الربيع”، وذلك بعد أن تزايد عدد مستوطناتها واتسعت مساحتها، وكانت الحركة الصهيونية قد وضعت خطة لدمجها مع مستوطنة المنشية، التي أنشأت عام 1888، ووضعتها تحت مظلة مدينة كبيرة مستقلة استقلالاً تاماً عن يافا، وكان لها كيان خاص جداً 886، وتأتي أهمية هذه الخطوة في أنها كانت البداية الفعلية لتشكيل الدولة.

تزايدت خلال عام 1910 مظاهر الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة أو كيان يهودي صهيوني، ومثال ذلك تغطية مجلة الاتحاد العثماني- وإن لم تعلق أو تبد رأياً في ما نقلته- للمؤتمر الصهيوني التاسع في 10 كانون الثاني/يناير عام 1910، وخطاب الزعيم الصهيوني ماكس نورودو، الذي أثار فيه نقطة مهمة جداً، حين تحدث عن “رغبة الصهاينة في مساعدة تركيا في نهضتها الجديدة، ولكن بصفة شركاء أحرار وجدوا جنسيتهم بعد أن فقدوها منذ ألفي عام، لا بصفة مستعمرين أو أجنبان يتاح لهم النزول في الممالك العثمانية”887. لم تعلق الصحيفة على هذا الخطاب رغم خطورته ودلالاته، سواء من حيث صيغة الخطاب الصهيوني مع الحكومة التركية، والذي اتسم بالندية، أو الحديث عن أنهم أصحاب حق، وبأن المطالبة به أمر مشروع.

أما صحيفة الكرمل، فقد علقت على انعقاد المؤتمر في 22 كانون الثاني/يناير عام 1910، بقولها: “ويعلم القارئ مما كتبتة الصحف المصرية والأجنبية، ومما يصرح به بعض أركان هذه الجمعية أن الغرض من تأليفها إعادة مملكة بني إسرائيل القديمة إلى حالها، وحمل اليهود المشتتين في أقطار العالم على الاندماج في سلك هذه الجمعية، ليعملوا يداً واحدة في هذا المشروع الكبير الأهمية، وكفى باتخاذ الجمعية اسم صهيون الجبل المقدس الذي شاد داود النبي عليه عرش الملك الإسرائيلي بعد طرد اليبوسيين منه، ولا يخفى ما في قلوب الإسرائيليين من الحنين إلى صهيون عرش ملوكهم الأقدمين”. ولتدلل الصحيفة على صحة أقوالها هذه، أوردت تصريحاً لرئيس المؤتمر الصهيوني، أكد فيه “أن الصهيونية ترمي إلى إيجاد وطن ثابت في فلسطين لليهود المشتتين في العالم الذين لا يريدون أن يندمجوا



في العناصر العائشين بينها، وإذا كانت هذه الطائفة تسعى وراء إيجاد وطن دائم لها في فلسطين فلأن أفرادها لا يريدون أن يعيشوا كالغرباء أو كالضيوف، بل هم يرغبون متابعة حياتهم الوطنية التي انقطعت منذ ألفي سنة ولكنها ظلت متواصلة في قلوبهم "888.

حذرت صحيفة المقتبس في 15 آذار/مارس عام 1910 من تكرار مأساة الأندلس، "ولكن هذه المرة في فلسطين وعلى أيدي الصهاينة الذين يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل ذلك، فنحن لا نخشى كما يتوهم البعض من قيام الدولة الإسرائيلية بعد كبوتها ألوفاً من السنين، ولا هم يحلمون بذلك لأنه ضرب من المحال، ولكننا نخشى أن ينبذ الدخيل الأصيل، ونخرج من بلادنا أفواجاً، ثم نميل بوجهنا إلى بقعتنا النظرة فنكبها ونرقبها، ويصيبنا ما أصاب الأندلسيين... "889.

عادت الصحيفة ذاتها في 4 أيلول/سبتمبر عام 1910 للحديث عن الاستعدادات الصهيونية من أجل إقامة الدولة- ولا سيما بعد أن ملكوا المال والنفوذ في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان، وسيطروا على زمام الاقتصاد فيها- فقالت: "أسسوا جمعية باسم (الجمعية الصهيونية)، فدخل في هذه الجمعية ألوف من الإسرائيليين في أنحاء المسكونة على اختلاف تابعياتهم ومواطنهم، ولكل مقصد واحد ووجهة واحدة، ولما تيسر لهم المال والاتحاد لم يبق عليهم إلا إعداد المسكن الذي يكون لهم ملجأً وأساساً للعمل أي لتأسيس جامعة فخيمة بإعادة دولتهم القديمة... وهم في الحقيقة لا وطن لهم ولا وطنية، بل يؤملون بأن ستكون لهم فلسطين وطناً في المستقبل" 890.

يلاحظ هنا، أن الصحيفة وبعد أن اعتبرت قيام دولة يهودية ضرباً من المحال، عادت وخلال أشهر قليلة إلى الحديث عن قرب تحول المحال إلى واقع من خلال عرضها النشاط الصهيوني لإقامة كيان لهم في فلسطين، وإن كانت لم تفرق في ما سيكون شكله وطناً كان أم دولة.

أما صحيفة المؤيد، وفي معرض حديثها عن مدينة يافا في 17 نيسان/أبريل عام 1910، فانحصرت تعريفها لها بأنها "الباب الوحيد لأرض الميعاد، والمينا القريب للأراضي المقدسة... وهي باب محط رحال الإسرائيليين لزيارة أرض آبائهم وجدودهم، التي لأجلها تركوا مصر وأراضي الفراعنة" 891.

دأب محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار على التنبيه إلى أن المشروع الصهيوني لا يتوقف عند إيجاد ملجأ لليهود المضطهدين في بعض دول أوروبا، وإنما يتعدى ذلك إلى امتلاك فلسطين، وإقامة كيان سياسي يهودي فيها، ففي مقال له بعنوان "الخطر على الدولة العثمانية من اليهود"، في 2 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، قال فيه: "وقد كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقوموا فيه ملك إسرائيل، وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الأرض هناك، وهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة، لتساعدهم على ما يبتغون". وبعد تحذيره من خطرهم ذكر رضا بالشأن العظيم الذي لبيت المقدس لدى

المسلمين والنصارى كافة، و"بأن تغلب اليهود فيه ليقموا ملك إسرائيل، ليجعلوا المسجد الأقصى (هيكل سليمان) - وهو قبلتهم - معبداً خالصاً، سيشتعل نيران الفتنة"892.

أما رفيق العظم، فقد رأى في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910- ومن خلال حديثه عن "اليهود في فلسطين والجمعية الصهيونية"- بأنه على الرغم من أن "هدف الصهيونية هو استعمار بقعة من الأرض ليقموا عليها "ملك إسرائيل"، لكن الخلاف قائم بينهم حول تحديد هذه البقعة بين من يرى أنها "أورشليم" لا غير، ومن يقبل بأي مكان مناسب لتقام عليه الدولة اليهودية"، وأبدى العظم اعتقاده باستحالة قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، وليدلل على صحة قناعته هذه، ساق عدداً من الصعوبات التي تحول دون قيام مثل هذه الدولة في القدس: كمعارضة الشعوب المسيحية، ومعارضة قطاع واسع من اليهود لخشيتهم من أن يفقدهم وجود كيان سياسي لهم حقوق المواطنة في بلادهم، ثم معارضة الدولة العثمانية893.

مما يستغرب له في ما كتبه العظم، عدد من المتناقضات تتم عن قصور إلى حدّ ما في الوعي، ويتجلى هذا القصور في ما يلي:

- أن هذه الأقوال تبدو وكأنها صادرة عن شخص مغيب عما يجري من نشاط صهيوني على مختلف الأصعدة من أجل امتلاك فلسطين، ومغيب أيضاً عن حركة الاستيطان الواسعة التي كانت تشهدها فلسطين، وهو أمر يتناقض مع حقيقة ما كان عليه العظم، فهو من أبرز المثقفين العرب آنذاك، إضافة إلى أنه من الشخصيات الحزبية والسياسية، وقريب من مركز القرار السياسي، وعلى اتصال مع القاعدة الشعبية على اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

- قوله إن الخلاف بين الصهاينة على موقع دولتهم المقبلة لا يزال قائماً؛ فهم في حقيقة الأمر حسموا أمرهم، ويعملون استناداً إلى ذلك، ومن أجل غاية واحدة استملاك فلسطين- وفي حال سمحت الظروف يتوسعون في أماكن أخرى- وإذا كان هناك من يعارض هذا التوجه، فهم نسبة تكاد لا تذكر من حيث العدد والتأثير والوزن السياسي.

فندت صحيفة الكرمل أقوال العظم هذه في 20 كانون الثاني/يناير عام 1911، وفقاً لما يلي:

- انطلاقاً من أن الواجب يقضي علينا مداركة أقواله لما يمكن أن تحدثه من تأثير في تقليل اهتمام الحكومة والصحافة والوطن بالخطر الصهيوني، فقوله إن المعارضين عن ضيق سوريا من دون أموال الإسرائيليين وقوتهم وتجارتهم وعديدهم لا يمنعهم عن السعي إلى منشودهم، كما أن ضيق جزر بريطانيا على الإنكليز وأموالهم وتجارتهم لا يحملهم على إهمالها وإقامة ملكهم في بلاد أوسع.

- وقوله إن الدول النصرانية لن تسمح بوجود مملكة إسرائيلية في فلسطين لئلا يصير بيت المقدس إلى اليهود، فهو قول غريب في بابه لأن بيت المقدس الآن بيد المسلمين فما الذي يدعو الدول أو الشعوب النصرانية إلى تفضيل بقائه في أيدي

المسلمين على انتقاله إلى أيدي اليهود، والذي نعلمه أن فكرة إقامة دولة يهودية في سورية غالبية في أوروبا حتى وفي بعض الدوائر السياسية الأوروبية، ولكنها لم تطبخ بعد، ثم أن الذي يهتم المسيحيين من بيت المقدس كنيسة القيامة ومحال أخرى يتركها اليهود حرة لهم، لأن الذي يهتم به اليهود هو بيت المقدس والحرم الإبراهيمي القائم على أنقاض الهيكل القديم وجبل صهيون مدينة داود القديمة، وهذان المحلان في أيدي المسلمين. هل يجوز ترك المصالح السياسية والاجتماعية لرحمة الدول النصرانية وتعليق الآمال بحمايتها عليهم؟

- ختمت الصحيفة بقولها: "وعندنا إن أقوال المعارضين للجمعية الصهيونية ليست إلا من باب ذر الرماد في العيون لإيهام العثمانيين خلاف الحقيقة، لأن اليهود المستعمرين كلهم وقسم كبير من اليهود العثمانيين يعملون لغاية واحدة وهي امتلاك أرض آبائهم، فجمعية الإيكا الاستعمارية الإسرائيلية تتظاهر بمخالفة الصهيونيين على خط مستقيم، ولكنها في الحقيقة تعمل وإياهم لغرض واحد، فهي تشتري ما تصل إليه يدها من الأراضي وتسكن المهاجرين الإسرائيليين في موضع الوطنيين، وتعلمهم مقاطعة الأهالي وتقاطعهم هي بنفسها بقصد إضعافهم" 894.

شهد عام 1911 تنامياً في الوعي العربي لخطر الصهيونية في إقامة دولة مستقلة في فلسطين، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، منها تصدي عدد من المفكرين لفصح الصهيونية وأهدافها من أمثال نجيب نصار وروحي الخالدي وشكري العسلي وغيرهم، وإثارة المسألة الصهيونية في جلسات مجلس المبعوثان أكثر من مرة للنقاش. أضف إلى ذلك، وجود عدد من الصحف- وخصوصاً تلك التي تصدر في البلدان العربية- والتي أولت هذه المسألة اهتمامها: كصحيفة المقتبس والكرمل وفلسطين والمنادي والبيان وغيرها من الصحف؛ ففي نداء أو صرخة وجهها نجيب نصار صاحب صحيفة الكرمل، وعبر صفحات المقتبس، تحت عنوان "نصب صلاح الدين بين الناصرة وطبريا"، في 15 كانون الثاني/يناير 1911، قال: "والله لو كان عندنا نصف ما كان عند أسلافنا من الحماسة والنخوة الوطنية والغيرة على الجامعة العثمانية، لما حلم الصهيونيون باسترداد بلاد أجدادهم بالمال، وإعادة ملك إسرائيل القديمة إلى سورية وفلسطين" 895.

أشارت صحيفة المقتبس في الأول من شباط/فبراير عام 1911 إلى "أن اليهود قبل سنتين من هذا التاريخ كانوا يخلصون النية للدولة العثمانية ولية أمرهم، أما بعد ذلك فإن اليهود الألمان والروس منهم يرمون إلى تأليف شعب مستقل أو إعادة المملكة إلى سابق مجدها" 896. عبر الصحيفة ذاتها، حذر أحد أهالي طبريا قائد الحملة الحورانية سامي باشا الفاروقي من الاجتماع الذي عقده الجمعية الصهيونية في مستعمرة الملاحه احتفالاً بذكرى هرتزل، وما رافقه من مظاهر تثبت للحكومة مقصد الصهيونية في تأليف مملكة يهودية في فلسطين 897.

أما صحيفة فلسطين، فقد عكست وعيها وفهمها من خلال التركيز على محاولات الصهيونية تجذير وجودها في فلسطين، وإضفاء مظاهر الاستقلال الذاتي عليه؛ فبدأت على مطالب الصهيونية بتعيين حاكم يهودي في إحدى المدن الفلسطينية، قالت

الصحيفة: "إن فلسطين تنتفع كل الانتفاع من تعيين حاكم إسرائيلي، ولكن بعد أن يغادرها كل من لا ينتسب لإسرائيل، ليكون حاكماً واحداً لشعب واحد" 898.

في مجلس المبعوثان، شكّل سعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين محوراً لبعض جلساته؛ ففي الأول من آذار/مارس اتهم مبعوث كوملجنة ورئيس حزب الأهالي إسماعيل حقي الحكومة بتنفيذ سياسة الصهيونية الرامية إلى تأليف مملكة يهودية، مقابل منح الحكومة القرض المالي الذي كانت تسعى إليه 899. وقد أيد كل من نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك أقوال حقي بك وملاحظاته، وكذلك فعل نائب بيروت رياض الصلح في جلسة 8 آذار/مارس عام 1911، مؤكداً أن يهود الخارج، وليس الموسويون العثمانيون هم الذين يسعون إلى تشكيل دولة في فلسطين 900.

في الجلسة التي عقدها المجلس في 3 أيار/مايو عام 1911- وبعد أن طرح موضوع الصهيونية- رد نائب القدس روجي الخالدي على تساؤل للنائب اليهودي نسيم مزلياح عما إذا كان موقفاً بإمكان تشكيل حكومة يهودية في المملكة العثمانية، بأن لهم خيالات كهذه، وليستطردهم بالقول إن واضعي هذه الفكرة هم اليهود الذين طردوا من بلاد الروس، وبأن من وراء هذه الفكرة ويروج لها، شخص يدعى "فيدرهل هديزه" هيرتزل الذي نشر عام 1896 رسالة بعنوان "الدولة اليهودية" 901.

مما يستوقف المرء في عرضه مجريات هذه الجلسة، الملاحظات التالية:

- إن طرح الخالدي جاء على استحياء، إذا ما قورن بضاورة الطرح الذي قدمه إسماعيل حقي في جلسة الأول من آذار/مارس، حيث رد الصدر الأعظم على اتهاماته بقوله: "لا أنكر وجود جمعية صهيونية في أوروبا تسعى إلى تكثير الموسويين في فلسطين، وتأليف دولة إسرائيلية في ما بعد، إلا أن الموسويين أنفسهم سخروا من هذه الفكرة، لأن تأليف الحكومة ليس بعدد السكان، والأسطورة هي تحقق فكرة أشخاص معدودين إذا كانت على هذه الصفة، وإذا كان في هذه الأرض أمة واحدة لا تتخضع بالخيال فهي أمة إسرائيل" 902.

- إن نائب القدس- على الرغم مما لديه من قناعات وحقائق حول ما تسعى إليه الصهيونية، وما قامت به بالفعل على أرض الواقع، بحيث أصبحت حقيقة ملموسة، لا يمكن إنكارها آنذاك- اعتبر الأفكار الصهيونية لدى اليهود هي "خيالات" 903.

- إن الطريقة التي تمت فيها إنهاء موضوع المناقشة في موضوع الصهيونية خلال الجلسة، والانتقال إلى موضوع آخر من دون أن يولد هذا الانتقال السلس المتعمد أية معارضة أو إصرار من قبل النواب العرب لاستئنافه، ووقعوا في مصيدة النواب اليهود في المجلس، الذين تمكنوا من مسخ الموضوع على أهميته.

في جلسة 16 أيار/مايو عام 1911 قدم روجي الخالدي شرحاً موسعاً عن المسألة الصهيونية، ليخلص إلى القول إن المخططات الصهيونية ترمي إلى تأليف أمة لهم

في فلسطين بعد استيطانها. وأكد نائب دمشق شكري العسلي في الجلسة ذاتها أنهم يسعون إلى تأليف دولة يهودية 904.

في كتابه الصهيونية الذي نشره عام 1911، رد نجيب نصار على أقوال الصدر الأعظم بأن الصهيونية ونشاطها مجرد أو هام- ليناقض بذلك نفسه، في ما قاله في جلسة المجلس- بقوله: "إن الصهيونية الحديثة تسعى إلى تأسيس وطن، حيث تسلطت الحركة على التاريخ اليهودي منذ ذلك الحين، وبأن الحركة التي تتسلط على تاريخ أمة أو تستغله لا يمكن اعتبارها وهمية، ولا يصح وصف القائمين بها بالمتهوسين" 905.

تحدثت صحيفة اللواء في 9 نيسان/أبريل عام 1911 عن الجمعية الصهيونية فقالت: "في أوروبا والعالم المتمدن كله جمعيتان مؤلفتان من اليهود ومحبيهم غرض إحداها وتسمى الصهيونية إنشاء دولة مستقلة من اليهود في فلسطين حيث دالت دولتهم القديمة، وغرض الأخرى- وهي فرع من الجمعية الصهيونية، انفصل عنها واستقل- إنشاء دولة يهودية مستقلة في أي جزء من العالم" 906.

ونقلت صحيفة الأهالي عن صحيفة التايمز في 26 نيسان/أبريل عام 1911، قولها: إن الحركة الصهيونية لم تلبث أن شفت عن رغبة اليهود في التجمع في فلسطين، بقصد تحويلها إلى مملكة يهودية 907.

أما صحيفة الكوثر، فقد حاولت التذكير في 5 آب/أغسطس عام 1911، من خلال مقال بعنوان "فلسطين والجمعية الصهيونية"، بما كانت قد نشرته قبل عام من تاريخه حول فلسطين، وطمع الإسرائيليين فيها لإعادة ملكهم، مع بيان الأسباب التي تدعوهم إلى ذلك، وبأن إعادة إثارة الموضوع مرة أخرى يعود "لطرحة في زوايا الإهمال من جانب ذوي الحل والعقد، لأنهم لا يعبأون بما يجري الآن في أنحاء فلسطين من الدسائس بواسطة هذه الجمعية، وبأن هناك دسائس أجنبية تشتغل في تفريق الوحدة العثمانية، ففلسطين التي بابها القدس الشريف، وغرضها تلك الأنحاء المجاورة، كما عرفناها تسعى لكي تكون دولة على حدة، تخرج عن قاعدة السلطنة العثمانية، وقد أثبتت جميع الجرائد وبعض المبعوثين خطة هذه الجمعية، وأبانت لها سعيها الحثيث لكي تكون دولة مفرزة مستقلة بنفسها" 908.

نقلت صحيفة الكرمل في 21 تموز/يوليو عام 1911 الخطاب الذي ألقاه الزعيم الصهيوني ديفيد ولفنستون (David Wolffshon) في المؤتمر الصهيوني العاشر، الذي أنكر فيه "أن الصهيونية تسعى لإقامة مملكة في فلسطين، وبأنها تبغي وطناً يهودياً يستطيع اليهود أن يعيشوا فيه أحراراً، ويمارسوا عوائدهم بدون ممانعة" 909. كما أوردت في أيلول/سبتمبر عام 1911 خطاب د. أكسون (Axon) مندوب إسرائيل في المؤتمر الصهيوني العاشر، الذي ختم خطابه بالدعاء والدعوة لأن تعقد اجتماعات المؤتمر في العام التالي في القدس 910. يبدو أن هذه العبارة استقرت الصحيفة، فعلقته على ذلك، بقولها: "أنظر أيها القارئ الكريم بماذا يفكر الصهيونيون، ونحن ساهون لاهون، حكومتنا تعد الصهيونية ضرباً من الأوهام،

ولا تتخذ الوسائل لمقاومة تيار عمومي، وفي كلام زعمائهم من المفاخر ما فيه "911".

على الرغم من أن مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة مستقلة كانت واضحة للعيان، إلا أن بعضاً منهم حرص على إنكارها؛ فنسيم ملول في كتابه أسرار اليهود، الذي أصدره عام 1911، تحدث فيه عن فئة من الناس تسعى من أجل الشهرة الشخصية والمنفعة، "فمنهم من زعم بأن الإسرائيليين يجعلون كل همهم الآن في إعادة الملك لإسرائيل، وبرهانهم على ذلك استعمارهم لأراضي فلسطين، ولم يمتنع بعض أولئك الزعماء من إصدار الجرائد ونشر الوريقات لتعميم مذهبهم بين طبقات الشعب.. ولقد قام أحدهم هذين اليومين وكتب مقالاً في جريدة المؤيد، والمقال نفسه بنصه، في جريدة الحقيقة الزاهرة في بيروت، يزعم فيه أن الإسرائيليين يجتهدون في الزراعة والصناعة في فلسطين لقصدتهم بإعادة الملك لإسرائيل، وشق عصا طاعة الدول التي يتبعونها وينبه الحكومة بأن تنتظر إليهم بعين القلق"912.

نقلت صحيفة المقتبس في 20 أيلول/سبتمبر عام 1911، حديث رئيس الجمعية الصهيونية ماكس نوردو، الذي أكد فيه "أن الصهيونية ليست وهماً من الأوهام بل كل من خبر مقدار تشبثنا بها يعلم مبلغ أهميتها... على أن بعضاً من أعداء اليهود يشيعون أراجيف مؤداها أن الصهيونيين ثوار ومرماهم الحقيقي بعد حلول فلسطين المجاهرة باستقلالهم شعباً خاصاً يكون مملكة لها تاج وعرش، وإذ سبق لي التصريح أن هذه الإشاعات ليست إلا أراجيف فلا أزيد عليها شيئاً"913.

شككت صحيفة المقتبس في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 بتصريحات نوردو هذه، وبما صرح به في المؤتمر الصهيوني العاشر، "بأنه ليس للإسرائيليين والصهيونيين في فلسطين أدنى ميل إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، كل ما يرمون إليه أن يصيروا شعباً إسرائيلياً ناجحاً في مملكة عثمانية ناجحة"914.

كشف شكري العسلي في حزيران/يونيو عام 1911 عن محاولة مبكرة من قبل الصهاينة للتفاهم مع العرب بخصوص الحصول على كيان مستقل، إذ "اقترحوا على إخواننا الأحرار من العرب قبل الدستور أن يساعدهم بالمال على شرط أن يسمحوا لهم بفلسطين ليؤسسوا فيها حكومة يهودية، ولكن خاب سعيهم"915.

بقي موضوع إقامة دولة يهودية في فلسطين كغاية تسعى إليها الصهيونية، يثير اهتمام بعضهم في العالم العربي، ويقف بعضهم الآخر منه غير مكترث؛ فصحيفة البيان الصادرة في نيويورك أوردت في 17 أيلول/سبتمبر عام 1912 ما نشرته المجلة الإسرائيلية - الأمريكية حول منح الحكومة العثمانية المستعمرات الإسرائيلية في فلسطين استقلالاً نوعياً في إدارة قضاياها البلدية، حيث رأت المجلة بمثل هذا القرار "خطوة أولى للحصول على استقلال نوعي وطني أوسع، طمع إليه الصهيونيون في العالم، وجاء بعد جهد طويل"916. نقلت صحيفة البيان هذا الخبر - وذلك بالرغم من خطورته، وما يترتب عليه من أمور مصيرية في فلسطين، وما له من دلالات مهمة - من دون أي تعليق أو شرح لأبعاده.

أما صحيفة الكرمل، فكان موقفها مغايراً تماماً، إذ نشرت في افتتاحية كانون الثاني/يناير عام 1912، ما كتبه صاحب المجلات الإنكليزية في مقال بعنوان: "اليهود كعدو للسلام"، جاء فيه: "إن الجمعيات الاستعمارية الإسرائيلية تسعى متضامنة إلى جمع شتات اليهود، وإقامة مملكة يهودية لهم في المستقبل في هذه البلاد"، فعلمت على ذلك بقولها: "نحن نظل نحترم مبادئ الجمعيات اليهودية ومسايعها في خدمة قومية شعبها وإعادة ملكهم ومجدهم، حتى نراها اعتدت على الشرائع والإنسانية، وتجاوزت حقوق الغير وداست مصالح الأقوام الآخرين بلا رحمة تحت أقدامها" 917.

حذرت مجلة المقتبس عام 1912 من أن "دعاة الصهيونية يريدون أن ينشئوا مع الزمن في فلسطين مملكة تكون سداها ولحمتها بيد أبناء إسرائيل" 918.

وجهت مجلة المنار في شباط/فبراير عام 1913 اتهاماً صريحاً لجمعية الاتحاد والترقي بتمهيدها الأسباب للجمعية الصهيونية لامتلاك البلاد المقدسة لإقامة ملك إسرائيل فيها، مستدلة على صحة هذه الاتهامات، بتصريح وزيرهم حقي باشا في خطبة عنانية له "بأن مستقبل الدولة العثمانية لليهود" 919.

كما وجهت صحيفة الكرمل الاتهام في 27 آذار/مارس عام 1913 إلى الجمعيات الصهيونية بأنها تسعى إلى استئصال الفلسطينيين لتحل محلهم، وتوجد لها قومية وتقيم حكومة 920.

اكتفت صحيفة المؤيد في 5 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 بنقل مقال لصاحب جريدة إقدام التركية أحمد جودت- من دون تعليق منها- تحدث فيه عن أن غاية الصهيونية هو إعداد وطن لليهود الذين لم يذوبوا في المملكة التي ولدوا فيها، وبأن معنى الصهيونية تأليف أمة من اليهود، وبأنهم سعوا مع الدكتور هرتزل إلى احتلال فلسطين، وإيجاد حكومة يهودية فيها 921.

أكد روجي الخالدي في كتابه السيونزم أو المسألة الصهيونية، على أن الصهيونيين اصطلموا على نظرية حديثة انتشرت بين يهود أوروبا الشرقية، يراد بها تأسيس دولة يهودية في فلسطين، حيث يهاجر إليها جميع اليهود المتألمين من الاضطهاد المسمى باصطلاح الإفرنج (أنتي سيمنزم)، ليؤسسوا في فلسطين على قواعد ملتهم وطناً خاصاً بهم، تعترف الأمم المتمدنة بوجوده 922.

أما جرجي زيدان، فقد كتب في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913، يقول: "إن اليهود المهاجرين يسعون إلى استرجاع ذلك الوطن غير مرة بأساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي غرضها جمع الشعب الإسرائيلي في فلسطين، وجعلها وطناً خاصاً بهم" 923.

تحدث محمد رشيد رضا في 28 كانون الأول/ديسمبر عام 1913، وبعد عرضه سلسلة من عجائب الأمور - وتحت عنوان "المسألتان الشرقية والصهيونية"- أن من أعجب ذلك كله تصدي جمعية من يهود أوروبا لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة، تتألف من مهاجرة فقراء اليهود الممزقين في جميع

أطراف الأرض بمساعدة هذه الجمعية، فكيف تسمو همة جمعية أسسها رجل من اليهود إلى تكوين دولة من أوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الأرض فيها أقوى الأمم والدول، وتسفل همة أصحاب هذه البلاد عن حفظها لأنفسهم، دع سمو الهمة إلى تأسيس ملك جديد، في قطر قريب أو بعيد،..علم الصهيونيون أن الدول الكبرى لا يسمحن لواحدة منهن بامتلاك مهبط الوحي ومصدر الدين الموسوي والعيسوي، وإنه إذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين، فلا بد من أن تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول، فطمعوا في إرضاء الدول بأن تحل إشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم أصحاب ملك في هذه المملكة، بل طمعوا أيضاً في إرضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك، بل يقال إنهم أفنعوها به، فهي تساعدهم على التمهيد له، لتقطع الطريق على العرب، وتكثر خصومهم في بلادهم” 924.

عاد محمد رشيد رضا في آذار/مارس عام 1914 ليؤكد ما كان قد ذكره سابقاً حول مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وإلى قناعة جمعية الاتحاد والترقي بهذه الفكرة، ودعمهم للصهاينة من أجل تنفيذها، واقتراحه لإفشال مثل هذا الترتيب، أن يتم التفاهم مع الصهاينة 925.

كان إدراك القوميين العرب إصرار الصهيونية على هدفها في إقامة دولة يهودية مستقلة، أحد الأسباب التي أدت إلى تحولهم من السعي إلى التفاهم معها إلى معاداتها، وهو أمر أكده شفيق الحكيم- أحد كتاب صحيفة المقطم- في 14 نيسان/أبريل عام 1914 926.

يؤكد ذلك، ما صرح به محمد المحمصاني، قائلاً: “نحن نقاوم الصهيونية - تلك الحركة السياسية- التي غايتها إيجاد وطن يهودي في فلسطين” 927.

في محاولة منه لتوعية دعاة التفاهم مع الصهيونيين لحقيقة من يتعاملون معه، خاطب نجيب نصار هؤلاء في 29 أيار/مايو عام 1914 بقوله: “الذين يقولون على رؤوس الأشهاد أن فلسطين وطنهم القومي، وهم أصحاب الحق في هذا الوطن؟ فكيف إذاً يمكن الاتفاق مع قوم أجانب يعملون على نزع وطن العرب من أيديهم، وإقامة وطن ملك لهم فيه” 928؟

دفع التطور على طبيعة الوجود الصهيوني في فلسطين بأعيان من القدس ويافا وغزة إلى الاستعانة والاستنجاد بالمنندى الأدبي العربي، ومناشدته في نيسان/أبريل عام 1914 باسم الوطنية، العمل بكل ما لديه من الوسائل لينبه الحكومة ضد ما أسموه بالتيار الصهيوني، الذي يسعى إلى تأسيس حكومة إسرائيلية في فلسطين 929.

خلال عام 1914، وعبر صحيفة المقطم حاول أحد الفلسطينيين وهو محمد عبد الرحمن العلمي التحذير في كتاباته للصحيفة من البعد السياسي للصهيونية مستشهداً بتصريحات زعمائهم القائلة إنه ينبغي ألا يكون لهم غاية سياسية إلا فلسطين، وجعلها وطناً لهم، بامتلاك فلسطين وإن فلسطين للإسرائيليين في الماضي، ويجب أن تكون لهم في المستقبل” 930.



نقلت صحيفة الأهالي في الأول من شباط/فبراير عام 1914 عن صحيفة المانشستر غارديان (The Manchester Guardian) مناقشتها مستقبل الصهيونية، وفي ما إذا كانت ستتحول إلى حركة سياسية ترمي إلى تكوين مملكة مستقلة بنفسها في داخل السلطنة، أو أن تبقى حركة علمية تهذيبية ترمي إلى إحياء اللغة العبرية ونشرها بين اليهود 931. وقد شككت الصحيفة بذلك، إلا أنها خلصت إلى القول "إنه ليس هناك فارق كبير في مسلك الحركة السياسية والحركة التعليمية، وإن العشيرة التي تمكنت من تغذية الشعور نحو الاتحاد على الشعور بالتعليم العام، لا يمكن أن تمتنع بعد زمن يسير عن الاندماج في العمل السياسي" 932.

تعكس تقارير الدبلوماسيين البريطانيين تزايد الوعي العربي والمخاوف من سعي الصهيونية إلى إقامة دولة- أثناء الحرب العالمية الأولى- ففي مذكرة في 12 كانون الثاني/يناير عام 1917، أشار إلى أن "الأوضاع السياسية في فلسطين، وأسباب المعارضة العربية للصهيونية، تعود إلى أهداف الصهيونية السياسية الحديثة، والتي تهدف إلى إنشاء دولة يهودية مستقلة ذاتياً، وإقصاء السكان تدريجياً" 933.

عقب الإعلان عن وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917، أشارت التقارير البريطانية من قلق المسلمين والمسيحيين من قيام حكومة يهودية في فلسطين، وتحديدًا في القدس، وهو الأمر الذي كان له دور في إظهار المسلمين تعاطفًا كبيراً مع ملك الحجاز، واتخاذ خطوات لإبلاغه بذلك 934.

ونقلًا عن صحيفة التايمز اللندنية، أشارت صحيفة الأفكار في عددها الصادر في 2 كانون الثاني/يناير عام 1918، إلى أن هدف اليهود من المساعدة العسكرية في الحرب، ومشاركتهم هو ليس إنشاء إمارة إسرائيلية مستقلة فقط، بل لأجل محاربة الأتراك والألمان أيضاً 935.

### ثالثاً: الوعي العربي لمظاهر إقامة الدولة اليهودية المستقلة

ترافق الوعي العربي لخطورة مساعي الصهيونية من أجل إقامة كيان أو دولة مستقلة في فلسطين مع الوعي لمؤشرات قيام هذه الدولة ومظاهرها، الذي بدأ بشكل مبكر جداً منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، وذلك عندما أصبح اليهود في فلسطين يتمتعون بالحماية الأوروبية لهم، وعندما شعر أهل البلاد بأن اليهود يعيشون في استقلالية عنهم وعن الحكم، وإدارة شؤونهم من خلال الحماية الجديدة 936.

مما ضاعف من زيادة الوعي العربي، ومخاوفهم تجاه هدف الصهيونية إقامة كيان أو دولة، المظاهر التي اتخذتها الصهيونية، وتدل بصورة جلية على جدتها في هذا الأمر والعمل على تحقيقه، ومن أبرز هذه المظاهر إقامة المدارس اليهودية وإحياء اللغة العبرية، واستخدام الطوابع اليهودية، وإنشاء محاكم خاصة باليهود 937.

كانت اللغة العبرية من أهم الأمور التي حرصت الصهيونية على استخدامها وتعميمها، وهي أيضاً من أبرز المظاهر التي استتارت الوعي العربي- وإن كان بشكل متأخر وضعيف نوعاً ما، ولا يرقى لأهمية أمر كهذا- ومما يلفت النظر كثرة

المدارس التابعة لليهود آنذاك، إذا ما قورنت بمدارس الطوائف الأخرى، وعنايتهم بالتعليم الديني الذي يعتبر مصدراً أصولياً في تفسير العلاقة بين اليهود وفلسطين. هكذا، ففي الوقت الذي كان يصر فيه اليهود على تعلم العبرية، كان أبناء البلاد يتعلمون التركية ويدرسون التاريخ العثماني ونسوا ثقافتهم وتاريخهم 938.

من مظاهر اهتمام الصهيونية بالتعليم في المستوطنات تأسيس مكتب (مدرسة) لتعليم العبرية فقط في كل قرية 939، وتفوقت الطوائف اليهودية على غيرها من الطوائف في فتح المدارس 940. وعلى الرغم من أن مدرسة مكفية إسرائيل كان من شروط إنشائها أن تكون لكل الطوائف، ولكن إدارة المدرسة لم تلتزم بهذا الشرط، ومارست التمييز في القبول، واقتصرت على الطلاب اليهود 941.

يشير التقرير الذي أوردته دورية صندوق استكشاف فلسطين في نشرتها عام 1906، إلى الاهتمام الصهيوني باللغة العبرية ونشرها؛ فتحدث الدكتور ويلر (Wheeler) تحت عنوان: "ملاحظات طبية"، عن نشاط المستشفى المقام في القدس، وإلى المراجعين من يهود قادمين من مختلف أنحاء العالم ومختلف الجنسيات واللغات، أغلبيتهم يتقاهمون في ما بينهم باللغة العبرية، "والتي أصبحت بالتأكيد لغة حية في فلسطين، لقد أخبرونا بأنه في بعض المستوطنات اليهودية لا يسمح بالتكلم إلا بالعبرية فقط" 942.

على الرغم مما ورد في التقرير أعلاه، والذي يشكل إشارة واضحة إلى أن تطبيق استخدام اللغة العبرية بين اليهود، وفي المستوطنات ليس حادثاً عرضياً أو اجتهاداً فردياً، بل هو سياسة عامة متبعة ومطبقة بحرص بالغ وبخطط مدروسة، إلا أننا نجد على الجانب الآخر المعنى بالقضية، والمستهدف مباشرة، ألا وهو الجانب العربي، جاء الاهتمام، مقارنة بما كان يجري على أرض الواقع باهتاً؛ فيكاد يكون صاحب صحيفة النبراس من أوائل من تحدث عن هذا الأمر وحذر منه، وذلك من خلال ما نشره عن رحلته إلى فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909، فعند حديثه عن يافا أشار إلى أن "لليهود فيها مدرسة عظيمة لتدريس العبرانية، وهم يسعون لتكون هذه اللغة لغتهم العامة، ليتمكنوا بذلك من جعل قومية لهم جامعة" 943.

يلاحظ من خلال قوله هذا، إضافة إلى موضوع اللغة، وهو الأمر الأهم، توظيف هذه اللغة باعتبارها اللبنة الأولى في المشروع الصهيوني في توحيد قوميتهم.

أثارت صحيفة المقتبس الموضوع في 27 آذار/مارس عام 1910، وذلك بوصفها للأعمال النافعة التي تقوم بها الصهيونية لقومها، فقالت: "لم تكتف بتكريس الرابطة الدينية بينهم، بل أخذت تعمل على رابطة أخرى، فقررت نشر اللغة العبرية، وتعليمها لعامة الموسويين في المملكة العثمانية" 944.

حول الاهتمام الصهيوني بقضية التعليم- على اختلاف أشكاله- كتب عبد القادر القباني أحد أعيان بيروت، في 26 آب/أغسطس عام 1910 مذكراً قومه ومحفزاً لهم، فقال: "ليس من رأى كمن سمع، لقد فتحوا في القدس مدرسة الصنائع وفتحوا في يافا مدرسة زراعية، فهل لأبناء الوطن المسلمين والنصارى وعدد جميع اليهود

العثمانيين وغير العثمانيين بالنسبة إليهم نسبة العشر مكاتب صناعية وزراعية، والجمعية المذكورة على وشك إنشاء مدرسة كلية في حيفا، ومما يقال إن عند إحداث المدرسة الزراعية في يافا شرطت الحكومة على أصحابها أن يقبلوا عدداً معيناً من أبناء الوطن يعلموهم مجاناً. فكم تلميذاً عندهم من أبناء الوطن؟ 945.

في مضبطة مقدمة لمجلس إدارة حيفا بحق المعهد العلمي الصناعي الكبير الذي تنوي الجمعيات الاستعمارية الإسرائيلية إقامته في حيفا، جاء فيها "الذي علمناه أن هذا المعهد سيكون أكبر معهد علمي صناعي في سوريا يفوق الكلية في بيروت، ولا يضم بين جدرانه سوى أبناء الإسرائيليين، واللغة الرئيسية فيه ستكون اللغة العبرانية، والقول إنه يقبل الطلبة من أبناء البلاد العثمانية من باب ذر الرماد بالعيون، وإن يكن هذا المعهد سيسلح أبناء المستعمرين بسلاح العلم والصناعة ليحاربونا به وينازعونا البقاء، فنحن لا نطالب الإدارة بالوقوف في سبيل منافع أعدائنا السياسيين لأنهم إخواننا في الإنسانية، ولكننا نأمل من أعضائه وبينهم الأمين على مصالح الحكومة السياسية والإدارية والوكيل عن الأهليين أن يظهرنا مثل هذه الرغبة والاهتمام على الأقل في المعارف الأهلية، الإسرائيليين لهم مكاتب منظمة تعلم فيها العلوم الحديثة وفيها معلمون يحسنون طرق التربية، فأبناؤهم يتعلمون قواعد اللغة والجامعة اليهودية، وكيفية استخدام الأوقات، ويدرسون فنون الاقتصاد السياسي والعلوم والرياضيات، وأولادنا يدورون في الشوارع والأزقة على شواطئ البحور يتعلمون قتل الأوقات والسباب والفظاظة ومدارسنا أشبه بالزرائب، ومعلموها معذرون إذا كانوا يجهلون العلوم وقواعد التربية والواجبات الوطنية لأنهم لم يتعلموها، على هذا المنوال لا يمكننا أن نربي جيلاً من الجيل الحالي ليوقف في ميدان التنازع" 946.

أكدت مجلة المقتبس في عام 1912 ما ذكرته المضبطة أعلاه، فذكرت أنهم "من أجل هذا تراهم في مدارسهم لا يعلمون العربية، ويجعلون اللغة العبرية لغة التعليم والتخاطب، ولهم في فلسطين جرائدهم ومطبوعاتهم ينشرونها على مناحيهم بمأمن من مراقبة الحكومة، وتوفيق الخطة على ما يلائم مصلحة البلاد" 947.

كان أحد القراء قد بعث إلى صحيفة المنادي في حزيران/يونيو عام 1913 رسالة روى فيها حادثة شهدها بنفسه، تتعلق بمسألة اللغة العبرية، فيذكر أنه "في أثناء مروره بجماعة من الإسرائيليين المستعمرين وجدهم يتقاهمون بلغتهم الجامعة العبرانية، وكان هناك إسرائيلي معرب لا يعرف العبرية، فسخروا منه لجهله" 948.

أما صحيفة فلسطين، فقد أثار اهتمامها في شباط/فبراير عام 1914 قضية عامة وحساسة، تمثلت بإدخال الحكومة التركية- لأول مرة- اللغة العبرية في كتاباتها، حيث اعتبرت الصحيفة هذه الخطوة اعترافاً صريحاً من الحكومة المحلية بأنه لم يعد لها غنى عن استعمال هذه اللغة 949.

لم يكتفِ الصهاينة بإقامة المدارس والمعاهد لتعليم العبرية وغيرها من العلوم المتنوعة، بل سعوا إلى إقامة جامعة عبرية، ويورد الزعيم الصهيوني حاييم

وايزمن في مذكراته ظروف تشكيلها، فقال: "في جنيف أسسنا نحن الصهيونيين أول جمعية لتحقيق فكرة الجامعة العبرية، ولدت فكرة الجامعة العبرية في القدس مع ولادة فكرة الصهيونية، وبعد رفض السلطان الفكرة، وفي عام 1902 نشرنا كراسة عن فكرة الجامعة كان لها أحسن وقع بين يهود العالم أجمع، وتوالت علينا رسائل التشجيع والتبرعات، وفي عام 1913 أدرجت فكرة الجامعة في جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الذي عقد في فيينا في تلك السنة، وكنت أنا قد أعجبت بموقع على جبل الطور يصلح لإقامة الجامعة عليه، كانت تملكه الليدي جراي هل، وقد طلبناه منها عام 1916 والحرب مشتتة، فأعجبت من طلبنا، وقدمت الموقع بدون مقابل"950.

أثار موضوع الجامعة العبرية الاهتمام العربي- وتحديداً الصحف- ولكن الجانب الذي تم التركيز عليه ليس الجامعة بحد ذاتها، وإنما اللغة المستخدمة للتدريس فيها، والخلاف الذي نشب بين الصهاينة والحكومة الألمانية حول هذه القضية؛ ففي آذار/ مارس عام 1914 أثار الصحف العربية هذه المسألة باعتبارها مؤشراً على ما وصلت إليه الصهيونية من نفوذ في تلك الفترة، والمتعلقة بالصراع بين الحكومة الألمانية ويهود فلسطين والجمعية الألمانية الصهيونية حول اللغة الواجب استخدامها في المدارس التقنية والجامعة العبرية في حيفا، هل هي العبرية أم الألمانية؟ فرأت صحيفة لسان الحال- إضافة إلى بعض الصحف الفلسطينية مثل الكرمل وفلسطين- في هذا الصراع نوعاً من التعبير عن القومية اليهودية، والتمسك باللغة العبرية كلغة رسمية للصهيونية، وبأن النصر في هذه القضية سيكون نصراً للصهيونية951.

أما صحيفة الدليل التي أوردت الخبر في 29 آذار/مارس عام 1914، فقد علقت على الموضوع بقولها: "إن اليهود يريدون الحق لهم وحدهم في الاختيار، لأن المال الذي جمع لهذا المعهد لم يدفعه غير اليهود، ويظهر أن الحق في جانبهم، وإذا ما أصبحت فلسطين مستعمرة وجب عليهم أن يقوموا بإحياء لغتهم"952.

سخرت صحيفة المؤيد بمرارة من هذا الخلاف الذي حدث بين الحكومة الألمانية والجمعية الصهيونية، وذلك بعد أن نقلت النص ذاته الذي أوردته صحيفة الدليل953.

إن اهتمام الصحف العربية بالحديث عن هذه القضية، والتعليق عليها يمثل حالة من الوعي لأبعادها، ألا وهو اللغة العبرية باعتبارها ركناً أساسياً من أركان المشروع الصهيوني حرصت عليه منذ البداية، ولم تنهون في تطبيقه، وهو ما أكدت عليه هذه الصحف تصریحاً وتلميحاً، وإظهار أبعاده ودلالاته.

في السياق ذاته، عبّر رفيق العظم عن استهجانه في نيسان/أبريل عام 1914 رفض الصهاينة فتح مدارسهم لأبناء العرب، وتدريس اللغة العبرية إلى جانب العبرية954.

كما أثار صحيفة فلسطين قضية اللغة العبرية من خلال المنشور الذي أصدرته- في أعقاب تعطيلها من قبل الحكومة بحجة نشرها مقالاً يشيع الفرقة بين أفراد

الشعب- وأشارت فيه إلى ممارسات الصهيونية في فلسطين، والتي أبرزها مقاطعة اللغة العربية، واستبدالها بالعبرية 955.

ومن المظاهر الأخرى للاستقلال الذاتي الصهيوني، الصحافة العبرية الصهيونية؛ ففي وصف لما هي عليه الأوضاع في القدس وتدهورها، كتب سائح مصري، يصف المعارف والثقافة فيها، فأشار إلى "وجود أربع جرائد عربية لا هم لها سوى الشتائم والمخاضة وركيكة، وأن هناك بعض الصحف العبرانية انتشرت بين الإسرائيليين، فأصبحت لسان حالهم، والعارفون يقولون إنها أرقى من الجرائد العربية بكثير" 956.

بلغت هذه الصحف درجة عالية من النفوذ، ففي يافا تناولت صحيفة يهودية على مفتي المدينة، الأمر الذي أدى إلى تظاهرة شعبية 957.

من هذه المظاهر أيضاً، والتي استنارت الوعي العربي، تلك التي تتعلق بصورة مباشرة بما ينم عن شروع الصهاينة في إقامة دولتهم، وما يرتبط بذلك من مقومات الدولة، كاستخدام العلم الصهيوني، والطوايع واستقلالية الإدارة والنشيد الخاص بهم، وغيرها من المظاهر الأخرى؛ فعقب الثورة التي قادها حزب الاتحاد والترقي عام 1908، وتعاضم الدور اليهودي فيها، وانعكاس ذلك على أحوال اليهود في فلسطين، رفعوا في يافا علماً ملوناً باللونين الأزرق والأبيض احتفالاً بثورة الاتحاد والترقي، وطالبوا بتمثيلهم في مجلس الأمة المراد تشكيله، وكان لهذا الطلب دلالاته وأبعاده 958.

لم تقتصر مطالبهم على ذلك، بل في تقرير أرسله رئيس الحاخاميين في الأستانة إلى نظارة العدلية والمذاهب، طالب فيه الحكومة الجديدة أن تعين للجنود الموسويين مستخدمين روحانيين في الطواوير التي ينخرطون فيها، وأن تمنحهم حريتهم في أعيادهم الدينية، وأن يكونوا مستقلين في مآكلهم، وأن يعفى أساتذة المدارس وتلامذتها من الخدمة العسكرية. وقد اكتفت صحيفة المؤيد التي نقلت الخبر، بالقول: "إن النظارة تفكر في أمر هذه المطالب" 959.

ثمّة مظهر آخر مهم، تحدثت عنه صحيفة العصر الجديد في 5 كانون الثاني/يناير عام 1910، ويتعلق باستخدام عملة صهيونية خاصة، فذكرت أن الجمعية الصهيونية قامت بتأجيل أعمالها كافة، لكي تستعمل الدراهم التي لديها في أورشليم على وجه الخصوص 960.

كان أهالي فلسطين يتلمسون بأنفسهم أن اليهود الأجانب الذين حلوا في فلسطين، قد أصبح لهم مقومات الحكم الذاتي في مستعمراتهم وأحيائهم، فلهم نقود صهيونية خاصة، ولهم بريد خاص بين مستعمراتهم لصق عليه طوايع صهيونية، ولا يستعملون إلا العبرية في لافتاتهم وفي أسماء شوارعهم وإعلاناتهم 961. وهناك إشارة إلى عثور شرطة دمشق على نقود من النحاس عليها شارات صهيونية 962.

وصف أحد أبناء مدينة يافا في 5 آب/أغسطس عام 1910 التحول الذي شهدته فلسطين خلال الأعوام العشرة السابقة، فقال: "إن هؤلاء الإسرائيليين لا يألون جهداً

في الاستقلال بأعمالهم وتوزيعها على الأفراد منهم... وهكذا أصبحت جميع المستعمرات الإسرائيلية في فلسطين بلداً مستقلة يحكمها مجلس مؤلف من أهلها، ولها عدا عن ذلك مدارس وإدارات خاصة بها، لا دخل للحكومة في شيء منها. أما في البلدان الكبرى، كالقدس ويافا فلا يقلون استقلالاً في أمورهم، فجمعياتهم وعددها ينيف على الخمسين تدير أمورهم حسبما تقتضيه مصلحتهم القومية، وأغراضهم السياسية، ليختم وصفه هذا بقوله: "إن أطماع الإسرائيليين كبيرة، وقد خطوا في سبيل الحصول عليها خطوات واسعة، حتى أصبحوا، ولهم في النفوذ والسلطان ما جعلهم يؤسسون حكومة صهيونية مستقلة ضمن الحكومة العثمانية" 963.

جسد النداء الذي وجهه شكري العسلي- وكان آنذاك قائمقاماً للناصرة- إلى قائد الحملة الحورانية سامي باشا الفاروقي، ونشرته المقتبس في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 درجة عالية من الوعي العربي لخطورة مظاهر الاستقلال الذاتي لدى اليهود الصهاينة في فلسطين، فقال: "هم لا يخالطون العثمانيين، ولا يشترتون من عندهم شيئاً، ولهم بنك أنكلو- فلسطين يقرضهم بفائدة لا تتجاوز الواحد في المئة في السنة، وقد جعلوا لكل قرية فيها إدارة مدرسة، وكل قضاء مديرية، ولكل جهة مدير عام، ولهم راية لونها أزرق وفي وسطها خاتم سليمان، وتحت كلمة عبرانية معناها "صهيون"، لأنه جاء في التوراة أن أورشليم ابنة صهيون، ويرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في أعيادهم واجتماعاتهم، ويترنمون على المارش الصهيوني... ويحلون دعاويهم واختلافاتهم في ما بينهم بمعرفة المدير، ولا يراجعون الحكومة، ويعلمون أبناءهم الرياضة البدنية، ولهم برید خاص وطوابع خاصة وغير ذلك، مما يبرهن لك على أنهم بدأوا بتأسيس مقاصدهم السياسية وتأليف حكومتهم الخيالية، فإذا لم ينتبه النواب وتتيقظ الحكومة، وتضع حداً لهذا السيل الجارف لن يمضي على فلسطين يوم أو بعض يوم إلا وترأها أصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفيقاتها أو شعبها المذكورات" 964.

المفارقة، أن صحيفة المقتبس التي نشرت هذا النداء، نجدها تنشر بعد ما يقارب الشهر والنصف، أي في 23 كانون الثاني/يناير عام 1911 تفاصيل الاحتفال الذي أقيم لاستقبال سامي باشا في 21 كانون الأول/ديسمبر عام 1910، حيث ركزت الصحيفة في خبرها على المشاركة الفاعلة للإسرائيليين، والتي تدل- وفقاً للصحيفة- "على أن الروح الوطنية دبّت في نفوس الأهليين، ولا سيما الشبان منهم، فقام أعضاء الجمعية الأدبية الإسرائيلية بتقديم علم عثماني مزركش إلى سامي باشا، إقراراً له على جميله في توطين الأمن في ربوع حوران... وقام جمهور عظيم من شبان الإسرائيليين تتقدمهم الموسيقى العسكرية، وهم يحملون الأعلام العثمانية وبقايات الزهور..."، ولتختم الصحيفة خبرها بقولها: "ولا يسعنا في هذا المقام إلا الشكر لأولئك الشباب الذين قاموا بهذا الاحتفال مما دل على وطنيتهم، وأي دليل أعظم من شكر المحسن للوطن عن إحسانه" 965.

هذه الازدواجية أو القصور في الفهم والوعي يقف المرء أمامه حائراً؛ فإذا كانت الجمعية الأدبية الإسرائيلية، وطلاب المدرسة الوطنية الإسرائيلية أظهروا خلاف ما يبطنون، بالقيام بما يناقض أفكارهم، وما يقومون به على أرض الواقع، وذلك

خدمة لمصالحهم وأهدافهم، فكيف لصحيفة مثل المقتبس، وقد نشرت منذ مدة وجيزة ما يكشف هذه النوايا ويعريها، كيف لها أن تنتشر مثل هذه التفاصيل، وتظهرها بصورة تسبغ على هؤلاء أقصى درجات الوطنية والانتماء، في الوقت الذي يسعون فيه إلى إقامة كيان مستقل عن الدولة العثمانية في فلسطين.

أخذت مظاهر الاستقلال الذاتي لدى اليهود في فلسطين مع بدايات عام 1911 بالانتشار، بحيث أصبحت تثير وعياً عربياً أوسع، وردود فعل أعمق، وتجلي ذلك في وسائل و عدة مناسبات؛ ففي جلسة مجلس المبعوثان المنعقدة في 6 آذار/مارس عام 1911 اغتتم نائب دمشق شكري العسلي مناقشة نائب القدس روجي الخالدي المسألة الصهيونية، ليوزع على أعضاء المجلس طابع تحمل صورة هرتزل، قائلاً: "انظروا الطابع الذي يستعمل بالبريد" 966، واستمر في تأكيده أنهم- إي الصهاينة- يسيرون في فلسطين سير أمة، ففي أعيادهم يرفعون راية زرقاء كتب عليها "صهيون" 967.

في الجلسة التي عقدت في 8 آذار/مارس عام 1911، أكد نائب بيروت رضا الصلح هذا الأمر، وأضاف أن اليهود في فلسطين اتخذوا أيضاً علماً خاصاً بهم، وسكوا نقوداً 968.

وكان روجي الخالدي قد أكد في جلسة مجلس المبعوثان في 12 أيار/مايو عام 1911، إصدار الصهاينة عملة خاصة بهم، وجاء قوله هذا في معرض مناقشة المجلس لاقتراح يقضي بتوحيد المسكوكات، وتعليقاً على قول أحد النواب حول إصدار عملات خاصة في الجزر باسم بعض الكنائس، جاء رد ناظر المالية بالتأكيد أن ضرب العملة ينحصر في الحكومة 969.

في برقية بتوقيع إسعاف النشاشيبي من القدس إلى الكرمل جاء فيها: "أنبأني صادق أنه احتفل ليلة الأحد في النادي الصهيوني العام ببوبيل بن يهودا آخذين الأعلام الصهيونية، ورتل فيه النشيد الاحتلالي الصهيوني، وبيعت أوراق البريد الصهيونية، وذلك كان وسيكون أمثاله والفلسطينيون لاهون لاعبون" 970.

عاد روجي الخالدي إلى الحديث عن الموضوع ذاته في كتابه السيونزم عام 1913، بما ينم عن درجة عالية من الوعي، وليستأنف ما كان قد بدأه سابقاً في تحذيره من مظاهر الاستقلال الصهيوني، فقال: "لم يدع الصهيونيون شيئاً من شارات الدولة إلا وضعوه، ولم يكتفوا بالعلم الصهيوني وطابع البريد الصهيونية، حتى زادوا عليها المارش الصهيوني (النشيد الصهيوني)، وقد أورد الخالدي تفاصيل هذا المارش بالحروف الأجنبية والألفاظ العبرية مع تعريبها، منوهاً إلى أن الشطر الثالث من مطلع النشيد قد تم تعديله من "النرجع لأرض آبائنا"، ليصبح بعد بدء استعمارهم لفلسطين "لنكون أمة حرة بأرضنا... أرض صهيون والقدس" 971.

هذه المظاهر تم رصدها من قبل أحد أبناء يافا، في رسالة بعث بها إلى صحيفة المقتبس في 29 تموز/يوليو عام 1911 واصفاً الاحتفال الذي أقامته الجمعية الصهيونية في مستعمرة الملاحه بذكرى هرتزل مؤسس الصهيونية، الذي شارك فيه طلبة المكتب الإسرائيلي، والذين ساروا إلى المكان المذكور بين الهتاف

والتصفيق، رافعين الأعلام الصهيونية، وليؤكد في ختام حديثه أن هذا الاحتفال "أثار أنظار القائمقام الذي أخذ يراقب حفلتهم" 972.

علقت صحيفة المقتبس على الرسالة بما يلي "نشكر قائمقام طبرية على اهتمامه بالمسألة الصهيونية، ويا حبذا لو كان كل قائمقام وكل متصرف في ولايتي بيروت وسورية، وحتى والي بيروت، ووالي سورية يهتمون بالحركة الصهيونية اهتمامهم بذاتهم، ويطبقون أحكام قانون الجمعيات على فروع الجمعية الصهيونية السرية المنتشرة في كل مكان، ليحفظوا البلاد من الأخطار المقبلة" 973.

في أيار/مايو عام 1911، حاولت صحيفة أبو الضيا إيصال هدف مزدوج لقرائها ينم عن وعي وقراءة لأبعاد الحدث، ولما بين السطور، وذلك من خلال مقال بعنوان "مظهر جديد من مظاهر الصهيونية" - نقلته عنها المقتبس بحرفيته في 30 أيار/مايو عام 1911- وهو لشخص من حيفا وقّع بالأحرف ع.م. تحدث فيه عن مقابلاته صديقاً أجنبياً، يعلم أدق التفاصيل في فلسطين، أخبره بأن الصهاينة أسسوا مملكتهم سنة 1903 في زكرون يعقوب على مقربة من يافا، ونصّبوا د. شوفر ملكاً عليهم، وأخذت الحكومة الجديدة تسجل العقود والمقاولات التي يتعاطاها أبناء موسى، وتطبع عليها طوابع خاصة بها، وجمعت في ديوانها كل المستندات التي لها صلة بالصهيونية، وعندما بلغ هرتزل ذلك طلب من شوفر التراجع عن هذا الأمر، لأنه لم يئن أوانه بعد، وعندما رفض الأخير التراجع، بعث له هرتزل من "خلعه عن تخته وأزال كل الأدلة والمستندات التي تتعلق بتأسيس المملكة الصهيونية" 974. وعلقت الصحيفة على ما جاء في المقال بقولها: "إن كل مظهر من مظاهر الصهيونية يشف عن نيات القائمين بها" 975.

أما صحيفة المنادي، وبعد أن استعرضت في نيسان/أبريل عام 1913 المصالح والسلطة والنفوذ الذي يتمتع به الإسرائيليون، فقالت: "أصبحت مستعمراتهم كزمارين وطبريا وغيرها التي يخفق عليها العلم الصهيوني، صباحاً مساءً، خالية من مسلم أو مسيحي" 976.

استمرت مظاهر الاستقلال الصهيوني خلال عام 1914 تستثير التساؤلات والاهتمام، وفي مقدمها المؤسسات التي أنشأها الصهاينة في فلسطين؛ فأشارت مجلة المقتطف في كانون الثاني/يناير عام 1914 إلى إنشاء دار البحث الزراعي عام 1909، وإنشاء دارة صحية لدراسة الأمراض ومقاومتها 977. وتحدثت صحيفة لسان الحال في 10 شباط/فبراير عام 1914 عن بناء مستشفى لأمراض العيون في يافا، تم افتتاحه بمناسبة زيارة روتشيلد القدس 978.

كما بعث مجموعة من الشباب المتعلمين في يافا في آذار/مارس عام 1914 رسالة إلى الباب العالي، جاء فيها: "الصهيونيون في يافا حكومة ضمن حكومة، لهم في مستعمرة تل أبيب سجن يسجنون فيه الوطنيين الذين يحدث بينهم وبين اليهود خلاف أو نزاع، وكان معاون النيابة السابق قد أخرج بيده سجيناً مسلماً من هذا الحبس اليهودي، ولم يفعل غير ذلك، وللصهيونيين علم كبير يرفعونه على الجهة اليمنى من الباب الكبير لمدرستهم، ويوم روتشيلد في يافا طافوا بعشرات من هذه



الأعلام في شوارع المستعمرة. وليختموا رسالتهم بالتساؤل "إذا ما كانت الحكومة العثمانية عاجزة عن تأنيب الصهيونيين؟، فيجب عليها إذ ذاك أن تدل الوطنيين على أماكن يهاجرون إليها، وإما تكون قادرة، فيجب عليها حينئذ أن تضع حداً لهذه الاعتداءات والإهانات التي من شأنها الاستخفاف بالسلطة العثمانية، وإن استقلال البلاد وكرامة الحكومة مهددان من الصهيونيين، وإذا لم تتدارك الحكومة رعاياها المساكين فعلى الدنيا السلام" 979.

تابعت الصحيفة ذاتها اهتمامها في ما يتعلق بقضية مهمة جداً، وهي تشكيل الصهيونية فرقة عسكرية خاصة بها، والقيام في نيسان/أبريل عام 1914 باستعراض لقواتهم العامة، وذلك بعد أن وصل القدس ثلاثمئة صهيوني، منهم كبار رجال السياسة والمؤلفون والفلاسفة والدكاترة والمحامون 980. والغريب في الأمر، أن مثل هذا النشاط لم يثر اهتمام الأوساط العربية الأخرى، أو دفعها إلى التعليق عليها، وذلك على الرغم من خطورته وأبعاده وتوقيته.

تحدثت صحيفة فلسطين في 29 نيسان/أبريل عام 1914 عن التهديد الصهيوني في فلسطين، مؤكدة أنه إذا لم يسرع المخلصون إلى إنقاذ الفلسطينيين من مصيرهم، سيكون مماثلاً لمصير الهنود الحمر في أمريكا؛ فالصهيونية التي تشكل دولة ضمن دولة، تهدد مصير العرب وصميم وجودهم في فلسطين 981.

كذلك أمر تسليح الصهيونية؛ فصحيفة الأمة في 21 شباط/فبراير عام 1910 ذكرت، نقلاً عن إحدى الصحف التركية لا توركي أن يهود إزمير قد عزموا على فتح اكتتاب للأسطول العثماني لشراء مدمرة يسمونها (إسرائيل)، وبأن الإسرائيليين لم يكتفوا باللجان التي شكلوها للاكتتاب للأسطول، وإظهار مبلغ حبهم لوطنهم العزيز، بل أرسلوا دعوة عامة إلى جميع أبناء جنسهم للحضور إلى كنيسهم ببلاطة، حيث أجيبت الدعوة من قبل كثيرين، وذكر الخطيب أبناء جنسه بما كان يلاقه أسلافه من الاضطهاد والظلم الشديدين، ورحب بهم السلطان، ثم شكلت اللجان للاكتتاب 982.

كما أثارَت صحيفة الكرمل مجموعة من التساؤلات حول وصول عدد من الصناديق المملوءة بالديناميت، ومواد أخرى إلى مدرسة الصنائع التابعة للجمعية الصهيونية الاستعمارية بحيفا، فقامت الصحيفة بالاستقصاء من خلال سؤال مديرية الجمرِك التي أجابت بأنها جاءت بمقتضى أمر من المديرية العمومية، وعند سؤال القائمقام، أشار إلى موافقة كل من وزارة الداخلية والحربية عليها، وبأن الهدف منها فتح صهاريج للمكتب وحفر قناة حتى البحر، وقد علقت الصحيفة على ذلك بقولها: "والحال هذه لا يمكننا إخفاء قلقنا من تسليم ثلاثة آلاف كيلو مواد جهنمية لإدارة شركة لا نعرف ماهية العمل الذي استخدم لاستعمال هذه المواد، وإذا كانوا لا يسيئون استعماله، وعندنا أنه كان خير للحكومة لو استلمت هذه المواد وسلمتها بحسب اللزوم، لأننا لا نعلم من يكون المسؤول، إذا اتفق في المستقبل، لا سمح الله، وقوع حوادث نفس بالديناميت في هذه النواحي" 983.



## الفصل الخامس

# الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني، 1897-1917

أولاً: الوعي العربي للخطر الاقتصادي الصهيوني

خلال الفترة، 1897-1905

أدرك العرب في فلسطين وخارجها أن الصهيونية تسعى إلى السيطرة على الوطن العربي سيطرة سياسية عسكرية شاملة، ولكنها في البداية على الأقل كانت تسعى إلى أن تكون هذه السيطرة اقتصادية<sup>984</sup>، وذلك على الرغم من أن الاعتبارات الاقتصادية في المشروع الصهيوني لم تكن هي الأساس في ذهن مهندسيه الأوائل؛ ففلسطين برقعته الصغيرة وبفقرها النسبي بالموارد والثروات، لا يمكن أن تشكل قاعدة مشروع اقتصادي مربح، إلا أن أهمية فلسطين تتبع من موقعها، ومن الاعتبارات الاستراتيجية لهذا الموقع<sup>985</sup>.

هذا لا يعني أن الجانب الاقتصادي والاستفادة المادية كانا غائبين عن أذهان زعماء الصهاينة؛ ففي يومياته في 20 نيسان/أبريل عام 1897، كتب هرتزل يصف الأوضاع في فلسطين، قائلاً: "الطقس ممتاز والأرض غير قاحلة، والطبقة الرغامية فقط جرفت إلى الوديان من الجبال حيث كانت في الماضي جلاي خصبة، إن البرتقال مزهر حالياً في فلسطين، كل شيء يمكن فعله في تلك البلاد"<sup>986</sup>. كذلك ما كتبه حول رؤيته المستقبلية لاستثمار ثروات فلسطين، فقال: "يمكن إنشاء صناعات كيميائية عظيمة على شواطئ البحر الميت كثير الملوحة، ويجب تحويل مجاري المياه النقية التي تصب فيه الآن واستعمالها كمياه شرب. يجب استبدال الروافد بقتاة في البحر المتوسط، أيضاً يوجد الكثير من المياه المولدة للقوة التي يمكن تحويلها إلى كهرباء"<sup>987</sup>.

إن وعي الخطر الاقتصادي الذي تشكله الصهيونية كان لدى الفلسطينيين أسبق وأكبر منه لدى بقية العرب، ومن هذا المنطلق جاءت مقاومتهم الصهيونية مبكراً جداً، بدليل أن هذه المقاومة لم تشتد إلا عندما بدأ بتطبيق العمل العبري، في حين أن الوعي العربي خارج فلسطين كان ينصب أكثر على خطر الصهيونية السياسي، لذا انطلقت المعارضة لها على أساس قومي- باعتبار أن الصهيونية تهدد كيان الأمة العربية ووحدتها- وذلك لبعدها عن تأثير الخطر الاقتصادي الصهيوني.

قبل أن يترسخ الشعور بالتهديد الصهيوني الاقتصادي لدى الفلسطينيين، ساد مناخ من التسامح والاعتدال في تعامل أهالي فلسطين مع من سكن من يهود وغيرهم في بيوتهم وحاتهم ومدنهم كأصدقاء لهم، الأمر الذي نجم عنه إقامة اليهود المستوطنين شركات اقتصادية مع العرب، أسفرت عن قيام نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ، إذ استفاد الفلسطينيون من أصحاب الدور والمتاجر في زيادة الدخل الذي رافق قدوم المهاجرين اليهود إليها<sup>988</sup>.

أسهم هذا التسامح أيضاً في قناعة بعض الجماعات اليهودية الأجنبية عندما استقرت للعيش في فلسطين بفكرة الاندماج مع التكوينة الاقتصادية والاجتماعية لأهلها، وبخاصة المؤسسة التجارية، ولكن بنمط جديد 989، شجع على ذلك أن أغلبية سكان المدن كانت تعمل في التجارة والصناعات اليدوية والزراعية البسيطة، وعمل اليهود كمهنيين وفنيين مهرة، وأبدعوا في الصناعة والحدادة والخياطة، واحتكروا أعمال الصيرفة والمصرفية 990.

تطورت العلاقة بين الطرفين إلى علاقات اجتماعية، وذلك بعد أن اندمج اليهود في المجتمعات المدنية، ومما يدل على وجود الثقة بين الطرفين- والتي أسهمت في بناء علاقات مع أهالي الأرياف- إقبال العمال العرب على العمل كمزارعين وعمال في مستوطناتهم، وحراس لحماية أملاك اليهود فيها 991. على مدار السنين، تطور اعتماد مشترك بين المستوطنين والفلاحين؛ فالمستوطنون الذين عانوا العمل الزراعي المرهق، قرروا الاعتماد على العمال العرب بصورة كبيرة، وهو ما أدى إلى تحسن مستوى المعيشة لدى العرب تحسناً كبيراً، وبخاصة في مواسم الحصاد، ولكن هذه العلاقة سرعان ما تأثرت سلباً بمجموعة من العوامل التي أثبتت أن العداوة والتوتر قد يحدث، وإن كان هناك منفعة اقتصادية مشتركة بين الطرفين، وتمثلت هذه العوامل بما يلي:

1- الفروق الثقافية بين العرب واليهود، التي لم تضعف أو تختفي، على الرغم من العلاقات القائمة بينهما على المنفعة الاقتصادية 992.

2- عجز الفلاح الفلسطيني- على الرغم من أنه لا يقل فطنة وذكاء عن المزارع الصهيوني- عن تحديث أساليبه، لافتقاره إلى رؤوس الأموال والإرشاد الزراعي المرتكز على البحث العلمي والتعليم الزراعي 993.

3- ضعف البنية التحتية في قطاع الصناعة في فلسطين في أوائل القرن العشرين، مما أدى إلى تأخر ظهور الطبقة العاملة الفلسطينية، التي كانت تفقر إلى الوحدات الإنتاجية الكبيرة، والمشاريع العامة وتوجيه الاستثمار 994.

4- إقبال المهاجرين الصهاينة على شراء الأراضي من كبار الملاك، وطردهم الفلاحين الشركاء في الأرض، ومنعهم في القرى المجاورة من حقوق الرعي المكتسبة في هذه الأراضي، مما أدى إلى بداية نزاع وصادم بين الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني 995. وازدادت النقمة باستيلاء الدائنين على أراضي الفلاحين المثقلين بالديون، لبيعها لليهود الأجانب، مما أثار استياء السكان العرب في الريف الفلسطيني، الذي ما لبث أن تحول إلى عداء ظاهر ومكنون 996.

5- أدى التطور والتحسين الاقتصادي في المدن الفلسطينية وتحسن الزراعة، إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وظهور فئة من التجار والسماسرة التي استفادت أكثر من غيرها من الفرص الاقتصادية الجديدة، وكانت تعمل لخدمة مصالحها الشخصية، ومصالح الصهاينة على حساب التاجر أو الفلاح الفلسطيني 997.

مع تبدل الأوضاع، أخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول من الطابع الديني والمعيشة إلى الطابع الاستعماري الزراعي، وبخاصة مع وجود الفكر الصهيوني 998. أخذ هذا التحول يمس مباشرة مصالح الفلاحين ووجودهم، ومصالح أهل فلسطين الاقتصادية، الذين أصبحوا مهددين نتيجة النشاط الاقتصادي الذي يمارسه المستوطنين الصهاينة 999.

عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في آب/أغسطس عام 1897، تنبه العرب إلى أن اليهود الذين استوطنوا في فلسطين، قد استولوا على معظم حركة التبادل التجاري فيها، وإلى أنه إذا ما زادت أعدادهم، فسوف يحتكرون الأعمال. وقد أجابت مجلة المقتطف رداً على تساؤل أحد القراء عما إذا أراد الصهاينة تعمير أراضي فلسطين بالفلاحة والصناع، بقولها: "إن اليهود الذين أتوا فلسطين حتى الآن أهل صناعة وتجارة، وقد أفلحوا فيها، وقبضوا على موارد التجارة وأساليب الصناعة، أما الفلاحة فلا نظن أنهم يعكفون عليها، لأنهم ليسوا أهل فلاحة في البلدان التي هم منتشرون فيها، بل ربما ملكوا الأراضي، وأبقوا سكانها الحاليين حرائين فيها، وقد صار كل شيء ممكناً لأهل المال فلا يستحيل عليهم إذا أرادوه" 1000

. يؤكد صحة ما ذهبت إليه المقتطف في ردها، أن هرتزل بعد زيارته فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر عام 1898، وبعد أن علم بأن الحمى تقتك باليهود المهاجرين إليها، قرر أن يعهد بالأعمال التي تعرض أصحابها للخطر، إلى العرب، وعلل هذا القرار بأنه "سيكون تكاليف هذا بلايين، ولكن هذا سيؤدي إلى خلق بلايين من الثروة الجديدة، يمكن استخدام العرب الذين لهم مناعة ضد الحمى للعمل" 1001.

مع بداية القرن العشرين، استمر اعتماد الصهاينة على الفلاحين العرب في مستوطناتهم، وخصوصاً مع جهود روتشيلد لتطوير الزراعة، وازدياد حاجة اليهود إلى الخبرات والعمال العرب، إضافة إلى حاجة العمال العرب الاقتصادية إلى العمل في المستوطنات، حيث استمرت علاقة المنفعة المتبادلة بين الجانبين، ولكن ذلك لا ينفي وجود احتقار وازدراء متبادل بينهما؛ فالمستوطن كان ينظر إلى العربي على أنه غريب في عاداته ودينه ونظامه بسبب القيم المختلفة 1002.

على الصعيد التجاري، أصبح النشاط الصهيوني في هذا المجال يمثل خطراً على التجار العرب الذين رأوا فيه تهديداً لمصالحهم 1003، وتحولت بعض المدن كحيفا ويافا إلى مدن صهيونية 1004، وتطور مركز المدينتين التجاري نتيجة تدخل اليهود والأجانب في تجارتها 1005، وقد نبهت صحيفة الأهرام إلى الأطماع السياسية والاقتصادية للصهيونية، واتهمتها باحتكار التجارة، وبخاصة في مدينة يافا 1006.

كما نشرت صحيفة الجامعة في كانون الأول/ديسمبر عام 1902 مقالاً لسليم قبعين حول بلدان فلسطين، ومن بينها طبريا، فأشار إلى قضية مهمة تتم عن وعي حقيقة الخطر الصهيوني على الجانب الاقتصادي، وهي "أن أهلها من غير الإسرائيليين يتعاطون صيد السمك، لوجوده بكثرة في بحيرة طبريا، فكأنهم ورثوا هذه الصناعة

عن الإسرائيليين الذين تقدموهم في هذه البلاد، وكان بوجدنا أن يتشبهوا بمواطنيهم الإسرائيليين الذين يستدرون اليوم خيرات الأرض من طرق الزراعة"1007.

مع مرور الوقت، وتفاقم التغلغل الصهيوني على اختلاف أشكاله، برزت المقاومة المحلية لهذه الظاهرة، وإن لم تكن أعمال المقاومة منسقة ومنظمة، إذ توسعت بصورة عفوية، وبالتزامن مع عمليات شراء الأراضي من المالكين الغائبين، وطرد الفلاحين أو المرابعين عنها، وكانت كلما توسعت عملية الاستيطان وانتشرت في الريف، عمّت المقاومة واتسع نطاقها، وأصبحت المواجهة حتمية بين الفلاحين المقيمين على الأراضي، والمستوطنين الذين عمدوا إلى طردهم منها، وتالياً قطع أسباب معيشتهم فجأة من دون سابق إنذار، فكان طبيعياً أن يقاوموا هذه الظاهرة بعنف لمواجهة المستوطنين المدعّمين بقوة السلطة التي كانت يدها ثقيلة على الفلاحين، وخفيفة على المستوطنين في تنفيذ تعليمات الدولة وأوامرها، وفي تنفيذ الصفقات المشبوهة بين المستوطنين وأصحاب الأراضي1008.

لم يكن الفلاحون وحدهم في هذه المواجهة، بل كان هناك القبائل البدوية التي حُرمت هي أيضاً من مراعي قطعانها لاستيلاء المستوطنين عليها، فأدى ذلك إلى قيام الفلاحين مع البدو، ومن دون تنسيق مسبق، بعمل متكامل في مهاجمة المستعمرات وحرق المزارع، وتخريب المرافق1009.

ثانياً: الوعي العربي للخطر الاقتصادي الصهيوني

خلال الفترة 1905-1908

شهدت هذه المرحلة قدوم الموجة الثانية للهجرة اليهودية، وكانت مطابقة من حيث الحجم للأولى، ولكنها مختلفة كثيراً في روحها، والقوة القيادية بين القادمين الجدد، فكانوا مجموعة من بضعة آلاف من الشباب ذوي الأفكار الثورية1010. أظهر هؤلاء تنظيمياً عالياً، وتزمتاً عقائدياً لصهيونيتهم، وتجلّى ذلك بأوضح صورته في موقفهم من عرب فلسطين، وإصرارهم على مقاطعة اليد العاملة العربية مقاطعة تامة، ومقاطعة المنتجات العربية1011، لذا دعوا إلى سياسة عمل تقوم على أن الوظائف التي نشأت من رأس مال يهودي يجب أن يشغلها عمال يهود، كما طالبوا بإدخال تغيير على حياة اليهود الذين يفنون إلى فلسطين من خلال تشجيعهم على الانخراط في العمل الزراعي بدلاً من المهن التي يتعاطونها، لأن فلسطين لن تكون ملكاً لليهود بامتلاك الأراضي فقط، وإنما ينبغي أن يقوموا بأنفسهم بالعمل على تلك الأراضي، ولذا أطلقوا شعار "أرض عبرية" و"عمل عبري"1012، وهو ما سيؤدي إلى قيام اقتصاديين منفصلين عربي ويهودي، وتالياً مجتمعين منفصلين1013.

تتجلى هذه الفلسفة بأوضح صورها في ما ورد في يوميات أحد أفراد هذه الهجرة، وهو يوسف براص، وذلك عندما تحدث عما شاهده عند وصوله إلى مستوطنة ريشون لتسيون، فقال: "وجدنا أن من يعمل بالحقول هم جيراننا العرب، واليهود يديرون العمل ويراقبونه.. تملكني الذهول، وهكذا تبني بلادنا، اليهود يكونون الملاكين، وجيرانهم العرب يعملون في الكروم"1014.

أدت هذه النظرة إلى حدوث خلاف بين المستوطنين القداماء والجدد؛ فهؤلاء كانوا يحملون الأيديولوجية فقط، في حين كانت تتفصم الخبرة العملية التي يجدها المستوطنون لدى العامل العربي، ففضلوا الأخير على المهاجر الجديد، وبات المستوطنون الجدد أينما ذهبوا لا يجدون عملاً، لأن العرب لا يدعون لهم عملاً في الحقول ولا في الكروم، حتى إن بعض أصحاب المستوطنات كانوا يفضلون جلب عمال من مصر 1015.

على الرغم من أن الدعوة إلى تعميم العمل العبري بدأت منذ عام 1905 تقريباً، إلا أن ذلك لا يعني أن تطبيقها تم على الفور، بل استمر الاعتماد على العمال والفلاحين العرب بعد عدة سنوات من إطلاقها؛ فعالم الآثار ماكلستير (S. Macalister) كتب أثناء زيارته بلدة صفد، واجتيازه مستوطنة "الملحمية" عام 1907 واصفاً الأوضاع فيها، بقوله: "سررنا برؤية شباب يهود يقومون بأنفسهم بأعمال الحراثة، في حين تركت هذه الأعمال للعمال الفلسطينيين في معظم أجزاء فلسطين" 1016.

يبرز في الاتجاه نفسه، ما أورده يوسف براص عند حديثه عن إقامة مستوطنة "عتليت"، فيقول: "في ربيع عام 1908، بلغني نبأ الشروع بإقامة مستوطنة يهودية جديدة، هي "عتليت" الكائنة في منطقة الشومرون، إذ علم المقاول بوجود نقاشين يهود، وأعرب عن رغبته في تشغيل عدد منهم... أسرعت بالتوجه إلى المكان... كان بعض المواطنين العرب من أهالي الخيام يعملون في نحتها، لم أجد يهودياً واحداً في هذا المكان" 1017. وينقل الصورة ذاتها عند حديثه عن العمل في مستوطنتي "ريشون لتسيون" و"رحوبوت"، فيقول: "في رحوبوت كان هناك مزارعون يشتغلون بأنفسهم في كرومهم وبياراتهم بالإضافة إلى عمالهم العرب، وكان من هؤلاء المزارعين اليهود من كان على استعداد لتشغيل عمال يهود، كان العمال العرب يزيدون كثيراً عنا عدداً، وعند قدومنا إلى "رحوبوت" لم نتمكن من الحصول على عمل، تملص المزارعون من استخدامنا، وحين كنا نسألهم عن سبب ذلك، أجابوا: إننا نرأف بكم، دعوا العمل للعمال العرب، وفعلاً كان العمل بالفأس شاقاً جداً، وقد اعتاد العمال العرب العمل في جميع الظروف. أما نحن الذين لم نعتد هذه الظروف، فقد قاسينا كثيراً في المرحلة الأولى" 1018.

إذا ما عكست هذه الأقوال وغيرها من مواقف مدى قبول فكرة العمل العبري لدى المستوطنين الصهاينة القداماء والجدد، ومدى سرعة تطبيقها، فهي تعكس أيضاً مدى تقبل العامل أو الفلاح العربي الفلسطيني للعمل لدى هؤلاء، وفي مرحلة متقدمة من تطبيق المشروع الصهيوني، ووجود عدد من أتباع الحركة الصهيونية وقادتها في هذه المستوطنات، مما يدل على أهمية العامل الاقتصادي سلباً وإيجاباً على العلاقة مع الصهيونية ومشروعها.

في الوقت الذي حرص فيه المهاجرون الجدد على تطبيق سياسة العمل العبري، كانوا حريصين أيضاً على تجميل صورة الصهيونية في ما يتعلق بهيمنتها الاقتصادية على فلسطين، فاقترح الزعيم الصهيوني كابلانسكي بأن "على الصهايين أن يصوروا نشاطهم الاستعماري في فلسطين بمثابة "الفتح الاقتصادي السلمي لبلاد متخلفة وضئيلة السكان" 1019. وقد أيده في هذا الرأي الزعيم

الصهيوني سميلانسكي الذي رأى أن العرب سيستفيدون من قدوم اليهود الذين سيساعدون في إحياء الأرض القاحلة وإعادة إعمارها 1020.

حذر إبراهيم موييل- وهو يهودي من مواليد فلسطين وكان على دراية بمشكلة الفلاحين، عندما أخذ اليهود يشترون الأراضي من الأغنياء المتنفذين والتجار- في رسالة بعث بها إلى الصهيوني بنسكر، يقول: "ولكن الآن عندما يرى الفلاحون أن إخواننا ينوون العمل في الأرض بأنفسهم، وأنه لم يعد بإمكانهم استئجارها، مهما دفعوا في سبيل ذلك، فسوف يقاتلوننا، إذ كيف سيحصلون على لقمة خبزهم؟ لذلك ليس غريباً أن يضع الفلاحون العوائق على أمل أن يفقد المستوطنون صبرهم ويبحثوا عن مكان آخر" 1021.

حذر بن غوريون من حدوث صراع طبقي وعداء قومي، وعزا الدعاية المعادية للصهيونية في الصحافة العربية وزيادة حدة الهجمات على اليهود، إلى العمال العرب العاملين في المستعمرات، فهم "مثل كل العمال العرب يكرهون ظالمهم ومستثمريهم، ولكن بما أنه بالإضافة إلى صراع الطبقات هناك هذه الحال من الاختلاف القومي بين العمال والمزارعين، هذه الكراهية أخذت شكل العداء القومي، وأكثر من ذلك العناصر القومية المتغلبة على العامل الطبقي، والكراهية لليهود تارت من جماهير العمال العرب" 1022.

على الرغم من هذه التحذيرات إلا أن أنصار العمل العبري استمروا في تنفيذ مخططهم بهذا الشأن؛ ففي تشرين الأول/أكتوبر عام 1906، رفض المؤتمر التأسيسي لمنظمة بوعالي لتسيون (عمال صهيون) الفلسطيني- الذي عقد في حيفا بحضور خمسة عشر عضواً- فكرة إقامة منظمة مشتركة تجمع العمال العرب واليهود معاً، الأمر الذي يستدل منه على أن الأيديولوجية الصهيونية بمبادئها الانعزالية بدأت تترسخ جذورها بين العمال اليهود في تلك المرحلة، وأن اتجاهاً بين صفوف العمال العرب قد تبلور لممارسة العمل النقابي، وبخاصة داخل التجمعات العمالية، بعد طرح هذه القضية في المؤتمر التأسيسي للمنظمة، والحيز الكبير الذي أخذته من النقاش 1023.

أسفر هذا الاجتماع في حيفا عن اختيار بن غوريون عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وحدث هناك صراع بين تيارين: الماركسي الذي ينادي بمحاربة الطبقة وأن تكون منظمة الهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود) التي سيؤسسها الحزب مشتركة بين العرب واليهود، وفي المقابل تيار يميني قومي على رأسه بن غوريون، ينادي باحتلال العمل والأرض، وأن تكون الهستدروت لليهود فقط، وكانت السيطرة لهم فأصبح الحزب الجديد يعرف باسم "حزب العمال العبريين الاشتراكيين- الديمقراطيين في أرض إسرائيل" (عمال صهيون) 1024.

أخذت مسألة العامل العربي، والخلاف حوله بين الأطياف الصهيونية المختلفة نقاشات طويلة على صفحات صحفها التي عكست البعد الاقتصادي للخطر الصهيوني، فكتب أحدهم ويدعى يوسف أهروتوفيتش تحت عنوان "العمل الحقيقي في فلسطين"، يقول: "إن كل الأرض اليهودية في فلسطين يعمل بها العرب، وأكثر



من ذلك أن الفلاح العربي يبيع للمستوطنة اليهودية البيض والحليب والخضار، إن وضعه المادي يتحسن، وهو غير مضطر إلى بيع أرضه، ومع ذلك فإن الفلاح العربي مستغل ومهان، ولكن الفلاح الذي يتفوق حسب كل الآراء بعقله ومؤهلاته على الفلاح الروسي لن يتحمل ويصمت للأبد.. وعندما يأتي يوم الانتقام والجزاء، سيصب العامل العربي غضبه، بل كل شيء على رأس أصحاب العمل اليهودي... والآن لا يوجد عامل عربي واحد يعرف بوضوح ما هو هدفنا هنا وتطلعنا، إننا نقف أمام مشكلة تتطلب الحل القومي" 1025.

تمت ترجمة هذه التوجهات إلى واقع، من خلال العمل على طرد الفلاحين العرب من المستعمرات الصهيونية، إضافة إلى المقاطعة الصهيونية المنظمة للمنتجات العربية 1026.

يتضح التشدد الصهيوني في تطبيق خطة العمل العبري خلال تلك المرحلة من خلال الحادثة التي وقعت عام 1908، وذلك عندما قررت شركة تطوير فلسطين زرع غابة من أشجار الزيتون في بيت عريف القريبة من اللد تخليداً لذكرى هرتزل، واستخدمت لهذه الغاية عمالاً من اللد، فما كان من قادة الحركة الصهيونية العالمية إلا أن بعثوا بمجموعة من العمال اليهود، قامت بقلع أشجار الزيتون، وأعادوا غرسها في اليوم التالي بأنفسهم، وتم طرد العمال العرب من المشروع، وفي إثر هذه الحادثة أصدر مكتب فلسطين التابع للحركة الصهيونية- والمشرف على الاستيطان- أمراً لمديري مزارع الحركة ومستوطناتها بالامتناع عن استخدام العمال العرب في أشغالهم 1027.

نجم عن هذه السياسة توتر في العلاقات بين العرب والمستوطنين الصهاينة، وساد التذمر الأوساط العربية التي تأثرت مباشرة بتصرفات الصهاينة العنصرية 1028؛ ففي أكثر من حادثة، قام العمال العرب بضرب أصحاب العمل أو العمال اليهود، كما حدث في مستوطنة كفار تيفور (Kafar Tavor) في الجليل الأدنى 1029، وكانت هناك اعتداءات على أصحاب العمل قام بها مزارعون مستأجرون للأراضي لتأخرهم بدفع أجورهم 1030.

لم تقتصر هذه الاعتداءات على المستوطنين في فلسطين، بل إن موظفي البارون روتشيلد ادعوا عام 1905 أنهم خاضوا نضالاً شديداً، بما فيه عبر المحاكم، ضد فلاحي سخم جولان الذين حاولوا طيلة السنوات الأخيرة السيطرة على أراضي البارون، والتخلص من دفع الحصص المترتبة عليهم، بل اتهموه بسرقة المحاصيل، وذلك خوفاً من مطالبتهم بوضع اليد عليها، أو محاولة جلب يهود من المهجر بدلاً منهم 1031.

أما نجيب عازوري، وعلى الرغم من وعيه الكبير لخطر الصهيونية، إلا أنه ألمح- في وقت لاحق لإصدار كتابه يقظة الأمة العربية عام 1905- إلى أن إنشاء المستعمرات والمصارف اليهودية يؤدي إلى تقوية القومية العربية، بفضل مصالح أقطاب المال في العالم، ولم يكن في ذلك منسجماً مع نفسه 1032.

عارض فريد قصاب فكرة وجود تهديد اقتصادي للمشروع الصهيوني، وحاول أن يجعل الصورة بوصفه المستوطنين اليهود في فلسطين بأنهم أكثر إخلاصاً للصناعة والزراعة أكثر من أي مكان آخر، وبأنهم قاموا بعمل ضخم في استصلاح أرضهم القاحلة 1033.

لم نلمس هذه الرؤية الإيجابية للخطر الصهيوني الاقتصادي في الرسالة التي بعث بها أحد أبناء يافا إلى صحيفة الأهرام في 31 آب/أغسطس عام 1906، وتدور حول ردود فعل أهالي مدينته تجاه وجود اليهود بينهم، فقال: "يظهر أن مراحل الحقد على اليهود الروس المهاجرين حديثاً إلى بلادنا بدأت تغلي في صدور المواطنين، لأنه ما كادت ترسخ أقدامهم في يافا، حتى أخذوا ينافسون الأهالي في تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم، وإن حكومتنا تسوق هذا لتضع حداً لمهاجرتهم، حذار من ردود فعل العامة، وها نحن قد أنذرنا، ومن أنذر قد أعذر" 1034. كذلك في البيان الذي أرسله عدد من الشخصيات الفلسطينية إلى نواب فلسطين عام 1908، وطالبوا فيه نوابهم باتخاذ جميع الوسائل لمواجهة خطر الصهيونية، من خلال تقوية التجارة والصناعة الوطنية، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة 1035.

كانت الانتخابات النيابية فرصة لإظهار أثر التهديد الاقتصادي الصهيوني على فلسطين؛ فصحيفة الأصمعي عقدت مقارنة بين الفلاح العربي والمستوطن الصهيوني، أظهرت فيها الدعم الذي يتمتع به الأخير نتيجة الامتيازات الأجنبية، وفساد الإدارة المحلية، وإعفائه من الضرائب العثمانية، ومقاطعتهم العرب، الأمر الذي يؤدي إلى استحالة صمود العرب في وجه منافسيهم في تلك الظروف والأحوال، لذا دعت الصحيفة إلى شراء البضائع الوطنية عوضاً من الأجنبية، وناشدت أصحاب رؤوس الأموال العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية 1036.

في بيانه الانتخابي في آب/أغسطس عام 1908، كان من بين الأشياء التي وعد نجيب عازوري ببحثها في مجلس الأمة، في حال نجاحه، المطالبة بحماية التجارة والصناعات الوطنية من منافسة الأجانب، وحث الأهالي على تشكيل شركات تجارية، وتعهده باتخاذ الوسائل والذرائع اللازمة لتهيئة رأس مال من الأجانب لتشغيل الأراضي الموات والمتروكة 1037.

توالى بعد ذلك التحذيرات من الخطر الاقتصادي للصهيونية؛ فمجلة النعمة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909، قامت باستعراض نشاط الجمعيات الصهيونية، ودورها في مساعدة فلاحي وصناع اليهود، ومشاريع الأثرياء اليهود 1038. وأخذت مجلة النبراس على أهل فلسطين عزوفهم عن عمران بلادهم، لأن البلاد بلادهم، ويجب أن تكون خيراتها ومرافقها بأيديهم 1039.

خلال العام 1909، راحت معارضة الفلاحين التهديد الاقتصادي الصهيوني تشتد؛ انطلقت في البداية على أساس المنافسة الاقتصادية، لتتحول بعد ذلك إلى منطلق أيديولوجي قومي 1040، فعندما حاولت جمعيات الاستيطان إقامة قرى زراعية على الأراضي قاوم الفلاحون والعشائر البدوية هذه المحاولات، وحدثت صدامات

بين الطرفين، وجد الفلاحون عوناً مهماً في معركتهم للدفاع عن أراضيهم ومصدر رزقهم في قائمقام ناحية طبريا الأمير أمين أرسلان 1041.

كما تجددت الصراعات بين مستوطني مستوطنة "سجرة" والقرى العربية المجاورة على خلفية الصراع بشأن ملكية الأراضي وحدودها، وتمسك الصهاينة بسياسة العمل العبري، فحدث صدام مسلح في نيسان/أبريل عام 1909، نجم عنه قتل ثلاثة من سكان سجرة، ويهودي من حيفا، وتوفي عربيّ جراء إطلاق المستوطنين النار عليه 1042.

رأت صحيفة الاتحاد العثماني في كانون الأول/ديسمبر عام 1909، أن خير وسيلة لمواجهة النفوذ الأجنبي في فلسطين، هو إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها 1043. كما دعت صحيفة الأصمعي إلى شراء البضائع المحلية عوضاً من الأجنبية، وناشدت الممولين العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية 1044.

نادى نصار بالدعوى ذاتها عبر صحيفة الكرمل، حين طالب بمقاطعة تامة لليهود، وذلك بعدم الشراء منهم، أو البيع لهم، وعدم تأجيرهم البيوت، وقد كانت دعوة نصار ذات تأثير إيجابي، ونجحت في إثارة الفلاحين ضد اليهود 1045.

قام نادي "الإخاء الوطني" في نابلس، وفي خطوة تتم عن وعي خطر البعد الاقتصادي للصهيونية، بإنشاء صندوق اقتصادي للقيام بأعمال ذات مردود اقتصادي جيد 1046.

رصدت صحيفة المقتبس النشاط الاقتصادي الصهيوني، وقدمت له صورة دقيقة من خلال ما نشرته في 15 آذار/مارس عام 1910، فكتب مراسلها في حيفا عبد الله مخلص، يقول: "لم يكذب يعلن الدستور حتى أخذت الأسرات الإسرائيلية المهاجرة تستأثر بالتجارة، وتحترق الصناعة، وتزاحم الفقراء، وأنشأت الجمعية الصهيونية فيها فروعاً لبنك أنجلو- فلسطين في كل ثغور فلسطين المهمة، تعمل للإسرائيليين فقط... نرى معمل الصابون في حيفا، وبقية المعامل الميكانيكية التي يتولى أمرها إسرائيليون لا تستخدم العمال إلا من أبناء ملتهم، بل نرى الإسرائيلي لا يعامل مواطنه المسلم أو المسيحي ولو على أقل قليل، بل يظل مهرولاً حتى يصل إلى مخزن ابن دينه، ويشترى ويبيع منه... نحن نكبر هذا الاتحاد والوفاق، ونتمنى لو ينسج عليه بقية مواطنينا، فالتعاون من الأسباب الحيوية التي ترقى بالشعوب، وتبلغ بها إلى قمة المجد والفخار" 1047.

توضح الصورة التي قدمها يوسف الحكيم لليهود في فلسطين- على اختلافهم- في عام 1910، هيمنتهم المالية والاقتصادية، فيقول: "جاء إلى فلسطين من اليهود الإسكناج عدد كبير، استوطن بعضهم في ضواحي القدس خارج السور وفي يافا وبعض القرى المجاورة لها ولحيفا، وظلوا محتفظين بجنسياتهم للاستفادة من الامتيازات الأجنبية، فكان منهم في القدس تجار وصرافون ومدبرو فنادق وأساتذة مدارس وأطباء وأرباب مهن حرة، كالخياطة وغيرها... لقد ظهر أن تعاون اليهود العالمي في الأمور الاقتصادية قد زاد المتاجر اليهودية في القدس نشاطاً مكنها من

مزاحمة غيرها، على الرغم من محافظة جميع اليهود على الاستراحة أيام السبت، وإغلاق مخازنهم ومصانعهم إغلاقاً يلفت نظر كل مارٍ في أسواق القدس" 1048.

علّقت صحيفة جراب الكردي على الهيمنة الصهيونية على اقتصاد فلسطين، بقولها: "خير لنا أن يأتي أصحاب الأموال من أي بلاد كانت وأي جنس كان ليستخرجوا كنوز أرضنا... وهو خير لنا من أن تبقى هذه الجواهر ضائعة، ونحن نتبجح بكلمة الوطن والوطنية، وجيوبنا أفلس من طنبورة أو رباب...". 1049.

كانت المؤتمرات الصهيونية وما كان يجري بحثه فيها من مواضيع تتعلق بالجانب الاقتصادي مدار اهتمام ووعي عربيين لأهميتها؛ فصحيفة الهدى نشرت تفاصيل ما جرى في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر المنعقد في مدينة بتسبرغ بنسلفانيا- ونقلته عنها صحيفة الكرمل- في الأول من آب/أغسطس عام 1910، الذي كان من أهم مقرراته أن تجتمع اللجنة الإجرائية العظمى في الجمعية الصهيونية في العالم كله قريباً للنظر في أفضل الطرائق التي يقدر بها اليهود على الانتفاع من الاستعمار اليهودي في فلسطين 1050. وقد اغتتمت الكرمل الفرصة لتوجه الخطاب إلى الأمة المعنية بالدرجة الأولى بحدث كهذا، لتطرح عدداً من التساؤلات منها: وأنتم أيها المواطنون أي جمعية ألفتكم؟ وأي شركة أنشأتم؟ وكم مؤتمراً عقدتم لتندروا عنكم الخطر الذي يهدد أراضيكم وتجارتم وجامعتكم من هذه الغزوة الاقتصادية العظيمة؟ بل، بأي عمل صغير قمتم؟ وبفلاحي أية قرية اهتمتم؟ وأي بيع للأجانب منعتكم؟ وأي احتجاج رفعتكم، ولم تروعوا ولم تشف من تحته غاياتكم؟ 1051.

مع مرور الوقت، أخذ الوعي العربي لمواجهة التهديد الصهيوني الاقتصادي بالتطور، فبدأت خلال عام 1910 حملة منظمة لمقاطعة البضائع المصنعة في المعامل والمنشآت اليهودية، وتشكلت المنظمات التي حاولت ترغم حركة الاحتجاج 1052، وذلك رداً على مقاطعة اليهود البضائع والأيدي العربية 1053.

كانت صحيفتا المؤيد والعصر الجديد قد نشرتا في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1910 مقررات المؤتمر الصهيوني المنعقد بهامبورغ، وأهمها رصد الأموال للمشروعات التجارية في فلسطين 1054.

أثار النشاط الصهيوني الاقتصادي غضب محمد كرد علي صاحب صحيفة المقتبس، وحفيظته، فكتب في 16 آذار/مارس عام 1910 يقول: "لا عجب إذا نزل الصهيونيون بخيلهم ورملمهم يستعمرون البلاد، ويستثمرون كنوزاً نام عنها أهلها... إن من طبائع البلاد شيئاً يقال له الكسل، وخور العزائم... إذا سعينا إلى إزالته بالتربية والتعليم نتمتع بأرضنا... هذه الأمة اعتادت أن تتوقع كل شيء من الحكومة، فتريد منها أن تنظم زراعتها وتؤلف لها شركاتها، وتعلم أبناءها، وتعلمها كيف تتاجر، إن المضاء الذي يبديه جمهور الصهيونيين، والكسل الذي لا نخجل منه، هو الذي نعلم به فلسطين لكن بغيرنا، وعلى حسابنا" 1055.

استمر الوعي والتحذير من توسع النشاط التجاري الصهيوني في المدن الفلسطينية، فنبهت صحيفة الاتحاد العثماني في 29 كانون الثاني/يناير عام 1910 إلى إفلاس البيوت التجارية الأصلية في يافا، وإلى استيلاء تجار جدد يهود على الوضع في

المدينة، وأضافت "لم تخل سنة من إفلاس أو إفلاسين، يذهب ضحيته عدد من التجار الوطنيين، فتهدم بيوت، كان من الواجب أن تعمر وترتقي لولا ما أحاق بها من جهل أربابها، وانقسامهم على أنفسهم واستلامهم لخدمة الأجنبي الذي يطمع في أموالهم" 1056.

تحت عنوان "الاستعمار الصهيوني"، نشرت صحيفة المقتبس سلسلة مقالات، وصفت فيه مهارة اليهود في الاقتصاد جاء فيها: "من أعار التاريخ لفتة ظهر له أن الإسرائيليين قوم جد وعمل، لا يحلون أرضاً إلا ويصبحون أغنياءها، فيستولون على تجارتها وصناعتها، وعلى كل ما من شأنه الغنى والثروة، وحالتهم في أوروبا اليوم شاهد عدل على ذلك. وهم يقتفون أثر مقولة نابليون إنما يكون الظفر بثلاثة أولها المال وثانيها المال وثالثها المال، ومنها اشتقوا برنامجهم وسعوا في القرن الأخير إلى ابتزاز أموال كل من ليس منهم، ويظهر للمطلع على حال أوروبا الاقتصادية صدق القضية، فيعلم أن معظم الذهب هو في مصارفهم" 1057.

في العدد التالي، بتاريخ 6 أيلول/سبتمبر عام 1910، لخصت الصحيفة الممارسات التي يقوم بها اليهود للسيطرة على الاقتصاد، فقالت: "فهم يتلاعبون بالنقود، حتى إن النقود الذهبية التي تصل إلى أيديهم تضيع من بلادنا ضياعاً، فيبعثها الله حية تسعى في مصارف أوروبا الخاصة بالصهيونيين، فالذهب ذاهب، والمتاليك باقية في أيدي الوطنيين، وكلهم يعملون في جد ونشاط فلا تجد منهم أحداً بلا عمل، ولا يستخدمون أحداً من الوطنيين في مصانعهم وصناعاتهم العالية، إلا عند الحاجة، وذلك لا يكون إلا في الخدمات الرخيصة. ويسعون للقضاء على الصناعة الوطنية كصناعة الحجار، وذلك بإيجاد بدائل أجمل وأرخص. يتعلمون اللغة الوطنية العربية بسرعة كي يعرفوا كيف يبيعون ويشتررون من الوطنيين، ولا يدعون صنعة أو تجارة تمازجها الحيلة إلا ويضعون أيديهم عليها، وهم يشتغلون بالزراعة على الأصول الأوروبية، فإن لهم في فلسطين أراضي واسعة جداً، تربتها خصبة وزراعتها متقنة، فإنك إذا مررت في أيام الربيع بمستعمراتهم تأخذك الدهشة والعجب حينما تسأل عن الأرض الطويلة النبت الجيدة التربة، فيقال لك: إنها لفلان المستعمر، حينما تشاهده ركباً فوق آتته التي تجوب الفدان الواسع الأطراف، فتحصد ما فيه بسرعة البصر بإتقان وانتظام، وتجهش بالبكاء حينما تسأل عن الأرض القاحلة القصيرة النبت فيقال لك: إنها لفلان المسلم أو لفلان المسيحي، وكلهم من الوطنيين حيث ترى العشرات منهم يقضون الأيام والليالي الطوال في حصد أرض صغيرة بمناجلهم القصيرة التي ورثوها عن أبيهم آدم" 1058.

وجد الصورة ذاتها في ما أوردهته صحيفة المؤيد في 17 آذار/مارس عام 1910، فتحدثت عن الآلية التي يعمل وفقها الصهاينة: "يهتم المتمولون منهم بتأليف شركات، وطلب امتيازات جديدة، وهذا يدلنا على أن حركة الأعمال آخذة بالاتساع" 1059.

كتب نجيب نصار في 18 حزيران/يونيو عام 1910، تحت عنوان "حاربوهم بسلاحهم"، مخاطباً قومه وأمتة: "قوموا وافتحوا عيونكم، وانظروا في ما حولكم، في ما يحيق بكم من الأخطار، وقاوموا الذين ينازعونكم بقاءكم بسلاحهم، اقتدوا بهم

وتعلموا منهم... هم ألفوا الشركات المالية لشراء هذا الوطن منكم، فألفوا أنتم شركة مالية لتحفظ وطنكم لكم، وتقي تجارتكم من خطر مزاحمتها،..أنظروا كيف يعطفون بعضهم على بعض، ويبتعدون عن الشراء منكم كي لا تتسرب دراهمهم إليكم، فاعطفوا على بعضكم وروجوا صنائعكم وتجارتم لتبقى أموالكم لكم تتداولونها بين أيديكم. أفيقوا، فقد صار تاجركم يدفع أجرة مخزنه أضعافاً ولكنه يصرف نهاره (يكش ذبان) في المدن التي كثر بها تجار الأجانب، إلى متى يبقى غنيا لهم سمساراً، وأمرنا بأوامرهم مؤتمراً، وفقيرنا يذوق عذاب التضيق أشكالاً وألواناً؟“1060.

في 18 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، كتب نصار يحذر من مخاطر الاجتياح الاقتصادي الصهيوني، موجهاً اللوم لأهلها لتكاسلهم وتقاعسهم: “فلسطين بلاد تحوم حولها الأبصار كما يحوم النحل حول الزهر، وذلك لأنها بلاد تجارية وزراعية عدا عن كونها الأرض المقدسة عند أصحاب الأديان جميعهم، وإن شئت قل لأن أكثرية أهلها نائمون لا يشعرون بالأخطار التي تحيق بهم، ولا يهتمون بإتقانها، والرزق السائب يعلم الناس الطمع، وبعد هذا وذلك هل تقيفون أيها المواطنين من غفلتكم لتعملوا على خدمة وطنكم وتحفظوا كيانكم؟ اقترح على الصحف السورية أن تتناول هذا الموضوع وتخوض فيه وتكتب ما يبدو لها من طرق الإصلاح”1061.

كما اغتتم نصار فرصة رفض الحكومة مشروع الأصفر، لتذكير الأمة في 17 كانون الثاني/يناير عام 1911، “بأن المقاومة وحدها لا تعني فتية، وهذا الفوز وقتي فقط،..فطالما الأمة نائمة لا تهتم باستثمار أراضيها وإحياء صناعات وطنية وتوجد تجارة خصوصية، فمطامع المالبين والمستعمرين الأجانب تبقى حية، ويبقون واقفين بالمرصاد، فكما سنحت سانحة اغتتموها واستولوا على مورد من موارد رزقنا، وأضعفوا استقلالنا، فلنقم الصحافة وعقلاء الأمة بما عليهم، لينهضوا الشعب ويوقفوه في موقف الثبات في ميدان التنازع”1062.

دفع ضعف ردة الفعل العربية إزاء التحذيرات من النشاط الاقتصادي الصهيوني، ببعضهم إلى اليأس والقنوط من حال الأمة؛ فكتب أحد أهالي حيفا ويدعى بولس شحادة، في آذار/مارس عام 1911، قائلاً: “إذا كنا نرجو من الأمة أن تؤلف الجمعيات العمرانية يفنى العمر كله، والفكر لم يخرج بعد إلى حيز الوجود. أين أمتنا من الأمة الإسرائيلية التي حنكتها الأجيال وعلمتها المصائب أن تتحد وتتكاتف للمصلحة العامة وهي التي لا تزال تخزن الدرهم والدينار من قضي الله بتشتيتها بين أمم الأرض، لترد مجدها المسلوب وعزها المفقود، ولولا اتحاد كلمتها ووجود قادة الأفكار فيها وتماسكها، لاندثرت كما اندثرت الأمم الغابرة، وأصبحت أثراً من بعد عين”1063. لقد قدم هذا الكاتب فهماً لأسباب الداء، وبرهن على وعي ما يحدث، وسبل مواجهته على الرغم من يأسه.

في تعليق ساخر حول إعجاب الحكومة التركية الجديدة (الاتحادية) بالسياسة والإدارة الألمانية، تساءل نجيب نصار في الأول من تموز/يوليو عام 1911، بقوله: “إن الحكومة الألمانية رأت لحفظ حياة البلاد الاقتصادية أن تنمي الصناعة،

وتستثمر البلاد بواسطة أهلها، أما حكومة حقي باشا فرغم شغفها بالإدارة والسياسة الألمانية لا تجد لها غنى عن الأموال الأجنبية، وبالبحري الصهيونية، وهذه الأموال لنا أشبه بالطعم الذي يلقيه الصياد للسمكة، وهو بذلك يخالف الألمان الذين يحبهم كثيراً في سياسته، فقد صرح من منابر سلانليك بأن أعظم رجال الدولة العسكريين والإداريين والسياسيين والاقتصاديين سيكونون من اليهود "1064.

أثار نائب بيروت رضا الصلح في جلسة مجلس النواب في آذار/مارس عام 1911، مسألة سيطرة اليهود على اقتصاد البلاد، ورفضهم دفع الضرائب بحجة أنهم أجانب يتمتعون بالامتيازات 1065.

كما تحدث نائب القدس روجي الخالدي في جلسة مجلس المبعوثان في 3 أيار/مايو عام 1911، عن دعوة هرتزل إلى تأسيس بنك صهيوني، ثم قامت بتأسيسه نقابة اليهود المتحدة، وكان رأس ماله ملياراً من الفرنكات 1066.

أسهبت صحيفة فلسطين في استثارة الوعي العربي لخطر الصهيونية الاقتصادي؛ فتحدثت تحت عنوان: "المهاجرون وغلاء المعيشة"، في 29 أيار/مايو عام 1911 عن الأوضاع المتردية في يافا، وعزت ذلك إلى الزيادة في عدد المهاجرين، فقالت: "نراهم احتلوا أكثر أسواق البلدة، واستأثروا بمخازنها والتي تأخذ جميع لوازمها من بائعهم وصانعهم وتاجرهم، بدون أن يتنازلوا هم لأحد من بائع وصانع وتاجر غيرهم، فحصل جراء ذلك عدم تكافؤ في كفتي ميزان العمران" 1067.

خلال عام 1911، اتخذ الوعي العربي للخطر الصهيوني الاقتصادي سبباً عملية لمواجهة؛ فتشكلت في يافا جمعية عربية أعلنت عن تأسيس الشركة الاقتصادية التجارية، وكان من أعضائها سليمان التاجي الفاروقي والحاج حيدر ومحمد أمين الحسيني 1068، وحددت غايتها في العمل ضد اليهود ونشاطهم، وقد حذرت إحدى الصحف العبرية من خطورة هذه الجمعية 1069. لكن تأسيس هذه الشركة لاقى تحفظاً من قبل بعضهم، كصلاح الدين القاسمي الذي حذر من أن تتحول هذه الشركة "التي يدعون أنها وطنية عثمانية إلى أداة بيد الصهيونية، ما دامت الأسواق المالية مفتحة أبوابها، وتعرض أسهمها لكل طالب"، مؤكداً أن للصهيونية في معظم المصارف أيدي عاملة تسعى إلى خدمة مصالحها 1070.

تكمن أهمية حديث القاسمي، ليس في تنبيهه القائمين على الشركة للخطر من السقوط في براثن الصهيونية فقط، بل في جانب آخر مهم جداً، ألا وهو فضح أساليب الصهيونية في السيطرة على الأسواق المالية، وهو جانب؛ قلة هم من استوقفهم.

أما الحزب الوطني الذي تأسس في يافا، صيف عام 1911، الذي اعتبر خطوة تنظيمية مهمة في الوعي والتوعية لخطر الصهيونية عموماً، فقد خلا برنامجه من أي إشارة إلى الجانب الاقتصادي في هذا الصراع وسبل مواجهته 1071.

أثارت القرارات التي اتخذها المؤتمر الصهيوني في بال عام 1911 اهتمام صحيفة الهدى التي نشرت تحت عنوان "الصهيونيون في فلسطين" تفاصيل الكلمة التي ألقاها رئيس وفد الاتحاد الصهيوني الأمريكي إلى المؤتمر - ونقلتها صحيفة المقتبس

في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911- وتحديث فيها عن القرارات التي اتخذها، والتي تمحورت حول شركة تنشيط الأراضي الفلسطينية، وإنشاء مصرف زراعي، يحق بموجبه لكل إسرائيلي يمتلك خمسمئة دولار الاقتراض من المصرف مبلغاً طائلاً، وهذا المصرف هو فرع للمصرف الإنكليزي- الفلسطيني، “وذكر بأنهم انتقموا انتقاماً لطيفاً من النواب العثمانيين الذين حاولوا التقليل من شأن الصهيونية والقائمين بها، وذلك أن ناظر النافعة أرسل لجنة خصوصية لدرس أحوال الزراعة في فلسطين، فرفعوا له تقريراً قالوا فيه إن كل ما رأوه في فلسطين من الأشياء التي ترمي إلى تحسين الأحوال الزراعية هناك، وإدخال الوسائل النافعة فيها كان في المستعمرات الصهيونية” 1072.

على الرغم من عدم تعليق الصحيفتين على هذه المقررات والأقوال، أو تحليلها، إلا أن نشرها من قبل صحيفة الهدى، وإعادة نشرها من قبل المقتبس يشيران إلى إدراكهما خطورتها، ومحاولة منهما للتنبيه إلى خطورة التغلغل الصهيوني، والتناغم مع الاتحاديين، وفي الوقت ذاته تحفيز أهل البلاد على الاقتداء بالعدو، والاستفادة منه بما يفيدهم في معركتهم معه.

ثمّة حقيقة أخرى لفتت صحيفة الكرمل النظر إليها، في كانون الأول/ديسمبر عام 1911 بخصوص مسألة الصراع العربي الفلسطيني- الصهيوني على الصعيد الاقتصادي، وهي تأكيدها أن الصهيوينيين أنفسهم لا ينكرون أن الفلاح العربي أضعف من أن يتمكن من مزاحمتهم مادياً وفنياً، وعلى ضوء ذلك تساءلت الصحيفة كيف يمكن التوفيق بينهم وبينه ما دامت مصلحتهم مناقضة لمصلحته؟ فالخوف ليس في عدد الصهيوينيين، وإنما بضعف الفلاح المسكين إزاء الصهيوينيين 1073.

انطلاقاً من هذه الرؤية، كرست الكرمل وصاحبها نجيب نصار الجهود للنهوض بالفلاح الفلسطيني، ووجهت الدعوى إليه لتحسين أساليبه في الزراعة، وغرس الأشجار في أراضيه، والاقتداء بالمزارع الصهيوني، والدعوة إلى العمل على نهضة شاملة للبلاد بإنشاء جامعة وطنية لإصلاح الأحوال الاجتماعية، ورفع شأن المزارع والعامل والصانع، ومراقبة التعليم الابتدائي، والحكومات والموظفين، وإنشاء جمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية، وترجمة هذه الدعوة إلى أعمال 1074.

بدوره، حذر رفيق العظم في 11 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 من سيطرة رأس المال الصهيوني على فلسطين، فقال: “ماذا تسع فلسطين من قوة ومال وعمل أغنياء اليهود ومالهم وتجارهم الذين ضاقت حتى الممالك الكبرى عن استثمار رؤوس أموالهم، فبماذا يستثمرونها في فلسطين إذا هاجروا إليها؟” 1075. على الرغم من أهمية طرحه هذا، إلا أنه عاد ليؤكد أن خطر الصهيونية الحقيقي في فلسطين يكمن في رفضهم التبعية العثمانية، وإصرارهم على التمسك بتابعيتهم الأجنبية، وما يترتب على ذلك من تدخل هذه الدول في شؤون الدولة من أجل حماية هؤلاء في حال حدوث أية مشاكل، والامتيازات التي يحصل عليها هؤلاء جراء هذه التبعية أو الجنسية 1076.



أثارت أقوال العظم هذه، سلسلة من ردود الفعل بين معارض ومؤيد؛ فلاقت استحساناً لدى الأوساط الصهيونية، حيث أثنى الصهيوني سليمان يلين في صحيفة لسان الحال عليه، وأكد أن ما يريده اليهود هو إيجاد مزارع لإيواء اليهود المضطهدين، فالبرنامج الصهيوني اقتصادي بحث ليس له وجهة سياسية. وأيده في قوله هذا نسيم ملول الكاتب الصهيوني 1077. في حين، رد نجيب نصار في 20 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 على مقولة العظم، بقوله: "إن اليهود متى تملكوا واستولوا على موارد الرزق، قاموا بفتن تضطر أوروبا إلى المداخلة في شؤونهم، ولا يعلم إلا الله ما حالهم من النفوذ في أوروبا" 1078.

انتقدت صحيفة المنادي في 2 نيسان/أبريل عام 1912 وجهاء القدس وأعيانها لتطاحنهم في ما بينهم "فنبذت كل شيء غيره من شؤون دولتها وبلادها وأمتها، فخسرت أموالها الموروثة، وفتحت السبل لتدخل الأجانب في بلادها ومزاحمتها العيش.. يفضل الشاب من أبنائنا وظيفة في دائرة من دوائر الحكومة على تجارة يتعاطاها ويكسب منها الثروة، ليكيد لمن يناظر عائلته" 1079.

في 12 حزيران/يونيو عام 1912، أوردت صحيفة فلسطين خبر قدوم باخرة نمساوية على متنها 420 إسرائيلياً يمينياً جلبهم وكلاء المستعمرات، وأرسلوهم إلى المستعمرات الإسرائيلية للاستغناء عن الفلاحين الوطنيين 1080.

جددت صحيفة المنادي في 13 حزيران/يونيو عام 1912 مطالبتها المتصرف الجديد مهدي بك، بضرورة الإصلاح في مجال الزراعة والصناعة 1081، وفي 15 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912، أوضحت الصحيفة ذاتها أن الأرض هي الهبة التي منحها الله للفلسطينيين، و"كنز كتب الله أن لا يفتح إلا على أيدي غيرنا من الأجانب والمستعمرين الإسرائيليين الذين عرفوا أسرارها وحفظوا طلائعها فتحها وهي المال والعلم، فهل لحكومتنا أن تمدنا بهذين السريين، فتكثر في قرانا المدارس الابتدائية، وفي مدننا المدارس الزراعية والصناعية، وتسهل علينا اقتراض المال والاشتغال في الأراضي" 1082.

تصدت إحدى الصحف العبرية الصادرة في فلسطين لتشكيك صاحب صحيفة المنادي بمقاصد الصهيونية، بقولها: "وليبحث حضرته إذا أراد أن يتأكد نفع الإسرائيليين في بلاده عن حالة فلسطين قبل أربعين عاماً وحالتها اليوم، فيتمثل له الفرق، ويتأكد أن اليهود هم أعظم عامل لرقى بلاده" 1083. لكن صحيفة المنادي فندت هذا الإدعاء بتأكيدها: "أن الصهيونية هي أم المسائل التي سدت الرزق في وجه الوطنيين، وجعلت الأهليين في ضيق من الأعمال، وفقر مدقع، وانحطاط في المجموع عاقبته الانقراض والدمار" 1084.

استوقف مراسل صحيفة المنادي في جولته في الأراضي الفلسطينية، ما شاهده في بعض الأراضي التي تعود للصهاينة ذات الترتيب والزراعة والتقسيم والنوعية، وهو ما نقله لصحيفته التي علقت بدورها في 26 حزيران/يونيو عام 1912 على هذا التقرير، بقولها: "وإننا نلام كثيراً إذا كرهنا هذا الشعب العامل، ونلام أكثر إذا نمنا عن مقاومته ومجاراته في أعماله، وسد أبواب الرزق في وجهه بمنع البيع منه،

فمتى يا ترى نزاحم هؤلاء المستعمرين الذين جاءوا إلى بلادنا، وأخرجونا من أرضنا... وموتونا في فقرنا، فيُضطر رجالهم إلى الرجوع إلى أوطانهم الأخرى، أغلب الظن أن ذلك أبعد من نبتون، وأصعب من كل ممكن "1085".

قدمت مجلة المقتبس عام 1912 صورة لما كانت عليه الأوضاع الاقتصادية في كل من العراق وسوريا وفلسطين، وتوضيح الهيمنة التي كانت لليهود على الحياة الاقتصادية، وذلك من خلال سلسلة بعنوان "بين الشام والعراق"، ذكرت فيها "أما اليهود فلا شأن لهم يذكر في بيروت ودمشق في ما يتعلق بالتجارة، ولكن سطوتهم ظاهرة في فلسطين، فقد أصبح زمام التجارة في قبضتهم، كما هي الحال في بغداد والبصرة، فالمسلمون هناك ضعفاء وقليلو الجرأة والخبرة في التجارة وشؤون الاقتصاد، ولذلك تمكن الإسرائيليون من ناصية الثروة العراقية، فامتألت صناديقهم باللجين والنصار، ولليهود في بغداد شركات كبرى لها معامل كثيرة في أوروبا والهند، فالمسلم يكدح يمينه ويعرق جبينه تحت حرارة الشمس وبرودة الهواء والزوابع والأمطار والثلوج، واليهودي في حانوته ومخزنه في رفاهة وترفه يبتز منه ثمرة عمله وسعيه ببضائع أجنبية يبيعه إياها بأضعاف أثمانها، وهو يجهل قيمتها الحقيقية، وفي استطاعة الموسرين في بغداد والبصرة أن يوقفوا هذا السيل الاقتصادي الإسرائيلي بتأليف شركات تجارية تقاوم شركات الإسرائيليين، أو تشاطرهم مكاسبهم على الأقل، ولكنهم انغمسوا في الملذات والشهوات بدل أن يفكروا في ما يضمن لهم السيادة في المستقبل، وأعرف كثيراً من المتمولين في البصرة وبغداد لا يقل ريع أحدهم عن عشرين أو ثلاثين ألف ليرة سنوياً ينفقونها على السفاهات والخلاعات في الهند أو بين جدران قصورهم.. فيصبح الملاك الموسر في البصرة رازحاً تحت أثقال الديون، حتى يضطر إلى بيع أملاكه وأطيانه صفقة خاسرة، ولو كان لليهود صلة مع العرب والفلاحين، أو لو لم تكن عصبية الشيعة لكانت أكثر أملاك المسلمين تنتقل إلى تصرف اليهود، فهذه العصبية هي التي أقامت لنا هذا الشبح الذي حفظنا به شرفنا الحالي ولو بالاسم فقط. أما في دمشق وبيروت، فإن ضعف اليهود الاقتصادي هو كضعفهم في الموصل وكركوك، وهذا يدل على أن المسلمين في هذه الحواضر شعروا بضرورة الاعتماد على النفس، ولذلك فاليهودي في دمشق لا يستطيع مزاحمة هذه المجموعة العاملة فيقبح صفوها ويده أقصر من أن تمتد إلى المصارعة والمكافحة"1086.

شهد عام 1913 تحولات وتغيرات كثيرة كرسست التغلغل الصهيوني الاقتصادي، وفي الوقت ذاته زادت من درجة الوعي العربي له؛ فمن الأساليب التي اتبعتها الصهيونية للسيطرة على الأسواق التجارية، تلك التي حدثت في كانون الثاني/يناير عام 1913، والمتمثلة بإحداث فوضى تجارية في أسواق القدس استمرت أسبوعين، من خلال ضخ كميات كبيرة من النقود المعدنية (المتاليك)، مما أدى إلى تناقص قيمتها، حيث وجد التجار وأرباب الأعمال المالية أن كل ما يدخل إلى أيديهم من المال من نوع (المتاليك) وحده، في حين أنهم يطالبون عند الدفع إلى البنوك والتحويل النقدي للبلاد الأخرى بالذهب الخالص والليرات، وكان ممن تأثر بهذا

الأمر صغار التجار الذين اضطروا إلى الزيادة على أثمان أشياءهم وبضائعهم لتعويض الزيادة في صرف الليرة 1087.

كانت صحيفة المنادي من أوائل من تنبه إلى هذه القضية وخطورتها، فعرضت تفاصيلها وأبعادها وأساليبها وذلك من خلال افتتاحيتها، ثم في صفحة تالية وتحت عنوان "ذيل للافتتاحية"، أشارت إلى أن هذه الفوضى أدت إلى مهاجمة أحد التجار الفلسطينيين، "الذي نظن أنه السبب في هذا الحادث، وأن جماعة رؤساء الصهيونيين الذين يأتّم بأوامرهم، ويسير بإشاراتهم هم الذين دفعوه إلى إتيان ما آتاه، وإلى إرسال أحد المنادين ينادي بهبوط أسعار المتاليك" 1088.

في محاولة منه لمواجهة الضعف البنوي الاقتصادي لدى الفلسطيني؛ سواء كان فلاحاً أو تاجراً أو عاملاً، اقترح نجيب نصار في أيلول/سبتمبر عام 1913- وعبر نداء إلى أبناء فلسطين الأحرار الشرفاء والغيورين- عقد مؤتمر لأجل تنظيم جامعة عربية فلسطينية، تهتم بإحياء التجارة وإنهاضها، وبالزراعة والتعليم 1089.

كان من الممكن لهذه الدعوات- لو تم تنفيذها ومتابعتها- أن تكون من أكثر الخطوات فاعلية من أجل مواجهة التهديد الصهيوني للاقتصاد الفلسطيني. ولكنها كانت دعوات ذات نفس قصير لم تصمد، ولم تجد من يدعمها لتكون مجدية وفاعلة.

هذا الضعف في الأداء من أجل التصدي للهيمنة الاقتصادية الصهيونية، لم يمنع من وجود قنوات متعددة للتعبير والتحذير من هذا الخطر؛ ففي البرقية بعث بها نخبة من أولي الفصل في سوريا إلى الصدر الأعظم في آذار/مارس عام 1913، أكدوا أن اليهود الصهاينة "يستعمرون الحياة الاقتصادية في كل بلد ينزلونه... هذا الاستعمار الذي يؤدي بالبلاد إلى الخراب العاجل" 1090.

خلال محادثات التقاهم التي جرت بين الإصلاحيين العرب والصهاينة عام 1913، شغل الجانب الاقتصادي حيزاً كبيراً فيها، ويتضح ذلك من خلال اللقاء الذي أجراه مراسل صحيفة المقطم في الأستانة مع زعيم صهيوني، والتي جاءت تكراراً لما صرح به الصهاينة سابقاً، والمتعلقة بالنتائج المترتبة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكانت حجة الصهيونية في تبريرها استمرارها أنها ستقتصر على الفقراء المضطهدين، وستعمل على ترقية الوطنيين وتنمية ثروتهم، وبأن الصهيونيين حريصون على عدم إلحاق الضرر بالفلاح 1091.

رأت صحيفة الكرمل في المؤتمر العربي المنعقد في باريس في حزيران/يونيو عام 1913 وسيلة لنهضة البلاد، وتألّف جبهة واحدة من العرب للوقوف أمام الخطر، فهي ليس قضية احتجاج أو معارضة بل دعوة إلى النهوض، وتقدم صاحبها نجيب نصار باقتراح خاص إلى أعضاء المؤتمر لتأليف جمعية إصلاحية اجتماعية تكون أهم واجباتها إصلاح المدارس وتأليف نقابات زراعية صناعية واجتماعية، على أن يخرج المؤتمر بمادة حية وينسج فيه على منوال مؤتمر بال: "بقي الشعب اليهودي مشتتاً 2000 سنة حتى قام هرتزل ودعا إلى عقد مؤتمر، وتولدت فكرة تأمين جمعية صهيونية بتفريعاتها، وتمكنت في 15 عاماً من نشر التعليم على قاعدة قومية، وشراء أراضي فلسطين، وجمع كلمة اليهود، وفتح مصارف لتسليف

المزارعين، فإن نسجنا على هذا المنوال نجحنا، وإلا فلا خير فينا ولا في مؤتمرنا"1092.

وبدلاً من تحقيق الآمال الكبيرة، كان هناك سكوت مطبق من قبل المؤتمرين، وتم تجاهل البرقيات من عشائر ومزارعي أراضي الغور، مع ما فيها من مشاعر التخوف على حياتهم الاقتصادية1093. وكانت وجهات نظر الإصلاحيين العرب متباينة في ما يتعلق بهذا الخطر؛ فالشيخ أحمد حسن طيارة صاحب جريدة الإصلاح رأى فيه خطراً مزدوجاً سياسياً واقتصادياً، فالخطر ليس في عدد الصهيونيين، وإنما في ضعف الفلاح العربي إزاء مزاحمتهم مادياً وفنياً له1094.

أما رفيق العظم، رئيس حزب اللامركزية فقد شكك في جدية الطروحات الصهيونية، وذلك لأن النازحين اليهود لا يقدمون دليلاً على سعيهم إلى الاتحاد مع إخوانهم العرب، وهم في عزلة تامة، وإذا ما أراد الصهاينة الاتفاق مع العرب، لا بد من المبادرة إلى التعاون معهم، ومراعاة حالة أهل البلاد الاقتصادية، وأن يكونوا عوناً لهم، وأن لا يعولوا في ضمان مستقبلهم في البلاد على غير أهلها الذين يريدون مشاركتهم في وطنهم1095.

في السياق ذاته، اشترط عبد الحميد الزهراوي لقبول الوجود الصهيوني- والذي كان يراه ضرورياً لرقى البلاد- قبولهم الجنسية العثمانية، وعدم طردهم الفلاحين العرب من الأرض التي يشتريها الإسرائيليون1096.

وجه محمد رشيد رضا الاتهام إلى جمعية الاتحاد بأن لها دوراً كبيراً في هيمنة الصهاينة الاقتصادية، وذلك من خلال بيعهم الامتيازات الزراعية والصناعية والتجارية، وما فيها من السمسة وغير السمسة، وبأنها جعلت في وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيوني1097، "وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي ينابيع الثروة، وسيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب، ربما أدى إلى سفك دماء وتخريب كل ما يمكن اليهود بهذه الوسائل الاتحادية غير المشروعة"1098. ويستخلص من قول رضا أن ما سيؤدي إلى الصدام المسلح بين العرب والصهاينة هو الثروة.

عرضت مجلة الهلال في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 أهمية الجانب الاقتصادي في الفكر الصهيوني وفي تطبيقه، وذلك من خلال قولها: "إن دور المعتقد الديني- اليهودي في جمع الصهيونية لليهود لا يكفي، وبأن هذا العامل لا يكفي لإجماع الأمة إن لم يتوقع أصحابها نفعاً اقتصادياً أو سياسياً من ورائها، أو أن يدفعهم للعمل جوع أو اضطهاد أو ظلم"1099. كما أكدت صحيفة المقتبس في 25 كانون الأول/ديسمبر عام 1913 على أن "الصهيونية ترمي إلى القضاء على اقتصادنا وسياساتنا"1100.

اشتدت خلال عام 1913 المقاطعة الاقتصادية الصهيونية للبضائع والأيدي العاملة العربية، وهو ما أدى إلى عدد من الاشتباكات في عدة مناطق، ويبدو أنها كانت من الشدة بحيث طالب الحاخام باشي في أيلول/سبتمبر عام 1913 الباب العالي بالتدخل لحماية المستوطنات1101. وكرر الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولف (Nahum

(Sokolow) الطلب ذاته في مقابلة أجراها مراسل المقطم معه في نيسان/أبريل عام 1914.1102.

بلغت الأوضاع الاقتصادية للشعب الفلسطيني أسوأ حالاتها في عام 1914، نتيجة النشاط الصهيوني الاقتصادي والإنجازات الصهيونية المتزايدة؛ فأشارت مجلة المقتطف في كانون الثاني/يناير عام 1914 إلى أحد هذه المنجزات وما حققته من نجاح، وهي دار البحث الزراعي التي أسست عام 1909، ومديرها هارون أرنسون (بن هارون)، الذي استطاع أن يكتشف القمح البري أو جنين القمح 1103، وهو ما اعتبرته المجلة من الأعمال الزراعية المفيدة التي عملها الإسرائيليون، وبأن التقدم الزراعي والعلمي لليهود، "وصل درجة تصدير مزروعاتهم من يافا إلى الأستانة ولندن وأمستردام وليفربول" 1104.

على الرغم من تأزم الأوضاع الاقتصادية بالنسبة إلى الفلسطينيين، إلا أن ذلك لم يمنع صحيفة لسان الحال من وصف روتشيلد خلال زيارته مصر وفلسطين في شباط/فبراير عام 1914، "بالمحسن الإسرائيلي الكبير"، ولا سيما أنه يتوقع أن ينشئ مستشفى للعيون في يافا، وأنه سيتفقد أحوال اليهود في القدس 1105، وأنه منح إثني عشر مليون فرنك للمزارعين الإسرائيليين في فلسطين، على أن يسدد على أربع وعشرين سنة من دون فائدة" 1106. ولم يفت الصحيفة الحديث عما وهبه هذا المحسن من أموال للمسلمين؛ إذ ذكرت بأنه سيدفع معونة إلى رؤساء المدارس الإسلامية، وذلك عبر بنك الأنجلو- فلسطين 1107.

تحدثت مجلة المنهل عن هذه الزيارة في مقال بعنوان "عمران القدس مال جديد دخل إليها"، مشيدة بما قدمه من تبرعات للجمعيات والمشروعات للأسر الفقيرة الإسرائيلية بلغ خمسة ملايين فرنك، وتبرعه بخمسين ليرة للحرم الشريف وخدامه، إذ علقت على هذه الزيارة بقولها: "لا ريب في أن هذه الأعمال داعية لانبساط حركة العمران في هذا البلد ودخوله في حرفة جديدة" 1108. هذا ما رأته المجلة في مثل هذه الزيارة، من دون أن يستوقفها كيف تصرف هذه الأموال، وأين.

أثارت المنجزات الصهيونية التنموية والاقتصادية صحيفة لسان الحال، التي اعتبرت أن ما يقوم به الصهاينة من تنمية المستوطنات، هو من باب الاجتهاد الذي يجب أن تكون نتيجته ميراث الأرض، وبهذه الصيغة جاء مقالها تحت عنوان "الأرض ميراث المجتهدين" في 15 أيار/مايو 1914، وفيه أبدى كاتب المقال استغرابه "من تسابق الغرباء لتعمير بلادنا، ونهجها نحن طلباً للرزق، فالمستعمرات الإسرائيلية الآن نحو ستين مستعمرة، كانت بين أيدي المواطنين خراباً، وكانت الأموال الأميرية المفروضة على بعضها بين سفح جبل الشيخ وغزة تدل كل واحدة على مقدرة الإنسان العظيمة في الثبات والاجتهاد، فمنذ نحو خمس عشرة سنة كانت خمسين ليرة، وأصبحت الآن ألفين، تلاصق هذه المستعمرات قرى الوطنيين المهملة الخربة، فيسير الفريقان على القاعدة الطبيعية أي تقدم المجتهدين وتقهقر الكسالى الخاملين، وتكون النتيجة على مر الأيام بقاء الأنسب وانقراض غير المناسب، كما حدث في أستراليا وأمريكا" 1109.

دفع سوء الأوضاع الاقتصادية في فلسطين، وما يتهددهم من منافسة صهيونية، بعدد من الوجهاء وتجار القدس ويافا وغزة إلى توجيه نداء إلى المنتدى الأدبي في اسطنبول، ولصحيفة بيبام التركية لمساعدة شعب فلسطين، لمواجهة التهديد الذي يواجهه الفلاح والتاجر وموظف الحكومة الفلسطيني بسبب المطامع الصهيونية، ومناشدته العمل ضد التيار الصهيوني الذي يجتاح موارد الفلاح الاقتصادية، ولفت الانتباه إلى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في القدس 1110. وقد تعرض الموقعون على هذه البرقية للمقاطعة من قبل بنك أنجلو- فلسطين، مما اضطرهم إلى سحب توقيعاتهم، بل إنكارها، ليرفع البنك المقاطعة عنهم، وذلك باستثناء تاجر واحد رفض سحب توقيعه، ومن ثم بقي يعاني آثار مقاطعة البنك له 1111.

علقت صحيفة فلسطين على ذلك بقولها: "إن المقاطعة ليست سلاحاً جديداً، ولكنها أصبحت في المدة الأخيرة صارمة، فاليهود لا يشترون من المسلمين والمسيحيين، ويندر أن يعثر على أثر للعمال المحليين في المشروعات اليهودية" 1112.

أصبح موضوع التهديد الاقتصادي الصهيوني والوعي لخطورته في صلب البرامج الانتخابية لمرشحي مجلس المبعوثان؛ فسعيد الحسيني تعهد في برنامجه الانتخابي في نيسان/أبريل عام 1914 بالاستمرار في نهجه المقاوم الصهيونية، منتقداً الحكومة لتخلفها عن محاربتها لأنها تشكل خطراً اقتصادياً وسياسياً على السواء، وقد عُرف عن الحسيني معارضته للصهيونية ومعاداته لها، منذ بدايات القرن العشرين، وقد أتاحت له معرفته باللغة العبرية الاطلاع على الكتابات الصهيونية، وكان قد تولى رئاسة بلدية القدس عام 1905، ثم اختير نائباً عن المتصرفية في أيلول/سبتمبر عام 1908 1113.

خلال هذا العام، استمرت محاولة ترجمة الوعي العربي للخطر الصهيوني الاقتصادي إلى ردود عملية، فتأسست في أيار/مايو عام 1914 جمعية سرية (جمعية مكافحة الصهيونية)، أسسها الفلسطينيون في الأزهر الشريف، وكان في مقدم أهدافها تنشيط ومؤازرة المشروعات الاقتصادية والتجارية والزراعية، وتوعية المزارعين والفلاحين بحيث يتمكنون من حماية أنفسهم من أخطار الصهيونية 1114.

ووجهت الكرملة نداءً عاماً في 7 حزيران/يونيو عام 1914- في محاولة منها لمواجهة الهيمنة الصهيونية الاقتصادية- ناشدت فيه أهالي البلاد "العمل على تطوير الصناعات الوطنية، وعدم التعامل تجارياً إلا مع مواطنكم كما يفعلوا هم، فهم لا يتعاملون مع المسلمين والمسيحيين، وعليكم أن تغرسوا في قلوب السكان، ولا سيما الشباب منهم، حب ممارسة الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية" 1115.

عشية الحرب العالمية، كان هناك تغيير في الأوساط المالية والمصرفية بالنسبة إلى الصهيونية استمرت طوال سنوات الحرب، فأنشأت بنوك أوروبية، لأول مرة، فروعاً لها في فلسطين، منها البنك العثماني، والشركة الأنجلو- فلسطينية 1116. كما أدت الحرب، واشتراك الدولة العثمانية فيها، إلى القضاء على ما تبقى من قوى

الفلاحين، ومصادرة المحاصيل بالقوة، فقدت البلاد كل ما يمكن أن يساعدها على التأهب لمواجهة ما كانت تدبره الصهيونية العالمية 1117. على سبيل المثال، أدت صعوبة الأوضاع الاقتصادية بعائلات حيفا العريقة إلى بيع أراضيها في المدينة والجبل بأسعار زهيدة جداً متأثرة بالكساد 1118.

قدم "صندوق استشفاف فلسطين" في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914 تقريراً لأحد كتّابه حول الأحوال التجارية في فلسطين، فأشار فيه إلى أن أغلبية التجارة في صنف بيد اليهود، وأن الجزء الأكبر من تجارة الصيد في الخليل الأعلى بيد يهود صنف، وأن هناك نية تتجه إلى إنشاء طريق معبد بتكلفة خمسة وأربعين فرنكاً، وأن الأموال قد تم توفيرها من خلال المنظمات والجمعيات اليهودية 1119.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## خاتمة

من خلال ما سبق، خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كان لطبيعة الأوضاع الاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية السيئة، التي عاشها العرب إبان المرحلة العثمانية الأخيرة، دور في درجة الوعي وردة الفعل العربية على الخطر الصهيوني، وكيفية تعامل العرب مع الخطر الصهيوني.

- برزت خلال المدة التي أعقبت الدستور- وهيمنة حزب الاتحاد والترقي على السلطة- أولويات بالنسبة إلى العرب فاقت في خطورتها وأهميتها التهديد الصهيوني، وفي مقدمها سياسة التتريك ومحاربة العنصر العربي وتهميشه، ويتجلى هذا الأمر في أوضح صورته في مرحلة انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس في حزيران/يونيو عام 1913، والدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، التي تبناها ورحب بها صفوة قادة الحركة العربية آنذاك.

- كان للصحافة العربية الصادرة داخل البلاد العربية أو في المهجر أو في الآستانة، دور بارز ومهم في التنبيه إلى خطر الصهيونية، وكشف أبعادها وممارستها لتنفيذ مشروعاتها، ولا سيما في فلسطين. لم تكن الأوساط العربية في نظرتها ووعيها الفكرة الصهيونية بالمستوى الذي يرقى إلى درجة خطورة المشروع الصهيوني على الوجود العربي والبلدان العربية؛ فإن رصد مذكرات رجال الحركة العربية ونشاطهم وتحركاتهم آنذاك، ولسنوات لاحقة، يدل على قصور واضح ليس في المعرفة بالصهيونية، بل بالوعي لخطورتها وسبل مواجهتها، أو التغافل عن هذا الخطر وإنكاره، وليس أدل على ذلك مما ورد في مذكرات أسعد داغر الذي يدل على حجم الاهتمام من قبل قادة الحركة العربية بهذا الخطر آنذاك.

- غياب موضوع الخطر الصهيوني عن برامج الأحزاب والجمعيات العربية، باستثناء بعض منها.

- على الرغم من ضيق نطاق المعرفة والوعي العربي بأهداف الصهيونية وخطورها، إلا أن نوعية الأشخاص الذين اطلعوا على هذه الأهداف عبر قنوات مختلفة، ومستواهم الثقافي والسياسي والاجتماعي، كان يفرض عليهم أن يكونوا فاعلين أكثر في مقاومتها، وفي نشر وعي خطورها؛ إذ لم يكن يُنتظر من الفلاح أو التاجر أو المواطن العادي الذي يعاني القهر والفقر والجهل أن يتصدى لهذا الخطر، وذلك على الرغم من أن بعض هؤلاء- وخصوصاً في فلسطين- كانوا في حقيقة الأمر في مواجهة يومية مع هذا الخطر من خلال الاستيطان والهجرة والاستيلاء على الأراضي والعمل.

- لم يكن الوعي العربي للخطر الصهيوني مؤسسياً قائماً على منهجية محددة علمية وعملية، بل كان عشوائياً وفردياً وموسمياً، يرتبط بطبيعة كل مرحلة وظروفها. في حين أنّ الصهيونية كانت على العكس من ذلك تماماً، فكانت مؤسسية وبنائية في صياغة مشروعها وتطبيقه، وتعديل ما يحتاجه من تعديل، وذلك من خلال المؤتمرات الصهيونية المنعقدة من أجل هذه الغاية.



- شكّلت الأعوام: 1909-1913 أعوام الفرص الضائعة بالنسبة إلى العرب، وكان أبرزها مؤتمر باريس أو المؤتمر العربي الأول.

- إن تعليل ضعف الوعي والرد العربيين، بجهل العرب حقيقة الصهيونية ومراميها منذ تأسيسها، أمر غير مقبول؛ فهم علموا بها ولم يعملوا على مواجهتها، فقصر الوعي حيناً، وقصر العمل أحياناً كثيرة. إذ ليس المهم من علم أو اطلع من العرب على الصهيونية وخطرها، بل الأهم من ذلك درجة وعي هذا الخطر، وردة الفعل المترتبة على هذا الوعي، فلو كانت الصهيونية أمراً طارئاً استغرق تحقيقه عدداً قليلاً من السنوات، لكان لعامل الوقت وعنصره أهمية كبرى، بل الأهم من ذلك هو إلى أي درجة كان الوعي العربي فاعلاً ومؤثراً في سير المشروع الصهيوني وإنجاحه، أو إعاقة تقدمه؟.

- وإن كان لا يمكننا أن ننكر أهمية الوقت على الإطلاق، إذ أن الوعي المبكر كان سيؤثر في ردة الفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



# المراجع

## 1- العربية

كتب

آباء الحركة الصهيونية. ترجمة عبد الكريم النقيب. عمان: دار الجليل للنشر، 1987. (شخصيات صهيونية؛ 5)

أبراش، إبراهيم. البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10)

أبو بكر، أمين مسعود. ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918. عمان: مؤسسة شومان، 1996.

أبو عسل، إيلي ليفي. يقظة العالم اليهودي. القاهرة: دار الفضيلة، 2003.

أحمد، ليلى عبد اللطيف. موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين. القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1987.

اسليم، علي محمد. تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين. عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988.

الأعظمي، أحمد عزت. القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها. بغداد: مطبعة الشعب، 1932.

أفندي، أريه ل. دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948. ترجمة بشير البرغوثي. عمان: دار الجليل للنشر، 1986.

أيوب، سمير. وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني. بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984. 2 ج.

ج 1: مرحلة الإرهاصات.

البارودي، فخري. مذكرات فخري البارودي: ستون سنة تتكلم. دمشق: عاطف العجة، 1952. 2 ج.

براص، يوسف. قرية على ضفاف الأردن. ترجمة رسمي بيادسة. يافا: دار النشر العربي، 1967.

برو، توفيق علي. العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914. دمشق: دار طلاس، 1991.

البيستاني، سليمان. عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده. تحقيق خالد زيادة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978.

بيهم، محمد جميل. قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور. بيروت: مطابع الكشاف، 1950. 2 ج.

التميمي، محمد وفيق ومحمد بهجت الكاتب. فلسطين في نهاية العصر العثماني: ولاية بيروت/لواء عكا. دراسة وتحقيق زهير غنايم ومحمد محافظة. إربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2001.

توينبي، أرنولد. فلسطين: جريمة ودفاع. ترجمة عمر الديراوي. بيروت: دار العلم للملايين، 1981.

تبيت، شبثاي. بن غوريون والعرب. ترجمة غازي السعدي. عمان: دار الجليل للنشر، 1987.

ثيودور هرتسل: عراب الحركة الصهيونية. عمان: دار الجليل للنشر، 1986. (شخصيات صهيونية)

الجندي، أنور. تاريخ الصحافة الإسلامية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1986. 2 ج.

\_\_\_\_\_ . يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1971. 3 ج.

جوهريّة، واصف. القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهريّة، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003. 2 ج.

حجازي، عرفات. الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظماتها السرية. [د. م. د. ن.].، 1980.

حسين، غازي. إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية. دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1992.

حسين، محمد محمد. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1970. 2 ج.

الحكيم، يوسف. بيروت ولبنان في عهد آل عثمان. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1964.

\_\_\_\_\_ . سورية والعهد العثماني. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966.

حلاق، حسان علي. دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942. بيروت: الدار الجامعية، 1987.

الحوت، بيان نويهض. فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917. بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991.

حوراني، ألبرت. الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939. ترجمة كريم عزقول. ط 4. بيروت: دار النهار للنشر، 1986.

حوراني، فيصل. جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003.

الخالدي، وليد. الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997. بيروت: دار النهار، 1998.

\_\_\_\_\_ (محرر). القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني. الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983. 2 ج.

الخازن، يوسف. الدولة اليهودية في فلسطين: وجهة نظر أحد أبناء البلاد. تقديم وتعريب وتعليق غسان الخازن. بيروت: أصدقاء الأرض المقدسة، 1987.

داغر، أسعد. مذكراتي على هامش القضية العربية. القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958.

الدجاني، برهان [وآخرون]. دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق. تحرير هشام نشابة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988.

الدجاني، يعقوب ولينا يعقوب الدجاني. فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم. تحرير مفلح الخوالدة. عمان: [د.ن.]، 1993.

دروزة، محمد عزة. نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ ومذكرات وذكريات وتعليقات). بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، 1971.

درويش، هدى. العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين. دمشق: دار القلم، 2002. 2 ج.

دومب، ريزا. صورة العربي في الأدب اليهودي. ترجمة عارف توفيق عارف. عمان: دار الجليل، 1990.

رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973.

الروسان، ممدوح. فلسطين والصهيونية، 1882-1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.

رياض، محمود. الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة. بيروت: دار النهضة، 1989.

الزهرراوي، عبد الحميد. الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهرراوي. جمعه وحققه جودت الركابي وجميل سلطان. دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962.

سخنيني، عصام. طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009.

السكاكيني، خليل. كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني. القدس: المطبعة التجارية، 1955.

السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.

سليم، محمد عبد الرؤوف. تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة، 1897-1918. القاهرة: جامعة عين شمس، 1974.

السيد عاشور، مصطفى. نحن والصهيونية. القاهرة: مكتبة وهبة، 2002.

الشريف، ماهر. البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993. نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1995.

الشريفي، إبراهيم. أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل. لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985.

الشليبي، سهيلا سليمان. شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

الشناق، محمود نهار. العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م). حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005.

الشهابي، مصطفى. القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها. القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1961.

شوفاني، الياس. الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998.

شولتس، ألكسندر. تحولات جذرية في فلسطين، 1856-1882. ترجمة كامل العسلي. عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1992.

الشيبيات، محمود. الصهيونية في الميزان. عمان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975.

الصايغ، أنيس. فلسطين والقومية العربية. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1966.

\_\_\_\_\_ (معد). يوميات هرتزل. ترجمة هدا شعبان صايغ. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968.

صبحي، حسن محمد. التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967. بيروت: دار النهضة، 1968.

صيقلي، مي. حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997. (سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1)

الطراونة، محمد. قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م. عمان: وزارة الثقافة، 2000.

الظاهر، أحمد ومحمود الزعبي. بين الفكرين العربي والصهيوني. عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985.

العابدي، محمود. صفد في التاريخ. عمّان: جمعية عمال المطابع، 1977.

عازوري، نجيب. يقظة الأمة العربية. ترجمة وتقديم أحمد ملح. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998.

عبيدات، محمود. أحمد مريود، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1997.

عمر، عمر عبد العزيز. تاريخ المشرق العربي، 1516-1922. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994.

العويسي، عبد الفتاح. جذور القضية الفلسطينية، 1799-1922. الخليل، فلسطين: دار الحسن للطباعة والنشر، 1992.

غنايم، زهير. لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999. (سلسلة المدن الفلسطينية؛ 4)

فرسخ، عوني. الأقليات في التاريخ العربي منذ الجاهلية وإلى اليوم. لندن: رياض الريس للنشر، 1994.

فرسون، سميح. فلسطين والفلسطينيون. ترجمة عطا عبد الوهاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

فيضي، سليمان. مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951. تحقيق باسل سليمان فيضي. بيروت: دار الساقى، 1998.

قاسمية، خيرية. النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973.

قعقور، ابتسام (محرر). قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن وحواران والجولان، 1871-1947. عمان: دار الجليل للنشر، 2003.

كرد علي، محمد. خطط الشام. دمشق: مكتبة النوري، 1983. ج 6.

كرمل، ألكس. تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين. حيفا: جامعة حيفا، 1979.

كوتلوف، ليف. الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية. ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا. بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001.

كوثراني، وجيه. السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 13)

الكياي، عبد الوهاب. تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.

لمدان، يوسف. العرب والصهيونية، 1882-1914. ترجمة الياس شوفاني. دمشق: دار الحصاد، 2009.

محافظة، علي. الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948. عمان: مركز الكتب الأردني، 1989.

مذكرات سليم علي سلام، 1868-1938: مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانية. تحقيق حسّان حلاق. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1981.

مكاربوس، شاهين. تاريخ الإسرائيليين: اليهود قديماً وحديثاً مع تراجم مشاهيرهم شرقاً وغرباً. القاهرة: مطبعة المقتطف، 1904.

ملكي، علي. الجاسوسية الصهيونية في البلاد العربية: أخطر الوقائع عن مغامرات الجواسيس اليهود في لبنان وسوريا وفلسطين. بيروت: صوت الشوف، 1970.  
ملول، نسيم. أسرار اليهود. القاهرة: المؤلف، 1911.

مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976.

\_\_\_\_\_ . تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

المؤمن، مكي حبيب وعلي منهل. من طلائع يقظة الأمة العربية: عزيز علي المصري، نجيب عازوري، فرح أنطون، شبلي الشميل. بغداد: دار الرشيد، 1981.  
نصار، سهام. الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1991.

\_\_\_\_\_ . موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصفحة "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

النعمي، أحمد نوري. اليهود والدولة العثمانية. عمّان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997.

نيوتن، فرنسيس إملي. خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب". ترجمة وديع البستاني. عمّان: جمعية عمّال المطابع التعاونية، 1967.

هرتزل، ثيودور. الأرض القديمة الجديدة، ترجمة منير حداد (بإفا): دار النشر العربي، 1968.

\_\_\_\_\_ الدولة اليهودية. ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم. القاهرة: مركز الناصر، 2006.

هلسة، تهاني سلامة. دافيد بن غوريون. بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968. (دراسات فلسطينية؛ 44)

وايزمان، حايميم. مذكرات حايميم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل. بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006.

يزبك، محمود. النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا، 1870-1914. عمّان: البنك الأهلي الأردني، 1999.

يسين، السيد وعلي الدين هلال. الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948. بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975. 2 ج.

دوريات

أبو بكر، أمين. "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937". مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس): السنة 17، العدد 1، حزيران/يونيو 2003.

أبو رجيلي، خليل. "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل". شؤون فلسطينية: العدد 11، تموز/يوليو 1972.

أبو نظارة: العدد 3، 24 ذي القعدة 1316هـ - 5 نيسان/أبريل 1899.

الاتحاد العثماني: العدد 15، 8/10/1908؛ العدد 139، 3/3/1909؛ العدد 249، 15/7/1909؛ العدد 397، 10/1/1910؛ العدد 401، 14/1/1910؛ العدد 414، 29/1/1910؛ العدد 465، 4/9/1910؛ العدد 467، 6/9/1910؛ العدد 486، 25/4/1910؛ العدد 1297، 10/1/1910.

الأفكار: العدد 1065، 20/9/1916؛ العدد 1057، 23/10/1916؛ العدد 1194، 2/1/1918؛ العدد 1206، 16/2/1918.

الأمة: العدد 28، 8/1/1910؛ العدد 57، 13/2/1910.

برهان الدين، عصمت. "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين". شؤون عربية: العدد 93، آذار/مارس 1998.



البشير: العدد 1345، 8/8/1898؛ العدد 1411، 20/11/1899؛ العدد 1426،  
1900/5/3؛ العدد 1427، 12/3/1900؛ العدد 1438، 25/6/1900؛ العدد  
1466، 10/12/1900؛ العدد 1524، 20/1/1920؛ العدد 2281،  
18/7/1913.

البيان: العدد 38، 24/10/1911؛ العدد 54، 24/11/1911؛ العدد 85،  
17/9/1912؛ العدد 136، 9/9/1913.  
الجامعة: ج 6، كانون الثاني/يناير 1902.

جريس، صبري. "حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية."  
شؤون فلسطينية: العدد 52، كانون الأول/ديسمبر 1975.

حداد، يوسف. "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني." شؤون  
فلسطينية: العددان 146-147، أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985.

الحضارة: العدد 38، 29/12/1910؛ العدد 59، 16/5/1911؛ العدد 65،  
23/6/1911.

الحقائق: مج 2، ج 2، 27/6/1911.

حلاق، حسان. "موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني، 1897-1904."  
شؤون فلسطينية: الأعداد 74-77، كانون الثاني/يناير-نيسان/أبريل 1978.

الخالدي، وليد. "بناء الدولة اليهودية، 1897-1948م: الأداة العسكرية." مجلة  
الدراسات الفلسطينية: العدد 39، صيف 1999.

الدباغ، مصطفى. "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني  
والبريطاني، 1854-1948م." دراسات عربية: العدد 5، آذار/مارس 1975.

الدليل: العدد 373، 1/1/1911؛ العدد 497، 19/6/1913.

دمبر، مايكل. "الاستيطان اليهودي في القدس." مجلة الدراسات الفلسطينية: السنة  
2، العدد 8، خريف 1991.

ذبيان، سامي. "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتخليها وتحديد  
خصوصيتها." شؤون عربية: عدد خاص، أيلول/سبتمبر 1988.

رزوق، أسعد. "نجيب عازوري الوجودي المجهول." المستقبل العربي: السنة 1،  
العدد 4، تشرين الثاني/نوفمبر 1978.

رشيد، حيدر. "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب."  
شؤون فلسطينية: العدد 109، كانون الأول/ديسمبر 1980.

الزهر اوي: العدد 110، 9/7/1917.

زهر الدين، صالح. "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها." شؤون فلسطينية:  
العددان 138-139، أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984.

عبد الدائم، عبد الله. "موقف الصهيونية: كفكرة وحركة من القومية العربية." شؤون عربية: العدد 104، أيلول/سبتمبر 1988.

العصر الجديد: العدد 104، 4/12/1909؛ العدد 127، 5/1/1910.

عوض، عبد العزيز. "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914." شؤون فلسطينية: العدد 36، آب/أغسطس 1974.

فلسطين: العدد 62، 10/8/1911؛ العدد 92، 11/12/1912؛ العدد 140، 29/5/1912؛ العدد 169، 3/9/1911؛ العدد 184، 2/11/1912؛ العدد 207، 25/1/1913؛ العدد 215، 2/2/1913؛ العدد 252-49، 9/7/1913؛ العدد 226، 2/4/1913؛ العدد 229، 12/4/1913؛ العدد 257-54، 26/7/1913؛ العدد 261، 9/8/1913؛ العدد 262-59، 13/8/1913؛ العدد 270، 28/8/1913؛ العدد 281، 18/10/1913؛ العدد 286، 23/10/1913؛ العدد 231، 19/4/1914؛ العدد 287، 26/10/1913؛ العدد 233-1628، 14/2/1914؛ العدد 321، 4/4/1914؛ العدد 323، 11/4/1914؛ العدد 328، 25/7/1914؛ العدد 1290، 13/9/1913؛ العدد 1417، 29/2/1914.

قاسمية، خيرية. "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية." مجلة دراسات تاريخية (دمشق): العددان 17-18، آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984.

\_\_\_\_\_ . "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914." شؤون فلسطينية: العدد 31، آذار/مارس 1974.

\_\_\_\_\_ . "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914." شؤون فلسطينية: العدد 23، تموز/يوليو 1973.

القبس: العدد 63، 26/8/1913؛ العدد 1-1301، 30/9/1913؛ العدد 37-1337، 23/10/1913؛

القبلة: 8 شوال 1334هـ - 1 حزيران/يونيو 1916.

"قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى." شؤون فلسطينية: العدد 5، تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

الكلية: العدد 20، كانون الأول/ديسمبر 1911؛ السنة 3، العدد 6، نيسان/أبريل 1912؛

لسان الحال: العدد 7405، 27/11/1913؛ العدد 7450، 22/1/1914؛ العدد 7466، 10/2/1914؛ العدد 7469، 13/2/1914؛ العدد 7470، 4/2/1914؛ العدد 7484، 3/3/1914؛ العدد 7492، 11/3/1914؛ العدد 7521، 15/4/1914؛ العدد 7535، 1/5/1914؛ العدد 7547، 15/5/1914؛ العدد 7605، 22/7/1914؛ العدد 7610، 28/7/1914؛

- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 22 كانون الثاني/يناير 1910، فاقراًؤه.”  
الكرمل: العدد 1434، 1/2/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تموز/يوليو 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1482، 5/7/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 19 آذار/مارس 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1448، 29/3/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 16 نيسان/أبريل 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1457، 19/4/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/6/1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد  
1468، 4/7/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 18 حزيران/يونيو 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1479، 28/6/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 حزيران/يونيو 1910، فاقراًؤه،”  
الكرمل: العدد 1485، 9/7/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 9 تموز/يوليو 1910 فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1490، 18/7/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 1 آب/أغسطس 1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد  
1506، 27/8/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16/8/1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد  
1508، 3/9/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23/8/1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد 1510،  
1/9/1930.
- “ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 23 آب/أغسطس 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1512، 17/9/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1513، 1/10/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26/8/1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد 1518،  
8/10/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 16 أيلول/سبتمبر 1910، فاقراًؤه.” الكرمل:  
العدد 1522، 22/10/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقراًؤه.” الكرمل: العدد  
1542، 31/12/1930.

- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1543، 3/1/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1544، 7/1/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1547، 17/1/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1548، 21/1/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 29/11/1910، فاقرأوه.” الكرملة: العدد  
1549، 24/1/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 29/11/1910 فاقرأوه.” الكرملة: العدد 1550،  
24/1/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1910، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1551، 30/1/1930.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه.” الكرملة: العدد  
1554، 11/2/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1911، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1559، 28/2/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقرأوه.”  
الكرمل: العدد 1562، 11/3/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20/1/1911، فاقرأوه.” الكرملة: العدد 1563،  
10/3/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 20/1/1911، فاقرأوه.” الكرملة: العدد  
1564، 14/3/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه.” الكرملة: العدد  
1567، 28/3/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 14/2/1911، فاقرأوه.” الكرملة: العدد 1570،  
8/4/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 8 آذار/مارس 1911، فاقرأوه.” الكرملة: العدد  
1574، 22/4/1931.
- “ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه.” الكرملة:  
العدد 1577، 6/5/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 6 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1587، 13/6/1931.

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1590، 2/6/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 24 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1592، 27/6/1931.

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1593، 1/7/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10/6/1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1594، 5/7/1931.

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 24 حزيران/يونيو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1599، 22/7/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 03، 8/8/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1604، 16/8/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1605، 22/8/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 22 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه،” الكرمل: العدد 1609، 11/9/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه،” الكرمل: العدد 1611، 23/9/1931.

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 31 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1615، 16/9/1931.

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1616، 10/10/1931.

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 21/7/1911، فاقرأوه.” الكرمل: العدد 1621، 22/9/1931.

مجموعة من الكتاب اليهود. “إسرائيل الثانية: المشكلة السفاردية.” مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 394، أيلول/سبتمبر 1980.

المراقب: العدد 96، 4/11/1910.

المشرق: السنة 2، 1899؛ العدد 2، شباط/فبراير 1912؛ مج 10، 1917؛

المفيد: العدد 362، 12/4/1910؛ العدد 391، 16/5/1910؛ العدد 528،  
27/10/1910؛ العدد 543، 15/11/1910.

المقتبس: مج 1، ج 8، 19/9/1906؛ العدد 196، 5/8/1909؛ العدد 318،  
15/3/1910؛ العدد 329؛ 28/3/1910؛ العدد 371، 15/5/1910؛ العدد  
427، 11/8/1910؛ العدد 459، 28/8/1910؛ العدد 467، 6/9/1910؛ العدد  
502، 19/10/1910؛ العدد 536، 1/1/1911؛ العدد 542، 5/12/1910؛  
العدد 465، 4/9/1910؛ العدد 513، 1/11/1910؛ العدد 516، 5/11/1910؛  
العدد 527، 17/11/1910؛ العدد 542، 5/12/1910؛ العدد 546،  
10/12/1910؛ العدد 549، 17/12/1910؛ العدد 551، 19/12/1910؛ العدد  
562؛ 1/1/1911؛ العدد 564، 3/1/1911؛ العدد 567، 7/1/1911؛ العدد  
568، 8/11/1911؛ العدد 571، 11/1/1911؛ العدد 574، 15/1/1911؛  
العدد 578، 19/11/1911؛ العدد 589، 1/2/1911؛ العدد 634،  
26/3/1911؛ العدد 638، 30/3/1911؛ العدد 685، 24/2/1911؛ العدد  
690، 30/5/1911؛ العدد 695؛ 1/6/1911؛ العدد 696، 6/6/1911؛ العدد  
701، 12/6/1911؛ العدد 705، 16/7/1911؛ العدد 706، 18/6/1911؛  
العدد 709، 21/6/1911؛ العدد 715، 28/6/1911؛ العدد 716،  
29/6/1911؛ العدد 740، 29/7/1911؛ العدد 760، 31/8/1911؛ العدد  
764، 26/8/1911؛ العدد 771، 3/9/1911؛ العدد 784، 18/9/1911؛ العدد  
786، 20/9/1911؛ العدد 787، 11/9/1911؛ العدد 791، 1/10/1911؛  
العدد 794، 26/8/1911؛ العدد 801، 11/10/1911؛ العدد 811،  
31/10/1910؛ العدد 823، 7/11/1911؛ العدد 828، 13/11/1911؛ العدد  
833، 19/11/1911؛ العدد 854، 18/12/1911؛ العدد 885، 23/1/1912؛  
العدد 889، 28/1/1912؛ العدد 891، 29/1/1912؛ العدد 945، 2/4/1912؛  
العدد 947، 4/4/1912؛ العدد 968، 19/8/1912؛ العدد 1119،  
19/2/1913؛ العدد 1137، 12/3/1913؛ العدد 1179، 30/4/1913؛ العدد  
1237، 7/7/1913؛ العدد 1463، 14/4/1914؛ العدد 1594، 16/5/1915؛  
العدد 1066، 19/12/1912؛ العدد 1247، 19/7/1913؛ العدد 1249،  
21/7/1913؛ العدد 1256، 29/7/1913؛ العدد 1285، 18/7/1913؛ العدد  
1298، 22/9/1913؛ العدد 1306، 30/9/1913؛ العدد 2328،  
27/3/1910.

المقتطف: ج 22، نيسان/أبريل 1898؛ مج 33، ج 1، كانون الأول/ديسمبر  
1908؛ مج 35، ج 4، تشرين الأول/أكتوبر 1909.

المؤيد: العدد 2882، 15/10/1899؛ العدد 5822، 21/7/1909؛ العدد 5830،  
31/7/1909؛ العدد 5831، 1/8/1909؛ العدد 5952، 1/1/1910؛ العدد  
61427، 11/8/1910؛ العدد 6040، 17/4/1910؛ العدد 6142،  
11/8/1910؛ العدد 6309، 8/3/1911؛ العدد 6334، 8/4/1911؛ العدد

7100، 5/10/1913؛ العدد 7244، 29/3/1914؛ العدد 7251، 6/4/1914؛  
العدد 7521، 15/4/1914.

المنادي: العدد 3، 20/4/1912؛ العدد 5، 5/3/1912؛ العدد 8، 26/3/1912؛  
العدد 9، 4/4/1912؛ العدد 10، 10/4/1912؛ العدد 21، 25/6/1912؛ العدد  
22، 2/7/1914؛ العدد 29، 20/8/1912؛ العدد 35، 8/10/1912؛ العدد 39؛  
15/10/1912؛ العدد 42، 10/12/1912؛ العدد 48-1، 24/1/1913؛ العدد  
4-50، 6/2/1913؛ العدد 62-14، 24/4/1913؛ العدد 65-18،  
22/5/1913؛ العدد 67-22، 5/6/1913؛ العدد 53-6، 27/7/1913؛ العدد  
144، 12/6/1912؛ العدد 148، 24/1/1913؛ العدد 72-25، 8/7/1913؛  
العدد 73-26، 17/7/1913.

المنار: مج 1، ج 6، 1898؛ مج 4، ج 21، 26/1/1902؛ مج 6، ج 5،  
28/5/1903؛ مج 14، ج 1، 30/1/1911؛ مج 14، ج 2، 1/3/1911؛ مج  
16، ج 2، 1331هـ- شباط/فبراير 1913م؛ مج 17، ج 4، 27/3/1914؛ مج  
17، ج 9، أيار/مايو 1914.

المنهل: مج 2، ج 2، شوال 1331هـ-أيلول/سبتمبر 1913م؛ مج 1، ج 6، 7 صفر  
وربيع الأول 1332هـ-كانون الثاني/يناير 1914م.

النبراس: مج 1، ج 9، 15/10/1909.

النعمة: ج 1، 1/11/1909.

النفائس: ج 8، آب/أغسطس 1911.

النفائس العصرية: ج 1، 10 تشرين الأول/أكتوبر 1911.

الهدى: العدد 5، 25/5/1901؛ العدد 29، 12/12/1900؛ العدد 43،  
21/7/1901؛ العدد 76، 20/11/1901.

الهلال: مج 22، ج 2، تشرين الثاني/نوفمبر 1913؛ مج 7، العدد 22، نيسان/  
أبريل 1914؛ مج 24، ج 5، شباط/فبراير 1916؛ مج 26، تشرين الأول/أكتوبر  
1917.

الوطن: العدد 455، 16/2/1911.

يعقوب، محمد حافظ. "ملاحظات تمهيدية حول الحركة الصهيونية." دراسات  
عربية: العدد 5، آذار/مارس 1973.

رسائل جامعية، أطروحات

البطوش، بسام. "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة  
الإصلاحية." (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995).

ندوات، مؤتمرات

المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين. عمّان: مطابع الجمعية العلمية،  
1983.

2- الأجنبية

#### Books

The Arab Bulletin: Bulletin of the Arab Bureau in Cairo, 1916-  
.London: Archive Editions, 1986 .1919

Arab Nationalism: An Anthology. Selected and edited with an  
introduction by Sylvia G. Haim. Berkeley, CA: University of  
.California Press, 1962

Burdett, Anita L. P. (ed.). Islamic Movement in the Arab World,  
.Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1998 .1913-1966

Destani, B. (ed.). Minorities in the Middle East: Jewish  
Communities in Arab Countries 1841-1974. Cambridge, UK:  
.Cambridge University Press, 2005

Divine, Donna Robinson. Politics and Society in Ottoman  
Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power. London:  
.Lynne Rienner Publishers, 1993

Gorny, Yousef. Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of  
Ideology. Translated by Chaya Galai. Oxford: Clarenton Press,  
.1987

John, Robert and Sami Hadawi. The Palestine Diary, 1914-  
With a foreword by Arnold J. Toynbee. New York: New .1945  
.World Press, 1970

Kushner, David (ed.) Palestine in the Late Ottoman Period:  
Political, Social and Economic Transformation. Leiden: Brill  
.Academic Pub., 1997

Laqueur, Walter. A History of Zionism: From the French  
Revolution to the Establishment of the State of Israel. New  
.York: MJF Books, 1972

Mandel, Neville J. The Arabs and Zionism before World War I.  
.Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976

Priestland, Jane (ed.). Records of Jerusalem, 1917-1971.  
.Oxford: Archive Editions, 2002



Razzouk, Assa'd, 'Izz al-Dīn Fawdah and Elias W. Hanna.  
Zionism and Arab Resistance. Beirut: Palestine Research  
.Center, 1969

Rosenzweig, Rafael N. The Economic Consequences of  
.Zionism. Leiden: Brill Academic Pub., 1997

Sayegh, Fayez A. The Zionist Diplomacy. Beirut: Palestine  
(Research Center, 1969. (Palestine Monographs; 13

Shapira, Anita. Land and Power: The Zionist Resort to Force,  
.New York: Oxford University Press, 1992 .1881-1948

Periodicals

Notes Written Early in 1915, "Syria, The Raw Material." Arab"  
.Bulletin: vol. 11, 1917

Palestine Exploration Fund (London): April 1900; April 1907,  
.and October 1917

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## خلاصة الكتاب

كثيرة هي القضايا التي تستوقف المرء في موضوع الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، وهو ما سعت هذه الدراسة إلى كشفه، وذلك بهدف معرفة مدى ارتقائنا، وإذا ما كنا بمستوى الحدث، ومعرفة مواضع الخلل في معركتنا، وماهية المقومات والظروف التي نجح من خلالها الصهاينة، في حين فشلنا كعرب.

لقد امتلك الصهاينة مفاتيح اللعبة من مال وثقافة وعلم وحلم وإخلاص في العمل، والاختلاف الصحي في ما بينهم، الذي كانت غايته في الدرجة الأولى تحقيق الهدف، وهو ما لم تستطع النخبة العربية-على اختلاف أشكالها- أن تحققه على الرغم من أنها كانت، وبحكم موقعها وثقافتها، على علم بما يجري، وكانت هي مفتاح النجاح من أجل المواجهة الحقيقية؛ فهي العنصر المؤثر والفاعل، وهو ما لم يتوافر للعمامة ولشرائح الأمة الأخرى، التي كانت تعاني الجهل والفقر والتهميش، وكان يسهل بمواصفاتها هذه قيادتها من قبل النخبة، وتجنيدنا في معركتنا مع الصهيونية.

قد يكون من الظلم مقارنة الحركة العربية بالحركة الصهيونية، وإنجازات وظروف نهوض كل منهما؛ ففي حين أن الصهيونية كانت مع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، قد اكتمل نضجها، واتضحت خططها، كانت الحركة العربية تبحث عن هويتها، تتنازعها الاتجاهات والأهواء، وعالقة في علاقتها وانتمائها إلى العثمانية، تكاد لا تقوى على النهوض لتعلن استقلاليتها، والصورة من حولها غائمة، فعلى الرغم من التدهور الشديد في العلاقة مع الاتحاديين، وانقلاب هؤلاء على العرب وغيرهم من القوميات الأخرى، إلا أن العرب استمروا على تمسكهم بعثمانيتهم، وإقناع أنفسهم بأن سياسة الاضطهاد والتتريك هي سياسة آنية، وبأنه سرعان ما تعود السلطة العثمانية إلى رشدها، ولم يتخذوا القرار الفصل في تحديد موقفهم- وإن لم يكن جميعهم- إلا بعد إعدام نخبة من رجال الحركة العربية، في عامي 1915 و1916، والذين لم يكن إعدامهم جزافاً، بل كان مقصوداً لخلخلة الحركة العربية وضربها، والقومية العربية في بداية نهوضها.

إن أهمية المرحلة الزمنية للدراسة تكمن في أنها حددت شكل صراعنا مع الصهيونية ونوعيته، وموقفنا منها ليس فقط لتلك المرحلة، بل ولسنوات طويلة مقبلة. وقد جاء اختيار نقطة البداية بعام 1897، لانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول فيه، وهذا يعني أن الصهيونية أصبحت أمراً لا يمكن تجاهله، ومعرفة بحيث اتخذت شكلها القانوني والسياسي والمؤسسي. وحددت نهاية الدراسة بعام 1917 وهو إصدار وعد بلفور، الذي كان بمثابة تنويع وإقرار دوليين بنجاح الصهيونية في مسعاه، في حين كان نصيب العرب اتفاقية سايكس-بيكو التي مزقت بلادهم كمكافأة على تحالفهم مع بريطانيا.

أدت مجموعة من الظروف والأحداث الداخلية والخارجية دوراً مهماً في إثارة الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، وإن اختلفت قوة تأثيرها وفقاً لطبيعة الحدث أولاً، وللفترة الزمنية التي جرى فيها، والظروف المرافقة له، ونوعية التأثير سواء سلباً أم إيجاباً، منها المؤتمرات الصهيونية التي بدأت عام 1897 بالمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال، حيث شكّل الشرارة الأولى لهذا الوعي، لتتسع أطره في ما بعد بتوالي انعقاد المؤتمرات، والقرارات التي اتخذتها، وتنفيذ هذه القرارات على أرض الواقع.

هناك موجات الهجرة اليهودية التي كان أكثرها تأثيراً تلك التي جاءت خلال 1904-1908، وهو ما أطلق عليه الهجرة اليهودية الثانية التي تعود أهميتها إلى برنامج العمل المتطرف الذي اتبعه أعضاؤها، والتنظيم عالي الدقة الذي كانوا عليه، إضافة إلى إيمانهم المطلق بصهيونيتهم. وقد أحدثت الموجة الثانية من الهجرة الثانية تغييراً جذرياً بطابع الوجود اليهودي في فلسطين، يتعلق بتطبيق سياسة العمل العبري، والاستغناء عن العامل العربي، وطرد الفلاحين من أراضيهم، والاستيلاء على أراضٍ واسعة وعدد من القرى، إضافة إلى البعد القومي، وكان هذا التغيير من الحجم بحيث انعكست آثاره على الوعي العربي لحقيقة الخطر الصهيوني، وأثره في الأمة العربية.

شكل الانقلاب الدستوري عام 1908، نقطة تحول بالنسبة إلى العرب؛ فإضافة إلى اطلاعهم على الثقافة الغربية، وعلى تجارب الأمم الأخرى في ما يتعلق بنضالها القومي، كان هناك الانقلاب الدستوري الذي مثل حلاً من إطلاق الحريات من خلال البرلمان والصحافة وقنوات التعبير الأخرى، ويعتبر ما أورده سليمان فيضي في مذكراته مثلاً على الأثر الذي تركه الدستور، فيصف ذلك بقوله: "على إثر إعلان الدستور وإطلاق الحريات قويت الرغبة في العمل في خدمة الأمة العربية عن طريق الصحافة والتعليم وإثارة الوعي القومي بين الناس".

كانت الصحافة العربية الأشد تأثراً وتأثيراً في هذه التطورات، فسعت الصحف في دمشق وبيروت والقاهرة، إلى التعريف بأهداف الحركة الصهيونية، ومنها مجلة المنار، وصحيفة الأهرام، والمؤيد والاتحاد العثماني والمقتطف، وغيرها الكثير من الصحف التي صدرت بعد الانقلاب، كصحيفة المقتبس الدمشقية التي صدرت عام 1908، والكرمل، التي أصدرها نجيب نصار في حيفا أواخر عام 1908، وصحيفة فلسطين في يافا عام 1911، والمنادي المقدسية الصادرة في عام 1912.

من الأحداث التي شهدتها مرحلة الدراسة، الدعوة إلى تفاهم عربي- صهيوني، وكانت في بداية عام 1913، وأدت إلى تحول في النظرة لدى بعض قادة الحركة العربية تجاه الصهيونية ومقاصدها، وكيفية التعامل معها واحتوائها، وترغم هذه الدعوة حزب اللامركزية العربي في القاهرة، والجمعية الإصلاحية في بيروت، وجاءت نتيجة تنامي التعاون الاتحادي- الصهيوني ضد العرب، وكان الهدف منها التوصل إلى تسوية بين الجانبين، بحيث يستعين العرب بالصهاينة للوقوف في وجه سياسة التتريك الاتحادية...

كان لهذه الخطوة دلالاتها المهمة التي تشير إلى اعتراف صريح من قبل أغلبية قادة الحركة العربية آنذاك، بأن الحركة الصهيونية أصبحت قوة إقليمية فاعلة في المنطقة، وعلى الرغم من أنها موجهة بصورة مباشرة ضد العرب ووجودهم، إلا أنه يمكن التعاون معها، وهذا مؤشر يدل على قصور الوعي والفهم لدى هؤلاء من جهة، وبأنها شكلت أول خطوة عربية في الانحراف عن المسار الصحيح في معركتها مع الصهيونية من جهة أخرى، وذلك باستبدال الحلول العملية المقاومة للصهيونية، بحلول تفاوضية لا يمكن أن تجدي معها أو تثمر، لأنها تتعارض مع أساسيات الصهيونية التي لا يمكن أن تتنازل عنها، لأنها بالنسبة إليها قضية وجودية.

تزامنت الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، مع انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس من 18-23 حزيران/يونيو 1913، وقد أُلقت هذه الدعوة بظلالها على القضايا التي ناقشها المؤتمر، فاستبعد البحث في الصهيونية وخطرها، وذلك على الرغم من برقيات الاستغاثة التي بعث بها أهالي فلسطين إلى المؤتمرين، وأوضحوا فيها حجم التهديد الذي يواجهونه، إلا أن ذلك كله، تم تجاهله، ورأى بعضهم أن للاستيطان والهجرة اليهودية فوائد جمة لفلسطين، شريطة ضبطها وتنظيمها.

بهذا، يكون توجه قادة الحركة العربية إلى التفاهم مع الصهيونية، قد أفضل الفرصة العربية الأولى التي كان من الممكن من خلالها اتخاذ خطوات تكاد تكون مفصلية في تاريخ العلاقات العربية- الصهيونية- المستقبلية؛ فهلامية طرح الموضوع وموقف هؤلاء، منح الصهاينة فرصة الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من طبيعة الظروف المحلية والدولية التي كانت تعيشها المنطقة، وتجبر ذلك لصالح مشروعهم.

انتهت محاولات التفاهم بالفشل، وكان في مقدم أسباب هذا الفشل، عدم توافر النية الصادقة لدى الصهاينة للاستمرار في هذا الاتجاه، وبأن هذه الدعوة بالنسبة إليهم تكتيكية، كان الهدف منها إعاقة أي محاولة تفاهم وتقارب بين الحركة العربية والاتحاديين، وكذلك كسب الوقت لإعداد العدة للمرحلة المقبلة، والتعرف عن كثب إلى ما لدى قادة الحركة العربية، ومدى جدية عدائهم للصهيونية، وقد اعتبر الصهاينة عدم طرح المؤتمر العربي أو تعرضه لأهداف حركتهم وأفكارها، نصراً كبيراً لهم.

أدى فشل الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، إلى شطط الأخيرة في تطبيق مشروعها في فلسطين، وفي الترويج له وكسب المؤيدين كالاتحادين والدول الغربية، في حين أن الأوساط العربية والجمعيات والأحزاب، كانت حتى ذلك الوقت قاصرة عن ترجمة وعيها وفهمها للصهيونية بصورة عملية تؤثر في سير المشروع الصهيوني وتسارعه باتجاه الهدف المنشود.

من النتائج التي أسفر عنها هذا الفشل، هو عودة أصحاب هذه الدعوة من قادة الحركة العربية إلى مواقفهم السابقة منها، ولقناعتهم بأن القومية العربية والصهيونية خطان مستقيمان لا يمكن أن يلتقيا.

حدث آخر شهدته المنطقة، هو تولي الائتلافيين السلطة في تموز/يوليو 1912 برئاسة كامل باشا، فعمدت إلى إعادة فتح الصحف المغلقة، ونشاط النوادي السياسية المنحلة، والتي تحولت إلى مراكز للعمل الوطني للقوميين العرب، فأنكشف تردي الأوضاع الوطنية الفلسطينية، وقد أُنعت سياسة الحكومة هذه الآمال في إعادتها النظر في موضوع الهجرة اليهودية والاستيطان، ولكن اندلاع حرب البلقان في العام ذاته حال دون ذلك، إذ استغلت الصهيونية ظروف الحرب، وانشغال الحكومة بتداعياتها، وتغاضيها عن صفقات بيع الأراضي في مناطق متعددة لدفع مشاريعها خطوات واسعة إلى الأمام، وهو ما دفع نجيب نصار في رده على هذه الهجمة الصهيونية إلى التساؤل: هل أراد الصهيوونيون الاستيلاء على فلسطين دفعة واحدة؟ أم يريد أهلها أن يبيعوها؟ أم هي فرصة يريد الصهيوونيون اغتنامها في عهد الحكومة الحاضرة؟ أين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيوونيين بالتملك والتوطن في فلسطين؟ لماذا لا نسمع لهم صوتاً؟

جاء حدث آخر شهدته المنطقة كان له أثر كبير في البلاد العربية وتالياً وعي أبنائها، ألا وهو اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28 تموز/يوليو 1914، والتي أدت إلى إعادة ترتيب خريطتها الجغرافية والسياسية، وتحولت من تبعية دولة إلى تبعية عدد من الدول.

كما جرت تطورات مهمة في ما يتعلق بطرفي المعادلة، هما: العرب والصهيوونية؛ فبالنسبة إلى الوعي العربي لخطر الصهيوونية، فقد خبا- نوعاً ما- موضوع مناقشة مسألة الصهيوونية بين الأوساط العربية، ولا سيما مع احتجاج الكثير من الصحف العربية عن الصدور، والتي كانت منبراً مهماً لإثارة هذه المسألة، أو انشغالها بقضايا أخرى. في حين استمرت بعض الصحف على موقفها الموالي للصهيوونية كصحيفة المقطم التي كانت لسان حال اليهود، تنتشر كل ما يعزز الوجود الصهيووني في فلسطين، ومنبراً للدفاع عن الصهيوونية من خلال بعض الكتاب.

انشغل رجال الحركة العربية خلال الحرب بإعادة ترتيب أوراقهم، وتآزم علاقاتهم بالحكومة الاتحادية، وسياسة البطش والإعدامات التي قضى ضحيتها عدد من رجالها ونفذاها جمال باشا، وما ترتب على ذلك من إعلان الثورة العربية المسلحة على الأتراك في عام 1916، بدعم من بريطانيا في الدرجة الأولى، وتذبذب مواقف العرب منها بين مؤيد ومشارك فيها، وبين معارض، لذا تراجعت أولوية ما يشكله الخطر الصهيووني على العرب والبلاد العربية لدى هؤلاء وأهميته، وإن كان شرط ضمان استقلال البلدان العربية، ولا سيما في آسيا، في مقدم المفاوضات التي جرت بين الأطراف المختلفة.

لكن ذلك كله، لم يمنع من وجود إشارات تدل على وجود اهتمام ووعي عربيين بالصهيوونية وخطرها، فاستمرت المصادمات بين العرب وسكان المستعمرات. ومما تضمنته الأوراق والمستندات التي عثر عليها الأتراك عام 1915 في القنصلية الفرنسية، وجود خطة عربية للتخلص من الصهيوونية، تقضي بإضرام النار في المستعمرات اليهودية، وطرد السكان اليهود الصهيوونية ألد أعداء العرب.

عكست تقارير الدبلوماسيين البريطانيين تزايد الوعي العربي والمخاوف من سعي الصهيونية إلى إقامة دولة- أثناء الحرب العالمية الأولى- ففي مذكرة بتاريخ 12 كانون الثاني/يناير 1917، أشارت إلى أن "الأوضاع السياسية في فلسطين، وأسباب المعارضة العربية للصهيونية، تعود إلى أهداف الصهيونية السياسية الحديثة، والتي تهدف لإنشاء دولة يهودية مستقلة ذاتياً، وإقصاء السكان تدريجياً".

عقب الإعلان عن وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917، تحدثت التقارير البريطانية عن قلق المسلمين والمسيحيين من قيام حكومة يهودية في فلسطين، وتحديدًا في القدس، وهو الأمر الذي كان له دور في إظهار المسلمين تعاطفًا كبيراً مع ملك الحجاز، واتخاذ خطوات لإبلاغه بذلك.

أما بالنسبة إلى الصهيونية، فقد استطاعت أن توظف حتى الظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها فلسطين لصالح مشروعها، خصوصاً في ما يتعلق بتوسيع رقعة الاستيطان، وعقد صفقات بيع الأراضي، ووضعت نفسها في خدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي، وسعت إلى تكوين وحدات عسكرية يهودية لكي تشارك في احتلال فلسطين، وتكون نواة لجيش يهودي يربط فيها بعد انتزاعها من يد العثمانيين، حيث توجت مساعيها بإصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 1917.

مظاهر الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني:

انعكس الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني خلال الفترة من 1897-1917، من خلال مجموعة من المظاهر توالى وتطورت مع تطور المشروع الصهيوني وخطوات تنفيذه، وتمثلت بالوعي العربي لحقيقة الصهيونية وأهدافها، وعلى الرغم من أن الوعي لمثل هذه الأهداف، كان يختلف في حجمه وبدائياته ووسائل التعبير عنه، والنظرة إليه من شخص إلى آخر، إلا أنه كان هناك شبه إجماع على حقيقة واحدة- وإن شذ عنها بعضهم- وهي أن الصهيونية بشكل أو بآخر، هي خطر على الدولة العثمانية عموماً، وعلى الأمة العربية خصوصاً، ومن أهم الأهداف الصهيونية التي كان العرب على وعي لها هو الاستيلاء على الأرض واستبعاد أو استبعاد أهلها، وكان محمد رشيد رضا الأسبق إلى فهم هذه الحقيقة، فعرف الصهيونية في عام 1898 "بأنها التي تريد احتلال بلادكم واستعمارها".

حمل البيان الذي بعث به عدد من الشخصيات الفلسطينية إلى مجلس المبعوثان ونواب فلسطين عام 1908، المعنى ذاته فحذروا من سعي اليهود الصهاينة إلى استعمار البلاد وإخراج أهلها منها، أو تحويلهم إلى عبيد وخدم لهم.

أما صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور، فأكد في تشرين الثاني/نوفمبر 1910 أن الصهيونيين أشد الأعداء خطراً على الأمة والوطن، بل المملكة بأسرها بعروشها وفروشها.

جاءت الإشارة إلى هذا الهدف الصهيوني واضحة في برنامج "الحزب الوطني العثماني"، الذي أسسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي في صيف عام 1911،

فعرّف الصهيونية بأنها "الخطر الذي يحدق بوطننا، والموجة الرهيبة التي تضرب شواطئ بلادنا، وبأنها نذير بنفينا عن وطننا وطرردنا من بيوتنا وممتلكاتنا".

كما وصفت صحيفة المنادي الصهيونية في 20 نيسان/أبريل 1912 "بالضيف الثقيل الذي يحاول أن يطردنا من أراضينا ويسرق أموالنا".

حذرت صحيفة المؤيد في عام 1914 من أن غاية الصهيونية "جعل أصحاب تلك البلاد إجراء وهم أصحاب السيادة". نجد المعنى ذاته يتكرر لدى صحيفة فتى العرب التي أبدت تخوفها من أن "يتحول سكان فلسطين غداً إلى ممالك لا مالكين".

ثمة مظهر آخر من مظاهر الوعي لحقيقة الصهيونية، هو إدراك أسباب قوتها ونجاحها، وفي مقدم ذلك، التعليم والتنشئة السليمة لأبنائها، وارتبط هذا الوعي بأمرين: الأول يتعلق بأثره على الصهاينة ودرجة الاهتمام به، والثاني بمحاولة اقتباس هذه الميزة، وتشجيع العرب على اتباعها ليتمكنوا من مواجهة خصمهم والدفاع عن أوطانهم، ومن أجل هذه الغاية دعا راغب الخالدي أهالي فلسطين إلى إنشاء كلية إسلامية في القدس.

من ذلك أيضاً، إدراك حقيقة أن الصهيونية قائمة على فكر مؤسسي لا يستند إلى بقاء الأشخاص أو رحيلهم، ويتضح ذلك من خلال ما أوردته صحيفة الهدى تعليقاً على ما أشيع عن نتائج المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في آب/أغسطس 1911 بأنه دفن مبادئ صهيونية هرتزل، لتخلص إلى القول إن صهيونية هرتزل هي نفسها الصهيونية الحاضرة، ومتى ماتت الأولى، ماتت الثانية.

أدرك العرب أهمية مصدر آخر من مصادر قوة الصهيونية، هو دور أغنياء الصهاينة واليهود في توفير الدعم المادي للحركة على اختلاف أشكاله، وهو ما ذكره سعيد الحسيني في جلسة مجلس المبعوثان عام 1909، عند حديثه عن عدد من جاء إلى فلسطين من اليهود الذي يقدر بمئة ألف، وذلك بدعم من أغنياء اليهود كأوسشكين الروسي وروتشيلد وهرش وأمثالهم. كما حرصت الصحف العربية على تقديم نماذج من هذا الدعم، فنقلت صحيفة المقتبس في 28 كانون الأول/ديسمبر 1912 خبر تبرع ثري يهودي لإنشاء كلية إسرائيلية في القدس، وقد علقت الصحيفة في ختام الخبر، بالقول: "هل يوجد في الأمة العثمانية من يتبرع بربع هذا المبلغ لإنشاء مدرسة في القدس تضم بين جدرانها الوطنيين، وتدريبهم على المبادئ الصحيحة قبل أن يبتلع البقية الباقية للتين الصهيوني؟".

ومن ذلك أيضاً، حال التقدم والازدهار التي كانت تشهدها المستعمرات الصهيونية القائمة على أسس علمية حديثة، وعلى النقيض من ذلك، الحال التي كان عليها أهالي فلسطين، وممن أستوقفه هذا المنظر وكتب عنه عقب زيارة له إلى فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر 1909، صاحب صحيفة النبراس خليل بيدس الذي دق ناقوس الخطر لتبعات هذا الوضع ومخاطره.

من مظاهر الوعي العربي هو الوعي لثالوث المشروع الصهيوني: الاستيطان والهجرة وشراء الأراضي؛ إذ بدأ الوعي بهذا الخصوص بشكل مبكر جداً، فمراسل

صحيفة الثمرات وصف في 10 كانون الأول/ديسمبر 1900 الأوضاع بعد زيارته فلسطين، بقوله: "وعسى أن تكون الحكومة عالمة بحقيقة أخبارهم، إذ علمت من أسرارهم في سياحتي هذه ما لو أبوح به لما جاز أن يُباع يهودي شبراً من الأرض في هذه البلاد".

جرت في عام 1900 حملة احتجاجات واسعة قادها الفلاحون في فلسطين، ورفعوا العرائض احتجاجاً على شراء اليهود للأراضي العربية الزراعية.

وبتنامي النشاط الصهيوني، توسعت دائرة الوعي العربي لمخاطر الهجرة والاستيطان الصهيوني ولعمليات بيع الأراضي لليهود الصهاينة؛ فصحيفة المؤيد أكدت أن ابتياع الأراضي والأموال الواسعة، هي إحدى السبل التي يسعى الصهاينة إلى امتلاك فلسطين من خلالها، وقد شاركتها مجلة الهلال هذا الرأي من خلال مقال بعنوان "الصهيونية".

كانت جلسات مجلس المبعوثان ميداناً لمناقشتها؛ فخلال جلسات المجلس بين 1908-1909 طالب نائبا القدس الحكومة باتخاذ التدابير الفاعلة لوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما طالب نائب يافا حافظ السعيد في إحدى جلسات المجلس عام 1909 بإغلاق ميناء يافا في وجه اليهود. ويبدو أن إصرار النواب العرب خلال العام 1909 على مطالبهم بعدم السماح للمهاجرين بالاستيطان، دفع الحكومة إلى إعادة العمل بالقيود التي كانت فرضتها في تشرين الثاني 1900.

كما كانت عملية متابعة للقرارات التي تتخذها المؤتمرات الصهيونية بهذا الخصوص؛ فأوردت صحيفة المؤيد أمر موافقة المؤتمر الصهيوني التاسع في كانون الأول/ديسمبر 1909، على رصد مئتي ألف فرنك لإنشاء مستعمرة تعاونية في فلسطين، في حين أكدت صحيفة الأمة على أن الغاية من عقده، هو بحث الهجرة الإسرائيلية وأحوال المهاجرين.

من جانبها، تصدى عدد من الصحف العربية لعمليات بيع الأراضي، التي كان أعداؤهم فيها الصهاينة من جهة، والسماسة والسلطات التركية وبعض موظفيها من جهة أخرى؛ فصحيفة المقتبس في عددها الصادر في 15 آذار/مارس 1910، وصفت الهجمة الصهيونية على الأراضي بقولها: "تراهم اليوم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حيفا وما يليها إلا وينقضون عليه، ويشترونه بأثمان باهظة".

دفع هذا التواطؤ على بيع الأراضي بالكاتب مصطفى نمر إلى اتهام كل عثماني يبيع جمعيات الاستيطان رأساً أو بالوساطة أو بالقيام بتسهيل عمليات البيع ونيل الامتيازات والاستيلاء على التجارة بخيانة وطنه وحكومته.

أدى تزايد شكاوى أهالي فلسطين وخشيتهم من تدفق الهجرة اليهودية على بلادهم، وطلب النواب العرب، في منتصف أيار/مايو 1910، من وزير الداخلية أن يصدر تعليمات تقضي بمنع دخول المهاجرين اليهود، فأرسلت التعليمات إلى القدس وبيروت لتفعيل القيود على الهجرة.



في جلسة آذار/مارس 1911 أيد نائب القدس سعيد الحسيني ونائب دمشق عبد الرحمن بك، ونائب بيروت رضا الصلح أقوال النائب إسماعيل حقي حول شراء الحركة الصهيونية أراضي فلسطين من بعض الإقطاعيين وتخصيصها للمهاجرين اليهود. وفي جلسة 16 أيار/مايو 1911، طالب نائب دمشق شكري العسلي بالتصويت على مشروع قانون يقضي بوقف الاستيطان اليهودي في فلسطين.

عندما وافقت الحكومة على منح امتياز أراضي الحولة وبيع أراضي غور بيسان في المزاد العلني في تموز/يوليو 1913، أثار ذلك ردود فعل غاضبة ومخاوف الأهالي؛ فبعث زعماء قراها وقبائلها وأعيانها وكبار المزارعين، برقيتين إلى كل من السلطان ووالي بيروت، أوضحوا فيها أن هذه الأراضي اغتصبت منهم، وبأنهم يؤثرون الموت دفاعاً عن شعبهم وممتلكاتهم، على أن يهجروا بلادهم.

من مظاهر الوعي العربي لخطر الصهيونية، ذلك المتعلق بعلاقة التقارب والمصالح التي ربطت الصهاينة بالاتحديين، إذ اتخذ الوعي العربي بعد ثورة الاتحاديين شكلاً جديداً مزدوجاً، تمثل بكشف مخاطر المشروع الصهيوني من جهة، وكشف التعاون ما بينها وبين الاتحاديين من جهة أخرى، خصوصاً مع الدور البارز الذي لعبه اليهود- وتحديداً يهود الدونمة- في خلع السلطان عبد الحميد وبإدارة شؤون الدولة، فتنبأ رفيق العظم في ما كتبه في 13 آب/أغسطس 1909، بأنه سيكون لهم شأن كبير في عهد الدستور، غير الشأن الذي كان لهم في العهد السابق، وقد شاركه محمد رشيد رضا هذا الرأي، عندما ربط ذلك بأمالهم في القدس وفلسطين.

دفعت هذه العلاقة ببعضهم إلى التساؤل - كما فعل صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور في تشرين الثاني/نوفمبر 1910- قائلين: لم نعد نعرف أهي عثمانية أم صهيونية؟

كما هاجمت صحافة حزب "الأحرار المعتدلين"- الذي تأسس في خريف عام 1911- الاتحاديين، وأطلقت عليهم صفة الموالين للصهاينة.

ولدت هذه العلاقة المخاوف من الأثر السلبي الذي قد تتركه في علاقة العرب بجمعية تركيا الفتاة، وهو ما أشارت إليه مجلة المشرق في تشرين الثاني/نوفمبر 1911، في معرض حديثها عن مبالغة اليهود بإظهار فرحهم بالدستور الجديد، فقالت إن تظاهرهم بنياتهم اليهودية، لم يلبث أن أهاج سكان فلسطين ضد الدولة العثمانية الدستورية، وخصوصاً ضد جمعية تركيا الفتاة، التي أمست من جرّاء استسلامها للنفوذ اليهودي مكروهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية.

ثمّة بعد جديد أضافه عارف الشهابي في وعيه نتائج هذا التقارب في موضوع الهجرة، ألا وهو البعد القومي؛ فكتب في 23 كانون الأول/ديسمبر 1912 قائلاً: "إذا لم يكن ثمة داع يدعونا إلى التآلف من فكرة المهاجرة سوى الغاية التي يخيّل لنا أن الحكومة ترمي إليها، وهي إضعاف القومية في نفوس أبناء جلدتنا، لكان بها مدعاة لنا على النفور والكراهية".

تجسدت المخاوف العربية إلى واقع، بخصوص أثر التواطؤ الاتحادي الصهيوني في صفقات بيع الأراضي، وتسهيل حصول الصهاينة على الأراضي الأميرية أو المدورة وأراضي الأوقاف؛ إذ قامت الحكومة بوضع هذه الأراضي في المزاد العلني، مما أثار ردود فعل عربية غاضبة، فوجهت "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، في آب/أغسطس 1913 الاتهام للاتحاديين بأنهم "باعوا وطنهم، ووضعوا أراضي الدولة في المزاد، وبأنهم هم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقتروا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك".

كانت لجنة اللامركزية الإدارية قد بعثت في 9 تشرين الأول/أكتوبر 1913 برقية إلى الصدر الأعظم، طالبت فيها بمنع بيع أراضي أميرية إلا بقرار من مجلسها العمومي.

سعى الاتحاديون إلى تعزيز هيمنة الصهيونية الاقتصادية، وذلك من خلال بيعهم الامتيازات الزراعية والصناعية والتجارية، فشنت مجلة المنار في شباط/فبراير 1913، هجوماً عليهم لهذا السبب، ولأنهم جعلوا في "وزارتهم الجديدة المشكلة في كانون الأول/ديسمبر 1912، ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيوني، وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي يبيع الثروة". دفع هذا الوضع بسليم النجار إلى وصف الحكومة في 25 كانون الثاني/يناير 1913، بقوله: "الوزارة الحاضرة عصابة لصوص، يؤيدها الصهيونيون".

من أشكال الوعي العربي لخطر الصهيونية هو الوعي سعيها إلى إقامة دولة مستقلة في فلسطين، وكانت هناك مؤشرات ووعي مبكرة نوعاً ما لهذا الأمر، والصحافة العربية سبابة إلى إثارة المخاوف بهذا الشأن؛ ففي الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر 1897 إلى صحيفة المقطم بعنوان "مملكة صهيونية"، أكد خلالها أن هدف مؤتمر بال هو "المفاوضة في مشترى أرض فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار أورشليم في الدولة العلية، وجعلها مملكة إسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية، وعاصمتها القدس الشريف".

تحت عنوان "الحمام الإسرائيلي، ووطنه القديم"، ذكر فرح أنطون في مقال نشرته صحيفة الأهرام في 17 كانون الأول/ديسمبر 1898، أن القصد من سعي الصهيونية إلى شراء فلسطين، هو العودة إليها، وإعادة التمدن اليهودي فيها، بحجة أن الأرض أرضهم وأرض أجدادهم قبلهم.

كما أوردت مجلة المشرق عام 1899 "بأن غاية اليهود في مساعيهم لدى السلطان العثماني هو أن يمهّدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة في الأراضي المقدسة التي كانت قبل المسيح.

أما نجيب عازوري، فقد تحدث في كتابه "يقظة الأمة العربية"، الذي أصدره عام 1905، عن جهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة، معتمدين في مساعهم هذا على التفسير الحرفي والمادي للتوراة.

ووجه نجيب نصار الاتهام لليهود عام 1909 بتدبير الثورة على السلطان، لإحداث الفرقة بين الأتراك والعرب، من أجل هدم الإمبراطورية العثمانية، وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها.

أما النواب العرب، فقد أيد كل من نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك في جلسة الأول من آذار/مارس 1911، ما قاله مبعوث كوملجنة ورئيس حزب الأهالي إسماعيل حقي حول سعي الصهيونية إلى تأليف مملكة يهودية. وهو أمر عاد وأكدته كل من شكري العسلي وروحي الخالدي في جلسة 16 أيار/مايو 1911.

ثمّة جانب آخر اتسم به الوعي العربي خلال تلك المرحلة، هو الحرص على تمييز اليهود العثمانيين من الصهاينة، بل في كثير من الأحيان، كانوا يساؤون في خطر هذه الحركة على العثمانيين اليهود وغير اليهود، وكان يدفعهم إلى ذلك، أمران: الأول قناعتهم بأن هؤلاء ليسوا من ضمن المخطط الصهيوني، فهم رافضون له، ويرون فيه تهديداً لوجودهم في الدولة، بأن الصهيونية من حيث الأصل لم تدخلهم في حساباتها. إن دل هذا على شيء، فإنما على قسور في الوعي لحقيقة ما كان يجري، ولتأكيد صحة هذا القول، تكفي الإجابة عن التساؤل: أين هم اليهود العرب الآن؟ وإلى من كان انتماءهم الحقيقي؟ وما هو الدور الذي أداه هؤلاء في الترويج للمشروع الصهيوني في البلاد العربية؟ أما الثاني، فهو الخوف من اتهامهم بالسامية.

من أمثلة ذلك، ما قاله نائب بيروت رضا الصلح عند مناقشة المسألة الصهيونية في جلسة الأول من آذار/مارس 1911: "بالنسبة للموسويين العثمانيين فلا تدخل لهم، أما يهود الخارج فإنهم يريدون تشكيل دولة في فلسطين". وكان نائب القدس روهي الخالدي أكثر تحديداً في طرحه من خلال تأكيده أنه لا يتحدث عن مصالح المسلمين فقط، بل عن مصالح المسيحيين واليهود أيضاً، وأوضح أنه لا يقصد في حديثه اليهود من سكان فلسطين، إنما الصهيونية.

من المظاهر التي شغلت حيزاً مهماً في الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، هو التهديد الاقتصادي الصهيوني، الذي شكّل تهديداً مزدوجاً: أولاً للقوة الاقتصادية التي تمتعت بها الصهيونية، وثانياً لأثرها في الاقتصاد العربي؛ فقد أدرك العرب في فلسطين وخارجها، أن الصهيونية تسعى إلى السيطرة على الوطن العربي سيطرة سياسية عسكرية شاملة، ولكنها في البداية على الأقل كانت تسعى إلى تكون هذه السيطرة اقتصادية، وقد كان الوعي للخطر الاقتصادي الذي تشكله الصهيونية لدى الفلسطينيين أسبق وأكبر منه لدى بقية العرب. من هذا المنطلق، جاءت مقاومتهم للصهيونية بشكل مبكر جداً، بدليل أن هذه المقاومة لم تشتد إلا عندما بدأ تطبيق العمل العبري، في حين أن الوعي العربي خارج فلسطين كان ينصب بصورة أكبر على خطر الصهيونية السياسي، لذا انطلقت المعارضة لها على أساس قومي- باعتبار أن الصهيونية تهدد كيان الأمة العربية ووحدةها- وذلك لبعد هؤلاء من تأثير الخطر الاقتصادي الصهيوني.

من هذا المنطلق، عرّف مراسل صحيفة الأهرام إبراهيم نجار الصهيونية، بأنها حركة سياسية اقتصادية لغوية تستحق اهتمام العثمانيين، وخصوصاً أهل فلسطين وسوريا. وقد شاركه رأيه هذا، نائب القدس سعيد الحسيني.

هناك من ربط بين إعلان الدستور والهيمنة الاقتصادية الصهيونية، فكتب مراسل صحيفة المقتبس في حيفا عبدالله مخلص في 15 آذار/مارس 1910، يقول: "لم يكذب يعلن الدستور حتى أخذت الأسرات الإسرائيلية المهاجرة تستأثر بالتجارة، وتحنكر الصناعة، وتزاحم الفقراء".

قدمت صحيفة الكرمل في 6 أيلول/سبتمبر 1910، وصفاً للآلية التي يعمل وفقها الصهاينة، فقالت: "وكلهم يعملون في جد ونشاط فلا تجد منهم أحداً بلا عمل، ولا يستخدمون أحداً من الوطنيين في مصانعهم وصناعاتهم العالية، إلا عند الحاجة، وذلك لا يكون إلا في الخدمات الرخيصة، ويسعون للقضاء على الصناعة الوطنية كصناعة الحجار، وذلك بإيجاد بدائل أجمل وأرخص. يتعلمون اللغة الوطنية العربية بسرعة كي يعرفوا كيف يبيعون ويشتررون من الوطنيين، ولا يدعون صنعة أو تجارة تمازجها الحيلة إلا ويضعون أيديهم عليها، وهم يشتغلون بالزراعة على الأصول الأوروبية".

اتبعت الصهيونية في سبيل تحقيق أهدافها عدة أساليب، أدرك العرب بعضها، وغاب عنهم الكثير، فما أدركه العرب العلم ببعض أساليب الصهيونية، والتي كان أبرزها شراء الصهيونية عدداً من الصحف وإصدارها، لتتمكن من خلالها من الترويج لأهدافها، ومن الصحف التي اشتروها- وفقاً لما ذكره روجي الخالدي في كتابه السيونيزم- صحيفة إقدام، وأوعزوا إلى صاحبها بنشر المقالات الداعمة لهم، وكذلك صحيفة جون ترك وصاحبها جلال نوري الذي كان يستخدم كتباً من غير اليهود لكي لا يسيء الناس الظن بالصحيفة عند دفاعها عن مصالح الصهاينة، واستخدم الأسلوب ذاته مع بعض الصحف السورية مثل النفير والنصير.

ثمّة أسلوب آخر برع به الصهاينة هو الرشوة، الذي استخدمته أو حاولت استخدامه مع كل من تعاملت معهم لتحقيق أهدافها، وخير من قدم وصفاً لهذا الأسلوب، شكري العسلي في 5 كانون الأول/ديسمبر 1910، فيقول: "الحكومة كانت قبلاً منعت استعمارهم، ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر ألباب الخائنين من الحكام والمستخدمين استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبرية، وبعض قضاءي صفد ويافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها، واليوم يسعون للدخول إلى قضاء الناصرة".

ومن أساليبها أيضاً، التظاهر بالجنسية الأجنبية، حيث كان وسيلة استخدموها للتهرب من الخضوع لقوانين الدولة العثمانية، والحصول على الحماية الأجنبية والامتيازات التي كان يتمتع بها الأجانب، وقد أثارت التجاوزات التي كان يقدم عليها هؤلاء تحت مظلة جنسيتهم، تحفظات العرب داخل فلسطين وخارجها، لذا اشترط أعيان القدس في العريضة التي رفعوها إلى الحكومة عام 1899، أن يصبح اليهود رعايا عثمانيين للسماح لهم بالاستقرار في فلسطين.

كشف الأمير مصطفى أرسلان في 25 حزيران/يونيو 1910 عن نقطة مهمة بهذا الصدد، وهي احتفاظ بعضهم بجنسيتين العثمانية والأجنبية، "فهم يتعثرون كذباً، ويقيدون أسماءهم في دفاتر الحكومة بأسماء غير أسمائهم، وعند الحاجة يبرزون البساورطات بأسمائهم الحقيقية ويتابعياتهم الأجنبية، لذا طالب الدولة بتسجيل أسماء القادمين إليها على أنهم عثمانيون، وذلك بعد المصادقة على ذلك من دولهم وقناصلهم". وقد شاركه في هذا الرأي رفيق العظم.

ومن الامتيازات التي سعى الصهاينة إلى تحقيقها من وراء احتفاظهم بجنسياتهم، ما ذكره نائب بيروت رضا الصلح في جلسة مجلس النواب في آذار 1911، وهو عدم دفع الضرائب. وهناك أساليب التحايل في شراء الأراضي وتسجيلها، كالتلاعب بالمساحات التي يتم شراؤها، بحيث تظهر أقل مما هي عليه على أرض الواقع. وكذلك تسجيل القرى والمزارع الجاري بيعها لهم بأسماء مستعارة، واستغلال الأوضاع المالية والاقتصادية السيئة لملاك الأراضي والفلاحين في فلسطين وخارجها، واغتنام الفرصة لإغرائهم بالمال لحل أزماتهم الاقتصادية، مقابل بيع أراضيهم.

وكذلك التلاعب بأعداد المهاجرين اليهود، وضربت صحيفة الكرمل في 23 كانون الأول/ديسمبر 1910 على ذلك مثلاً، بقولها: "إن عدد نفوس الإسرائيليين في دفاتر حكومة حيفا لا يتجاوز الخمسمائة حالة، ولكن عددهم الحقيقي يربو على العشرة آلاف، وكلهم لا تعرف الحكومة شيئاً عن تبعثهم وصفتهم".

من ذلك أيضاً، الوعي لمساعي الصهيونية نشر الفساد الخلقي في المجتمع العربي، كوسيلة للتمهيد لتحقيق مشروعها، ومثال ذلك ما أورده روجي الخالدي في كتابه السيونزم، من إقبال بعض قبائل العربان على المسكرات والغانيات من اليهود، حيث كانت هناك فرقة مكونة من ثلاث ممثلات وثلثة ممثلين، استمروا شهراً كاملاً يمثلون أمام العربان في بيوت الشعر عند عضو الإدارة في بئر السبع.

من مظاهر الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني تزايد القناعة بضرورة اقتران القول بالفعل، لتكون المواجهة فاعلة، وترجمت ذلك إلى حلول عملية تمثلت بالدعوة إلى تقوية التجارة والصناعة الوطنية، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة، وهو ما طالب به عدد من الشخصيات الفلسطينية في البيان الذي أرسلوه إلى نواب فلسطين عام 1908، والدعوة إلى إنشاء مشاريع ربحية، تدعم الاقتصاد الفلسطيني، فأسس نادي "الإخاء الوطني" في نابلس صندوقاً اقتصادياً من أجل هذه الغاية.

هناك خطوة مهمة اتبعتها شكري العسلي مع أهالي قرية الفولة، وهي توعيتهم إلى حقوقهم القانونية لتمكينهم من مواجهة الهجمة الصهيونية، وخصوصاً على الأراضي، وذلك باستخدام حق الشفعة في الشراء والتملك.

كذلك تشكيل الأحزاب والجمعيات التي اقتصر هدفها على إيجاد السبل لمواجهة الخطر الصهيوني، وكان من أقدمها الهيئة المحلية التي ترأسها مفتي القدس محمد طاهر الحسيني عام 1897، وهي هيئة ذات صلاحيات حكومية تهدف إلى محاربة

الاستيطان الزراعي اليهودي، ومهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، وكانت من الفاعلية، بحيث حالت دون استقرار المهاجرين، ودون توظيفهم. وتكمن أهميتها في أنها أول عمل جمعي مؤسسي منظم ومبكر للرد على تنامي الهجرة والاستيطان.

كما تألفت في كانون الأول/ديسمبر 1910 في الأستانة جمعية "مقاومة مشروع الأصفر"، من أجل مقاومة مشروع الأصفر، و"الحزب الوطني العثماني"، الذي أسسه في آب/أغسطس 1911 الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، وسعى إلى منع بيع الأراضي، وإجراء إحصائية جديدة للنفوس وأمالك المستعمرات وأراضيها، واستيفاء الأموال الأميرية منهم لصالح الخزينة. وتأسس في القدس في حزيران/يونيو 1914 أربع مؤسسات وطنية، وهي: "الجمعية الخيرية الإسلامية"، و"جمعية الإخاء"، و"شركة التجارة الوطنية الاقتصادية". وتأسس "المنتدى الأدبي"، في حيفا، وكان برعاية نجيب نصار الذي أسس في بيروت جمعية "الشبيبة النابلسية"، وضمت مئة شاب من نابلس.

رداً على تطبيق الصهيونية سياسة العمل العبري، ورفض اليهود الصهاينة التعامل مع العرب، وخصوصاً بعد قدوم الموجة الثانية من الهجرة الثانية عامي 1907/1908، ظهرت الدعوة إلى مقاطعة كل ما هو منتج صهيوني في الأوساط العربية، ولإنجاح مثل هذه الخطوة طالبت صحيفة الأصمعي عام 1908 بشراء البضائع المحلية عوضاً من الأجنبية، وناشدت الممولين العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية.

كما طالب نصار بالمقاطعة التامة لليهود، وذلك بعدم الشراء منهم، أو البيع لهم، وعدم تأجيرهم البيوت، وقد نجحت دعوته في إثارة الفلاحين ضد اليهود.

خلال عام 1910، بدأت حملة منظمة لمقاطعة البضائع المصنعة في المعامل والمنشآت اليهودية، وتشكلت المنظمات التي حاولت تزعم حركة الاحتجاج، وذلك رداً على مقاطعة اليهود للبضائع والأيدي العربية.

من سبل المواجهة التي تمت الدعوة إليها، نبذ الكسل والتقاعس، والاقتران بالعدو؛ إذ أثار التنظيم الذي اتسم به الصهاينة والإخلاص والعمل الدؤوب إعجاب بعضهم، وارتأوا أن أفضل طريقة لمواجهتهم هي بتقليدهم، وكان في مقدم من نادى بذلك نجيب نصار، فطالب في 18 حزيران/يونيو 1910 بمحاربتهم بسلاحهم، وذلك كما فعلوا هم بتأليف الشركات المالية للحفاظ على الوطن، وحماية التجارة من خطر مزاحمته، والتعاون في ما بينهم.

رأى رفيق العظم في كانون الأول/ديسمبر 1910 أن أفضل وسيلة هي مجارة الأهالي اليهود في اتخاذ وسائل الترقى الطبيعي.

أما شبلي الشميل، فكانت له وجهة نظر أخرى بهذا الشأن، فرأى في أيار/مايو 1914، أن الصهاينة ليسوا دخلاء غرباء يعملون على سلب الأرض، بل هم مجتهدون، والأرض هي ميراث المجتهد الذي يتمكن من استغلالها خير استغلال.

رأى حسين سليم الحسيني أن الصهاينة جماعة متعلمين وذوي ثقافة، ولا مطامع لديهم، وليس من العدل والإنسانية أن نكره ونعادي هذا الشعب، بل يجب محاكاتهم، وفي الوقت ذاته مراقبتهم بعيون مفتوحة.

في نظرة ختامية للوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني 1897-1917م ، فإن أبرز ما يمكن أن يوصف به أنه لم يكن استباقياً في مواجهته هذا الخطر، فكانت ردود الفعل مبنية على ما يصدر عن العدو، إضافة إلى عدم التمتع بالنفس الطويل في المواجهة، وال فشل في القراءة الصحيحة للعدو، وفي توظيف الفرص لصالحه، إضافة إلى ضعف أداء النخبة العربية على اختلاف أشكالها ومستوياتها، فقد عجزت عن الإتيان بحلول علمية وعملية تساعد على المواجهة، فاكتفى بعضهم بالأقوال، وكان بعضهم خير عون للصهيونية في تنفيذ مخططاتها، وانشغل بعضهم الآخر بمصالحه، وتركوا المعنى الأول بالصراع والهدف الأول بالنسبة للصهيونية، وهو الفلاح والعامل وصاحب الأرض والتاجر وغيرهم، ليواجهوا معركة محسومة خسارتها قبل البدء بها، مع عدو أعد العدة، وتسليح بأفضل الأسلحة، فكانت النتيجة التي لا تزال أمتنا حتى وقتنا الحاضر تدفع ثمنها.

## الهوامش..

[1←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها، " شؤون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 124.

[2←]

وليد الخالدي، الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997 (بيروت: دار النهار، 1998)، ص 11.

[3←]

فرنسيس إملي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب"، ترجمة وديع البستاني (عمّان: جمعية عمّال المطابع التعاونية، 1967)، ص 116، ومحمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 534.

[4←]

الخالدي، المصدر نفسه، ص 11، وحسن محمد صبحي، التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967 (بيروت: دار النهضة، 1968)، ص 18-19.

[5←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 75.

[6←]

فيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 12.

[7←]

محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 2 ج (بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1970)، ج 1، ص 65، وألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 321.

[8←]



سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" و "الأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 153.

[9←]

المقتطف، الجزء 22 (نيسان/أبريل 1898)، ص 310.

[10←]

المنار، مج 1، ج 6 (1898)، ص 105-108.

[11←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914"، شؤون فلسطينية، العدد 36 (أب/أغسطس 1974)، ص 75.

[12←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976م)، ص 150، وعلي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[13←]

سامي زيبان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتخليها وتحديد خصوصيتها،" مجلة شؤون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[14←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 28، 32، 35، 64، 101 و 146.

[15←]

من الأمثلة التي يوردها هرتزل على ذلك أنه في 4 حزيران/يونيو 1903 - وعندما أعاد الاتصال بعزت باشا بعد انقطاع عدة أشهر - كتب له على ورقة منفصلة غير الرسالة الرئيسية، قال فيها: "كم تريد لنفسك إذا نجح المشروع، أطلب ما تريد واذكر على ورقة غير موقعة الطريقة التي نريدنا أن ندفع بها، وابعث بذلك إلي في مظروف مختوم عليه اسمي فقط، لن يعرف حامل الرسالة ما فيها، تستطيع أن تعطيه طلبك هذا، ويبقى كل شيء سراً بيني وبينك". انظر: المصدر نفسه، ص 397.

[16←]

المصدر نفسه، ص 37.

[17←]

المصدر نفسه، ص 35-36.

[18←]

المصدر نفسه، ص 214.

[19←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي"، ص 160.

[20←]

المصدر نفسه، ص 161.

[21←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 127.

[22←]

المصدر نفسه، ص 161.

[23←]

البشير، العدد 1524 (20/1/1920)، ص 3.

[24←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 805.

[25←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 802 و 803.

[26←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي"، ص 161.

[27←]

المصدر نفسه، ص 162.

[28←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 25.

[29←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 204.

[30←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 52.

[31←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 124.

[32←]

حددت هذه الرابطة هدفها بتحرير الشام والعراق من سيطرة الترك، وذلك من خلال إصدار نداءات تدعو فيها العرب إلى الثورة؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: مصطفى الشهابي، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها (القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1961)، ص 58.

[33←]

أسعد رزوق، "نجيب عازوري الوجودي المجهول، " المستقبل العربي، السنة 1، العدد 4 (تشرين الثاني/نوفمبر 1978)، ص 92؛ محمود عبيدات، أحمد مريود، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1997)، ص 69، و

, selected and edited with anArab Nationalism: An Anthology Haim (Berkeley, CA: University of introduction by Sylvia G. California Press, 1962), p. 30

[34←]

ألفريد دريفوس: هو ضابط فرنسي يهودي اتهم بالتجسس لحساب ألمانيا عام 1894، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، ثم تم العفو عنه عام 1906 وإعادته إلى منصبه، بعد سنوات تحولت قضية دريفوس من قضية فردية عادية إلى قضية سياسية، حيث وجد الصهيونيون فيها فرصة لإثارة قضية معاداة السامية، وإقناع الأقليات اليهودية بحتمية الحل الصهيوني للمسألة اليهودية، ويقال إن هذه القضية كانت نقطة التحول في موقف كثير من مفكري الصهيونية الذين كانوا يدعون إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون في كنفها، وفي مقدمهم هرتزل؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم (القاهرة: مركز الناصر، 2006)، ص 40.

[35←]

رزوق، المصدر نفسه، ص 92، وهوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ص 331.

[36←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 358.

[37←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 435، ويوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 92.

[38←]

يشير مترجم كتاب عازوري في ترجمته لحياته ومؤلفاته، أن له عدداً من المؤلفات لم يصلنا منها سوى كتاب واحد هو يقظة الأمة العربية، أما الكتب الأخرى التي ذكرها صديقه آجن جنك في الثورة العربية، فلم يعثر عليها حتى في المكتبة الوطنية في باريس، ويرجح أن الصهيونية العالمية قد قامت بسحب هذه الكتب وإتلافها، ومنها: كتاب الوطن العربي: دراسة معمقة للوضع الراهن، ودراسة مستقبل الأقطار العربية الآسيوية، وكتاب الخطر اليهودي العالمي: تصريحات ودراسات سياسية، وكتاب الدول الأجنبية ومسألة المقدسات المسيحية في الأرض المقدسة (خلاصة تاريخية وعرض للوضع الراهن)؛ لمزيد من التفاصيل انظر: نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 22.

[39←]

المصدر نفسه، ص 39 و43.

[40←]

المصدر نفسه، ص 43.

[41←]

المصدر نفسه، ص 74-75.

[42←]

شبتاي تيببت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 32.

[43←]

من هؤلاء حافظ بك السعيد الذي اعتقل عام 1905 والذي اتهم بالترويج لأفكار عازوري ومنشوراته، وتم تفتيش بيته وأوراقه، ثم أطلق سراحه بعد مدة قصيرة؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 207.

[44←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 52.

[45←]

محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، 2 ج (بيروت: مطابع الكشف، 1950)، ج 1، ص 19، ص 20، ووجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 13 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص 161.

[46←]

الشهابي، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميتها، ص 59.

[47←]

رزوق، "نجيب عازوري الوحدوي المجهول"، ص 93، وعبيدات، أحمد مريود، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن، ص 70.

[48←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لأصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي"، ص 163.

[49←]

مجلة المقتبس، مج 1، ج 8 (19/9/1906)، ص 281.

[50←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973م)، ص 191، وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 207.

[51←]

خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني (القدس: المطبعة التجارية، 1955)، ص 33-34.

[52←]

سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951، تحقيق باسل سليمان فيضي (بيروت: دار الساقي، 1998)، ص 79.

[53←]

سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق خالد زيادة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 247.

[54←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarenton Press, 1987), p. 21

[55←]

يوسف الخازن، الدولة اليهودية في فلسطين: وجهة نظر أحد أبناء البلاد، تقديم وتعريب وتعليق غسان الخازن (بيروت: أصدقاء الأرض المقدسة، 1987)، ص 15-16.

[56←]

إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 24.

[57←]

أحمد الظاهر ومحمود الزعبي، بين الفكرين العربي والصهيوني (عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985)، ص 75.

[58←]

مي صيقل، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[59←]

خيرية قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، "شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 101-103.

[60←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 546.

[61←]

المقتبس، العدد 467 (6/9/1910)، ص 1 و 27.

[62←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته" الكرمل"، 1909-1914م، "ص 103.

[63←]

المؤيد، العدد 5830 (31/7/1909)، ص 7، والمقتبس، العدد 196 (5/8/1909)، ص 3.

[64←]

الاتحاد العثماني، العدد 249 (15/7/1909)، ص 1-2.

[65←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172.

[66←]

النبراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 348.

[67←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 535.

[68←]

صيقلي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 55.

[69←]

عصمت برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين"، شؤون عربية، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 155.

[70←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 528.

[71←]

فخري البارودي، مذكرات فخري البارودي: ستون سنة تتكلم، ج 2 (دمشق: عاطف العجة، 1952)، ج 2، ص 112؛ السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني، ص 46؛ أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958)، ص 35-36؛ الشهابي، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها، ص 70-87، وأحمد عزت الأعظمي، القضية العربية:

أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها (بغداد: مطبعة الشعب، 1932)، ص 53-54.

[72←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973م)، ص 46، وبسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 144.

[73←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 29/11/1910، فاقرأوه،" الكرمل، العدد 1549 (24/1/1931)، ص 6.

[74←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 60.

[75←]

يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 211.

[76←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه،" الكرمل، العدد 1547 (17/1/1931)، ص 6.

[77←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه،" الكرمل، العدد 1567 (28/3/1931)، ص 8.

[78←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 2.

[79←]

المقتبس، العدد 459 (28/8/1910)، ص 2.

[80←]

المقتبس، العدد 371 (15/5/1910)، ص 2.

[81←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 1 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه،" الكرمل، العدد 1506 (27/8/1930)، ص 8.



[82←]

المصدر نفسه.

[83←]

المصدر نفسه.

[84←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 16 أيلول/سبتمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1522 (22/10/1930)، ص 6.

[85←]

المصدر نفسه.

[86←]

المصدر نفسه.

[87←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 29/11/1910 فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1550 (24/1/1930)، ص 6.

[88←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1، وكرد علي، خطط الشام، ج 3، ص 129.

[89←]

البطوش، “رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، ” ص 146.

[90←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 208.

[91←]

وليد الخالدي، “بناء الدولة اليهودية، 1897-1948م: الأداة العسكرية، ” مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 39 (صيف 1999)، ص 68.

[92←]

الحضارة، العدد 65 (23/6/1911)، ص 1.

[93←]

النفايس، ج 8 (آب/أغسطس 1911)، ص 376.

[94←]

الكلية، العدد 20 (كانون الأول/ديسمبر 1911)، ص 61.

[95←]

نسليم ملول، أسرار اليهود (القاهرة: المؤلف، 1911)، ص 61.

[96←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 5.

[97←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 4، وتوفيق علي برو، العرب والترک في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914 (دمشق: دار طلاس، 1991)، ص 282.

[98←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، " ص 156.

[99←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 6.

[100←]

المنهل، مج 2، ج 2 (شوال 1331هـ-أيلول/سبتمبر 1913م)، ص 49.

[101←]

المنار، مج 14، ج 2 (1/3/1911)، ص 159.

[102←]

وليد الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 73.

[103←]

المصدر نفسه، ص 73-74.

[104←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 27 أيار/ مايو 1911، فاقرأه، " الكرمل، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[105←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 24 حزيران/يونيو 1911، فاقرأه، ” الكرمل، العدد 1599 (22/7/1931)، ص 8.

[106←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[107←]

المنار، مج 14، ج 1 (30/1/1911)، ص 80، وأنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، 2 ج (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1986)، ص 223.

[108←]

المنار، مج 14، ج 2 (1/3/1911)، ص 159.

[109←]

المشرق، العدد 2 (شباط/فبراير 1912)، ص 7-8.

[110←]

أنور الجندي، يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، 3 ج (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1971)، ص 118.

[111←]

ليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 188.

[112←]

سهيلا سليمان الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 72، وعبد الحميد الزهراوي، الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي، جمعه وحققه جودت الركابي وجميل سلطان (دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962)، ص 380.

[113←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 31 تموز/يوليو 1911، فاقرأه، ” الكرمل، العدد 1615 (16/9/1931)، ص 8.

[114←]

المصدر نفسه.

[115←]

المقتبس، العدد 764 (26/8/1911)، ص 2.

[116←]

المقتبس، العدد 833 (19/11/1911)، ص 1-2.

[117←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[118←]

في عددها الصادر في 4 كانون الأول/ديسمبر 1911، أشارت الصحيفة إلى مسألة الإسرائيليين الأمريكيين، وحرية سفرهم وتجارتهم مع روسيا، ثم تحدثت في عددها بتاريخ 1 شباط/فبراير 1913 عن الإسرائيليين في تركيا وتقدير الحكومة، وتحدثت في 11 آب/أغسطس 1914 عن اليهود في تركيا، حيث استعرضت تاريخ هجرتهم إلى الدولة العثمانية، وفي 9 أيلول/سبتمبر 1913 تناولت بإسهاب المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي انعقد في فينينا.

[119←]

البيان، العدد 54 (24/11/1911)، ص 3.

[120←]

الوطن، العدد 455 (16/2/1911)، ص 2.

[121←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 84، والحوث، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 441.

[122←]

محمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 471.

[123←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 62، وعض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914"، ص 78.

[124←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص 21.

[125←]

من هذه المطالب اعتراف الباب العالي بالعرب كقومية مميزة، وباللغة العربية كلغة رسمية، والمبدأ الإقليمي للخدمة العسكرية، والحق الانتخابي للعشائر والقبائل العربية، وتوسيع صلاحيات المجالس العربية المحلية، ويؤكد أحمد الأعظمي أن حقي العظم هو من وضع النداء، وأصدره باسم "الجمعية الثورية"، التي أسسها هو والشيخ فؤاد الخطيب، ويؤيده في هذا الرأي عزت دروزة، الذي ينفي أن تكون هذه المناشير صادرة من حزب اللامركزية، وذلك لأن الصرخة الأولى والثانية عليهما ختم يحمل تاريخ 1909، وهو على الأرجح تاريخ تأسيس الجمعية الثورية، إضافة إلى تناقض المحتوى الثوري للصرخات مع حزب اللامركزية، وبأن سبب الربط بين هذه الصيحات والحزب يعود إلى العثور على نسخة من الصيحة الثالثة بين أوراق الحزب التي وصلت إلى الاتحاديين، فعزتها للحزب من أجل تجريمه، وكإثبات على خيانتته. كما ينفي دروزة ما ذهب إليه محب الدين الخطيب بأن هذه الصيحات تعود إلى الجمعية العربية الفتاة، وذلك للاختلاف الكبير في الأختام، ليرجح في النهاية أن هذه الأختام تعود إلى جمعية عربية سرية قامت في العهد الدستوري؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ ومذكرات وذكريات وتعليقات) (بيروت؛ صيدا: المكتبة العصرية، 1971)، ص 388، والأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها، ج 4، ص 110-117.

[126←]

الأعظمي، المصدر نفسه، ج 4، ص 110-117.

[127←]

المنادي، العدد 3 (20/4/1912)، ص 2.

[128←]

المنادي، العدد: 35 (8/10/1912)، ص 1.

[129←]

المقتبس، العدد 889 (28/1/1912)، ص 2.

[130←]

الحرب البلقانية: هي الحرب التي أعلنتها دول البلقان (صربيا، بلغاريا، اليونان) ضد الدولة العثمانية، والتي انتهت بخسارة الدولة العثمانية الكثير من أراضيها في أوروبا، كما دُمر جزء كبير من جيشها.

[131←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، "شؤون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 129.

[132←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism befor World War I  
London: University of California Press, 1976), p. 125.

[133←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، " ص 111.

[134←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 80.

[135←]

المصدر نفسه، ص 80.

[136←]

عرفات حجازي، الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظماتها السرية ([د. م: د. ن. ]،  
1980)، ص 24.

[137←]

واصف جوهرية، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من  
مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري  
وعصام نصار، 2 ج (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ج 1، ص  
36 و 200.

[138←]

السيد يسين وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين،  
1882-1948، 2 ج (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 135.

[139←]

فيضي، مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-  
1951، ص 166-167.

[140←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " ص 130.

[141←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" ص 148.

[142←]

الزهرراوي، الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهرراوي، ص 235.

[143←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 132.

[144←]

السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني، ص 71.

[145←]

قاسمية، المصدر نفسه، ص 136.

[146←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني،" ص 110.

[147←]

اسخريوطي: هو لقب يهوذا الذي سلّم المسيح.

[148←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 219.

[149←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 142.

[150←]

المصدر نفسه، ص 142.

[151←]

برر عبد الحميد الزهرراوي اختيار باريس كمكان لانعقاد المؤتمر "بالاضطهاد الذي لقيته الجمعية الإصلاحية في بيروت، وسجن بعض أعضائها، ونُسمع أوروبا مطالبنا، ونعلن رأينا في ما يمكن أن تطمح إليه بلادنا، وفضلنا باريس لأن الجالية العربية فيها أكثر عدداً منها في سائر العواصم"، لمزيد من التفاصيل، انظر: داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص 59.

[152←]

المصدر نفسه، ص 58.

[153←]

أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، ص 23-24.

[154←]

صيفلي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 57.

[155←]

محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948، ص 22.

[156←]

المصدر نفسه، ص 22-23.

[157←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 134-135.

[158←]

البيان، العدد 136 (9/9/1913)، ص 2.

[159←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " ص 136.

[160←]

داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص 40.

[161←]

المصدر نفسه، ص 42 و 44.

[162←]

المصدر نفسه، ص 43.

[163←]

المنار، مج 17، ج 4 (27/3/1914)، ص 309-310.

[164←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 231.

[165←]

داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص 44.



[166←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" ص 150.

[167←]

محب الدين الخطيب، أوراق محب الدين الخطيب: جوانب من سيرة حياته (مخطوط) (مركز الوثائق، الجامعة الأردنية، عمان).

[168←]

البطوش، المصدر نفسه، ص 152.

[169←]

المصدر نفسه، ص 157.

[170←]

الدليل، العدد 497 (19/6/1913)، ص 4.

[171←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 92-98.

[172←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 138.

[173←]

المنهل، مج 1، ج 6 (7 صفر وربيع الأول 1332هـ -كانون الثاني/يناير 1914)، ص 277.

[174←]

السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني، ص 63.

[175←]

المصدر نفسه، ص 67-68.

[176←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 73.

[177←]

المصدر نفسه، ص 73.

[178←]

كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية  
اقتصادية، ص 249.

[179←]

فلسطين، العدد 328 (25/7/1914)، ص 2.

[180←]

ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتخليها وتحديد خصوصيتها،" ص  
161.

[181←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 71.

[182←]

المصدر نفسه، ص 74.

[183←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم،  
تحرير مفلح الخوالدة (عمّان: [د.ن.]، 1993)، ص 250.

[184←]

يوسف لمدان، العرب والصهيونية، 1882-1914، ترجمة الياس شوفاني (دمشق:  
دار الحصاد، 2009)، ص 81.

[185←]

لسان الحال، العدد 7470 (4/2/1914)، ص 2.

[186←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917:  
دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة"  
والأهالي"، ص 81-82.

[187←]

المصدر نفسه، ص 82.

[188←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 146.

[189←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م،" ص 139.

[190←]

المصدر نفسه، ص 139.

[191←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 554.

[192←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 ص 440.

[193←]

المنار، مج 17، ج 9 (أيار/مايو 1914)، ص 708.

[194←]

لمدان، العرب والصهيونية، 1882-1914، ص 81.

[195←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 209.

[196←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 129.

[197←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 78.

[198←]

لمدان، العرب والصهيونية، 1882-1914، ص 82.

[199←]

المصدر نفسه، ص 80.

[200←]

المصدر نفسه، ص 79.

[201←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 110.

[202←]

الأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها، ج 4، ص 4-5.

[203←]

المصدر نفسه، ص 6-7.

[204←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 135.

[205←]

الهلال، مج 24، ج 5 (1916)، ص 401.

[206←]

المصدر نفسه، ص 401.

[207←]

The Arab Bulletin: Bulletin of the Arab Bureau in Cairo, 1916-1919 (London: Archive Editions, 1986), vol. 1, p. 213.

[208←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966 UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 117.

[209←]

الأفكار، العدد 1065 (20/9/1916)، ص 4.

[210←]

المصدر نفسه، ص 4.

[211←]

الزهر اوي، العدد 110 (9/7/1917)، ص 1-2.

[212←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998م)، ص 297.

[213←]

سهام نصار، الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1991)، ص 188.

[214←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 71.

[215←]

آباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبد الكريم النقيب، شخصيات صهيونية؛ 5 (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 94.

[216←]

ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 32.

[217←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 71.

[218←]

فلسطين العربية واليهود، (دمشق: مكتبة الأسد، [دبت])، ص 156.

[219←]

B. Destani, ed.,

Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab (Cambridge, UK: Cambridge University Countries 1841-1974 Press, 2005), vol. 3, p. 23.

[220←]

آباء الحركة الصهيونية، ص 96.

[221←]

حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 25 و 29.

[222←]

المصدر نفسه، ص 46.

[223←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص 13.

[224←]

مصطفى الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهد العثماني والبريطاني، 1854-1948م، "دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1975)، ص 30 و34، ومحمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة (بيروت: دار النهضة، 1989)، ص 83.

[225←]

واصف جوهرية، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار، 2 ج (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 52.

[226←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 230.

[227←]

ثيودور هرتسل: عراب الحركة الصهيونية، شخصيات صهيونية (عمان: دار الجليل للنشر، 1986)، ص 280، وسمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984)، ج 1: مرحلة الإرهاصات، ص 77.

[228←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 66، وحسان حلاق، "موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني، 1897-1904، "شؤون فلسطينية، الأعداد 74-77 (كانون الثاني/يناير-نيسان/أبريل 1978)، ص 162.

[229←]

ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم (القاهرة: مركز الناصر، 2006)، ص 83.

[230←]

أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية (عمان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 78 و88.

[231←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 129.

[232←]

(London) (April 1900), p. 128. Palestine Exploration Fund

[233←]

Donna Robinson Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power (London: Lynne Rienner Publishers, 1993), p. 135.

[234←]

جوهريّة، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهريّة، 1904-1917، ص 52.

[235←]

الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م،" ص 31.

[236←]

البشير، العدد 1426 (5/3/1900)، ص 3.

[237←]

المصدر نفسه، ص 3.

[238←]

فلسطين العربية (دمشق: مكتبة الأسد، [د.ت.] ص 147-148).

[239←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 306.

[240←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 173 و200، ومصطفى السيد عاشور، نحن والصهيونية (القاهرة: مكتبة وهبة، 2002)، ص 205.

[241←]

عرفات حجازي، الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظماتها السرية ([د.م: د.ن.])، ص 56 (1980).

[242←]

النحيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 89-91.

[243←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 115.

[244←]

عبد الفتاح العويسى، جذور القضية الفلسطينية، 1799-1922 (الخليل، فلسطين: دار الحسن للطباعة والنشر، 1992)، ص 77.

[245←]

محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ ومذكرات وذكريات وتعليقات) (بيروت؛ صيدا: المكتبة العصرية، 1971)، ص 185، وعمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، 1516-1922 (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994)، ص 487.

[246←]

ليلى عبد اللطيف أحمد، موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1987)، ص 32-33.

[247←]

السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص 34.

[248←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1577 (6/5/1931)، ص 8.

[249←]

وليد الخالدي، “كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، ” في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 72.

[250←]

حيدر رشيد، “مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب، ” شؤون فلسطينية، العدد 109 (كانون الأول/ديسمبر 1980)، ص 104.

[251←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 231-232.



[252←]

حسن محمد صبحي، التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967 (بيروت: دار النهضة، 1968)، ص 28.

[253←]

مايكل دمير، "الاستيطان اليهودي في القدس،" مجلة الدراسات الفلسطينية، السنة 2، العدد 8 (خريف 1991)، ص 35.

[254←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها،" شؤون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 138.

[255←]

يوسف براص، قرية على ضفاف الأردن، ترجمة رسمي بيادسة (يافا: دار النشر العربي، 1967)، ص 22.

[256←]

Walter Laqueur, A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel (New York: MJF Books, 1972), p. 211

[257←]

براص، المصدر نفسه، ص 21.

[258←]

ألكسندر شولتس، تحولات جذرية في فلسطين، 1856-1882، ترجمة كامل العسلي (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1992)، ص 142.

[259←]

Robert John and Sami Hadawi,

, with a foreword by Arnold J. The Palestine Diary, 1914-1945  
Toynbee (New York: New World Press, 1970), vol. 1, p. 7.

[260←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 48.

[261←]

المصدر نفسه، ص 7.

[262←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ج 1، ص 203.

[263←]

السيد يسين وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ج 1، ص 58.

[264←]

علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمّان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[265←]

شولتس، تحولات جذرية في فلسطين، 1856-1882، ص 138.

[266←]

أبو نظارة، العدد 3 (24 ذي القعدة 1316هـ -5 نيسان/أبريل 1899م)، ص 13.

[267←]

المقتطف، ج 22 (نيسان/أبريل 1898)، ص 310.

[268←]

المشرق، السنة 2 (1899)، ص 1088-1094، وأيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص 370-372.

[269←]

ممدوح الروسان، فلسطين والصهيونية، 1882-1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979)، ص 138.

[270←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism before World War I  
London: University of California Press, 1976), p. 56 and 225.

[271←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 151.

[272←]

جاء ذلك من خلال مقال بعنوان: "اليهود في سوريا ومستعمراتهم"، بتوقيع نزيل سورية بالإسكندرية، المؤيد، العدد 2882 (15/10/1899).

[273←]

المؤيد، العدد 2882 (15/10/1899)، ص 2.

[274←]

المصدر نفسه.

[275←]

الهدى، العدد 29 (12/12/1900)، ص 3.

[276←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 134.

[277←]

الهدى، العدد 43 (21/7/1901)، ص 1-2.

[278←]

الهدى، العدد 76 (20/11/1901)، ص 1.

[279←]

Mandel,

, p. 40 and 224. The Arabs and Zionism before World War I

[280←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404-407.

[281←]

ثيودور هرتزل، الأرض القديمة الجديدة، ترجمة مثير حداد (يافا: دار النشر العربي، 1968م)، ص 66.

[282←]

المصدر نفسه، ص 65 و 103.

[283←]

المصدر نفسه، ص 100-101.

[284←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 434.

[285←]

غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1992)، ص 68.

[286←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 508.

[287←]

النعمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 89-91.

[288←]

المصدر نفسه، ص 136.

[289←]

نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 75.

[290←]

رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، ص 49.

[291←]

كيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 57.

[292←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 94.

[293←]

محمود الشيبات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 44.

[294←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 45.

[295←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 92.

[296←]

فيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 21.

[297←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 129.

[298←]

Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power, p. 11

[299←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 1.

[300←]

المشرق، مج 10 (1917)، ص 997، ومحمود العابدي، صدف في التاريخ (عمّان: جمعية عمال المطابع، 1977)، ص 114.

[301←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 198.

[302←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404-407.

[303←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 197.

[304←]

Mandel,

, pp. 49 and 51. The Arabs and Zionism before World War I

[305←]

هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين، 2 ج (دمشق: دار القلم، 2002)، ص 20.

[306←]

تعكس مذكرات أفراد هذه الهجرة حجم إيمانهم بفكرتهم وهدفهم؛ فبن غوريون كتب إلى والده بعد هروبه من الخدمة في الجيش الروسي، يقول: "إن خلق قرية جديدة في فلسطين أفضل من كل الاشتراكات المالية، وأجدي نفعاً من كل الاجتماعات والمؤتمرات، إن السكن في فلسطين هو الصهيونية الحقيقية فقط، وكان بن غوريون ينطلق في موقفه هذا من مقولته "الوطن لا يشتري بالسياسة بل بعرق الجبين"، لمزيد من التفاصيل، انظر: تهاني سلامة هلوسة، دافيد بن غوريون، دراسات فلسطينية؛ 44 (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 27 و30.

[307←]

Anita Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, New York: Oxford University Press, 1992), pp. 68-) 1881-1948 .69

[308←]

الصهاينة العمليين: مجموعة من الصهاينة كانوا يرون في النشاط الدبلوماسي اللاهث وراء الوعود والضمانات الدولية التي كان يقوم بها هرتزل- وهو ما عرف بالصهيونية السياسية- هي مضيعة للوقت، ورأوا ضرورة حصر الجهود في تنمية المستعمرات داخل فلسطين، وزيادة الهجرة إليها، لفرض سياسة الأمر الواقع، لمزيد من التفاصيل، نظر: حايم وايزمان، مذكرات حايم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 24.

[309←]

حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948، ص 23.

[310←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 222.

[311←]

الشيئات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[312←]

ومن أهمها إلغاء فرمان الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني عام 1882، الذي يقضي بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والقدس الشريف، لمزيد من التفاصيل، انظر: إبراهيم الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل (لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985)، ص 238.

[313←]

Mandel,

, p. 55 The Arabs and Zionism before World War I

[314←]

حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، ص 66.

[315←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 523.

[316←]

أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918 (عمّان: مؤسسة شومان، 1996)، ص 617.

[317←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 399، و

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948, p. 68.

[318←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 27.

[319←]

الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م،" ص 32.

[320←]

المصدر نفسه، ص 28.

[321←]

أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918، ص 602.

[322←]

صبحي، التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967، ص 32.

[323←]

وليد الخالدي، الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997 (بيروت: دار النهار، 1998)، ص 23.

[324←]

أريه ل. أفنزي، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948، ترجمة بشير البرغوثي (عمّان: دار الجليل للنشر، 1986)، ص 103.

[325←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 434.

[326←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53 و 57، وأكس كرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين (حيفا: جامعة حيفا، 1979)، ص 159.

[327←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 149.

[328←]

ويلاحظ أن هذه المطالب أصبحت كدستور لمطالب الحركة الوطنية الفلسطينية على اختلاف أشكالها كالحزب الوطني عام 1911، والنشرات العامة التي كانت توزع في فلسطين، لمزيد من التفاصيل، انظر: يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 13.

[329←]

المصدر نفسه، ص 61.

[330←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 216.

[331←]

كيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 57.

[332←]

Mandel,

, p. 167. The Arabs and Zionism before World War I



[333←]

شبتاي تيبب، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 31-32؛ أفنزي، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948، ص 104، وآباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبد الكريم النقيب، شخصيات صهيونية؛ 5 (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 92.

[334←]

الخالدي، الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997، ص 23، و

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948, pp. 68-69.

[335←]

Rafael N. Rosenzweig,

Brill (Leiden: The Economic Consequences of Zionism Academic Pub., 1997), p. 10.

[336←]

الشبيبات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[337←]

خليل أبو رجيلي، "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل،" شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 135، وصبحي، التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967، ص 37.

[338←]

.Rosenzweig, The Economic Consequences of Zionism, p. 10

[339←]

الشبيبات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[340←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 47.

[341←]

المصدر نفسه، ص 51.

[342←]

شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949)، ص 339-340؛ ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 32، و

.Rosenzweig, The Economic Consequences of Zionism, p. 10

[343←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarenton Press, 1987), p. 17

[344←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948, p. 60

[345←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 71.

[346←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 76.

[347←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 207.

[348←]

المصدر نفسه، ص 207.

[349←]

حلاق، "موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني، 1897-1904، " ص 247، وعصمت برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، " شؤون عربية، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 93.

[350←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 72.

[351←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 59.

[352←]

بسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 144.

[353←]

المقتطف، مج 35، ج 4 (تشرين الأول/أكتوبر 1909)، ص 957.

[354←]

المؤيد، العدد 5831 (1/8/1909)، ص 5.

[355←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالدة (عمّان: [د.ن.]، 1993)، ص 247.

[356←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172.

[357←]

Mandel,

, p. 167. The Arabs and Zionism before World War I

[358←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 59.

[359←]

العصر الجديد، العدد 104 (4/12/1909)، ص 2.

[360←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 527.

[361←]

الاتحاد العثماني، العدد 397 (10/1/1910)، ص 1-2.

[362←]

المؤيد، العدد 5952 (1/1/1910)، ص 6، والعصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910).

[363←]

الأمة، العدد 28 (8/1/1910)، ص 2.

[364←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 19 آذار/مارس 1910، فاقرأوه، “ الكرمل،  
العدد 1448 (29/3/1930)، ص 8.

[365←]

خيرية قاسمية، “نجيب نصار في جريدته “الكرمل”، 1909-1914، “ شؤون  
فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 104.

[366←]

حداد، “مواقف جريدة “الكرمل” من الصهيونية في العهد العثماني، “ ص 98.

[367←]

المصدر نفسه، ص 98.

[368←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918  
(بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 75-76.

[369←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 16 نيسان/أبريل 1910، فاقرأوه، “ الكرمل،  
العدد 1457 (19/4/1930)، ص 8.

[370←]

يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص  
214.

[371←]

الاتحاد العثماني، العدد 401 (14/1/1910)، ص 1.

[372←]

الأمة، العدد 57 (13/2/1910)، ص 2.

[373←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 2.

[374←]

اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ص 177، والدجاني والدجاني،  
فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، ص 247.

[375←]

يشكك ماندل في هذا الرقم، ويشير إلى أن متوسط دخول اليهود السنوي خلال الفترة من 1882-1914، من ألفين إلى ثلاثة آلاف مهاجر. لمزيد من التفاصيل، انظر:

Mandel,

, p. 229. The Arabs and Zionism before World War I

[376←]

المصدر نفسه، ص 105.

[377←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 حزيران/يونيو 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1485 (9/7/1930)، ص 4.

[378←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 9 تموز/يوليو 1910 فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1490 (18/7/1930)، ص 4.

[379←]

المصدر نفسه، ص 4.

[380←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1543 (3/1/1931)، ص 4.

[381←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1548 (21/1/1931)، ص 6.

[382←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[383←]

المقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[384←]

البطوش، “رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة  
الإصلاحية، ” ص 145.

[385←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1910، فاقرأه، ”  
الكرمل، العدد 1551 (30/1/1930)، ص 6.

[386←]

المفيد، العدد 362 (12/4/1910)، ص 2.

[387←]

المفيد، العدد 391 (16/5/1910)، ص 2.

[388←]

النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 88 و95.

[389←]

إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي (القاهرة: دار الفضيلة، 2003)، ص  
257-258.

[390←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 10.

[391←]

أرنولد توينبي، فلسطين: جريمة ودفاع، ترجمة عمر الديراوي (بيروت: دار العلم  
للملايين، 1981)، ص 24-25.

[392←]

رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، ص 49.

[393←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-  
1914م)، ص 537.

[394←]

الدليل، العدد 373 (1/1/1911)، ص 5.

[395←]

المقتبس، العدد 685 (24/2/1911)، ص 2.

[396←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقرأه، ”  
الكرمل، العدد 1562 (11/3/1931)، ص 8.

[397←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، " ص 106.

[398←]

توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914 (دمشق: دار طلاس، 1991)، ص 241.

[399←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 2.

[400←]

سهيلا سليمان الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 147،  
و

Divine,

Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for  
, p. 155.Survival and Power

[401←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين،"  
ص 156.

[402←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[403←]

الحضارة، العدد 59 (12-25/5/1911)، ص 6.

[404←]

المصدر نفسه، ص 6.

[405←]

المصدر نفسه، ص 6.

[406←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين،"  
ص 156-157.

[407←]

Mandel,

, pp. 112 and 115. The Arabs and Zionism before World War I

[408←]

أدت هذه الزيادة إلى تنبه رجال العهد الجديد إلى خطورة الوضع، والخشية من إقامة اليهود لحكم ذاتي، وظهور حركة انفصالية في فلسطين، فعادوا إلى وضع القوانين لمنع الهجرة، ويبدو أن الصهاينة فهموا مغزى هذه الرسالة والمخاوف الاتحادية، فتمت طمأننتهم من خلال قرارات مؤتمرهم المنعقد في بال في تشرين الثاني/نوفمبر 1911، بعدم إنشاء مكتب للمهاجرة الصهيونية- بالرغم من ضرورته- لتنظيم قوانين هذه المهاجرة.

[409←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[410←]

المصدر نفسه، ص 3.

[411←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1911، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1559 (28/2/1931)، ص 8.

[412←]

المقتبس، العدد 638 (30/3/1911)، ص 4.

[413←]

المقتبس، العدد 709 (21/6/1911)، ص 2.

[414←]

المصدر نفسه.

[415←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1603 (8/8/1931)، ص 8.

[416←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1604 (16/8/1931)، ص 13.

[417←]

وكانت الحكومة قد بدأت في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 1910 بجمع كافة أنواع الأسلحة في فلسطين تزامناً مع الحملة العسكرية على الكرك، لمزيد من التفاصيل،



انظر: المقتبس، العدد 549 (17/12/1910)، ص 2.

[418←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 24 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1592 (27/6/1931)، ص 8.

[419←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[420←]

المصدر نفسه، ص 2.

[421←]

حداد، “مواقف جريدة ”الكرمل“ من الصهيونية في العهد العثماني، ” ص 200.

[422←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1605 (22/8/1931)، ص 8.

[423←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1616 (10/10/1931)، ص 8.

[424←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 65، وليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[425←]

عوض، “الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، ” ص 78.

[426←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1611 (23/9/1931)، ص 8.

[427←]

المصدر نفسه، ص 8.

[428←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 2.

[429←]

سهيلة الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918، " ورقة قدمت إلى: المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين (عمّان: مطابع الجمعية العلمية، 1983)، مج 3، ص 236.

[430←]

حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، ص 67.

[431←]

المقتبس، العدد 784 (18/9/1911)، ص 2.

[432←]

المصدر نفسه، ص 2.

[433←]

المقتبس، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[434←]

النفايس العصرية، ج 1 (10 تشرين الأول/أكتوبر 1911)، ص 453.

[435←]

سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق خالد زيادة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 235-236.

[436←]

المصدر نفسه، ص 231.

[437←]

المقتبس، العدد 885 (23/1/1912)، ص 1.

[438←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 104.

[439←]

المصدر نفسه، ص 104.

[440←]

المنادي، العدد 8 (26/3/1912)، ص 1.

[441←]

الكلية، السنة 3، العدد 6 (نيسان/أبريل 1912).

[442←]

المقتبس، مج 7 (1912)، ص 469.

[443←]

المصدر نفسه، ص 33.

[444←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، " ص 108.

[445←]

كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية  
اقتصادية، ص 224.

[446←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918، " ص 240.

[447←]

المصدر نفسه، ص 228.

[448←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " شؤون  
فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 129.

[449←]

هلسة، دافيد بن غوريون، ص 28.

[450←]

المنادي، العدد 22 (2/7/1914)، ص 2.

[451←]

المقتبس، العدد 578 (19/11/1911)، ص 3.

[452←]

فلسطين، العدد 184 (2/11/1912)، ص 1، وعض، "الشخصية الفلسطينية  
والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " ص 78.

[453←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918،" ص 238.

[454←]

البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، ص 166-167.

[455←]

فلسطين، العدد 54-257 (26/7/1913)، ص 1.

[456←]

فلسطين، العدد 1628-233 (14/2/1914)، ص 1.

[457←]

الشريفي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 224.

[458←]

المنادي، العدد 29 (20/8/1912)، ص 3.

[459←]

المصدر نفسه.

[460←]

المقتبس، العدد 968 (19/8/1912)، ص 2.

[461←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م،" ص 110.

[462←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918،" ص 237.

[463←]

ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 362.

[464←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" ص 147.

[465←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 168، و

Mandel,

, p. 155. The Arabs and Zionism before World War I

[466←]

Mandel, Ibid., p. 156.

[467←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of  
.Ideology, pp. 67-68

[468←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة  
الإصلاحية،" ص 140.

[469←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 160.

[470←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966  
UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 52,  
.14/5/1915

[471←]

عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914،" ص 84.

[472←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م،" ص 136.

[473←]

Mandel,

, pp. 161-163, and The Arabs and Zionism before World War I  
Burdett, ed.,

, pp. 72-73. Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966

[474←]

إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية  
والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10 (بيروت: مركز دراسات  
الوحدة العربية، 1987)، ص 23.

[475←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " ص 134.

[476←]

فلسطين: العدد 49-252 (9/7/1913)، والعدد 59-262 (13/8/1913).

[477←]

فلسطين، العدد 270 (28/8/1913)، ص 3، ومحمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 472.

[478←]

عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " ص 82.

[479←]

المصدر نفسه، ص 82.

[480←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 107.

[481←]

عوض، المصدر نفسه، ص 82.

[482←]

فلسطين، العدد 78-281 (18/10/1913).

[483←]

القبس، العدد 37-1337 (17/11/1913)، ص 1.

[484←]

القبس، العدد 63 (26/8/1913)، ص 3.

[485←]

فلسطين العربية واليهود، ص 148.

[486←]

المنادي، العدد 4-50 (6/2/1913)، ص 3، وفلسطين، العدد 286 (23/10/1913)، ص 3.

[487←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 557.

[488←]

القبس، 23/10/1913، ص 2.

[489←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 258.

[490←]

لسان الحال، العدد 7469 (13/2/1914)، ص 4.

[491←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 124.

[492←]

فلسطين، العدد 321 (4/4/1914)، ص 1.

[493←]

المقتبس، العدد 1463 (14/4/1914)، ص 2.

[494←]

فلسطين: العدد 226 (2/4/1913)، ص 1، والعدد 231 (19/4/1914)، ص 1.

[495←]

لسان الحال، العدد 7521 (15/4/1914)، ص 2.

[496←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 4.

[497←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، " ص 139.

[498←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 74.

[499←]

لسان الحال، العدد 7535 (1/5/1914)، ص 3.

[500←]

لسان الحال، العدد 7547 (15/5/1914)، ص 1.

[501←]

ماهر الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993 (نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1995)، ص 224-225.

[502←]

الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م،" ص 32.

[503←]

الشريفي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 216.

[504←]

لسان الحال، العدد 7605 (22/7/1914)، ص 2.

[505←]

لسان الحال، العدد 7610 (28/7/1914)، ص 3.

[506←]

محمد وفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب، فلسطين في نهاية العصر العثماني: ولاية بيروت/لواء عكا، دراسة وتحقيق زهير غنايم ومحمد محافظة (إربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2001)، ص 240-242 و 251-252، وكرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين، ص 219.

[507←]

Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power, p. 148

[508←]

آباء الحركة الصهيونية، ص 94.

[509←]

محمد حافظ يعقوب، "ملاحظات تمهيدية حول الحركة الصهيونية،" دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1973)، ص 15.

[510←]

لسان الحال، العدد 7405 (27/11/1913)، ص 2.

[511←]



محمود يزبك، النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمّان: البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 328.

[512←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 82.

[513←]

الهلال، مج 24، ج 5 (شباط/فبراير 1916)، ص 401.

[514←]

الهلال، مج 26 (تشرين الأول/أكتوبر 1917)، ص 292.

[515←]

“قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، ” شؤون فلسطينية، العدد 5 (تشرين الثاني/نوفمبر 1971)، ص 163.

[516←]

John and Hadawi,

, p. 62. The Palestine Diary, 1914-1945

[517←]

وايزمان، مذكرات حايم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل، ص 30.

[518←]

المقتبس، العدد 1594 (16/5/1915)، ص 2.

[519←]

الدباغ، “الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948”، ص 33.

[520←]

“Notes Written Early in 1915, “Syria, The Raw Material,”

, vol. 11 (1917), pp. 107-108. Arab Bulletin

[521←]

Jane Priestland, ed.,

(Oxford: Archive Editions, Records of Jerusalem, 1917-1971  
vol. 1, p. 69. , (2002

[522←]

الأفكار، العدد 1206 (16/2/1918)، ص 7.

[523←]

وايزمان، مذكرات حايم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل، ص 46.

[524←]

B. Destani, ed.,

Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab  
(Cambridge, UK: Cambridge University Countries 1841-1974  
Press, 2005), vol. 3, p. 17.

[525←]

Fayez A. Sayegh,

, Palestine Monographs; 13 (Beirut: The Zionist Diplomacy  
Palestine Research Center, 1969) p. 14.

[526←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 372.

[527←]

أوضح محمد رشيد رضا- كاتب المقال- أن الهدف من هذا القول هو تنشيط الفقراء  
اليهود والمتوسطين على البذل بقدر الإمكان، ثم يكون الأغنياء هم الذين يتمون  
العمل، مذكراً بما قدمه البارون هرش، الذي لا يمكن لأحد أن ينكر كرمه.

[528←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 1.

[529←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "   
شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 112.

[530←]

الحركة الصهيونية والاستعمار، ص 43.

[531←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 76.

[532←]

المصدر نفسه، ص 23.

[533←]

الحركة الصهيونية والاستعمار، ص 43.

[534←]

سامي زيبان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتخليها وتحديد خصوصيتها،" مجلة شؤون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[535←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 203

[536←]

المقتبس، العدد 696 (6/6/1911)، ص 1.

[537←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 75.

[538←]

القومية ومواجهة الاستعمار (طرابلس، ليبيا: [د.ن.، د.ت.]، ص 7.

[539←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 154-153، وفيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 19.

[540←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 122، وعلي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمّان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[541←]

البشير، العدد 1345 (8/8/1898)، ص 1.

[542←]

المصدر نفسه، ص 1.

[543←]

البشير، العدد 1411 (20/11/1899)، ص 1.

[544←]

المصدر نفسه، ص 1.

[545←]

أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية (عمّان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 90.

[546←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 434، واسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ص 112.

[547←]

عصام سخيني، طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)، ص 348.

[548←]

البشير، العدد 1426 (5/3/1900)، ص 3.

[549←]

البشير، العدد 1427 (12/3/1900)، ص 3.

[550←]

البشير، العدد 1466 (10/12/1900)، ص 3.

[551←]

المصدر نفسه، ص 3.

[552←]

سميح فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة عطا عبد الوهاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 108.

[553←]

البشير، العدد 1438 (25/6/1900)، ص 3.

[554←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism before World War I  
London: University of California Press, 1976), p. 41.

[555←]

المصدر نفسه، ص 42.

[556←]

محمد عبد الرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة، 1897-1918  
(القاهرة: جامعة عين شمس، 1974)، ص 176.

[557←]

المصدر نفسه، ص 42.

[558←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 405-406.

[559←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 129.

[560←]

السيد يسين وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين،  
1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 134.

[561←]

فلسطين، العدد 229 (12/4/1913)، ص 2.

[562←]

أمين أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937،"  
مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس)، السنة 17، العدد 1 (حزيران/يونيو 2003)،  
ص 248.

[563←]

شبتاي تيببت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 30.

[564←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 244.

[565←]

المصدر نفسه، ص 305.

[566←]

الاتحاد العثماني، العدد 15 (8/10/1908)، ص 2-3.

[567←]

فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص 18.

[568←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 431.

[569←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 95.

[570←]

المصدر نفسه، ص 95 و 97.

[571←]

مي صيقلبي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[572←]

المصدر نفسه، ص 55.

[573←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 61.

[574←]

المصدر نفسه، ص 55.

[575←]

ليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[576←]

صيفلي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 56.

[577←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1-2.

[578←]

المصدر نفسه، ص 2.

[579←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1554 (11/2/1931)، ص 8.

[580←]

المقتبس، العدد 536 (1/1/1911)، ص 2.

[581←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1518 (8/10/1930)، ص 6.

[582←]

سهيلا سليمان الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 152-162.

[583←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 14/2/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1570 (8/4/1931)، ص 6.

[584←]

المقتبس، العدد 568، 8/11/1911م، ص3، والشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية، ص 154.

[585←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[586←]

المصدر نفسه، ص 3.

[587←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[588←]

افرائيم: اسم مستعار للدلالة على اليهود الأجانب. لمزيد من التفاصيل، انظر: المقتبس، العدد 568 (8/1/1911)، ص 2.

[589←]

الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية، ص 156.

[590←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[591←]

المقتبس، العدد 695 (1/6/1911).

[592←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 14 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1569 (4/4/1931)، ص 8.

[593←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[594←]

المقتبس، العدد 551 (19/12/1910)، ص 1.

[595←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[596←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/6/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 148 (4/7/1930)، ص 4.

[597←]



“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1508 (3/9/1930)، ص 6.

[598←]

المفيد، العدد 543 (15/11/1910)، ص 1-2، والمقتبس، العدد 502 (19/10/1910).

[599←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1510 (1/9/1930)، ص 8.

[600←]

المصدر نفسه، ص 8.

[601←]

المصدر نفسه، ص 8.

[602←]

المراقب، العدد 96 (4/11/1910)، ص 710.

[603←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 26/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1518 (8/10/1930)، ص 6.

[604←]

المقتبس، العدد 791 (1/10/1911)، ص 3.

[605←]

المصدر نفسه، ص 1.

[606←]

المقتبس، العدد 502 (19/10/1910)، ص 1.

[607←]

المصدر نفسه، ص 1.

[608←]

المصدر نفسه، ص 1.

[609←]

المقتبس، العدد 811 (31/10/1910).

[610←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[611←]

المصدر نفسه، ص 6.

[612←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1547 (17/1/1931)، ص 6.

[613←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1550 (24/1/1930)، ص 6.

[614←]

المقتبس، العدد 513 (1/11/1910)، ص 1.

[615←]

المصدر نفسه، ص 1.

[616←]

المقتبس، العدد 516 (5/11/1910)، ص 3.

[617←]

المصدر نفسه، ص 3.

[618←]

المقتبس، العدد 546 (10/12/1910)، ص 1.

[619←]

المصدر نفسه، ص 2.

[620←]

المقتبس، العدد 527 (17/11/1910)، ص 1.

[621←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1549 (24/1/1931)، ص 6.

[622←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1554 (11/2/1931)، ص 8.

[623←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[624←]

المقتبس، العدد 564 (3/1/1911)، ص 3.

[625←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[626←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[627←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 2.

[628←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 20/1/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1564 (14/3/1931)، ص 8.

[629←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1567 (28/3/1931)، ص 8.

[630←]

المصدر نفسه، ص 8.

[631←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 8 آذار/مارس 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1574 (22/4/1931)، ص 8.

[632←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 6 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1587 (13/6/1931)، ص 8.

[633←]

“ما قائلته الكرمل قبل عشرين سنة في 22 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1609 (11/9/1931)، ص 8.

[634←]

المقتبس، العدد 787 (11/9/1911)، ص 3.

[635←]

المقتبس، العدد 801 (11/10/1911).

[636←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 126.

[637←]

الحقائق، مج 2، ج 2 (27/6/1911)، ص 79.

[638←]

المقتبس، العدد 794 (26/8/1911)، ص 1.

[639←]

عصمت برهان الدين، “النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ” شؤون عربية، العدد 93 (أذار/مارس 1998)، ص 156، و Assa'd

Razzouk, 'Izz al-Dīn Fawdah and Elias W. Hanna, Zionism and Arab Resistance (Beirut: Palestine Research Center, 1969), p. 69.

[640←]

برهان الدين، المصدر نفسه، ص 156.

[641←]

المقتبس، العدد 634 (26/3/1911)، ص 2، وحسان علي حلاق، دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942 (بيروت: الدار الجامعية، 1987)، ص 7.

[642←]

الحضارة، العدد 59 (12/5/1911)، ص 5-6.

[643←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين"، ص 157.

[644←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 32.

[645←]

المؤيد، العدد 6334 (8/4/1911)، ص 6.

[646←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3.

[647←]

المقتبس، العدد 760 (31/8/1911)، ص 1.

[648←]

النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 23-24.

[649←]

المقتبس، العدد 786 (20/9/1911)، ص 2.

[650←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[651←]

المقتبس، العدد 854 (18/12/1911)، ص 3.

[652←]

B. Destani, ed., Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab Countries 1841-1974 (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2005), vol. 2: 1861-1913, p. 587 (27/8/1911).

[653←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[654←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 103.

[655←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 611-612.

[656←]

المقتبس، العدد 947 (4/4/1912)، ص 1.

[657←]

Robert John and Sami Hadawi,  
, with a foreword by Arnold J. The Palestine Dairy, 1914-1945  
Toynbee (New York: New World Press, 1970), p. 18.

[658←]

المنادي، العدد 3 (20/2/1912)، ص 1-2.

[659←]

المقتبس، العدد 1066 (19/12/1912)، ص 2.

[660←]

المصدر نفسه، ص 2.

[661←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 26.

[662←]

فلسطين العدد 207 (25/1/1913)، ص 1.

[663←]

محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعائها ومظاهرها وسيرها في زمن  
الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ ومذكرات وذكريات  
وتعليقات) (بيروت؛ صيدا: المكتبة العصرية، 1971)، ص 447.

[664←]

المنار، مج 16، ج 2 (1331هـ- شباط/فبراير 1913)، ص 147.

[665←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 611-612.

[666←]

المنادي، العدد 53-6 (27/7/1913)، ص 4.

[667←]

المنادي، العدد 148 (24/1/1913)، ص 1.

[668←]

المنادي، العدد 53 - 6 (27/7/1913)، ص 3.

[669←]

فلسطين، العدد 229 (12/4/1913)، ص 2.

[670←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 2.

[671←]

تزامن ذلك مع عودة الاتحاديين إلى الحكم في كانون الثاني/يناير 1913.

[672←]

المنادي، العدد 62-14 (24/4/1913)، ص 4.

[673←]

المقتبس، العدد 1179 (30/4/1913)، ص 2.

[674←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 451.

[675←]

“ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 23 آب/أغسطس 1910، فاقرأه، ” الكرمل، العدد 1512 (17/9/1930)، ص 8.

[676←]

المنادي، العدد 62-14 (24/4/1913)، ص 4.

[677←]

المصدر نفسه، ص 4.

[678←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 435.

[679←]

المنادي، العدد 67 - 22 (5/6/1913)، ص 1.

[680←]

إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 23-24.

[681←]

المقتبس، العدد 1298 (22/9/1913)، ص 1-2.

[682←]

المقتبس، العدد 1237 (7/7/1913)، ص 1، والمنادي، العدد 72 - 25 (8/7/1913)، ص 3.

[683←]

المنادي، العدد 25-72 (8/7/1913)، ص 3.

[684←]

المنادي، العدد 26-73 (17/7/1913)، ص 2.

[685←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 69.

[686←]

فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص 248.

[687←]

سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984)، ص 273.

[688←]

إبراهيم الشريفي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل (لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985)، ص 222-223.

[689←]

بسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 155.



[690←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 1.

[691←]

المصدر نفسه، ص 1.

[692←]

المصدر نفسه، ص 1.

[693←]

المصدر نفسه، ص 3.

[694←]

المقتبس، العدد 1256 (29/7/1913)، ص 1.

[695←]

جاء تشكيل هذا الوفد- بعد اتفاق الاتحاديين والإصلاحيين العرب في مؤتمر باريس-، لتقديم الشكر للحكومة على وعودها، ومطالبتها بالتعجيل في البر بها. لمزيد من التفاصيل، انظر: أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958)، ص 62.

[696←]

المصدر نفسه، ص 62.

[697←]

سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951، تحقيق باسل سليمان فيضي (بيروت: دار الساقي، 1998)، ص 166-167.

[698←]

أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها (بغداد: مطبعة الشعب، 1932)، ج 4، ص 52.

[699←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 1.

[700←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 75.

[701←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913).

[702←]

المقتبس، العدد 1249 (21/7/1913)، ص 1-2.

[703←]

فلسطين، العدد 261 (9/8/1913)، ص 3.

[704←]

فلسطين، العدد 1290 (13/9/1913)، ص 2.

[705←]

المصدر نفسه، ص 2.

[706←]

القبس، العدد 1301-1 (30/9/1913)، ص 1.

[707←]

أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص 273.

[708←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص 22.

[709←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 71.

[710←]

البشير، العدد 2281 (18/7/1913)، ص 1.

[711←]

المقتبس، العدد 1285 (18/7/1913)، ص 1.

[712←]

المؤيد، العدد 7100 (5/10/1913)، ص 4.

[713←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 94.

[714←]

فلسطين، العدد 287 (26/10/1913)، ص 2، ومحمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 472.

[715←]

البشير، العدد 2281 (18/7/1913)، ص 1.

[716←]

المقتبس، العدد 1306 (30/9/1913)، ص 1.

[717←]

يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1964)، ص 119-120، ومذكرات سليم علي سلام، 1868-1938: مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانية، تحقيق حسان حلاق (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1981)، ص 41.

[718←]

Mandel,

, p. 177. The Arabs and Zionism before World War I

[719←]

سخيني، طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948، ص 347.

[720←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 251.

[721←]

الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ص 119-120.

[722←]

لسان الحال، العدد 7450 (22/1/1914)، ص 1.

[723←]

المصدر نفسه، ص 1.

[724←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " شؤون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 139.

[725←]

الهلال، مج 7، العدد 22 (نيسان/أبريل 1914)، ص 519.

[726←]

المصدر نفسه، ص 554.

[727←]

خيرية قاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية، "مجلة دراسات تاريخية (دمشق)، العددان 17-18 (آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984)، ص 160.

[728←]

لسان الحال، العدد 7435 (1/5/1914)، ص 3.

[729←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، "شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 84.

[730←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 206، وكوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ص 249.

[731←]

دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ ومذكرات وذكريات وتعليقات)، ص 288-383.

[732←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966 UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 72, 25/8/1914

[733←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالدة (عمّان: [د.ن.].، 1993)، ص 218.

[734←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 181.

[735←]

أفكار، العدد 1057 (23/10/1916)، والقبلة (8 شوال 1334هـ -1 حزيران/ يونيو 1916م)، ص 1.

[736←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 12.

[737←]

قاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية، " ص 164.

[738←]

حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 47.

[739←]

قاسمية، المصدر نفسه، ص 166-167.

[740←]

نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 65.

[741←]

النحيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 91.

[742←]

المصدر نفسه، ص 91.

[743←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 92.

[744←]

المصدر نفسه، ص 92.

[745←]

المقتبس، العدد 891 (29/1/1912)، ص 3.

[746←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[747←]

المصدر نفسه، ص 2.

[748←]

المصدر نفسه، ص 2.

[749←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[750←]

المنادي، العدد 10 (10/4/1912)، ص 2.

[751←]

وليد الخالدي، “كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي  
المتوفى سنة 1913، ” في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية:  
مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة  
(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 79.

[752←]

المصدر نفسه، ص 81.

[753←]

المنادي، العدد 29 (20/8/1912)، ص 3.

[754←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 67، و Mandel,

, p. 138. The Arabs and Zionism before World War I

[755←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[756←]

المصدر نفسه، ص 2.

[757←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[758←]

فلسطين، العدد 207 (25/1/1913)، ص 3.

[759←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 81.

[760←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 135.

[761←]

فلسطين، العدد 92 (11/12/1912)، ص 1.

[762←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[763←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 101.

[764←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 139.

[765←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 606.

[766←]

فلسطين، العدد 215 (2/2/1913)، ص 2.

[767←]

المقتبس، العدد 1249 (21/7/1913)، ص 2.

[768←]

"ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه، " الكرمل، العدد 1544 (7/1/1931)، ص 4.

[769←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[770←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[771←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 3.

[772←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[773←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 135.

[774←]

المقتبس، العدد 549 (17/12/1910)، ص 3.

[775←]

نجم عن بيع الدولة القسم الشمالي من أراضي سهل مرج بن عامر، أن أصبحت عشرون قرية من ضمن أملاك آل سرسق والتويني وفرح من تجار بيروت، لمزيد من التفاصيل، انظر: الاتحاد العثماني، العدد 139 (3/3/1909)، ص 2.

[776←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 217.

[777←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 90.

[778←]

تقول نيوتن في مذكراتها: "كنت قد عرفت قرية معلول العربية-الإسلامية-المسيحية قبل الاحتلال البريطاني بعدد من السنوات، وإذ ذلك كانت أراضي هذه القرية الجليلية قد نقلت إلى اسم مشتريها اللبناني العثماني من السراسقة المقيمين في بيروت، أما أهاليها فظلوا هم مزارعوها". لمزيد من التفاصيل، انظر: فرنسيس إملي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب"، ترجمة وديع البستاني (عمّان: جمعية عمّال المطابع التعاونية، 1967)، ص 204.

[779←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 305.

[780←]



الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ص 203،  
والصايغ، فلسطين والقومية العربية، ص 11.

[781←]

المقتبس، العدد 574 (15/1/1911)، ص 1.

[782←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16 نيسان/أبريل 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1457 (16/4/1930)، ص 8.

[783←]

المقتبس، العدد 701 (12/6/1911)، ص 3.

[784←]

المقتبس، العدد 715 (28/6/1911)، ص 3.

[785←]

حداد، “مواقف جريدة “الكرمل” من الصهيونية في العهد العثماني، ” ص 103،  
وخيرية قاسمية، “نجيب نصار في جريدته “الكرمل”، 1909-1914م، ” شؤون  
فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 111.

[786←]

محمود يزبك، النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمّان:  
البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 327.

[787←]

المصدر نفسه، ص 327.

[788←]

قاسمية، “نجيب نصار في جريدته “الكرمل”، 1909-1914م، ” ص 109-110.

[789←]

المقتبس، العدد 705 (16/7/1911)، ص 2.

[790←]

المنادي، العدد 3 (20/2/1912)، ص 1.

[791←]

المنادي، العدد 53-6 (27/7/1913)، ص 3.

[792←]

المنادي، العدد 65- 18 (22/5/1913)، ص 3.

[793←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 81.

[794←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[795←]

المؤيد، العدد 61427 (11/8/1910)، ص 1.

[796←]

المنادي، العدد 9 (4/4/1912)، ص 1.

[797←]

الهلال، ج 7، العدد 22 (نيسان/أبريل 1914)، ص 519.

[798←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 281.

[799←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 290.

[800←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 93.

[801←]

المنادي، العدد 4 (12/10/1912)، ص 4.

[802←]

المفيد، العدد 528 (27/10/1910)، ص 3.

[803←]

"ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، " الكرمل، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[804←]

فلسطين، العدد 62 (10/8/1911)، ص 3.

[805←]

المقتبس، العدد 427 (11/8/1910)، ص 1.

[806←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 2.

[807←]

المنادي، من هذه الأعداد 60-13 (بتاريخ 17/4/1913)، ص 2؛ العدد 68-21 (13/6/1913)، ص 2، والعدد 73-26 (27/7/1913)، ص 2.

[808←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 2.

[809←]

المنادي، العدد: 53 - 6 (27/4/1913)، ص 4.

[810←]

المصدر نفسه، ص 4.

[811←]

المصدر نفسه، ص 4.

[812←]

المصدر نفسه، ص 3.

[813←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، " ص 118.

[814←]

أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص 274.

[815←]

البشير، العدد 1466 (10/12/1900)، ص 3.

[816←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 79.

[817←]

المصدر نفسه، ص 81.

[818←]

المصدر نفسه، ص 81.

[819←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[820←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3.

[821←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 137.

[822←]

المنادي، العدد 40 (12/10/1912)، ص 4.

[823←]

“ما قائلته الكرمل قبل 20 سنة في 20 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1590 (2/6/1931)، ص 8.

[824←]

المنادي، العدد 40 (12/10/1912)، ص 4.

[825←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1، وكرد علي، خطط الشام، ج 4، ص 129-130.

[826←]

Donna Robinson Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power (London: Lynne Rienner Publishers, 1993), p. 148

[827←]

زهير غنايم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 4 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 359.

[828←]

خليل أبو رجيلي، “الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، ” شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 129.

[829←]

الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م، ص 281.

[830←]

غنايم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، ص 763.

[831←]

المؤيد، العدد 61427 (11/8/1910)، ص 1.

[832←]

المقتبس، العدد 1119 (19/2/1913)، ص 1.

[833←]

المقتبس: العدد 318 (15/3/1910)، ص 1، والعدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[834←]

غنايم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، ص 183.

[835←]

المصدر نفسه، ص 256.

[836←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10/6/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1594 (5/7/1931)، ص 8.

[837←]

المقتبس: العدد 706 (18/6/1911)، ص 2، والعدد 709 (21/6/1911)، ص 1.

[838←]

المقتبس، العدد 709 (21/6/1911)، ص 2.

[839←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[840←]

المقتبس، العدد 945 (2/4/1912)، ص 2-3.

[841←]

المقتبس، العدد 947 (4/4/1912)، ص 1.

[842←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[843←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، ” الكرمل،  
العدد 1616 (1/10/1931)، ص 4.

[844←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه، ” الكرمل،  
العدد 1482 (5/7/1930)، ص 4.

[845←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية،  
1966)، ص 32.

[846←]

أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية (عمّان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة،  
1997)، ص 76.

[847←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز  
الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 23.

[848←]

المصدر نفسه، ص 23.

[849←]

المصدر نفسه، ص 344.

[850←]

المصدر نفسه، ص 45.

[851←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني (بيروت:  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973)، ص 87.

[852←]

المصدر نفسه، ص 89.

[853←]

المصدر نفسه، ص 89.

[854←]

عوني فرسخ، الأقليات في التاريخ العربي منذ الجاهلية وإلى اليوم (لندن: رياض الريس للنشر، 1994).

[855←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 153-154، وفيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 19.

[856←]

نصار، المصدر نفسه، ص 155.

[857←]

المصدر نفسه، ص 155.

[858←]

المشرق، السنة 2 (1899)، ص 1088.

[859←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 440.

[860←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 160.

[861←]

Neville J. Mandel, *The Arabs and Zionism before World War I* (Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976), p.)

.42

[862←]

الهدى، العدد 5 (25/5/1901)، ص 2.

[863←]

المصدر نفسه، ص 2.

[864←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 1.

[865←]

المنار، مج 6، ج 5 (28/5/1903)، ص 196 - 200.

[866←]

شاهين مكاربيوس، تاريخ الإسرائيليين: اليهود قديماً وحديثاً مع تراجم مشاهيرهم شرقاً وغرباً (القاهرة: مطبعة المقتطف، 1904)، ص 261.

[867←]

المصدر نفسه، ص 261.

[868←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914"، شؤون فلسطينية، العدد 36 (أب/أغسطس 1974)، ص 76.

[869←]

نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 41-42، ومكي حبيب المؤمن وعلي منهل، من طلائع يقظة الأمة العربية: عزيز علي المصري، نجيب عازوري، فرح أنطون، شبلي الشميل (بغداد: دار الرشيد، 1981)، ص 50.

[870←]

لم يستبعد رزوق أن يكون نوردو اطلع على كتاب نجيب عازوري وأفكاره، التي انطلقت من شعار بلاد العرب للعرب، فلم يقتصر على إظهار المنفعة للأتراك بل وللأوروبيين أيضاً. لمزيد من التفاصيل، انظر: رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، ص 144-145.

[871←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 141.



[872←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها، " شؤون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 118.

[873←]

الصايغ، فلسطين والقومية العربية، ص 32.

[874←]

المقتطف، مج 33، ج 1 (كانون الأول/ديسمبر 1908)، ص 81.

[875←]

عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " ص 76.

[876←]

(34) السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص 36-37.

[877←]

الاتحاد العثماني، العدد 249 (15/7/1909)، ص 1.

[878←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و"المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 166.

[879←]

المؤيد، العدد 5822 (21/7/1909)، ص 1.

[880←]

المصدر نفسه.

[881←]

ماهر الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993 (نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1995)، ص 23.

[882←]

سامي ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتخليها وتحديد خصوصيتها، " مجلة شؤون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[883←]

النعمة، ج 10 (1/11/1909)، ص 112.

[884←]

علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمّان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 176.

[885←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 97.

[886←]

أمين أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس)، السنة 17، العدد 1 (حزيران/يونيو 2003)، ص 601.

[887←]

الاتحاد العثماني، العدد 1297 (10/1/1910)، ص 2.

[888←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 22 كانون الثاني/يناير 1910، فاقرأوه، " الكرمل، العدد 1434 (1/2/1930)، ص 8.

[889←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1-2.

[890←]

المقتبس، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[891←]

المؤيد، العدد 6040 (17/4/1910)، ص 2.

[892←]

المنار، مج 13، ج 10 (2/11/1910)، ص 725.

[893←]

الحضارة، العدد 38 (29/12/1910)، ص 1، والمقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[894←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20/1/1911، فاقرأه، ” الكرمل، العدد 1563 (10/3/1931)، ص 8.

[895←]

المقتبس، العدد 574 (15/1/1911)، ص 1.

[896←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[897←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911).

[898←]

حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948، ص 19.

[899←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[900←]

عصمت برهان الدين، “النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ” شؤون عربية، العدد 93 (أذار/مارس 1998)، ص 156.

[901←]

الحضارة، العدد 59 (12/5/1911)، ص 5-6.

[902←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[903←]

المصدر نفسه، ص 9.

[904←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 1-2.

[905←]

خيرية قاسمية، “نجيب نصار في جريدته “الكرمل”، 1909-1914م، ” شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 107.

[906←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917:  
دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة"  
والأهالي"، ص 166.

[907←]

المصدر نفسه، ص 170.

[908←]

الكوثر، 5/8/1911، ص 119-120.

[909←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 21/7/1911، فاقرأوه، " الكرمل، العدد 1621  
(22/9/1931)، ص 8.

[910←]

المقتبس، العدد 771 (3/9/1911)، ص 2.

[911←]

المصدر نفسه.

[912←]

نسيم ملول، أسرار اليهود (القاهرة: المؤلف، 1911)، ص 5.

[913←]

المقتبس، العدد 786 (20/9/1911)، ص 2.

[914←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[915←]

المقتبس، العدد 716 (29/6/1911)، ص 2

[916←]

البيان، العدد 85 (17/9/1912)، ص 2.

[917←]

الكرمل، العدد 849 (12/12/1911)، ص 2.

[918←]

المقتبس، مج 7 (1912)، ص 33.

[919←]

المنار، مج 16، ج 2 (1331هـ- شباط/فبراير 1913)، ص 147.

[920←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته" الكرمل"، 1909-1914م، "ص 111.

[921←]

المؤيد، العدد 7100 (5/10/1913)، ص 4.

[922←]

وليد الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913، "في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 43.

[923←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 92-98.

[924←]

المنار، مج 17، ج 1 (28 كانون الأول/ديسمبر 1913)، ص 320.

[925←]

المنار، مج 17، ج 4 (27/3/1914)، ص 319.

[926←]

Robert John and Sami Hadawi, The Palestine Dairy, 1914- with a foreword by Arnold J. Toynbee (New York: New ,1945 .World Press, 1970), vol. 1, p. 20

[927←]

إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 26.

[928←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "ص 111.

[929←]

فلسطين، العدد 323 (11/4/1914)، ص 84.

[930←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 169.

[931←]

المصدر نفسه، ص 171.

[932←]

المصدر نفسه، ص 171.

[933←]

خيرية قاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة- قراءة في الوثائق البريطانية،" مجلة دراسات تاريخية (دمشق)، العددان 17-18 (أب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984)، ص 166.

[934←]

Jane Priestland, ed., Records of Jerusalem, 1917-1971 (Oxford: Archive Editions, 2002), vol. 1, p. 32.

[935←]

أفكار، العدد 1194 (2/1/1918)، ص 2.

[936←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 33.

[937←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م،" ص 101.

[938←]

السيد يسين وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 86.

[939←]

مصطفى الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهد العثماني والبريطاني، 1854-1948م،" دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1975)، ص 36.

[940←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 226.

[941←]

محمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 495.

[942←]

.Palestine Exploration Fund (London) (January 1907), p. 82

[943←]

النيراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 348.

[944←]

المقتبس، العدد 2328 (27/3/1910)، ص 2.

[945←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1513 (1/10/1931)، ص 4.

[946←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23 آب/أغسطس 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1512 (17/9/1931)، ص 8.

[947←]

المقتبس، مج 7 (1912)، ص 33.

[948←]

المنادي، العدد 21 (25/6/1913)، ص 1-2.

[949←]

فلسطين، العدد 1417 (29/2/1914)، ص 2.

[950←]

حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 18 و 26.

[951←]

لسان الحال، العدد 7484 (3/3/1914).

[952←]

المؤيد، العدد 7244 (29/3/1914)، ص 4.

[953←]

المصدر نفسه، ص 4.

[954←]

بسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 150.

[955←]

فلسطين، 29/2/1914.

[956←]

الاتحاد العثماني، العدد 486 (25/4/1910)، ص 3.

[957←]

يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 212.

[958←]

محمود الشيبات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 43.

[959←]

المؤيد، العدد 5925 (24/11/1909)، ص 4.

[960←]

العصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910)، ص 3.

[961←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 254.

[962←]

المصدر نفسه، ص 254.

[963←]

المؤيد، العدد 6142 (11/8/1910)، ص 1-2.



[964←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[965←]

المقتبس، العدد 581 (23/1/1911)، ص 2.

[966←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين،" ص 156.

[967←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 1-2.

[968←]

برهان الدين، المصدر نفسه، ص 156، وحسان علي حلاق، دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942 (بيروت: الدار الجامعية، 1987)، ص 7.

[969←]

الحضارة، العدد 61 (26/5/1911)، ص 5.

[970←]

"ما قالتها الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأه،" الكرمل، العدد 1547 (17/1/1930)، ص 6.

[971←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روجي الخالدي المتوفى سنة 1913،" ص 75.

[972←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3.

[973←]

المصدر نفسه، ص 3.

[974←]

المقتبس، العدد 690 (30/5/1911)، ص 1.

[975←]

المصدر نفسه، ص 1.

[976←]

المنادي، العدد 62-14 (24/4/1913)، ص 4.

[977←]

المقتطف، مج 44، ج 1 (كانون الثاني/يناير 1914)، ص 50.

[978←]

لسان الحال، العدد 7466 (10/2/1914)، ص 2.

[979←]

المؤيد، العدد 7251 (6/4/1914)، ص 1.

[980←]

المؤيد، العدد 7521 (15/4/1914)، ص 2.

[981←]

فلسطين، 29/4/1914، ويعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالدة (عمّان: [د. ن.]، 1993)، ص 251.

[982←]

الأمة، العدد 66 (21/2/1910)، ص 2.

[983←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1547 (17/1/1930)، ص 6.

[984←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية،  
1966)، ص 26.

[985←]

عبد الله عبد الدائم، “موقف الصهيونية: كفكرة وحركة من القومية العربية، ”  
شؤون عربية، العدد 104 (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 10.

[986←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هدا شعبان صايغ (بيروت: مركز  
الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 75.

[987←]

المصدر نفسه، ص 75.

[988←]

مايكل دمبر، "الاستيطان اليهودي في القدس،" مجلة الدراسات الفلسطينية، السنة 2، العدد 8 (خريف 1991)، ص 35.

[989←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 451-450.

[990←]

حيدر رشيد، "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب،" شؤون فلسطينية، العدد 109 (كانون الأول/ديسمبر 1980)، ص 101، ويعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالدة (عمّان: [د.ن.]، 1993)، ص 243.

[991←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 451-450.

[992←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarenton Press, 1987), p. 19.

[993←]

خليل أبو رجيلي، "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل،" شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 133-134.

[994←]

رشيد، "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب،" ص 102.

[995←]

محمود الشيبات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 42.

[996←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 203.

[997←]

David Kushner, ed., Palestine in the Late Ottoman Period: Political, Social and Economic Transformation (Leiden: Brill Academic Pub., 1997), p. 188

[998←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 450-451.

[999←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 13

[1000←]

المقتطف، مج 22 (نيسان/أبريل 1898)، ص 310.

[1001←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 78.

[1002←]

Anita Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948 (New York: Oxford University Press, 1992), p. 58

[1003←]

Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism before World War I (Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976), p. 223

[1004←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 22.

[1005←]

محمود يزبك، النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمّان: البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 295.

[1006←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 207.

[1007←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404 و 407.

[1008←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 299.

[1009←]

المصدر نفسه، ص 299.

[1010←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 12

[1011←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 52.

[1012←]

صبري جريس، "حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية، " شؤون فلسطينية، العدد 52 (كانون الأول/ديسمبر 1975)، ص 28، ومجموعة من الكتاب اليهود، "إسرائيل الثانية: المشكلة السفاردية، " مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 394 (أيلول/سبتمبر 1980)، ص 165.

[1013←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948, p. 55

[1014←]

يوسف براص، قرية على ضفاف الأردن، ترجمة رسمي بيادسة (بيافا: دار النشر العربي، 1967)، ص 18.

[1015←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 509.

[1016←]

.Palestine Exploration Fund (London) (April 1907), p. 93

[1017←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 29.

[1018←]

المصدر نفسه، ص 19.

[1019←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973)، ص 305.

[1020←]

ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 49.

[1021←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 489.

[1022←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 68

[1023←]

رشيد، "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب،" ص 106.

[1024←]

شبتاي تيبب، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 24-25.

[1025←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 113.

[1026←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914،" شؤون فلسطينية، العدد 36 (أب/أغسطس 1974)، ص 76.

[1027←]

المصدر نفسه، ص 513.

[1028←]

المصدر نفسه، ص 76.

[1029←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948, p. 58.

[1030←]

المصدر نفسه، ص 58.

[1031←]

ابتسام قعقور، محرر، قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن وحواران والجولان، 1871-1947 (عمان: دار الجليل للنشر، 2003)، ص 149.

[1032←]

ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 333.

[1033←]

.Mandel, The Arabs and Zionism before World War I, p. 31

[1034←]

قعقور، محرر، قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن وحواران والجولان، 1871-1947، ص 150.

[1035←]

السيد يسين وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 13.

[1036←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53.

[1037←]

الاتحاد العثماني، العدد 15 (8/10/1908)، ص 3.

[1038←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172.

[1039←]

النبراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 346.

[1040←]

مي صيقللي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[1041←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 256.

[1042←]

المصدر نفسه، ص 256.

[1043←]

الاتحاد العثماني، العدد 379 (16/12/1909)، ص 3.

[1044←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53.

[1045←]

ألكس كرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين (حيفا: جامعة حيفا، 1979)، ص 273.

[1046←]

النبراس، مج 1، ج 10 (13/12/1909)، ص 382.

[1047←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[1048←]

خيرية قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، "شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 103.

[1049←]

يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 199.

[1050←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 1 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، "الكرمل، العدد 1506 (27/8/1930)، ص 8.

[1051←]



المصدر نفسه، ص 8.

[1052←]

أيف كوثلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[1053←]

علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمّان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 176.

[1054←]

المؤيد، العدد 5952 (1/1/1910)، ص 6، والعصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910)، ص 4.

[1055←]

المقتبس، العدد 319 (16/3/1910)، ص 1.

[1056←]

الاتحاد العثماني، العدد 414 (29/1/1910)، ص 3.

[1057←]

الاتحاد العثماني، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[1058←]

الاتحاد العثماني، العدد 467 (6/9/1910)، ص 2.

[1059←]

المؤيد، العدد 60147 (17/3/1910)، ص 2-3.

[1060←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 18 حزيران/يونيو 1910، فاقراًوه، ” الكرمل، العدد 1479 (28/6/1930)، ص 4.

[1061←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقراًوه، ” الكرمل، العدد 1548 (21/1/1930)، ص 6.

[1062←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقرأوه، ”  
الكرمل، العدد 1562 (11/3/1931)، ص 8.

[1063←]

المقتبس، العدد 329 (28/3/1910)، ص 2.

[1064←]

“ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 1/7/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد  
1603 (8/8/1931)، ص 6.

[1065←]

عصمت برهان الدين، “النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في  
فلسطين، ” شؤون عربية، العدد 93 (أذار/مارس 1998)، ص 156.

[1066←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 6.

[1067←]

فلسطين، العدد 140 (29/5/1912)، ص 1.

[1068←]

.Mandel, The Arabs and Zionism before World War I, p. 122

[1069←]

فلسطين، العدد 169 (3/9/1911)، ص 21.

[1070←]

سهيلة الريماوي، “الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918، ” ورقة  
قدمت إلى: المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين (عمّان: مطابع  
الجمعية العلمية، 1983)، ص 235.

[1071←]

عوض، “الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، ” ص 77.

[1072←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[1073←]

يوسف حداد، “مواقف جريدة “الكرمل” من الصهيونية في العهد العثماني، ”  
شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 98.

[1074←]

المصدر نفسه، ص 102.

[1075←]

المقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[1076←]

المصدر نفسه، ص 3.

[1077←]

حداد، المصدر نفسه، ص 99.

[1078←]

ماهر الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993 (نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1995)، ص 22.

[1079←]

المنادي، العدد 9 (2/4/1912)، ص 1.

[1080←]

فلسطين، العدد 144 (12/6/1912)، ص 3.

[1081←]

فلسطين، العدد 28 (13/7/1912)، ص 2.

[1082←]

المنادي، العدد 39 (15/10/1912)، ص 1.

[1083←]

المنادي، العدد 5 (5/3/1912)، ص 1.

[1084←]

المصدر نفسه، ص 1.

[1085←]

المنادي، العدد 21 (25/6/1912)، ص 2.

[1086←]

المقتبس، مج 9، ج 1 (1912)، ص 60.

[1087←]

المقتبس، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[1088←]

المصدر نفسه، ص 2.

[1089←]

الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993، ص 20.

[1090←]

المقتبس، العدد 1137 (12/3/1913)، ص 1.

[1091←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، "شؤون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 138.

[1092←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدته "الكرمل"، 1909-1914م، "ص 114.

[1093←]

المصدر نفسه، ص 114.

[1094←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، "ص 138.

[1095←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 224، وبسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، " (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 150.

[1096←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، "ص 135.

[1097←]

وهم: نسيم مزلياح، بساريا أفندي، وجاويد بك.

[1098←]

المنار، مج 16، ج 2 (شباط/فبراير 1913)، ص 147، 157 و 160.

[1099←]

الهلال، مج 2، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 93.

[1100←]

المقتبس، العدد 1375 (25/12/1913)، ص 1.

[1101←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 107.

[1102←]

المصدر نفسه، ص 138.

[1103←]

علي ملكي، الجاسوسية الصهيونية في البلاد العربية: أخطر الوقائع عن مغامرات الجواسيس اليهود في لبنان وسوريا وفلسطين (بيروت: صوت الشوف، 1970)، ص 10، وفرنسيس إملي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب"، ترجمة وديع البستاني (عمّان: جمعية عمّال المطابع التعاونية، 1967)، ص 101.

[1104←]

المقتطف، مج 44، ج 1 (كانون الثاني/يناير 1914)، ص 49.

[1105←]

لسان الحال، العدد 7466 (10/2/1914)، ص 2.

[1106←]

لسان الحال، العدد 7470 (14/2/1914)، ص 1.

[1107←]

لسان الحال، العدد 7492 (11/3/1914)، ص 2.

[1108←]

المنهل، مج 1، ج 6 (7 صفر وربيع الأول 1332هـ -كانون الثاني/يناير 1914)، ص 277.

[1109←]

لسان الحال، العدد 7547 (15/5/1914)، ص 1.

[1110←]

فلسطين: العدد 307 (29/3/1914)، والعدد 311 (11/4/1914).

[1111←]

المصدر نفسه.

[1112←]

ممدوح الروسان، فلسطين والصهيونية، 1882-1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979)، ص 62.

[1113←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 129.

[1114←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, pp. 24-25.

[1115←]

سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984)، ص 274.

[1116←]

[1117←]

يسين والدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 96-97.

[1118←]

صيقلي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 53.

[1119←]

.Palestine Exploration Fund (London) (October 1917), p. 170

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

**(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



# متميزون للكتب النصية





**لينك الانضمام الى الجروب - Group Link**

**لينك القتاة - Link**

# الفهرس..

---

عن الكتاب..

مقدمة

الفصل الأول

بدايات الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية،

1897 - 1917

الفصل الثاني

بدايات الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي

الصهيوني، 1897-1917

الفصل الثالث

بدايات الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية، 1897-

1917

الفصل الرابع

بدايات الوعي العربي لإقامة دولة يهودية مستقلة في

فلسطين

الفصل الخامس

الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني، 1897-

1917

خاتمة

المراجع

خلاصة الكتاب

الهوامش..